مرکز القائمیة اصفهان للبحوث والتحريات الكمبيوترية

السلام علیک یا صاحب الزمان

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

جامع السعادات

تأليف
العلامة النراقي

جلد ٢

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

جامع السعادات

کاتب:

ملا محمد مهدی نراقی

نشرت فی الطباعۀ:

اعلمی

رقمی الناشر:

مرکز القائمیۀ باصفهان للتحریات الکمبیوتریۀ

الفهرس

الفهرس ----- ۵

جامع السعادات المجلد ۲ ----- ۱۶

اشاره ----- ۱۶

[تتمه الباب الثالث] ----- ۱۶

اشاره ----- ۱۶

المقام الثالث (فيما يتعلق بالقوه الشهويه من الرذائل و الفضائل و كيفيه العلاج) ----- ۱۸

اشاره ----- ۱۸

أما جنسا رذائلها ----- ۱۹

اشاره ----- ۱۹

فأحدهما: ----- ۱۹

اشاره ----- ۱۹

و يدل على ذم(الأول)-أعنى شهوه البطن و الحرص على الأكل و الشرب ----- ۲۰

فوائد الجوع ----- ۲۳

الشهوه الجنسيه ----- ۲۴

(و ثانيهما)-أى ثانى جنسى رذائل قوه الشهوه-: الخمود ----- ۲۸

اشاره ----- ۲۸

وصل العفه ----- ۳۱

(الاعتدال فى الشهوه) ----- ۳۲

و أما غير الجنسين من الأنواع و النتائج و الآثار المتعلقه بالقوه الشهويه ----- ۳۳

اشاره ----- ۳۳

فمنها: ----- ۳۳

اشاره ----- ۳۳

تذنيب (لا بد للمؤمن من مكسب) ----- ۳۶

فصل (الدنيا المذمومه هى الهوى) ----- ۳۸

فصل (ذم الدنيا و أنها عدوه اللّه و الإنسان) ۴۰

فصل (خسائس صفات الدنيا) ۵۲

تذنيب (تشبيها الدنيا و أهلها) ۵۵

فصل (عاقبه حب الدنيا و بغضها) ۵۸

و منها: ۶۱

اشاره ۶۱

فصل الكتاب و السنه متظاهران فى ذم المال و كراهه حبه، ۶۲

فصل (الجمع بين ذم المال و مدحه) ۶۵

فصل (غوائل المال و فوائده) ۶۷

إن غوائله إما دنيويه أو دينيه: ۶۷

و الدنيويه: ۶۷

و الدينيه:ثلاثه أنواع: ۶۷

أولها-أداؤه إلى المعصيه. ۶۷

و ثانيها-أداؤه إلى التنعم فى المباحات. ۶۷

و ثالثها-و هو الذى لا ينفک عنه أحد من أرباب الأموال، ۶۸

و أما فوائده:فهى أيضا دنيويه و دينيه: ۶۹

أما الدنيويه: ۶۹

و أما الدينيه:فثلاثه أنواع: ۶۹

أولها-أن ينفقه على نفسه فى عباده، ۶۹

و ثانيها-أن يصرفه إلى أشخاص معينه: ۶۹

و ثالثها-أن يصرفه إلى غير معين يحصل به خير عام، ۷۰

فصل (الأمور المنجيه من غوائل المال) ۷۰

وصل (الزهد) ۷۲

فصل (مدح الزهد) ۷۳

فصل (اعتبارات الزهد و درجاته) ۸۲

(الأول)اعتبار نفسه ۸۲

(الثانی)اعتبار المرغوب عنه ----- ۸۳
(الثالث)اعتبار المرغوب فیه:أعنی ما یترک لأجله. ----- ۹۱
تتمیم الزهد الحقیقی ----- ۹۲
و منها: الغنی ----- ۹۲
اشاره ----- ۹۲
فصل ذم الغنی ----- ۹۴
وصل الفقر ----- ۹۵
فصل اختلاف أحوال الفقراء ----- ۹۵
فصل مراتب الفقر و مدحه ----- ۹۸
فصل (الموازنه بین الفقر و الغنی) ----- ۱۰۵
و إنما وقع الشک فی الترجیح بین الفقر و الغنی فی مواضع: ----- ۱۰۵
(الأول)فی الترجیح بین الفقر مع الصبر و القناعه،و الغنی مع الإنفاق،و قصد الاستعانه علی العباده، ----- ۱۰۵
(الثانی)فی الترجیح بین الفقر مع الحرص و الجزع،و الغنی مع الحرص و الإمساک. ----- ۱۰۸
(الثالث)فی الترجیح بین فقیر حریص متکالب علی الدنیا لیس له هم سواه،و غنی هو دونه فی الحرص ----- ۱۰۹
فصل ما ینبغی للفقیر ----- ۱۰۹
فصل وظیفه الفقراء ----- ۱۱۱
فصل موارد قبول العطاء و ردها ----- ۱۱۲
فصل لا یجوز السؤال من غیر حاجه ----- ۱۱۳
و منها: ----- ۱۱۸
اشاره ----- ۱۱۸
وصل القناعه ----- ۱۲۰
فصل علاج الحرص ----- ۱۲۳
و منها: ----- ۱۲۶
اشاره ----- ۱۲۶
وصل الاستغناء عن الناس ----- ۱۲۷
و منها: ----- ۱۲۹

اشاره ----- ۱۲۹
فصل ذم البخل ----- ۱۳۰
وصل السخاء ----- ۱۳۳
فصل معرفه ما یجب أن یبذل ----- ۱۳۸
تنبیه الإیثار ----- ۱۴۰
فصل علاج مرض البخل ----- ۱۴۱
تذنیب ----- ۱۴۴
أما الأمور الواجبه، ----- ۱۴۴
فأولها: الزکاه ----- ۱۴۵
فصل سر وجوب الزکاه،و فضیله سائر الإنفاقات ----- ۱۴۸
الأول-أن التوحید العام ألا یبقی للموحد محبوب سوی الواحد الفرد، ----- ۱۴۸
الثانی-تطهیر النفس عن رذیله البخل، ----- ۱۴۹
الثالث-شکر النعمه، ----- ۱۵۰
فصل الحث علی التعجیل فی الإعطاء ----- ۱۵۰
فصل فضیله إعلان الصدقه الواجبه ----- ۱۵۱
فصل ذم المن و الأذی فی الصدقه ----- ۱۵۲
فصل ما ینبغی للمعطی ----- ۱۵۴
فصل ما ینبغی للفقراء فی أخذ الصدقه ----- ۱۵۹
تتمیم زکاه الأبدان ----- ۱۶۰
و ثانیها: ----- ۱۶۱
و ثالثها: ----- ۱۶۳
فصل ما ینبغی فی الإنفاق علی العیال ----- ۱۶۶
و أما الأمور المستحبه من الإنفاق،الداخله تحت السخاء، ----- ۱۶۸
فأولها: ----- ۱۶۸
فصل فضیله الإسرار فی الصدقه المندوبه ----- ۱۷۱
و ثانیها: ----- ۱۷۴

و ثالثها: ----- ۱۷۵
فصل ما ينبغی أن يقصد بالضيافه ----- ۱۷۹
فصل آداب الضيافه ----- ۱۸۰
و رابعها: ----- ۱۸۱
و خامسها: ----- ۱۸۴
و سادسها: ----- ۱۸۵
و سابعها: ----- ۱۸۶
و ثامنها: ----- ۱۸۷
و تاسعها: ----- ۱۸۷
تنبيه الفرق بين الإنفاق و البر و المعروف ----- ۱۸۸
و منها-أی من رذائل القوه الشهويه-: ----- ۱۹۱
اشاره ----- ۱۹۱
فصل عزه تحصيل الحلال ----- ۱۹۳
فصل أنواع الأموال ----- ۱۹۴
الفرق بين الرشوه و الهديه ----- ۱۹۶
وصل الورع عن الحرام ----- ۲۰۰
فصل مدح الورع ----- ۲۰۱
فصل مداخل الحلال ----- ۲۰۵
فصل درجات الورع ----- ۲۰۶
تتميم ----- ۲۰۷
الغدر و الخيانه ----- ۲۰۷
أنواع الفجور ----- ۲۰۹
و منها: ----- ۲۱۰
و منها: ----- ۲۱۱
اشاره ----- ۲۱۱
فصل حد التكلم بما لا يعنی ----- ۲۱۳

فصل علاج الخوض فيما لا يعنى ----- ۲۱۵
وصل الصمت ----- ۲۱۶
المقام الرابع (فيما يتعلق بالقوى الثلاث من العاقله و قوتى الغضب و الشهوه،أو باثنتين منها من الرذائل و الفضائل). ----- ۲۱۸
اشاره ----- ۲۱۸
فمنها: ----- ۲۱۹
اشاره ----- ۲۱۹
فصل ذم الحسد ----- ۲۲۰
فصل المنافسه و الغبطه ----- ۲۲۳
فصل بواعث الحسد ----- ۲۲۶
اشاره ----- ۲۲۶
الأول-خبث النفس و شحها بالخير لعباد اللّه. ----- ۲۲۶
الثانى-العداوه و البغضاء. ----- ۲۲۷
الثالث-حب الرئاسه و طلب المال و الجاه. ----- ۲۲۷
الرابع-الخوف من فوت المقاصد. ----- ۲۲۷
الخامس-التعزز: ----- ۲۲۸
السادس-التكبر: ----- ۲۲۸
السابع-التعجب: ----- ۲۲۸
(تنبيه) ----- ۲۲۹
فصل لا تحاسد بين علماء الآخره و العارفين ----- ۲۳۰
فصل علاج الحسد ----- ۲۳۳
اشاره ----- ۲۳۳
تنبيه القدر الواجب فى نفى الحسد ----- ۲۳۶
وصل النصيحه ----- ۲۳۹
و منها: ----- ۲۴۱
اشاره ----- ۲۴۱
وصل كفّ الأذى عن المسلمين ----- ۲۴۳

اشاره ----- ۲۴۳

تنبیه ذم الظلم بالمعنی الأخص ----- ۲۴۶

وصل العدل بالمعنی الأخص ----- ۲۵۰

و منها: ----- ۲۵۳

اشاره ----- ۲۵۳

وصل إدخال السرور فی قلب المؤمن ----- ۲۵۳

و منها: ----- ۲۵۶

اشاره ----- ۲۵۶

وصل قضاء حوائج المسلمین ----- ۲۵۸

و منها: ----- ۲۶۱

اشاره ----- ۲۶۱

وصل السعی فی الأمر بالمعروف ----- ۲۶۵

اشاره ----- ۲۶۵

فصل وجوب الأمر بالمعروف و شروطه ----- ۲۶۹

فصل عدم اشتراط العداله فیه ----- ۲۷۱

فصل مراتب الأمر بالمعروف ----- ۲۷۵

فصل معنی وجوبهما کفائیا ----- ۲۷۶

فصل ما ینبغی فی الآمر بالمعروف و الناهی عن المنکر ----- ۲۷۷

تتمیم أنواع المنکرات ----- ۲۷۷

و منها: ----- ۲۸۰

اشاره ----- ۲۸۰

فصل التزاور و التآلف ----- ۲۸۱

و منها: ----- ۲۸۵

اشاره ----- ۲۸۵

وصل ضد قطیعه الرحم:صله الرحم ----- ۲۸۷

اشاره ----- ۲۸۷

تنبیه المراد بالرحم ---------- ۲۹۰
و منها: ---------- ۲۹۱
اشاره ---------- ۲۹۱
وصل بر الوالدین ---------- ۲۹۳
تذنیب حق الجوار ---------- ۲۹۷
اشاره ---------- ۲۹۷
تتمیم حدود الجوار و حقه ---------- ۲۹۸
و منها: ---------- ۲۹۹
اشاره ---------- ۲۹۹
وصل ستر العیوب ---------- ۳۰۱
و منها: ---------- ۳۰۲
اشاره ---------- ۳۰۲
فصل کتمان السر ---------- ۳۰۳
اشاره ---------- ۳۰۳
تنبیه النمیمه ---------- ۳۰۴
تتمه السعایه ---------- ۳۱۰
و منها: ---------- ۳۱۰
اشاره ---------- ۳۱۰
وصل الإصلاح ---------- ۳۱۱
و منها: ---------- ۳۱۲
و منها: ---------- ۳۱۳
اشاره ---------- ۳۱۳
تذنیب علاج المراء ---------- ۳۱۶
وصل طیب الکلام ---------- ۳۱۷
و منها: ---------- ۳۱۷
و منها: ---------- ۳۲۰

اشاره ---------- ۳۲۰

تذنیب المذموم من المزاح ---------- ۳۲۲

و منها: ---------- ۳۲۴

اشاره ---------- ۳۲۴

فصل لا تنحصر الغیبه باللسان ---------- ۳۲۶

فصل بواعث الغیبه ---------- ۳۲۹

فصل ذم الغیبه ---------- ۳۳۲

فصل علاج الغیبه ---------- ۳۳۸

فصل مسوغات الغیبه ---------- ۳۴۱

تذنیب کفاره الغیبه ---------- ۳۴۴

تتمیم البهتان ---------- ۳۴۵

وصل المدح و مواضع حسنه و قبحه ---------- ۳۴۶

و منها: ---------- ۳۴۹

اشاره ---------- ۳۴۹

فصل ذم الکذب ---------- ۳۵۲

فصل مسوغات الکذب ---------- ۳۵۵

تنبیه التوریه و المبالغه ---------- ۳۵۸

تذنیب شهاده الزور،الیمین الکاذب،خلف الوعد ---------- ۳۶۱

ایقاظ علاج الکذب ---------- ۳۶۳

وصل الصدق و مدحه ---------- ۳۶۴

تکمیل أقسام الصدق ---------- ۳۶۶

اشاره ---------- ۳۶۶

الأول-الصدق فی القول، ---------- ۳۶۶

الثانی-الصدق فی النیه و الاراده، ---------- ۳۶۶

الثالث-الصدق فی العزم، ---------- ۳۶۷

الرابع-الصدق فی الوفاء بالعزم: ---------- ۳۶۷

الخامس-الصدق فی الاعمال: ---------- ۳۶۷
السادس-الصدق فی مقامات الدین: ---------- ۳۶۹
تنبیه اللسان أضر الجوارح ---------- ۳۷۱
تتمیم الصمت ---------- ۳۷۵
و منها: ---------- ۳۸۰
اشاره ---------- ۳۸۰
فصل ذم حب الجاه و الشهره ---------- ۳۸۱
فصل الجاه أحب من المال ---------- ۳۸۳
فصل لا بد للانسان من جاه ---------- ۳۸۴
فصل دفع اشکال فی حب المال و الجاه ---------- ۳۸۶
فصل الکمال الحقیقی فی العلم و القدره لا المال و الجاه ---------- ۳۹۰
فصل علاج حب الجاه ---------- ۳۹۵
فصل حب الخمول ---------- ۳۹۷
و منها: ---------- ۳۹۹
اشاره ---------- ۳۹۹
فصل مراتب حب المدح و کراهه الذم ---------- ۴۰۰
فصل أسباب حب المدح ---------- ۴۰۱
فصل علاج المدح و کراهه الذم ---------- ۴۰۲
وصل ضد حب المدح ---------- ۴۰۴
و منها: ---------- ۴۰۵
اشاره ---------- ۴۰۵
فصل ذم الریاء ---------- ۴۰۷
فصل أقسام الریاء ---------- ۴۱۱
فصل تأثیر الریاء علی العباده ---------- ۴۱۳
اشاره ---------- ۴۱۳
تنبیه السرور بالاطلاع علی العباده ---------- ۴۱۴

فصل متعلقات الرياء ----- ۴۱۹
فصل بواعث الرياء ----- ۴۲۰
اشاره ----- ۴۲۰
تنبیه الرياء الجلى و الخفى ----- ۴۲۱
فصل كيف يفسد الرياء العمل ----- ۴۲۲
فائده شوائب الرياء مبطله للعمل ----- ۴۲۴
ایقاظ ----- ۴۲۵
تنبیه ----- ۴۲۸
فصل علاج الرياء ----- ۴۲۸
تتميم ----- ۴۳۱
وصل الإخلاص و حقيقته ----- ۴۳۴
فصل مدح الإخلاص ----- ۴۳۶
فصل آفات الإخلاص ----- ۴۳۹
تتميم ----- ۴۴۰
و منها: ----- ۴۴۴
تعريف مركز ----- ۴۵۲

جامع السعادات المجلد ۲

اشاره

سرشناسه : نراقی، مهدی بن ابی ذر، ق ۱۲۰۹ - ۱۱۲۸

عنوان و نام پدیدآور : جامع السعادات/ محمدمهدی النراقی؛ قدم محمدرضا المظفر؛ علق علیه محمدکلانتر

مشخصات نشر : بیروت.

مشخصات ظاهری : ج ۲

وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی

یادداشت : عربی.

یادداشت : کتابنامه

شماره کتابشناسی ملی : ۱۲۶۰۳۰

ص :۱

[تتمه الباب الثالث]

اشاره

المقام الثالث (فیما یتعلق بالقوه الشهویه من الرذائل و الفضائل و کیفیه العلاج)

اشاره

الشره-فوائد الجوع-الشهوه الجنسیه-خمود الشهوه-العفه-الاعتدال فی الشهوه-حب الدنیا-لابد للمؤمن من مکسب-الدنیا المذمومه هی الهوی-ذم الدنیا و أنها عدوه اللّه و الإنسان-خسائس صفات الدنیا- تشبیهات الدنیا و أهلها-عاقبه حب الدنیا و بغضها-الجمع بین ذم المال و مدحه-حب المال-ذم المال-غوائل المال و فوائده-الأمور المنجیه من غوائل المال -الزهد-مدح الزهد-اعتبارات الزهد و درجاته-الزهد الحقیقی-ذم الغنی-الفقر-اختلاف أحوال الفقراء-مراتب الفقر و مدحه-الموازنه بین الفقر و الغنی-ما ینبغی للفقیر-وظیفه الفقراء-موارد قبول العطاء و ردّها-لا یجوز السؤال من غیر حاجه-الحرص و ذمه-القناعه-علاج الحرص-الطمع و ذمه-الاستغناء عن الناس-البخل-ذم البخل-السخاء معرفه ما یجب أن یبذل-الإیثار-علاج البخل-الزکاه-سر وجوب الزکاه و فضیله سائر الانفاقات-الحث علی التعجیل فی الإعطاء-فضیله اعلان الصدقه الواجبه-ذم المن و الأذی فی الصدقه-ما ینبغی للمعطی- ما ینبغی للفقراء فی أخذ الصدقه-زکاه الأبدان- الخمس-الإنفاق علی الأهل و العیال-ما ینبغی فی الإنفاق علی العیال-صدقه التطوع-فضیله الإسرار فی الصدقه المندوبه-الهدیه-الضیافه-ما ینبغی أن یقصد فی الضیافه-آداب الضیافه-الحق المعلوم و حق الحصاد و الجذاذ-القرض- إنظار المعسر و التحلیل-بذل الکسوه و السکنی و نحوهما-ما یبذل لوقایه العرض و النفس-ما ینفق فی المنافع العامه-الفرق بین الإنفاق و البر

ص: ۳

و المعروف-طلب الحرام-عزه تحصيل الحلال-أنواع الأموال-الفرق بين الرشوه و الهديه-الورع عن الحرام-مدح الورع-مداخل الحلال- درجات الورع-الغدر-أنواع الفجور-الخوض فى الباطل-التكلم بما لا يعنى-حد التكلم بما لا يعنى-أسباب الخوض فيما لا يعنى-الصمت، فنقول:

أما جنسا رذائلها

اشاره

(۱)

فأحدهما:

اشاره

الشره

و هو إطاعه شهوه البطن و الفرج،و شده الحرص على الأكل و الجماع و ربما فسر باتباع القوه الشهويه فى كل ما تدعو إليه:من شهوه البطن و الفرج،و حب المال،و غير ذلك،ليكون أعم من سائر رذائل قوه الشهوه،و تتحقق جنسيته،و على الأول يكون بعض رذائلها كحب الدنيا المتعلق بها أعم منه،إلا أن القوم لما فسروه بالأول فنحن اتبعناهم، إذ الأمر فى مثله هين.

و بالجمله:رذيله الشره من طرف الإفراط و لا ريب فى كونه أعظم المهلكات لابن آدم،

و لذا قال رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله و سلم-:

«من وقى شر قبقبه و ذبذبه و لقلقه فقد وقى» ،و القبقب:البطن، و الذبذب:الفرج،و اللقلق:اللسان.

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلم:- «ويل للناس من القبقبين!فقيل:و ما هما يا رسول اللّه؟!قال:الحلق و الفرج».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلم-: «أكثر ما يلج به أمتى النار الأجوفان:البطن و الفرج».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-:

«ثلاث أخافهن على أمتى من بعدى:الضلاله بعد المعرفه،و مضلات

۱- ۱) أى القوه الشهويه.

الفتن،و شهوه البطن و الفرج».

و يدل على ذم(الأول)-أعنى شهوه البطن و الحرص على الأكل و الشرب

قوله-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-: «ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه،حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه»و إن كان لا بد فاعلا فثلث لطعامه و ثلث لشرابه و ثلث لنفسه»،

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-: «لا تميتوا القلوب بكثره الطعام و الشراب،فإن القلب كالزرع يموت إذا كثر عليه الماء».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-:

«أفضلكم منزله عند اللّه أطولكم جوعا و تفكرا،و أبغضكم إلى اللّه تعالى كل نؤم أكول شروب»

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-: «المؤمن يأكل فى معاء واحد و المنافق يأكل فى سبعه أمعاء»، أى يأكل سبعه أضعاف ما يأكله المؤمن أو تكون شهوته سبعه أمثال شهوته،فالمعاء كنايه عن الشهوه.

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-: «إن أبغض الناس إلى اللّه المتّخمون الملأى،و ما ترك عبد أكله يشتهيها إلا كانت له درجه فى الجنه».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-: «بئس العون على الدين قلب نخيب و بطن رغيب و نعظ شديد»

(۱)

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-: «أطول الناس جوعا يوم القيامه أكثرهم شبعا فى الدنيا

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-: «لا يدخل ملكوت السماوات من ملأ بطنه».

و فى التوراه: «إن اللّه ليبغض الحبر السمين» ،لأن السمن يدل على الغفله و كثره الأكل.

و فى بعض الآثار: «إن اللّه يبغض القارئ السمين».

و قال لقمان لابنه:«يا بنى!إذا امتلأت المعده فامت الفكره

۱- ۱) صححنا الحديث على نسخ الوسائل المصححه فى كتاب الأطعمه،و الوافى ۶۶:۱۰-.و كذا ذكره فى مجمع البحرين ماده(نخب)،و النخيب:الجبان الذى لا فؤاد له.و الرغيب:الواسع.

و خرست الحكمه،و قعدت الأعضاء عن العباده».

و قال الباقر-عليه السلام- «إذا شبع البطن طغى».

و قال-عليه السلام-: «ما من شىء أبغض إلى اللّه-عز و جل-من بطن مملو».

و قال الصادق-عليه السّلام-:

«إن البطن ليطغى من أكله،و أقرب ما يكون العبد من اللّه إذا خف بطنه و أبغض ما يكون العبد إلى اللّه إذا امتلأ بطنه».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-: «ليس لابن آدم بد من أكله يقيم بها صلبه،فإذا أكل أحدكم طعاما،فليجعل ثلث بطنه للطعام،و ثلث بطنه للشراب،و ثلثه للنفس،و لا تسمنوا تسمن الخنازير للذبح».

و قال-عليه السلام-:

«ما من شىء أضر لقلب المؤمن من كثره الأكل و هى مورثه شيئين:

(قسوه)القلب،و(هيجان)الشهوه.و الجوع إدام للمؤمن،و غذاء للروح،و طعام للقلب،و صحه للبدن».

و الأخبار الوارده بهذه المضامين كثيره،و لا ريب فى أن أكثر الأمراض و الأسقام تترتب على كثره الأكل.

قال الصادق-عليه السلام-:

«كل داء من التخمه إلا الحمى فإنها ترد ورودا».

و قال-عليه السلام-:

«الأكل على الشبع يورث البرص». و كفى لشهوه البطن ذما أنها صارت منشأ لإخراج آدم و حواء من دار القرار إلى دار الذل و الافتقار،إذ نهيا عن أكل الشجره فغلبتهما شهوتهما حتى أكلا منها،فبدت لهما سوآتهما.

و البطن منبت الأدواء و الآفات و ينبوع الشهوات،إذ تتبعها شهوه الفرج شده السبق إلى المنكوحات،و تتبع شهوه المطعم و المنكح شده الرغبه فى الجاه و المال،ليتوسل بهما إلى التوسع فى المطعومات و المنكوحات،و يتبع ذلك أنواع الرعونات،و ضروب المحاسدات و المنافسات،و تتولد من ذلك آفه الرياء،و غائله التفاخر و التكاثر و العجب و الكبر،و يداعى ذلك إلى الحقد و العداوه و البغضاء،و يفضى ذلك بصاحبه إلى اقتحام البغى و المنكر

و الفحشاء.و كل ذلك ثمره إهمال المعده و ما يتولد من بطر الشبع و الامتلاء و لو ذلل العبد نفسه بالجوع،و ضيق مجارى الشيطان،لم يسلك سبيل البطر و الطغيان،و لم ينجر به إلى الانهماک فى الدنيا و الانغمار فيما يفضيه إلى الهلاک و الردى،

و لذا ورد فى فضيله الجوع و الصبر عليه ما ورد من الأخبار،قال رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-: «جاهدوا أنفسكم بالجوع و العطش، فإن الأجر فى ذلک كأجر المجاهد فى سبيل اللّه،و أنّه ليس من عمل أحب إلى اللّه من جوع و عطش»

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-: «أفضل الناس من قل مطعمه و ضحكه،و رضى بما يستر عورته».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-: «سيد الأعمال الجوع،و ذل النفس لباس الصوف»

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-: «اشربوا و كلوا فى أنصاف البطون فإنه جزء من النبوه».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-: «قله الطعام هى العباده».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-: «إن اللّه يباهى الملائكه بمن قلّ مطعمه فى الدنيا»يقول:انظروا إلى عبدى ابتليته بالطعام و الشراب فى الدنيا فصبر و تركهما،اشهدوا يا ملائكتى:ما من أكله يدعها إلا أبدلته بها درجات فى الجنه».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم- «أقرب الناس من اللّه-عز و جل-يوم القيامه من طال جوعه و عطشه و حزنه فى الدنيا».

و قال عيسى(ع): «أجيعوا أكبادكم و أعروا أجسادكم لعل قلوبكم ترى اللّه-عز و جل-».

و قالت بعض زوجاته-صلّى اللّه عليه و آله-: «إنّ رسول اللّه لم يمتل قط شبعا،و ربما بكيت رحمه مما أرى به من الجوع فامسح بطنه بيدى،و أقول:نفسى لک الفداء!لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقويک و يمنعک من الجوع،فيقول:إخوانى من أولى العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا،فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم و أجزل ثوابهم،فاجدنى أستحى إن

ترفهت فی معیشتی أن یقصر بی غدا دونهم،فاصبر أیاما یسیره أحب إلی من أن ینقص بی حظی غدا فی الآخره و ما من شیء أحب إلی من اللحوق بأصحابی و إخوانی».

و روی: «أنه جاءت فاطمه-علیها السلام- و معها کسیره من خبز،فدفعتها إلی النبی-صلّی اللّه علیه و آله و سلّم-فقال:

ما هذه الکسیره؟قالت:قرص خبزته للحسن و الحسین-علیهما السلام-جئتک منه بهذه الکسیره،فقال:أما إنه أول طعام دخل فم أبیک منذ ثلاث» (۱).

فوائد الجوع

ثم للجوع فوائد:هی صفاء القلب و رقته،و اتقاد الذهن و حدته و الالتذاذ بالمناجاه و الطاعه،و الابتهاج بالذکر و العباده،و الترحم لأرباب الفقر و الفاقه،و التذکر بجوع یوم القیامه.و الانکسار المانع عن الطغیان و الغفله،و تیسر المواظبه علی الطاعه و العباده،و کسر شهوات المعاصی المسئولیه بالشبع،و دفع النوم الذی یضیع العمر و یکل الطبع و یفوت القیام و التهجد،و التمکن من الإیثار و التصدیق بالزائد،و خفه المؤنه الموجبه للفراغ عن الاهتمام بالتحصیل و الإعداد،و صحه البدن و دفع الأمراض،إذ المعده بیت کل داء و الحمیه رأس کل دواء،

و ورد: «کلوا فی بعض بطونکم تصحوا» ،و أضداد هذه الفوائد من المفاسد یترتب علی الشبع.

ثم علاج الشره بالأکل و الشرب:أن یتذکر الأخبار الوارده فی ذمه،و ینبه نفسه علی رذاله المأکولات و خساستها،و علی خسه الشرکاء من الحیوانات،و یتأمل فی المفاسد المترتبه علی الولوع به:من الذله،و المهانه و سقوط الحشمه و المهابه،و فتور الفطنه،و ظهور البلاده،و حدوث العلل

۱- ۱) صححنا الحدیث علی ما فی سفینه البحار-۱:۱۹۵.

و الأمراض الكثيره،و بعد ذلك يحافظ نفسه عن الإفراط فى الأكل و لو بالتكلف حتى يصير الاعتدال فيه عاده.

الشهوه الجنسيه

(و أما الثانى)-أعنى طاعه شهوه الفرج و الإفراط فى الوقاع- فلا ريب فى أنه يقهر العقل حتى يجعل الإنسان مقصور الهم على التمتع بالنسوان و الجوارى،فيحرم من سلوك طريق الآخره،أو يقهر الدين حتى يجر إلى اقتحام الفواحش و ربما انتهت هذه الشهوه بمن غلب و همه على عقله إلى العشق البهيمى الذى ينشأ من استيلاء الشهوه،فيسخر الوهم العقل لخدمه الشهوه،و قد خلق العقل ليكون مطاعا لا ليكون خادما للشهوه،و هذا مرض قلوب فارغه خلت عن محبه اللّه و عن الهمم العاليه.

و يجب الاحتراز من أوائله بترك معاوده الفكر و النظر،و إذا استحكم عسر دفعه،و كذلك حب باطل من الجاه و المال و العقار و الأولاد،فمثل من يكسره فى أول انبعاثه مثل من يصرف عنان الدابه عند توجهها إلى باب ليدخله،و ما أهون منعها بصرف عنانها،و مثل من يعالجه بعد استحكامه مثل من يترك الدابه حتى تدخل و تتجاوز الباب ثم يأخذ بذنبها و يجرها إلى ورائها،و ما أعظم التفاوت بين الأمرين فى اليسر و العسر.

فليكن الاحتراز و الاحتياط فى بدايات الأمور،إذ فى أواخرها لا تقبل العلاج إلا بجهد شديد يكاد يوازى نزع الروح.

و ربما انتهى إفراط هذه الشهوه بطائفه إلى أن يتناولوا ما يقويها ليستكثروا من الجماع،و مثلهم كمثل من بلى بسباع ضاريه تغفل عنه فى

بعض الأوقات فيحتال لإثارتها و تهييجها فى هذا الوقت ثم يشتغل بعلاجها و إصلاحها.و التجربه شاهده بأن من ينقاد لهذه الشهوه و يسعى فى تكثير ما يهيجها من النسوان و تجديدهن و التخيل و النظر و تناول الأغذيه و الأدويه المحركه لها يكون ضعيف البدن سقيم الجسم قصير العمر،و قد ينجر إفراطها إلى سقوط القوه و اختلال القوى الدماغيه و فساد العقل-كما برهن عليه فى الكتب الطبيه-. و الوقاع أضر الأشياء بالدماغ،إذ جل المواد المنويه يجلب منه،و لذا شبه الغزالى هذه الشهوه بالعامل الظالم الذى لو أطلقه السلطان و لم يمنعه من ظلمه أخذ أموال الرعيه على التدريج بأسرها و ابتلاهم بالفقر و الفاقه،فأهلكهم الجوع و عدم تمكنهم من تحصيل القوت،و كذا هذه القوه لو لم يقهرها سلطان العقل و لم يقمها على طريق الاعتدال صرفت جميع المواد الصالحه و الأخلاط المحموده التى اكتسبتها القوى الغذائيه لبدل ما يتحلل من الأعضاء فى مصارف نفسها و جعلها بأسرها منيا،و تبقى جميع الأعضاء بلا قوت،فتضعف و يدركها الفناء بسرعه.و لو كانت مطيعه للعقل،بحيث تقدم على ما يأمرها به و تنزجر عما ينهاها عنه،كانت كالعامل الذى يأخذ الخراج على طريق العدل و المروه،و يصرفه فى مصارف المملكه من سد الثغور و إصلاح القناطر و خروج العساكر،و تبقى سائر أموال الرعيه لأنفسهم،فيبقى لهم القوت و سائر ما يحتاجون إليه.

و لعظم آفه هذه الشهوه و اقتضائها هلاك الدين و الدنيا إن لم تضبط و لم ترد إلى حد الاعتدال،ورد فى ذمها ما ورد من الأخبار،

و قال رسول اللّه -صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-فى بعض دعواته:

«اللهم إنى أعوذ بك من شر سمعى و بصرى و قلبى و شر منى»

.

و روى: «أنه إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله»

و ورد فى تفسير قوله تعالى:

وَ مِنْ شَرِّ غٰاسِقٍ إِذٰا وَقَبَ

(۱)

أی:و من شر الذکر إذا قام أو دخل.

و قال-صلّی اللّه علیه و آله و سلّم-: «النساء حبائل الشیطان»

و قال-صلّی اللّه علیه و آله و سلّم-:

«ما بعث اللّه نبیا فیما خلا إلا لم ییأس إبلیس أن یهلکه بالنساء،و لا شی أخوف عندی منهن» (۲)

و قال-صلّی اللّه علیه و آله- «اتقوا فتنه النساء،فإن أول فتنه بنی إسرائیل کانت من قبل النساء»

و روی: «أن الشیطان قال لموسی علیه السلام:لا تخل بأمرأه لا تحل لک.فإنه ما خلا رجل بامرأه لا تحل له إلا کنت صاحبه دون أصحابی حتی أفتنه بها».

و روی أیضا: «أن الشیطان قال:المرأه نصف جندی،و هی سهمی الذی أرمی فلا أخطئ،و هی موضع سری،و هی رسولی فی حاجتی» و لا ریب فی أنه لو لا هذه الشهوه لما کان للنساء تسلط علی الرجال.

و قد ظهر بالعقل و النقل:أن الإفراط فی هذه الشهوه و کثره الطروقه و النزو علی النسوان مذموم.و لا تغرنک کثره نکاح رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله-فإنه کان لا یشغل قلبه جمیع ما فی الدنیا،و کان استغراقه فی حب اللّه بحیث یخشی احتراق قلبه و السرایه منه إلی قالبه،فکان-صلّی اللّه علیه و آله-یکثر من النسوان و یشغل نفسه الشریفه بهن،لیبقی له نوع التفات إلی الدنیا،و لا یؤدی به کثره الاستغراق إلی مفارقه الروح عن البدن،

و لذا إذا غشیته کثره الاستغراق و خاض فی غمرات الحب و الأنس،یضرب یده علی فخذ عائشه و یقول-صلّی اللّه علیه و آله-:

۱- ۱) الفلق،الآیه:۳.

۲- ۲) فی إحیاء العلوم-۳:۸۶ان هذا الکلام من قول سعید بن المسیب لا من کلام النبی-صلّی اللّه علیه و آله-.

«کلمینی و اشغلینی یا حمیراء!» و هی تشغله بکلامها عن عظیم ما هو فیه لقصور طاقه قالبه عنه.

ثم لما کانت جبلته الأنس باللّه،و کان أنسه بالخلق عارضا یتکلفه رفقا ببدنه،فإذا طالت مجالسته معهم لم یطق الصبر معهم و ضاق صدره

فیقول: «أرحنا یا بلال!» ،حتی یعود إلی ما هو قره عینه.فالضعیف إذا لاحظ أحواله فهو معذور،لأن الأفهام تقصر عن الوقوف علی أسرار أفعاله (۱).

ثم علاج إفراط هذه الشهوه-بعد تذکر مفاسدها المذکوره-کسرها بالجوع،و سد الطرق المؤدیه إلیها:من التخیل و النظر و التکلم و الخلوه، فإن أقوی الأسباب المهیجه لها هو النظر و الخلوه،و لذا قال اللّه تعالی:

قُلْ لِلْمُؤْمِنِینَ یَغُضُّوا مِنْ أَبْصٰارِهِمْ

(۲)

و قال النبی-صلّی اللّه علیه و آله و سلم-: «النظره سهم مسموم من سهام إبلیس،فمن ترکها خوفا من اللّه تعالی أعطاه اللّه إیمانا یجد حلاوته فی قلبه».

و قال-صلّی اللّه علیه و آله و سلم-: «لکل عضو من أعضاء ابن آدم حظ من الزنا فالعینان تزنیان و زناهما النظر».

و قال-صلّی اللّه علیه و آله و سلم-: «لا تدخلوا علی المغیبات-أی التی غاب عنها زوجها-فإن الشیطان یجری من أحدکم مجری الدم».

و قال عیسی بن مریم-علیهما السّلام-: «إیاکم و النظره،فإنها تزرع فی القلب شهوه،و کفی بها فتنه».

و قیل لیحیی بن زکریا:ما بدء

ص:۱۲

۱- ۱) هذا الکلام کله عن تعلیل کثره طروق النبی-صلّی اللّه علیه و آله مأخوذ من کلام الغزالی فی احیاء العلوم-۳:۸۷-.

۲- ۲) النور،الآیه:۳۰.

الزنا؟قال:«النظره و التمنی».

و قال داود-علیه السّلام-لابنه:

«یا بنی!امش خلف الأسد(و) (۱)الأسود و لا تمش خلف المرأه».

و قال إبلیس:«النظره قوسی و سهمی الذی لا أخطئ به».

و لکون النظر مهیجا للشهوه،حرم فی الشریعه نظر کل من الرجل و المرأه إلی الآخر،و کذا حرم استماع کل منهما لکلام الآخر، إلا مع الضروره و عموم الحاجه،و کذا حرم نظر الرجال إلی المرد من الصبیان إذا کان مورثا للفتنه،و لذا کان کبراء الأخیار و عظماء الأبرار فی الأعصار و الأمصار محترزین عن النظر إلی وجوه الصبیان،حتی قال بعضهم «ما أنا بأخوف علی الشباب الناسک من سبع ضار کخوفی علیه من غلام أمرد یجلس إلیه».

ثم إن لم تنقمع الشهوه بالجوع و الصوم و حفظ النظر،فینبغی کسرها بالنکاح،بشرط الاستطاعه و الأمن من غوائله.

قال رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله و سلم-: «معاشر الشباب!علیکم بالباءه،فمن لم یستطع فعلیه بالصوم،فإن الصوم له وجاء».

و قال رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله و سلم-: «إن المرأه إذا أقبلت أقبلت بصوره شیطان،فإذا رأی أحدکم امرأه فأعجبته فلیأت أهله،فإن معها مثل الذی معها».

(و ثانیهما)-أی ثانی جنسی رذائل قوه الشهوه-: الخمود

اشاره

۱- ۱) حرف(و)موجود فی نسختنا الخطیه و فی احیاء العلوم-۳:۸۷-، و لکنه قد شطب علیها فی النسخه المطبوعه.

و هو التفريط فی کسب ضروری القوت،و الفتور عما ینبغی من شهوه النکاح،بحیث یؤدی إلی سقوط القوه و تضییع العیال و انقطاع النسل و لا ریب فی کون ذلک مذموما غیر مستحسن فی الشرع،إذ تحصیل المعارف الإلهیه و اکتساب الفضائل الحلقیه و العبادات البدنیه موقوف علی قوه البدن،فالتفریط فی إیصال بدل ما یتحلل إلی البدن یوجب الحرمان عن تحصیل السعادات.و هو غایه الخسران.و کذا إهمال قوه شهوه النکاح یوجب الحرمان عن الفوائد المترتبه علیها،فإن هذه القوه إنما سلطت علی الإنسان لبقاء النسل و دوام الوجود،و لأن یدرک لذته فیقیس بها لذات الآخره،فإن لذه الوقاع لو دامت لکانت أقوی اللذات الجسمانیه،کما أن ألم النار أعظم الآلام الجسدانیه،فالترغیب و الترهیب یسوقان الخلق إلی سعاداتهم،و لیس ذلک إلا بلذه مدرکه و ألم محسوس مشابهین للذات و الآلام الأخرویه.

و لبقاء النسل فوائد:موافقه محبه اللّه بالسعی فی تحصیل الولد لبقاء نوع الإنسان،و عدم قطعه السلسله التی وصلت إلیه من مبدأ النوع،و طلب محبه رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله-فی تکثیر من به مباهاته،و طلب التبرک بدعاء الولد الصالح بعده،و طلب الشفاعه بموت الولد الصغیر إذا مات قبله،کما استفاضت به الأخبار.

و من فوائد النکاح:کسر التوقان و التحرز من الشیطان،بغض البصر و حفظ الفرج و قطع الوساوس و خطرات الشهوه من القلب،و إلیه الإشاره

بقوله-صلّى اللّه علیه و آله و سلم-: «من تزوج فقد أحرز نصف دينه» و من فوائد النكاح:تفريغ القلب عن تدبير المنزل،و التكفل بشغل الطبخ و الفرش و الكنس،و تنظيف الأوانى و تهيئه أسباب المعيشه،فإن الفراغ عن ذلک أعون شیء على تحصيل العلم و العمل،

و لذا قال النبى -صلّى اللّه عليه و آله-: «ليتخذ أحدكم لسانا ذاكرا و قلبا شاكرا و زوجه مؤمنه صالحه تعينه على آخرته».

و منها:مجاهده النفس و رياضتها بالسعى فى حوائج الأهل و العيال، و الاجتهاد فى إصلاحهم و إرشادهم إلى طريق الدين،و فى تحصيل المال الحلال لهم من المكاسب الطيبه،و القيام بتربيه الأولاد،و الصبر على أخلاق النساء،و كل ذلک من الفضائل العظيمه،

و لذا قال رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله و سلم-: «الكاد فى نفقه عياله كالمجاهد فى سبيل اللّه».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلم-: «من حسنت صلاته،و كثر عياله و قل ماله،و لم يغتب المسلمين:كان معى فى الجنه كهاتين».

و قال -صلّى اللّه عليه و آله و سلم-: «من الذنوب لا يكفرها إلا الهم بطلب المعيشه».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلم-: «من كانت له ثلاث بنات فأنفق عليهن و أحسن إليهن حتى يغنيهن اللّه عنه أوجب اللّه تعالى له الجنه».

و لا ريب فى أن الخمود عن الشهوه يلزمه الحرمان عن الفوائد المذكوره فهو مرجوح.

ثم لما كان للنكاح آفات أيضا،كالاحتياج إلى المال و صعوبه تحصيل الحلال منه-لا سيما فى أمثال زماننا-و العجز عن القيام بحقوق النسوان، و الصبر على أخلاقهن،و احتمال الأذى منهن،و تفرق الخاطر لأجل القيام بتدبير المعيشه و تهيئه ما يحتاجون إليه،و تأديه ذلک غالبا إلى ما لا ينبغى من

الانغمار فی الدنیا و الغفله عن اللّه-سبحانه-و عما خلق لأجله،فاللائق أن یلاحظ فی کل شخص أن الراجح فی حقه ما ذا؟-بعد ملاحظه الفوائد و المفاسد-فیأخذ به.

وصل العفه

قد عرفت أن ضد الجنسین(العفه)،و هو انقیاد قوه الشهوه للعقل فی الإقدام علی ما یأمرها به من المأکل و المنکح کما و کیفا،و الاجتناب عما ینهاها عنه،و هو الاعتدال الممدوح عقلا و شرعا،و طرفاه من الإفراط و التفریط مذمومان،فإن المطلوب فی جمیع الأخلاق و الأحوال هو الوسط، إذ خیر الأمور أوساطها،و کلا طرفیها ذمیم،فلا تظنن مما ورد فی فضیله الجوع أن الإفراط فیه ممدوح،فإن الأمر لیس کذلک،بل من أسرار حکمه الشریعه أن کلما یطلب الطبع فیه طرف الإفراط بالغ الشرع فی المنع عنه علی وجه یتوهم الجاهل منه أن المطلوب طرف التفریط،و العالم یدرک أن المقصود هو الوسط،فإن الطبع إذا طلب غایه الشبع،فالشرع ینبغی أن یطلب غایه الجوع،حتی یکون الطبع باعثا و الشرع مانعا،فیتقاومان و یحصل الاعتدال.و لما بالغ النبی-صلّی اللّه علیه و آله-فی الثناء علی قیام اللیل و صیام النهار،ثم علم من حال بعضهم أنه یقوم اللیل کله و یصوم الدهر کله،فنهی عنه. و الأخبار الوارده فی مدح العفه و فضیلتها کثیره،

قال أمیر المؤمنین علیه السّلام: «أفضل العباده العفاف».

و قال الباقر علیه السّلام: «ما من عباده أفضل من عفه بطن و فرج».

و قال علیه السّلام: «ما عبد اللّه بشیء أفضل من عفه بطن و فرج»

و قال علیه

السّلام: «أی الاجتهاد أفضل من عفه بطن و فرج». و فی معناها أخبار أخر.

و إذا عرفت هـذا،فاعلم أن الاعتـدال فی الأکل أن یأکل بحیث لا یحس بثقل المعده و لا بألم الجوع،بل ینسی بطنه فلا یؤثر فیه أصلا، فإن المقصود من الأکل بقاء الحیاه و قوه العباده،و ثقل الطعام یمنع العباده و ألم الجوع أیضا یشغل القلب و یمنع منها فالمقصود أن یأکل أکلا معتدلا بحیث لا یبقی للأکل فیه أثر،لیکون متشبها بالملائکه المقدسین عن ثقل الطعام و ألم الجوع،و إلیه الإشاره بقوله تعالی:

وَ کُلُوا وَ اشْرَبُوا وَ لاٰ تُسْرِفُوا

(۱)

و هـذا یختلف بالنسبه إلی الأشخاص و الأحوال و الأغذیه،و المعیار فیه ألا یأکل طعاما حتی یشتهیه،و یرفع یده عنه و هو یشتهیه:و ینبغی ألا یکون غرضه من الأکل التلذذ،بل حفظ القوه علی تحصیل ما خلق لأجله،فیقتصر من أنواع الطعام علی خبز البر فی بعض الأوقات،و علی خبز الشعیر فی بعضها،و لو ضم إلیه الأدام فیکتفی بأدام واحد فی بعض الأحیان،و لا یواظب علی اللحم،و لا یترکه بالمره،

قال أمیر المؤمنین علیه السّلام: «من ترک اللحم أربعین یوما ساء خلقه،و من داوم علیه أربعین یوما قسی قلبه».

(الاعتدال فی الشهوه)

و الاعتدال أن یکتفی فی الیوم بلیلته بأکله واحده فی وقت السحر، بعد الفراغ عن التهجد أو بعد صلاه العشاء،أو بأکلتین:التغدی و التعشی-

---

۱- ۱) الأعراف،الآیه:۳۰.

إن لم يقدر على الاكتفاء بمره واحده-و قد استفاضت أخبار أئمتنا الراشدين -عليهم السّلام-بالحث على التعشى.

ثم للعرفاء ترغيبات على الجوع و تصريحات على كثره فوائده،و على توقف كشف الأسرار الإلهيه و الوصول إلى المراتب العظيمه عليه،و لهم حكايات فى إمكان الصبر عليه،و على عدم الأكل شهرا أو شهرين أو سنه و نقلوا حصوله عن بعضهم،و هذا أمر وراء ما وردت به السنه و كلفت به عموم الأمه،فإن كان ممدوحا فإنما هو لقوم مخصوصين.

و أما الجماع،فالاعتدال فيه أن يقتصر فيه على ما لا ينقطع عن النسل و يحصل له التحصن،و تزول به خطرات الشهوه،و لا يؤدى إلى ضعف البدن و القوى.

و أما غير الجنسين من الأنواع و النتائج و الآثار المتعلقه بالقوه الشهويه

اشاره

-و إن كان بعضها أعم الجنسين أو مساويا لهما-:

فمنها:

اشاره

حب الدنيا

اعلم أن للدنيا ماهيه فى نفسها و ماهيه فى حق العبد،أما ماهيه الدنيا و حقيقتها فى نفسها،فعباره عن أعيان موجوده:هى الأرض و ما عليها و الأرض هى العقار و الضياع و أمثالهما،و ما عليها تجمعه المعادن و النبات و الحيوان،و المعادن تطلب لكونها إما من الآلات و الزينه كالنحاس و الرصاص و الجواهر و أمثالها،أو من النقود كالذهب و الفضه،و النبات يطلب لكونه

ص: ١٨

من الأقوات أو الأدويه،و الحيوانات تطلب إما لملكيه أبدانها و استخدامها كالعبيد و الغلمان أو لملكيه قلوبها و تسخيرها ليترتب عليه التعظيم و الإكرام و هو الجاه،أو للتمتع و التلذذ بها كالجوارى و النسوان،أو للقوه و الاعتضاد كالأولاد.هذه هى الأعيان المعبر عنها بالدنيا،و قد جمعها اللّه سبحانه فى قوله:

زُيِّنَ لِلنّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ مِنَ النِّساءِ وَ الْبَنِينَ وَ الْقَناطِيرِ الْمُقَنْطَرَهِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّهِ وَ الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَهِ وَ الْأَنْعامِ وَ الْحَرْثِ ذٰلِكَ مَتاعُ الْحَياهِ الدُّنْيا

(۱)

.

و حب جميع ذلک من رذائل قوه الشهوه،إلا حب تسخير القلوب لقصد الغلبه و الاستيلاء،فإنه من رذائل قوه الغضب-كما تقدم- و بذلک يظهر أن حب الدنيا المتعلق بقوه الشهوه أعم من الشره بأول تفسيريه -كما أشير إليه-.

و أما ماهيتها فى حق العبد،فعباره عن جميع ما له قبل الموت،كما أن بعد الموت عباره عن الآخره،فكل ما للعبد فيه نصيب و شهوه و حظ و غرض و لذه فى عاجل الحال قبل الوفاه فهى الدنيا فى حقه،و للعبد فيه علاقتان،علاقه بالقلب:و هو حبه له،و علاقه بالبدن:و هو إشغاله بإصلاحه،ليستوفى منه حظوظه.إلا أن جميع ما له إليه ميل و رغبه ليس بمذموم،و ذلک لأن ما يصحبه فى الدنيا و تبقى ثمرته معه بعد الموت-أعنى العلم النافع و العمل الصالح-فهو من الآخره فى الحقيقه،و إنما سمى بالدنيا

۱- ۱) آل عمران،الآيه:۱۴.

باعتبار دنوه،فإن کلا من العالم و العابد قد یلتذ بالعلم و العباده بحیث یکون ذلک ألذ الأشیاء عنده،فهو و إن کان حظا عاجلا له فی الـدنیا إلاـ أنـه لیس مـن الـدنیا المـذمومه،بـل هـو من الآـخره فی الحقیقه،و إن عـد من الـدنیا من حیث دخـوله فی الحس و الشهاده،فإن کل ما یدخل فیهما فهو من عالم الشهاده-أعنی الدنیا-و لذا جعل نبینا-صلّی اللّه علیه و آله- الصلاه من الدنیا،

حیث قال: «حبب إلی من دنیاکم ثلاث:الطیب و النساء،و قره عینی فی الصلاه» ،مع أنها من أعمال الآخره.

فالـدنیا المـذمومه عبـاره عن حـظ عاجـل،لاـ یکون من أعمـال الآـخره و لاـ وسـیله إلیهـا،و مـا هو إلا التلـذذ بالمعاصـی و التنعم بالمباحات الزائده علی قدر الضروره فی تحصیل العلم و العمل.

و أما قدر الضروره من الرزق،فتحصیله من الأعمال الصالحه-کما نطقت به الأخبار-

قال رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله و سلم-: العباده سبعون جزءا،أفضلها طلب الحلال».

و قال-صلّی اللّه علیه و آله-:

ملعون من ألقی کله علی الناس».

و قال السجاد علیه السّلام: «الدنیا دنیاءان:دنیا بلاغ،و دنیا ملعونه»

و قال الباقر علیه السـلام: «من طلب الدنیا استعفافا عن الناس،و سعیا علی أهله،و تعطفا علی جاره،لقی اللّه- عز و جل-یوم القیامه و وجهه مثل القمر لیله البدر».

و قال الصادق علیه السّلام: «الکاد علی عیاله کالمجاهد فی سبیل اللّه».

و قال علیه السّلام «إن اللّه تبارک و تعالی لیحب الاغتراب فی طلب الرزق».

و قال علیه السّلام: «لیس منا من ترک دنیاه لآخرته و لا آخرته لدنیاه».

و قال -علیه السّلام-: «لا تکسلوا فی طلب معایشکم،فإن آباءنا کانوا یرکضون فیها و یطلبونها».

و قال له علیه السّلام رجل:«إنا لنطلب الدنیا و نحب أن نؤتاها،فقال:تحب أن تصنع بها ما ذا؟قال:أعود بها علی نفسی

و عيالى،و أصل بها و أتصدق،و أحج و أعتمر،فقال أبو عبد اللّه عليه السّلام:ليس هذا طلب الدنيا،هذا طلب الآخره».

و كان أبو الحسن عليه السّلام يعمل فى أرض قد استنقعت قدماه فى العرق،فقيل له:

«جعلت فداك!أين الرجال؟فقال:و قد عمل باليد من هو خير منى فى أرضه و من أبى،فقيل:و من هو؟فقال:رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله-و أمير المؤمنين و آبائى كلهم كانوا قد عملوا بأيديهم،و هو من عمل النبيين و المرسلين و الأوصياء و الصالحين» و قد ورد بهذه المضامين أخبار كثيره أخر مشهوره.

تذنيب (لا بد للمؤمن من مكسب)

قد ظهر من هذه الأخبار أن الراجح-بل اللازم-لكل مؤمن أن يكون له مكسب طيب يحصل منه ما يحتاج إليه من الرزق و غيره من المخارج المحموده،و قد صرح بذلك فى أخبار كثيره أخر،

قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «أوحى اللّه-عز و جل-إلى داود عليه السّلام:إنك نعم العبد لو لا أنك تأكل من بيت المال و لا تعمل بيدك شيئا،قال:فبكى داود أربعين صباحا،فأوحى اللّه-عز و جل-إلى الحديد أن لن لعبدى داود فألان اللّه له الحديد،و كان يعمل كل يوم درعا فيبيعها بألف درهم،فعمل ثلاثمائه و ستين درعا فباعها بثلاثمائه و ستين ألفا،و استغنى عن بيت المال».

و قال الصادق عليه السّلام «من أحبنا أهل البيت فليأخذ من الفقر جلبابا

أو تجفافا»، و الجلباب:کنایه عن الستر علی فقره،و التجفاف (۱):

کنایه عن کسب طیب یدفع فقره.

و قیل له فی رجل قال:لأقعدن فی بیتی،و لأصومن،و لأعبدن ربی،فأما رزقی فسیأتینی:قال أبو عبد اللّه «هذا أحد الثلاثه الذین لا یستجاب لهم».

و هذا-أی ملکه تحصیل المال الحلال من المکاسب الطیبه و صرفها فی المخارج المحموده-هو الحریه بأحد المعنیین،إذ للحریه إطلاقان:

(أحدهما)ذلک،و هو الحریه بالمعنی الأخص،(و ثانیهما)التخلص عن أسر الهوی و عبودیه القوه الشهویه،و هو الحریه بالمعنی الأعم المرادفه، و ضده الرقیه بالمعنی الأعم الذی هو طاعه قوه الشهوه و متابعه الهوی.

و ضد الأول-أعنی الرقیه بالمعنی الأخص-هو افتقاره إلی الناس فیما یحتاج إلیه من الرزق،و القاء نظره إلی أیدیهم،و حواله رزقه علی أموالهم،إما علی وجه محرم،کالغصب و النهب و السرقه و أنواع الخیانات أو غیر محرم،کأخذ وجوه الصدقات و أوساخ الناس،بل مطلق الأخذ منهم إذا جعل یده یدا سفلی و یدهم یدا علیا.و لا ریب فی کون الرقیه بهذا المعنی مذمومه،إذ(الوجه الأول)محرم فی الشریعه و موجب للهلاک الأبدی،و(الوجه الثانی)و إن لم یکن محرما إذا کان فقیرا مستحقا، إلا أنه لإیجابه التوقع من الناس و کون نظره إلیهم یقتضی المذله و الانکسار و التخضع للناس و الرقیه و العبودیه لهم،و هذا یرفع الوثوق باللّه و الاعتماد و التوکل علیه،و ینجر ذلک إلی سلب التوکل علی اللّه بالکلیه،و ترجیح المخلوق علی الخالق،و هذا ینافی مقتضی الإیمان و المعرفه الواقعیه باللّه سبحانه

---

۱ - ۱) التجفاف:آله للحرب یتقی بها کالدرع و عن تفسیر أمثال هذا الحدیث راجع الجزء الأول من المجلد الخامس عشر من البحار ص ۶۵،ففیه تفصیل معناه و قد نقل عن ابن الأثیر فی النهایه،و ابن أبی الحدید فی شرحه:کلاما فی هذا الباب.

فصل (الدنیا المذمومه هی الهوی)

قد ظهر مما ذکر:أن الدنیا المذمومه حظ نفسک الذی لا حاجه إلیه لأمر الآخره،و یعبر عنه بالهوی،و إلیه أشار قوله تعالی:

وَ نَهَی النَّفْسَ عَنِ الْهَوی فَإِنَّ الْجَنَّه هِیَ الْمَأْوی

(۱)

.

و مجامع الهوی هی المذکوره فی قوله تعالی:

أَنَّمَا الْحَیاهُ الدُّنْیا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ زِینَهٌ وَ تَفاخُرٌ بَیْنَکُمْ وَ تَکاثُرٌ فِی الْأَمْوالِ وَ الْأَوْلادِ

(۲)

.

و الأعیان التی تحصل منها هذه الأمور هی المذکوره فی قوله سبحانه:

زُیِّنَ لِلنّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ مِنَ النِّساءِ وَ الْبَنِینَ وَ الْقَناطِیرِ الْمُقَنْطَرَهِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّهِ وَ الْخَیْلِ الْمُسَوَّمَهِ وَ الْأَنْعامِ وَ الْحَرْثِ ذلِکَ مَتاعُ الْحَیاهِ الدُّنْیا وَ اللّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ

(۳)

.

فهذه أعیان الدنیا،و للعبد معها علاقتان:

۱- ۱) النازعات،الآیه:۴۰.

۲- ۲) الحدید،الآیه:۲۰.

۳- ۳) آل عمران،الآیه:۱۴.

(علاقه مع القلب):و هی حبه لها و حظه منها و انصراف همه إلیها حتی یصیر قلبه کالعبد أو المحب المستهتر بها،و یدخل فی هذه العلاقه جمیع صفات القلب المتعلقه بالدنیا:کالریاء،و السمعه،و سوء الظن،و المداهنه و الحسد،و الحقد،و الغل،و الکبر،و حب المدح،و التفاخر و التکاثر.

فهذه هی الدنیا الباطنه،و الظاهره هی الأعیان المذکوره.

و(علاقه مع البدن):و هو اشتغاله بإصلاح هذه الأعیان لتصلح لحظوظه و حظوظ غیره،و هذا الاشتغال عباره عن الصناعات و الحرف التی اشتغل الناس بها،بحیث أنستهم أنفسهم و خالقهم و أغفلتهم عما خلقوا لأجله،و لو عرفوا سبب الحاجه إلیها و اقتصروا علی قدر الضروره،لم یستغرقهم اشتغال الدنیا و الانهماک فیها،و لما جهلوا بالدنیا و حکمتها و حظهم منها لم یقتصروا إلا علی قدر الاحتیاج،فأوقعوا أنفسهم فی أشغالها،و تتابعت هذه الأشغال و اتصلت بعضها ببعض،و تداعت إلی غیر نهایه محدوده، فغفلوا عن مقصودها،و تاهوا فی کثره الأشغال.فإن أمور الدنیا لا یفتح منها باب إلا و تنفتح لأجله عشره أبواب أخر،و هکذا یتداعی إلی غیر حد محصور،و کأنها هاویه لا نهایه لعمقها،و من وقع فی مهواه منها سقط منها إلی أخری...و هکذا علی التوالی.أ لا تری أن ما یضطر إلیه الإنسان بالذات منحصر بالمأکل و الملبس و المسکن؟و لذلک حدثت الحاجه إلی خمس صناعات هی أصول الصناعات:الفلاحه،و الرعایه للمواشی،و الحیاکه و البناء و الاقتناص-أی تحصیل ما خلق اللّه من الصید و المعادن و الحشائش و الأحطاب-و تترتب علی کل من هذه الصناعات صناعات أخر،و هکذا إلی أن حدثت جمیع الصناعات التی نراها فی العالم،و ما من أحد إلا و هو مشتغل بواحده منها أو أکثر،إلا أهل البطاله و الکساله،حیث غفلوا عن الاشتغال فی أول الصبا،أو منعهم مانع و استمروا علی غفلتهم و بطالتهم،حتی نشأوا

بلا شغل و اكتساب،فاضطروا إلى الأخذ مما يسعى فيه غيرهم،و لذلك حدثت حرفتان خبيثتان هى(اللصوصيه)و(الكديه) (۱)و لكل واحد منهما أنواع غير محصوره لا تخفى على المتأمل.

فصل (ذم الدنيا و أنها عدوه اللّه و الإنسان)

اعلم أن الدنيا عدوه للّه و لأوليائه و لأعدائه:أما عداوتها للّه،فإنها قطعت الطريق على العباده،و لذلك لم ينظر إليها مذ خلقها،كما ورد فى الأخبار (۲)و أما عداوتها لأوليائه و أحبائه،فإنها تزينت لهم بزينتها و عمتهم بزهرتها و نضارتها،حتى تجرعوا مراره الصبر فى مقاطعتها.و أما عداوتها لأعدائه،فإنها استدرجتهم بمكرها و مكيدتها و اقتنصتهم بشباكها و حبائلها حتى وثقوا بها و عولوا عليها،فاجتبوا منها حيره و ندامه تنقطع دونها الأكباد،ثم حرمتهم عن السعاده أبد الآباد،فهم على فراقها يتحسرون و من مكائدها يستغيثون و لا يغاثون،بل يقال لهم:

اِخْسَؤُا فِيهٰا وَ لاٰ تُكَلِّمُونِ

(۳)

. أُولٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيٰاهَ الدُّنْيٰا بِالْآخِرَهِ فَلاٰ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذٰابُ وَ لاٰ هُمْ يُنْصَرُونَ (۴).

۱- ۱) قال فى المنجد:الكديه:الاستعطاء و حرفه السائل الملح.

۲- ۲) سيأتى الخبر بهذا المعنى-ص ۲۶-و هو عامى.

۳- ۳) المؤمنون،الآيه:۱۰۹.

۴- ۴) البقره،الآيه:۸۶.

و الآیات الوارده فی ذم الـدنیا و حبها کثیره،و أکثر القرآن مشـتمل علی ذلک و صـرف الخلق عنها و دعوتهم إلی الآخره،بل هو المقصود من بعثه الأنبیاء،فلا حاجه إلی الاستشـهاد بآیات القرآن لظهورها.فلنشر إلی نبذه من الأخبار الوارده فی ذم الدنیا و حبها و فی سرعه زوالها،

قال رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله و سلم-: «لو کانت الدنیا تعدل عند اللّه جناح بعوضه ما سقی کافرا منها شربه ماء».

و قال رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله و سلم-: «الدنیا ملعونه،ملعون ما فیها إلا ما کان للّه منها»

و قال-صلّی اللّه علیه و آله و سلم- :«الدنیا سجن المؤمن و جنه الکافر»

و قـال-صـلّی اللّه علیه و آله و سـلم-: «من أصـبح و الـدنیا أکبر همه فلیس من اللّه فی شـیء،و ألزم اللّه قلبه أربع خصـال:هما لا ینقطع عنه أبدا،و شغلا لا یتفرغ منه أبدا و فقرا لا ینال غناه أبدا.و أملا لا یبلغ منتهاه أبدا،

و قال-صلّی اللّه علیه و آله-: «یا عجبا کل العجب للمصدق بدار الخلود و هو یسعی لدار الغرور!».

و قال-صلّی اللّه علیه و آله-: «لتأتینکم بعدی دنیا تأکل إیمانکم کما تأکل النار الحطب».

و قـال: «ألهـاکم التکـاثر،یقول ابن آدم:مـالی مـالی.و هـل لـک من مالـک إلا ـ مـا تصـدقت فـأبقیت،أو أکلت فأفنیت،أو لبسـت فأبلیت؟».

و قال: «أوحی اللّه-تعالی-إلی موسی:لا ترکنن إلی حب الدنیا،فلن تأتین بکبیره هی أشد علیک منها»

و قال-صلّی اللّه علیه و آله-: «حب الدنیا رأس کل خطیئه».

و قال -صلّی اللّه علیه و آله-: «من أحب دنیاه أضر بآخرته و من أحب آخرته أضر بدنیاه،فآثروا ما یبقی علی ما یفنی».

و مر-صـلّی اللّه علیه و آله-علی مزبله،فوقف علیهـا و قال:«هلموا إلی الـدنیا!و أخـذ خرقا قـد بلیت علی تلک المزبله و عظاما قد نخرت،فقال:ذه الدنیا!»

و قال-صلّی اللّه علیه و آله- «إن اللّه لم یخلق خلقا أبغض إلیه

من الدنيا،و إنه لم ينظر إليها منذ خلقها».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله- «الدنيا دار من لا دار له و مال من لا مال له،و لها يجمع من لا عقل له،و عليها يعادى من لا علم عنده،و عليها يحسد من لا فقه له،و لها يسعى من لا يقين له».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله و سلم-: «لما هبط آدم من الجنه إلى الأرض قال له:إن للخراب ولد للفناء».

و قال -صلّى اللّه عليه و آله-: «لتجيئن أقوام يوم القيامه و أعمالهم كجبال تهامه.فيؤمر بهم إلى النار،فقيل:يا رسول اللّه!أ مصلين؟قال:

نعم،!كانوا يصومون و يصلون و يأخذون هنيئه من الليل،فإذا عرض لهم من الدنيا شيء وثبوا عليه».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله-: «هل منكم من يريد أن يذهب اللّه عنه العمى و يجعله بصيرا؟ألا إنه من رغب فى الدنيا و طال فيها أمله أعمى اللّه قلبه على قدر ذلك،و من زهد فى الدنيا و قصر أمله فيها أعطاه اللّه علما بغير تعلم و هدى بغير هدايه».

و قال -صلّى اللّه عليه و آله-: «فو اللّه ما الفقر أخشى عليكم،و لكنى أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم،فتنافسوها كما تنافسوها،و تهلككم كما اهلكتهم»

و قال: «أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج اللّه لكم من بركات الأرض،فقيل:ما بركات الأرض؟قال:

زهره الدنيا».

و قال-صلّى اللّه عليه و آله-: «دعوا الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه فقد أخذ حتفه و هو لا يشعر».

و قال -صلّى اللّه عليه و آله-: «سيأتى قوم بعدى يأكلون أطايب الطعام و أنواعها،و ينكحون أجمل النساء و ألوانها،و يلبسون ألين الثياب و ألوانها و يركبون أقوى الخيل و ألوانها،لهم بطون من القليل لا تشبع،و أنفس بالكثير لا تقنع،عاكفين على الدنيا،يغدون و يروحون إليها،اتخذوها آلهه دون إلههم و ربا دون ربهم إلى أمرهم ينتهون و هواهم يلعبون،فعزيمه

من محمد بن عبد اللّه لمن أدرک ذلک الزمان من عقب عقبکم و خلف خلفکم أبدا لا یسلم علیهم و لا یعود مرضاهم و لا یتبع جنائزهم و لا یوقر کبیرهم و من فعل ذلک فقد أعان علی هدم الإسلام».

و قال-صلّی اللّه علیه و آله-: «ما لی و للدنیا و ما أنا و الدنیا؟!إنما مثلی و مثلها کمثل راکب سار فی یوم صائف،فرفعت له شجره،فقال تحت ظلها ساعه،ثم راح و ترکها»

و قال-صلّی اللّه علیه و آله-: «احذروا الدنیا،فإنها أسحر من هاروت و ماروت».

و قال-صلّی اللّه علیه و آله-: «حق علی اللّه ألا یرفع شیئا من الدنیا إلا وضعه».

و قال عیسی بن مریم-علیه السّلام- «ویل لصاحب الدنیا!کیف یموت و یترکها،و یأمنها و تغره،و یثق بها و تخذله،ویل للمغترین!کیف ألزمهم ما یکرهون،و فارقهم ما یحبون، و جاءهم ما یوعدون،ویل لمن أصبحت الدنیا همه و الخطایا عمله!کیف یفتضح غدا بذنبه».

و قال-علیه السّلام-: «من ذا الذی یبنی علی أمواج البحر دارا تلکم الدنیا،فلا تتخذوها قرارا».

و قال علیه السّلام «لا یستقیم حب الدنیا و الآخره فی قلب مؤمن،کما لا یستقیم الماء و النار فی إناء واحد».

و أوحی اللّه-تعالی-إلی موسی:«یا موسی:!ما لک و لدار الظالمین!إنها لیست لک بدار،اخرج منها همک و فارقها بعقلک فبئست الدار هی،إلا لعامل یعمل فیها فنعمت الدار هی،یا موسی! إنی مرصد للظالم حتی آخذ منه للمظلوم».

و أوحی إلیه:«یا موسی! لا ترکنن إلی حب الدنیا،فلن تأتین بکبیره هی أشد منها».

و مر موسی علیه السّلام برجل و هو یبکی،و رجع و هو یبکی،فقال موسی:«یا رب عبدک یبکی من مخافتک،فقال تعالی:یا بن عمران!لو نزل دماغه مع عینیه و رفع یدیه حتی یسقطا لم أغفر له و هو یحب الدنیا!».

و قال أمیر المؤمنین علیه السّلام بعد ما قیل له صف لنا الدنیا-:

«و ما أصف لک من دار من صح فیها سقم،و من أمن فیها ندم،و من افتقر فیها حزن،و من استغنی فیها افتتن،فی حلالها الحساب،و فی حرامها العقاب».

و قال-علیه السّلام-: «إنما مثل الدنیا کمثل الحیه ما ألین مسها و فی جوفها السم الناقع،یحذرها الرجل العاقل و یهوی إلیها الصبی الجاهل».

و قال فی وصف الدنیا: «ما أصف من دار أولها عناء و آخرها فناء،فی حلالها حساب و فی حرامها عقاب،من استغنی فیها فتن،و من افتقر فیها حزن،و من ساعاها فاتته،و من قعد عنها آتته، و من بصر بها بصرته،و من أبصر إلیها أعمته»،

و قال علیه السّلام فی بعض مواعظه: «ارفض الدنیا،فإن حب الدنیا یعمی و یصم و یبکم و یذل الرقاب،فتدارک ما بقی من عمرک،و لا تقل غدا و بعد،فإنما هلک من کان قبلک بإقامتهم علی الأمانی و التسویف،حتی أتاهم أمر اللّه بغته و هم غافلون فنقلوا علی أعوادهم إلی قبورهم المظلمه الضیقه،و قد أسلمهم الأولاد و الأهلون،فانقطع إلی اللّه بقلب منیب.من رفض الدنیا و عزم لیس فیه انکسار و لا انخذال».

و قال-علیه السّلام-: «لا تغرنکم الحیاه الدنیا فإنها دار بالبلاء محفوفه،و بالفناء معروفه،و بالغدر موصوفه،فکل ما فیها إلی زوال،و هی بین أهلها دول و سجال،لا تدوم أحوالها،و لا یسلم من شرها نزالها،بینا أهلها منها فی رخاء و سرور إذا هم منها فی بلاء و غرور أحوال مختلفه،و تارات متصرمه،العیش فیها مذموم،و الرخاء فیها لا یدوم،و إنما أهلها فیها أغراض مستهدفه،ترمیهم بسهامها،و تفنیهم بحمامها. و اعلموا عباد اللّه انکم و ما أنتم فیه من هذه الدنیا علی سبیل من قد مضی،ممن کان أطول منکم أعمارا،و أشد منکم بطشا،و أعمر دیارا و أبعد آثارا،فأصبحت أصواتهم هامده خامده من بعد طول تقلبها، و أجسادهم بالیه،و دیارهم علی عروشها خاویه،و آثارهم عافیه،استبدلوا

بالقصور المشيده و السرر و النمارق الممهده الصخور و الأحجار المسنده فی القبور اللاطئه الملحده فمحلها مقترب،و ساکنها مغترب،بین أهل عماره موحشین،و أهل محله متشاغلین،لا یستأنسون بالعمران،و لا یتواصلون تواصل الجیران الإخوان،علی ما بینهم من قرب الجوار و دنو الدار،و کیف یکون بینهم تواصل،و قد طحنهم بکلکله البلاء،و أکلتهم الجنادل و الثری و أصبحوا بعد الحیاه أمواتا،و بعد نضاره العیش رفاتا،فجع بهم الأحباب و سکنوا تحت التراب،و ظعنوا فلیس لهم إیاب،هیهات هیهات! کَلاّ إِنَّها کَلِمَهٌ هُوَ قائِلُها وَ مِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلی یَوْمِ یُبْعَثُونَ (١).

فکأن قد صرتم إلی ما صاروا إلیه من البلی و الوحده فی دار المثوی، و ارتهنتم فی ذلک المضجع،و ضمکم ذلک المستودع،و کیف بکم لو عاینتم الأمور،و بعثرت القبور،و حصل ما فی الصدور،و أوقفتم للتحصیل بین یدی الملک الجلیل،فطارت القلوب لإشفاقها من سالف الذنوب،و هتکت عنکم الحجب و الأستار،فظهرت منکم العیوب و الأسرار،هنالک.

تُجْزی کُلُّ نَفْسٍ بِما کَسَبَتْ

(٢)

.

و قال أیضا-علیه السّلام-فی بعض خطبه: «أوصیکم بتقوی اللّه و الترک للدنیا التارکه لکم،و إن کنتم لا تحبون ترکها،المبلیه أجسامکم و أنتم تریدون تجدیدها،فإنما مثلکم و مثلها کمثل قوم فی سفر سلکوا طریقا

١- ١) المؤمنون،الآیه:١٠١.

٢- ٢) المؤمن،الآیه:١٧.

و كأنهم قد قطعوه،و أفضوا إلى علم،فكأنهم قد بلغوه،و كم عسى أن يجرى المجرى حتى ينتهى إلى الغايه،و كم عسى أن يبقى من له يوم فى الدنيا،و طالب حثيث يطلبه حتى يفارقها،فلا تجزعوا لبؤسها و ضرائها فإنه إلى انقطاع،و لا تفرحوا بمتاعها و نعمائها فإنه إلى زوال،عجبت لطالب الدنيا و الموت يطلبه،و غافل و ليس بمغفول عنه».

و قال السجاد-عليه السّلام-: «إن الدنيا قد ارتحلت مدبره، و إن الآخره قد ارتحلت مقبله،و لكل واحده منهما بنون،فكونوا من أبناء الآخره و لا تكونوا من أبناء الدنيا،ألا و كونوا من الزاهدين فى الدنيا الراغبين فى الآخره،ألا إن الزاهدين فى الدنيا اتخذوا الأرض بساطا و التراب فراشا و الماء طيبا،و قرضوا من الدنيا تقريضا،ألا و من اشتاق إلى الجنه سلا عن الشهوات،و من أشفق من النار رجع عن المحرمات،و من زهد فى الدنيا هانت عليه المصائب،ألا إن للّه عبادا كمن رأى أهل الجنه فى الجنه مخلدين،و كمن رأى أهل النار فى النار معذبين،شرورهم مأمونه و قلوبهم محزونه،أنفسهم عفيفه،و حوائجهم خفيفه،صبروا أياما قليله،فصاروا بعقبى راحه طويله، أما الليل فصافون أقدامهم،تجرى دموعهم على خدودهم،و هم يجأرون إلى ربهم،يسعون فى فكاك رقابهم،و أما النهار فحلماء علماء برره أتقياء كأنهم القداح،قد براهم الخوف من العباده، ينظر إليهم الناظر فيقول مرضى،و ما بالقوم من مرض،أم خولطوا، فقد خالط القوم أمر عظيم من ذكر النار و ما فيها».

و قال-عليه السّلام- «ما من عمل بعد معرفه اللّه-عز و جل-و معرفه رسوله-صلّى اللّه عليه و آله-أفضل من بغض الدنيا،فإن ذلك لشعبا كثيره،و للمعاصى شعبا فأول ما عصى اللّه به الكبر معصيه إبليس حين أبى و استكبر و كان من الكافرين ثم الحرص،و هى معصيه آدم و حواء حين قال اللّه-عز و جل-لهما:

فَكَلاٰ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمٰا وَ لاٰ تَقْرَبٰا هٰذِهِ الشَّجَرَهَ فَتَكُونٰا مِنَ الظّٰالِمِينَ

(۱)

.

فأخذا ما لا حاجه بهما إليه،فدخل ذلک علی ذریتهما إلی یوم القیامه و ذلک أن أکثر ما یطلب ابن آدم ما لا حاجه به إلیه.ثم الحسد،و هو معصیه ابن آدم حیث حسد أخاه فقتله،فتشعب من ذلک حب النساء و حب الدنیا،و حب الرئاسه،و حب الراحه،و حب الکلام،و حب العلو و الثروه،فصرن سبع خصال،فاجتمعن کلهن فی حب الدنیا.فقال الأنبیاء و العلماء-بعد معرفه ذلک-:حب الدنیا رأس کل خطیئه، و الدنیا دنیاءان:دنیا بلاغ و دنیا ملعونه».

و قال الباقر علیه السّلام لجابر:

«یا جابر!إنه من دخل قلبه صافی خالص دین اللّه شغل قلبه عما سواه یا جابر!ما الدنیا و ما عسی أن تکون الدنیا؟!هل هی إلا طعام أکلته أو ثوب لبسته،أو امرأه أصبتها؟یا جابر!إن المؤمنین لم یطمئنوا إلی الدنیا ببقائهم فیها،و لم یأمنوا قدومهم الآخره.یا جابر!الآخره دار قرار،و الدنیا دار فناء و زوال،و لکن أهل الدنیا أهل غفله،و کان المؤمنون هم الفقهاء أهل فکره و عبره،لم یصمهم عن ذکر اللّه-جل اسمه-ما سمعوا بآذانهم،و لم یعمهم عن ذکر اللّه ما رأوا من الزینه بأعینهم ففازوا بثواب الآخره کما فازوا بذلک العلم» (۲)

ص:۳۲

۱- ۱) الأعراف،الآیه:۱۹.

۲- ۲) صححنا الحدیث علی الکافی فی باب ذم الدنیا،و صدر الحدیث هکذا: «قال جابر:دخلت علی أبی جعفر-علیه السّلام- فقال:یا جابر!و اللّه لمحزون! و إنی لمشغول القلب،قلت:جعلت فداک!و ما شغلک و ما حزن قلبک...»إلی آخر الحدیث.

و قال الصادق-علیه السّلام-: «مثل الدنیا کمثل ماء البحر،کلما شرب منه العطشان ازداد عطشا حتی یقتله».

و قال: فیما ناجی اللّه-عز و جل-به موسی:

«یا موسی!لا ترکن إلی الدنیا رکون الظالمین و رکون من اتخذها أبا و أما یا موسی!لو وکلتک إلی نفسک لتنظر لها إذن لغلب علیک حب الدنیا و زهرتها یا موسی!نافس فی الخیر أهله و استبقهم إلیه،فإن الخیر کاسمه،و اترک من الدنیا ما بک الغنی عنه و لا تنظر عینک إلی کل مفتون بها و موکل إلی نفسه،و اعلم أن کل فتنه بدؤها حب الدنیا،و لا تغبط أحدا بکثره المال فإن مع کثره المال تکثر الذنوب لواجب الحقوق و لا تغبطن أحدا برضی الناس عنه.حتی یتعلم أن اللّه راض عنه،و لا تغبطن مخلوقا بطاعه الناس له،فإن طاعه الناس له و اتباعهم إیاه علی غیر الحق هلاک له و لمن تبعه»

و أوحی اللّه-تعالی-إلی موسی و هارون لما أرسلهما إلی فرعون:«لو شئت أن أزینکما بزینه من الدنیا،یعرف فرعون حین یراها أن مقدرته تعجز عما أوتیتما لفعلت،و لکنی أرغب لکما عن ذلک و أزوی ذلک عنکما و کذلک أفعل بأولیائی،إنی لأزویهم عن نعیمها،کما یزوی الراعی الشفیق غنمه عن مواقع الهلکه،و إنی لأجنبهم عیش سلوتها،کما یجنب الراعی الشفیق إبله عن مواقع الغره،و ما ذلک لهوانهم علی،و لکن لیستکلموا نصیبهم من کرامتی سالما موفرا،إنما یتزین لی أولیائی:بالذل و الخشوع و الخوف و التقوی».

و قال الکاظم-علیه السّلام-: «قال أبو ذر -رحمه اللّه-:جزی اللّه الدنیا عن مذمه بقدر رغیفین من الشعیر،أتغدی بأحدهما و أتعشی بالآخر،و بعد شملتی الصوف،أتزر بأحداهما و أتردی بالأخری».

و قال لقمان لابنه:«یا بنی!بع دنیاک بآخرتک تربحهما جمیعا،و لا تبع آخرتک بدنیاک تخسرهما جمیعا.و قال له:«یا بنی! إن الدنیا بحر عمیق،قد غرق فیها ناس کثیر،فلتکن سفینتک فیها تقوی

ص :۳۳

اللّه-عز و جل-و حشوها الإيمان،و شراعها التوكل على اللّه،لعلك ناج و ما أراك ناجيا».و قال:«يا بنى!إن الناس قد جمعوا قبلك لأولادهم فلم يبق ما جمعوا و لم يبق من جمعوا له،و إنما أنت عبد مستأجر قد أمرت بعمل و وعدت عليه أجرا،فأوف عملك و استوف أجرك،و لا تكن فى هذه الدنيا بمنزله شاه وقعت فى زرع أخضر فأكلت حتى سمنت،فكان حتفها عند سمنها،و لكن اجعل الدنيا بمنزله قنطره على نهر جزت عليها و تركتها،و لم ترجع إليها آخر الدهر،أخر بها و لا تعمر،فإنك لم تؤمر بعمارتها،و اعلم أنك ستسأل غدا إذا وقفت بين يدى اللّه-عز و جل-عن أربع:شبابك فيما أبليته،و عمرك فيما أفنيته،و مالك مما اكتسبته.

و فيما أنفقته،فتأهب لذلك،و أعد له جوابا،و لا تأس على ما فاتك من الدنيا.فإن قليل الدنيا لا يدوم بقاؤه،و كثيرها لا يؤمن بلاؤه،فخذ حذرك و جد فى أمرك،و اكشف الغطاء عن وجهك،و تعرض لمعروف ربك، و جدد التوبه فى قلبك،و اكمش فى فراغك قبل أن يقصد قصدك،و يقضى قضاؤك،و يحال بينك و بين ما تريد».

و قال بعض الحكماء:«الدنيا دار خراب،و أخرب منها قلب من يعمرها.و الجنه دار عمران،و أعمر منها قلب من يعمرها».و قال بعضهم:«الدنيا لمن تركها،و الآخره لمن طلبها».و قال بعضهم:

«إنك لن تصبح فى شىء من الدنيا إلا و قد كان له أهل قبلك،و يكون له أهل بعدك،و ليس لك من الدنيا إلا عشاء ليله و غداء يوم،فلا تهلك نفسك فى أكله،و صم الدنيا،و أفطر على الآخره،فإن رأس مال الدنيا الهوى،و ربحها النار». و قال بعض أكابر الزهاد:«الدنيا تخلق الأبدان و تجدد الآمال،و تقرب المنيه،و تبعد الأمنيه،و من ظفر بها تعب،و من فاتته نصب»،و قال بعضهم:«ما فى الدنيا شىء يسرك إلا و قد التزق

به شىء يسؤك».و قال آخر:«لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا إلا بحسرات ثلاث:إنه لم يشبع مما جمع،و لم يدرك ما أمل،و لم يحسن الزاد لما قدم عليه» و قال حكيم:كانت الدنيا و لم أكن فيها،و تذهب و لا أكون فيها،فكيف أسكن إليها؟فإن عيشها نكد،و صفوها كدر،و أهلها منها على وجل،إما بنعمه زائله،أو بليه نازله،أو منيه قاضيه».

و قال بعض العرفاء:«الدنيا حانوت الشيطان،فلا تسرق من حانوته شيئا،فيجىء فى طلبك و يأخذك».و قال بعضهم:«لو كانت الدنيا من ذهب يفنى و الآخره من خزف يبقى،لكان ينبغى أن يختار العاقل خزفا يبقى على ذهب يفنى،فكيف و الآخره ذهب يبقى و الدنيا أدون من خزف يفنى؟»

و قد ورد: «أن العبد إذا كان معظما للدنيا،يوقف يوم القيامه،و يقال:هذا عظم ما حقره اللّه».

و روى: «أنه لما بعث النبى-صلّى اللّه عليه و آله و سلم-أتت إبليس جنوده،فقالوا:قد بعث نبى و أخرجت أمه،قال:يحبون الدنيا؟قالوا:نعم!قال:إن كانوا يحبونها ما أبالى ألا يعبدوا الأوثان،و أنا أغدو عليهم و أروح بثلاثه:

أخذ المال من غير حقه،و إنفاقه فى غير حقه،و إمساكه عن حقه، و الشر كله لهذا تبع».

و روى: «أنه أوحى اللّه تعالى إلى بعض أنبيائه احذر مقتك،فتسقط من عينى،فاصب عليك الدنيا صبا». و قال بعض الصحابه:«ما أصبح أحد من الناس فى الدنيا إلا و هو ضيف،و ما له عاريه.فالضيف مرتحل،و العاريه مردوده».و قال بعضهم:«إن اللّه جعل الدنيا ثلاثه أجزاء:جزء للمؤمن،و جزء للمنافق،و جزء للكافر.

فالمؤمن يتزود،و المنافق يتزين،و الكافر يتمتع».و قيل:«من أقبل على الدنيا أحرقته نيرانها حتى يصير رمادا،و من أقبل على الآخره صفته نيرانها فصار سبيكه ذهب ينتفع بها،و من أقبل على اللّه سبحانه،أحرقته

نیران التوحید،فصار جوهرا لا حد لقیمته». و قیل أیضا:«العقلاء ثلاثه:من ترک الدنیا قبل أن تترکه،و بنی قبره قبل أن یدخله و أرضی خالقه قبل أن یلقاه».و سأل بعض الأمراء رجلا بلغ عمره مائتی سنه عن الدنیا،فقال:

«سنیات بلاء و سنیات رخاء،یوم فیوم،و لیله فلیله،یولد ولد،و یهلک هالک، فلو لا المولود باد الخلق،و لو لا الهالک لضاقت الدنیا بمن فیها»،فقال له الأمیر:سل ما شئت،قال:«أرید منک أن ترد علی ما مضی من عمری،و تدفع عنی ما حضر من أجلی»،قال:لا أملک ذلک،قال:

«فلا حاجه لی إلیک».

و الأخبار و الآثار فی ذم الدنیا و حبها،و فی سرعه زوالها و عدم الاعتبار بها،و فی هلاک من یطلبها و یرغب إلیها،و فی ضدیتها للآخره،أکثر من أن تحصی.و ما ورد فی ذلک من کلام أئمتنا الراشدین،(لا)سیما عن مولانا أمیر المؤمنین-صلوات اللّه علیهم أجمعین إلی یوم الدین-فیه بلاغ لقوم زاهدین.و من تأمل فی خطب علی علیه السّلام و مواعظه کما فی نهج البلاغه و غیره-یظهر له خساسه الدنیا و رذالتها. و قضیه السؤال و الجواب بین روح الأمین و نوح فی کیفیه سرعه زوال الدنیا مشهوره، و حکایه مرور روح اللّه علی قریه هلک أهلها من حب الدنیا معروفه (۱) و لعظم آفه الدنیا و حقارتها و مهانتها عند اللّه،لم یرضها لأحد من أولیائه و حذرهم عن غوائلها،فتزهدوا فیها و أکلوا منها قصدا،و قدموا فضلا أخذوا منها ما یکفی،و ترکوا ما یلهی،لبسوا من الثیاب ما ستر العوره، و أکلوا من الطعام ما سد الجوع،نظروا إلی الدنیا بعین أنها فانیه،و إلی الآخره أنها باقیه،فتزودوا منها کزاد الراکب،فخربوا الدنیا و عمروا

۱- ۱) ذکرها(الکافی)عن أبی عبد اللّه الصادق(ع)فی باب حب الدنیا بتمامها.

بها الآخره،و نظروا إلى الآخره بقلوبهم فعلموا أنهم سينظرون إليها بأعينهم فارتحلوا إليها بقلوبهم لما علموا أنهم سيرتحلون إليها بأبدانهم صبروا قليلا و نعموا طويلا.

فصل (خسائس صفات الدنيا)

اعلم أن للدنيا صفات خسيسه قد مثلت فی کل صفه بما تماثله فيها فمثالها فی سرعه الفناء و الزوال و عدم الثبات:مثل النبات الذی اختلط به ماء السماء فاخضر،ثم أصبح هشيما تذروه الرياح،أو كمنزل نزلته ثم ارتحلت عنه،أو كقنطره تعبر عنها و لا تمكث عليها.و فی كونها مجرد الوهم و الخيال،و كونها مما لا أصل لها و لا حقيقه،كفیء الظلال، أو خيالات المنام و أضغاث الأحلام،فإنک قد تجد فی منامک ما تهواه، فإذا استيقظته ليس معک منه شیء.

و فی عداوتها لأهلها و إهلاكها إياهم:بامرأه تزينت للخطاب،حتى إذا نكحتهم ذبحتهم.

فقد روی: «أن عيسى عليه السّلام كوشف بالدنيا فرآها فی صوره عجوز شمطاء هتماء عليها من كل زينه،فقال لها:كم تزوجت؟قالت:لا أحصيهم،قال:فكلهم مات عنک أو كلهم طلقک؟قالت:بل كلهم قتلت،فقال عيسى-عليه السّلام-:بؤسا لأزواجک الباقين،كيف لا يعتبرون بالماضين؟كيف تهلكينهم واحدا واحدا و لا يكونون منک على حذر؟!».

و فی مخالفه باطنها لظاهرها:كعجوز متزينه تخدع الناس بظاهرها.

فإذا وقفوا على باطنها و كشفوا القناع عن وجهها،ظهرت لهم قبائحها

روی: «أنه یؤتی بالدنیا یوم القیامه فی صوره عجوز شمطاء زرقاء،أنیابها بادیه،مشوه خلقها،فتشرف علی الخلائق،و یقال لهم:تعرفون هذه فیقولون:نعوذ باللّه من معرفه هذه!فیقال:هذه الدنیا التی تفاخرتم علیها،و بها تقاطعتم الأرحام،و بها تحاسدتم و تباغضتم و أغررتم،ثم یقذف بها فی جهنم،فتنادی:أی رب!أین أتباعی و أشیاعی؟فیقول اللّه -عز و جل-:ألحقوا بها أتباعها و أشیاعها».

و فی قصر عمرها لکل شخص بالنسبه إلی ما تقدمه من الأزل و ما یتأخر عنه من الأبد:کمثل خطوه واحده،بل أقل من ذلک،بالنسبه إلی سفر طویل،بل بالنسبه إلی کل مسافه الأرض أضعافا غیر متناهیه.

و من رأی الدنیا بهذه العین لم یرکن إلیها،و لم یبال کیف انقضت أیامه فی ضیق و ضر أو فی سعه و رفاهیه،بل لا یبنی لبنه علی لبنه.توفی سید الرسل صلّی اللّه علیه و آله و ما وضع لبنه علی لبنه و لا قصبه علی قصبه.

و رأی بعض أصحابه یبنی بیتا من جص،فقال:«أری الأمر أعجل من هذا». و إلی هذا

أشار عیسی علیه السّلام حیث قال: «الدنیا قنطره، فاعبروها و لا تعمروها».

و فی نعومه ظاهرها و خشونه باطنها:مثل الحیه التی یلین مسها و یقتل سمها.

و فی قله ما بقی منها بالإضافه إلی ما سبق:مثل ثوب شق من أوله إلی آخره،فبقی متعلقا فی آخره،فیوشک ذلک الخیط أن ینقطع.

و فی قله نسبتها إلی الآخره:کمثل ما یجعل أحد إصبعه فی الیم،فلینظر بم یرجع إلیه من الأصل.

و فی تأدیه علائقها بعض إلی بعض حتی ینجر إلی الهلاک:کماء البحر کلما شرب منه العطشان ازداد عطشا حتی یقتله.

و فى تـأديه الحرص عليها إلى الهلاك غما:كمثل دوده القز كلما ازدادت على نفسـها لفا كان أبعـد لها من الخروج حتى تموت غما.

و فى تعذر الخلاص من تبعاتها و استحاله عدم التلوث بقاذوراتها بعد الخوض فيها:كالماشى فى الماء،فإنه يمتنع ألا تبتل قدماه.

و فى نضـاره أولهـا و خباثه عاقبتها:كالأطعمه التى تؤكل،فكما أن الطعام كلما كان ألـذ طعما و أكثر دسومه كان رجيعه أقـذر و أشـد نتنـا، فكـذلك كـل شـهوه من شـهوات الـدنيا التى كانت للقلب أشـهى و أقوى، فتنتها و كراهيتها و التأذى بها عنـد الموت أشد،و هذا مشاهد فى الدنيا.

فإن المصيبه و الألم و التفجع فى كل ما فقد بقدر الالتذاذ بوجوده و حرصه عليه و حبه له،و لذا ترى أن من نهبت داره و أخذت أهله و أولاده، يكون تفجعه و ألمه أشـد مما إذا أخـذ عبـد من عبيده،فكل ما كان عند الوجود أشـهى عنده و الذ،فهو عند الفقد أدهى و أمر،و ما للموت معنى إلا فقد ما فى الدنيا.

و فى تنعم الناس بها ثم تفجعهم على فراقها:مثل طبق ذهب عليه بخور و رياحين،فى دار رجل هيأه فيها،و دعا الناس على الترتيب واحـدا بعـد واحـد ليـدخلوا داره،و يشـمه كل واحـد و ينظر إليه،ثم يتركه لمن يلحقه،لا ليتملكه و يأخـذه،فـدخل واحـد و جهل رسـمه،فظن أنه قـد وهب ذلـك له،فتعلق به قلبه،لمـا ظن أنه له،فلما استرجع منه ضـجر و تألم، و من كان عالما برسـمه انتفع به و شكره و رده بطيب قلب و انشراح صدر.فكذلك من عرف سنه اللّه فى الدنيا،علم أنها دار ضيافه سبلت على المجتازين لينتفعوا بما فيها،كما ينتفع المسافر بالعوارى،ثم يتركوها و يتوجهوا إلى مقصدهم من دون صـرف قلوبهم إليها،حتى تعظم مصـيبتهم عند فراقها،و من جهل سنه اللّه فيها،ظن أنها مملوكه له،فيتعلق بها

قلبه،فلما أخذت منه عظمت بليته و اشتدت مصيبته.

و فی اغترار الخلق بها و ضعف إیمانهم بقوله تعالی فی تحذیره إیاهم غوائلها:کمفازه غبراء لا نهایه لها،سلکوها قوم و تاهوا فیها بلا زاد و ماء و راحله،فأیقنوا بالهلاک،فبیناهم کذلک إذ خرج علیهم رجل و قال:

أ رأیتم إن هدیتکم إلی ریاض خضر و ماء رواء ما تعملون؟قالوا:لا نعصیک فی شیء.فأخذ منهم عهودا و مواثیق علی ذلک،فأوردهم ماء رواء و ریاضا خضراء،فمکث فیهم ما شاء اللّه،ثم قال:الرحیل!قالوا:إلی أین؟قال:إلی ماء لیس کمائکم،و إلی ریاض لیست کریاضکم.فقال أکثرهم:لا نرید عیشا خیرا من هذا،فلم یطیعوه.و قالت طائفه -و هم الأقلون-:ألم تعطوا هذا الرجل عهودکم و مواثیقکم باللّه ألا تعصوه و قد صدقکم فی أول حدیثه؟فو اللّه إنه صادق فی هذا الکلام أیضا! فأتبعه هذا الأقل،فذهب فیهم إلی أن أوردهم فی ماء و ریاض أحسن بمراتب شتی مما کانوا فیه أولا،و تخلف عنه الأکثرون،فبدرهم عدو، فأصبحوا من بین قتیل و أسیر.

تذنیب (تشبیها الدنیا و أهلها)

قد شبه بعض الحکماء حال الإنسان و اغتراره بالدنیا،و غفلته عن الموت و ما بعده من الأهوال،و انهماکه فی اللذات العاجله الفانیه الممتزجه بالکدورات:بشخص مدلی فی بئر،مشدود وسطه بحبل،و فی أسفل ذلک البئر ثعبان عظیم متوجه إلیه،منتظر سقوطه،فاتح فاه لالتقامه، و فی أعلی ذلک البئر جرذان أبیض و أسود،لا یزالان یقرضان ذلک الحبل شیئا فشیئا،و لا یفتران عن قرضه آنا من الآنات،و ذلک الشخص،

مع أنه يرى ذلك الثعبان و يشاهد انقراض الحبل آنا فآنا،قد أقبل على قليل عسل قد لطخ به جدار ذلك البئر و امتزج بترابه و اجتمعت عليه زنابير كثيره،و هو مشغول بلطعه منهمك فيه،ملتذ بما أصاب منه،مخاصم لتلك الزنابير عليه،قد صرف باله بأجمعه إلى ذلك،غير ملتفت إلى ما فوقه و إلى ما تحته.فالبئر هو الدنيا،و الحبل هو العمر،و الثعبان الفاتح فاه هو الموت،و الجرذان الليل و النهار القارضان للعمر،و العسل المختلطه بالتراب هو لذات الدنيا الممتزجه بالكدورات و الآلام،و الزنابير هم أبناء الدنيا المتزاحمون عليها.

و شبه بعض العرفاء الدنيا و أهلها،فى اشتغالهم بنعيمها و غفلتهم عن الآخره،و حسراتهم العظيمه بعد الموت،من فقدهم نعيم الجنه بسبب انغمارهم فى خسائس الدنيا:بقوم ركبوا السفينه،فانتهت بها إلى جزيره فأمرهم الملاح بالخروج لقضاء الحاجه،و حذرهم المقام فيها،و خوفهم مرور السفينه و استعجالها،فتفرقوا فى نواحى الجزيره،فقضى بعضهم حاجته،و بادر إلى السفينه،فصادف المقام خاليا،فأخذ أوسع الأماكن و أوفقها بمراده.و بعضهم توقف فى الجزيره،و اشتغل بالنظر إلى أزهارها و أنوارها و أشجارها و أحجارها و نغمات طيورها،ثم تنبه لخطر فوات السفينه فرجع إليها،فلم يصادف إلا مكانا ضيقا،فاستقر فيه.و بعضهم، بعد التنبه لخطر مرور السفينه،لما تعلق قلبه ببعض أحجار الجزيره و أزهارها و ثمارها،لم تسمح نفسه بأهمالها،فاستصحت منها جمله و رجع إلى السفينه فلم يجد فيها إلا مكانا ضيقا لا يسعه إلا بالتكلف و المشقه،و ليس فيه مكان لوضع ما حمله،فصار ذلک ثقلا عليه وبالا،فندم على أخذها،و لم يقدر على رميها،فحملها فى السفينه على عنقه متأسفا على أخذها.و بعضهم اشتغل بمشاهده الجزيره،بحيث لم يتنبه أولا من خطر مرور السفينه و من

نداء الملاح،حتی امتلأت السفينه،فتنبه أخيرا و رجع إليها،مثقلا بما حمله من أحجار الجزيره و حشائشها،و لما وصل إلی شاطئ البحر سارت السفينه،أ و لم يجد فيها موضعا أصلا،فبقی علی شاطئ البحر. و بعضهم لكثره الاشتغال بمشاهده الجزيره و ما فيها نسوا المركب بالمره،و لم يبلغهم النداء أصلا،لكثره انغمارهم فی أكل الثمار و شرب المياه و التنسم بالأنوار و الأزهار و التفرج بين الأشجار،فسارت السفينه و بقوا فی الجزيره من دون تنبههم بخطر مرورها،فتفرقوا فيها،فبعضهم نهشته العقارب و الحيات و بعضهم افترسته السباع،و بعضهم مات فی الأوحال،و بعضهم هلك من الندامه و الحسره و الغصه،و أما من بقی علی شاطئ البحر فمات جوعا، و أما من وصل إلی المركب مثقلا بما أخذه،فشغله الحزن بحفظها و الخوف من فوتها،و قد ضيق عليه مكانه،فلم يلبث إن ذبلت ما أخذه من الأزهار،و عفنت الثمار،و كمدت ألوان الأحجار،فظهر نتن رائحتها، فتأذی من نتن رائحتها و لم يقدر علی إلقائها فی البحر لصيرورتها جزءا من بدنه،و قد أثر فيه ما أكل منها،و لم ينته إلی الوطن إلا بعد إحاطه الأمراض و الأسقام عليه لأجل ما لم ينفك عنه من النتن،فبلغ إليه سقيما مدنفا،فبقی علی سقمه أبدا،أو مات بعد مده،و أما من رجع إلی المركب بعد تضيق المكان،فما فاته إلا سعه المحل،فتأذی بضيق المكان مده، و لكن لما وصل إلی الوطن استراح،و من رجع إليه أولا و وجد المكان الأوسع فلم يتأذ من شیء أصلا و وصل إلی الوطن سالما. فهذا مثال أصناف أهل الدنيا فی اشتغالهم بحظوظهم العاجله،و نسيانهم وطنهم الحقيقی،و غفلتهم عن عاقبه أمرهم.و ما أقبح بالعاقل البصير أن تغره بأحجار الأرض و هشيم النبت،مع مفارقته عند الموت و صيرورته كلا و وبالا عليه.

ص :۴۲

فصل (عاقبه حب الدنيا و بغضها)

اعلم أنه لا يبلغ مع العبد عند الموت إلا صفاء القلب،أعنى طهارته عن أدناس الدنيا و حبه للّه و أنسه بذكره،و صفاء القلب و طهارته لا يحصل إلا بالكف عن شهوات الدنيا،و الحب لا يحصل إلا بالمعرفه،و المعرفه لا تحصل إلا بدوام الفكره،و الأنس لا يحصل إلا بكثره ذكر اللّه و المواظبه عليه،و هذه الصفات الثلاث هى المنجيات المسعدات بعد الموت،و هى الباقيات الصالحات.

أما طهاره القلب عن أدناس الدنيا،فهى الجنه بين العبد و بين عذاب اللّه،

كما ورد فى الخبر: «أن اعمال العبد تناضل عنه،فإذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه،و إذا جاء من قبل يديه جاءت الصدقه تدفع عنه...»الحديث.

و أما الحب و الأنس،فهما يوصلان العبد إلى لذه المشاهده و اللقاء.

و هذه السعاده تتعجل عقيب الموت إلى أن يدخل الجنه،فيصير القبر روضه من رياض الجنه،و كيف لا يصل صاحب الصفات الثلاث بعد موته غايه البهجه و نهايه اللذه بمشاهده جمال الحق،و لا يكون القبر عليه روضه من الرياض الخلد،و لم يكن له إلا محبوب واحد،و كانت العوائق تعوقه عن الأنس بدوام ذكره و مطالعه جماله،و بالموت ارتفعت العوائق و أفلت من السجن و خلى بينه و بين محبوبه،فقدم عليه مسرورا سالما من الموانع آمنا من الفراق؟ و كيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذبا و لم يكن له محبوب إلا الدنيا،و قد غصبت منه و حيل بينه و بينها،و سدت عليه طرق

الحیله فی الرجوع إلیه؟و لیس الموت عـدما،إنما هو فراق لمحاب الـدنیا و قدوم علی اللّه،فإذن سالک طریق الآخره هو المواظب علی أسباب هـذه الصـفات الثلاث،و هی:الـذکر،و الفکر،و العمل الـذی یفطمه عن شـهوات الدنیا و یبغض إلیه ملاذها و یقطعه عنهـا.و کـل ذلـک لاـ یمکن إلا بصـحه البـدن،و صـحه البـدن لا تنال إلا بالقوت و الملبس و المسـکن،و یحتاج کل واحـد إلی أسباب،فالقـدر الـذی لا بـد منه من هـذه الثلاثه إذا أخـذه العبـد من الدنیا للآخره لم یکن من أبناء الدنیا و کانت الدنیا فی حقه مزرعه الآـخره،و إن أخـذ ذلـک علی قصـد التنعم و حـظ النفس صـار من أبنـاء الـدنیا و الراغبین فی حظوظها.إلاـ أن الرغبه فی حظوظ الـدنیا تنقسم إلی ما یعرض صاحبه لعذاب اللّه فی الآخره،و سـمی ذلک حراما،و إلی ما یحول بینه و بین الدرجات العلی و یعرضه لطول الحساب،و یسـمی ذلک حلالا.و البصـیر یعلم أن طول الموقف فی عرصات القیامه لأجل المحاسبه أیضا عذاب، فمن نوقش فی الحساب عذب،و لذلک

قـال رسول اللّه-صـلی اللّه علیه و آله-: «فی حلالهـا حسـاب و فی حرامهـا عقـاب». بـل لو لم یکن الحسـاب،لکان ما یفوت عن الـدرجات العلی فی الجنه و مـا یرد علی القلب من التحسر علی تفویتهـا بحظوظ حقیره خسـیسه لاـ بقـاء لهـا،هو أیضا عـذاب و یرشـدک إلی ذلـک حالـک فی الـدنیا إذا نظرت إلی أقرانک،و قـد سـبقوک إلی السـعادات الـدنیویه،کیف ینقطع قلبک علیها حسـرات،مع علمک بأنها سـعادات متصـرمه لا بقاء لها،و منغصه بکدورات لا صـفاء لها، فما حالک فی فوات سـعادات لا یحیط الوصف بعظمتهـا و تنقطع الأذهـان و الـدهور دون غایتهـا؟و کـل من تنعم فی الـدنیا،و لو بسـماع صوت من طـائر أو بـالنظر إلی خضره أو بشربه ماء بارد،فهو ینقص من حظه فی الآخره و التعرض لجواب السؤال فیه ذل،و حذر،و خوف،و خطر،و خجل

ص :44

و انکسار،و مشقه،و انتظار،و کل ذلک من نقصان الحظ.

فالدنیا-قلیلها و کثیرها،حلالها و حرامها-ملعونه،إلا ما أعان علی تقوی اللّه،فإن ذلک القدر لیس من الدنیا،و کل من کانت معرفته أقوی و أتم کان حذره من نعیم الدنیا أشد و أعظم،حتی

أن عیسی علیه السلام وضع رأسه علی حجر لما نام ثم رمی به،إذ تمثل له إبلیس و قال رغبت فی الدنیا.

و حتی أن سلیمان-علیه السلام-فی ملکه کان یطعم الناس من لذائذ الأطعمه و هو یأکل خبز الشعیر، فجعل الملک علی نفسه بهذا الطریق امتحانا و شده،فإن الصبر من لذیذ الأطعمه مع وجودها أشد.و لذا زوی اللّه-تعالی-الدنیا علی نبینا-صلی اللّه علیه و آله- فکان یطوی أیاما،و کان یشد الحجر علی بطنه من الجوع،و لهذا سلط اللّه المحن و البلاء علی الأنبیاء و الأولیاء،ثم الأمثل فالأمثل فی درجات العلی.کل ذلک نظرا لهم و امتنانا علیهم،لیتوفر من الآخره حظهم،کما یمنع الوالد المشفق ولده لذائذ الفواکه و الأطعمه و یلزمه الفصد و الحجامه،شفقه علیه و حبا له لا بخلا به علیه. و قد عرفت بهذا أن کل ما لیس للّه فهو من الدنیا و ما هو للّه فلیس من الدنیا.

ثم الأشیاء علی أقسام ثلاثه:

(الأول)ما لا یتصور أن یکون للّه،بل من الدنیا صوره و معنی و هی أنواع المعاصی و المحظورات و أصناف التنعم بالمباحات،و هی الدنیا المحضه المذمومه علی الإطلاق.

(الثانی)ما صورته من الدنیا،کالأکل و النوم و النکاح و أمثالها، و یمکن أن یجعل معناه للّه،فإنه یمکن أن یکون المقصود منه حظ النفس فیکون معناه کصورته أیضا من الدنیا،و یمکن أن یکون المقصود منه الاستعانه علی التقوی،فهو للّه بمعناه و إن کانت صورته صوره الدنیا،

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: «من طلب من الدنيا حلالا مكاثرا مفاخرا لقى اللّه و هو عليه غضبان،و من طلبها استعفافا عن المسأله و صيانه لنفسه جاء يوم القيامه و وجهه كالقمر ليله البدر».

(الثالثه)ما صورته للّه،و يمكن أن يجعل معناه من الدنيا بالقصد، و هو ترك الشهوات،و تحصيل العلم،و عمل الطاعات و العبادات.فهذه الثلاث إذا لم يكن لها باعث سوى أمر اللّه و اليوم الآخر فهى للّه صوره و معنى،و لم تكن من الدنيا أصلا،و إن كان الغرض منها حفظ المال و الحميه و الاشتهار بالزهد و الورع و طلب القبول بين الخلق بإظهار المعرفه صار من الدنيا معنى و إن كان يظن بصورته أنه للّه.

و منها:

اشاره

حب المال

و هو من شعب حب الدنيا،إذ حب الدنيا يتناول حب كل حظ عاجل،و المال بعض أجزاء الدنيا،كما أن الجاه بعضها،و اتباع شهوه البطن و الفرج بعضها،و تشفى الغيظ بحكم الغضب و الحسد بعضها،و الكبر و طلب العلو بعضها.

و بالجمله:لها أبعاض كثيره يجمعها كل ما لإنسان فيه حظ عاجل، فآفات الدنيا كثيره الشعب و الأرجاء،واسعه الأرجاء و الأكناف،و لكن أعظم آفاتها المتعلقه بالقوه الشهويه هو(المال)،اذ كل ذى روح محتاج إليه و لا غناء له عنه،فإن قد حصل الفقر الذى يكاد أن يكون كفرا و إن وجد حصل منه الطغيان الذى لا تكون عاقبه أمره إلا خسرا،فهو

لاـ يخلو من فوائد و آفات،و فوائده من المنجيات و آفاته من المهلكات، و تمييز خيرها و شرها من المشكلات،إذ من فقده تحصل صفه الفقر،و من وجوده تحصل صفه الغناء،و هما حالتان يحصل بهما الامتحان.

ثم(للفاقد)حالتان:القناعه،و الحرص،و أحداهما محموده و الأخرى مذمومه.و(للحريص)حالتان:تشمر للحرف و الصنائع مع اليأس عن الخلق،و طمع بما فى أيديهم.و إحدى الحالتين شر من الأخرى.و (للواجد)حالتان:إمساك،و إنفاق.و أحدهما مذموم و الآخر ممدوح و(للمنفق)حالتان:إسراف،و اقتصاد،و الأول مذموم و الثانى ممدوح و هذه أمور متشابهه لا بد أولا من تمييزها،ثم الأخذ بمحمودها و الترك لمذمومها،حتى تحصل النجاه من غوائل المال و فتنتها.و من هنا قال بعض الأكابر:الدرهم عقرب،فإن لم تحسن رقيته فلا تأخذه،فإنه إن لدغك قتلك سمه.قيل و ما رقيته؟قال:أخذه من حله،و وضعه فى حقه.

فصل الكتاب و السنه متظاهران فی ذم المال و كراهه حبه،

قال اللّه سبحانه:

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاٰ تُلْهِكُمْ أَمْوٰالُكُمْ وَ لاٰ أَوْلاٰدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْخٰاسِرُونَ

(۱)

.

و قال: وَ اعْلَمُوا أَنَّمٰا أَمْوٰالُكُمْ وَ أَوْلاٰدُكُمْ فِتْنَهٌ (۲).

ص: ۴۷

۱- ۱) المنافقون،الآيه:۹.

۲- ۲) الأنفال،الآيه:۲۸.

و قال: اَلْمالُ وَ الْبَنُونَ زِينَهُ الْحَياهِ الدُّنْيا... الآيه (۱).

و قال رسول الله-صلی اللّه علیه و آله-: «حب المال و الشرف ینبتان النفاق،کما ینبت الماء البقل».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-:

«ما ذئبان ضاریان أرسلا فی زریبه غنم بأکثر فسادا من حب المال و الجاه فی دین الرجل المسلم»،

و قال: «شر أمتی الأغنیاء».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «یقول اللّه-تعالی-:یا ابن آدم!مالی،مالی!و هل لک من مالک إلا ما تصدقت فأمضیت،أو أکلت فأفنیت،أو لبست فأبلیت؟!»

و قال صلی اللّه علیه و آله: «أخلاء ابن آدم ثلاثه:واحد یتبعه إلی قبض روحه و هو ماله،و واحد یتبعه إلی قبره و هو أهله، و واحد یتبعه إلی محشره و هو عمله».

و قال-صلی اللّه علیه و آله: «یجاء بصاحب الدنیا الذی أطاع اللّه فیها و ماله بین یدیه،کلما یکفأ به الصراط قال له ماله:امض و قد أدیت حق اللّه فی.ثم یجاء بصاحب الدنیا الذی لم یطع اللّه فیها و ماله بین کفیه،کلما یکفأ به الصراط قال ماله:ویلک ألا أدیت حق اللّه فی؟...فما یزال کذلک حتی یدعو بالثبور و الویل»

و قال-صلی اللّه علیه و آله: «إن الدینار و الدرهم أهلکا من کان قبلکم، و هما مهلکاکم».

و قال-صلی اللّه علیه و آله: «لکل أمه عجل،و عجل هذه الأمه الدینار و الدرهم».

و قال-صلی اللّه علیه و آله: «یؤتی برجل یوم القیامه،و قد جمع مالا من حرام و أنفقه فی حرام فیقال:اذهبوا به إلی النار.و یؤتی برجل قد جمع مالا من حلال و أنفقه فی حرام،فیقال اذهبوا به إلی النار.و یؤتی برجل قد جمع مالا من حرام و أنفقه فی حلال فیقال اذهبوا به إلی النار.و یؤتی برجل قد جمع مالا من حلال و أنفقه فی

۱- ۱) الکهف،الآیه:۴۷.

حلال،فیقال له:قف لعلک قصرت فی طلب هذا بشیء مما فرضت علیک من صلاه لم تصلها لوقتها،و فرطت فی شیء من رکوعها و سجودها و وضوئها،فیقول:لا یا رب!کسبت من حلال و أنفقت فی حلال، و لم أضیع شیئا مما فرضت،فیقال:لعلک اختلت فی هذا المال فی شیء من مرکب أو ثوب باهیت به،فیقول:لا یا رب!لم اختل و لم أباه فی شیء،فیقال:لعلک منعت حق أحد أمرتک أن تعطیه من ذوی القربی و الیتامی و المساکین و ابن السبیل،فیقول:لا یا رب!لم أضیع حق أحد أمرتنی أن أعطیه.فیجیء أولئک فیخاصمونه،فیقولون:یا رب أعطیته و أغنیته و جعلته بین أظهرنا و أمرته أن یعطینا،فإن کان قد أعطاهم و ما ضیع مع ذلک شیئا من الفرائض و لم یختل فی شیء،فیقال:قف الآن هات شکر نعمه أنعمتها علیک من أکله أو شربه أو لقمه أو لذه...فلا یزال یسأل».

فلیت شعری-یا أخی-إن الرجل الذی فعل فی الحلال،و أدی الفرائض بحدودها،و قام بالحقوق کلها،إذا حوسب بهذه المحاسبه، فکیف یکون حال أمثالنا الغرقی فی فتن الدنیا و تخالیطها،و شبهاتها و شهواتها و زینتها،فیا لها من مصیبه ما أفظعها،و رزیه ما أجلها،و حسره ما أعظمها لا ندری ما تفعل بنا الدنیا غدا فی الموقف عند یدی الجبّار.

و لخوف هذا الخطر قال بعض الصحابه:«ما یسرنی أن أکتسب کل یوم ألف دینار من حلال و أنفقها فی طاعه اللّه،و لم یشغلنی الکسب عن صلاه الجماعه»،قالوا له:و لم ذلک رحمک اللّه؟قال:«لأنی غنی عن مقامی یوم القیامه،فیقول اللّه:عبدی من أین اکتسبت و فی أی شیء أنفقت؟».

فینبغی لکل مؤمن تقی ألا یتلبس بالدنیا،فیرضی بالکفاف،و إن

كان معه فضل فليقدمه لنفسه،إذ لو بقى بعده لكان له مفاسد و آفات.

روى: «أنه قال رجل:يا رسول اللّه،ما لى لا أحب الموت؟فقال:

هل معک من مال؟قال:نعم يا رسول اللّه،قال:قدم مالک أمامک فإن قلب المؤمن مع ماله،إن قدمه أحب أن يلحقه،و إن خلفه أحب أن يتخلف معه».

و وضع أمير المؤمنين-عليه السلام-درهما على كفه ثم قال:«أما إنک ما لم تخرج عنى لا تنفعنى».

و روى: «أن أول ما ضرب الدينار و الدرهم رفعهما إبليس،ثم وضعهما على جبهته،ثم قبلهما و قال:من أحبكما فهو عبدى حقا».

و قال عيسى عليه السلام: «لا تنظروا إلى أموال أهل الدنيا،فإن بريق أموالهم يذهب بنور إيمانكم». و قال بعض الأكابر:«مصيبتان لم يسمع الأولون و الآخرون بمثلهما للعبد فى ماله عند موته»،قيل:و ما هما؟قال:«يؤخذ منه كله،و يسأل عنه كله».

ثم جميع ما ورد فى ذم الغنى و مدح الفقر-كما يأتى بعضه-و جميع ما ورد فى ذم الدنيا-كما تقدم بعضه-يتناول ذم المال،لأنه أعظم أركان الدنيا.

فصل (الجمع بين ذم المال و مدحه)

أعلم أنه كما ورد ذم المال فى الآيات و الأخبار ورد مدحه فيهما أيضا و قد سماه اللّه خيرا فى مواضع،فقال:

إِنْ تَرَکَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ...

(۱)

.و قال فى مقام الامتنان:

۱- ۱) البقره،الآيه:۱۸۰.

وَ يُمْدِدْكُمْ بِأَمْوٰالٍ وَ بَنِينَ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ جَنّٰاتٍ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهٰاراً

(۱)

.

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله- :«نعم المال الصالح للرجل الصالح». و كل ما جاء فى ثواب الصدقه،و الضيافه،و السخاء،و الحج و غير ذلك مما لا يمكن الوصول إليه إلا بالمال،فهو ثناء عليه.

و وجه الجمع بين الظواهر المادحه و الذامه هو:أن المال قد يكون وسيله إلى مقصود صحيح هو السعاده الأخرويه،إذ الوسائل إليها فى الدنيا ثلاث،و هى:الفضائل النفسيه،و الفضائل البدنيه،و الفضائل الخارجيه التى عمدتها المال.و قد يكون وسيله إلى مقاصد فاسده و هى المقاصد الصاده عن السعاده الأخرويه و الحياه الأبديه،و الصاده سبيل العلم و العمل.فهو إذن محمود و مذموم بالإضافه إلى المقصودين.فالظواهر الذامه محموله على صوره كونه وسيله إلى مقاصد فاسده،و المادحه على صوره كونه وسيله إلى مقاصد صحيحه.و لما كانت الطبائع مائله إلى اتباع الشهوات القاطعه لسبيل اللّه،و كان المال مسهلا لها و آله إليها،عظم الخطر فى ما يزيد على قدر الكفايه،فاستعاذ طوائف الأنبياء و الأولياء من شره، حتى

قال نبينا-صلى اللّه عليه و آله و سلم-:

«اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا»

و قال-صلى اللّه عليه و آله- : «اللهم أحينى مسكينا و أمتنى مسكينا».

ص:۵۱

۱- ۱) نوح،الآيه:۱۲.

فصل (غوائل المال و فوائده)

قد ظهر مما ذكر:أن المال مثل حيه فيها سم و ترياق،فغوائله سمه،و فوائده ترياقه،فمن عرفهما أمكنه أن يحترز من شره و يستدر منه خيره.

و لبيان ذلک نقول:

إن غوائله إما دنيويه أو دينيه:

و الدنيويه:

هی ما یقاسیه أرباب الأموال:من الخوف،و الحزن، و الهم،و الغم،و تفرق الخاطر،و سوء العيش،و التعب فی کسب الأموال و حفظها،و دفع الحساد و کید الظالمین،و غیر ذلک.

و الدينيه:ثلاثه أنواع:

أولها-أداؤه إلى المعصيه.

إذ المال من الوسائل إلى المعاصی،و نوع من القدره المحرکه لداعيتها.فإذا استشعرها الإنسان من نفسه،انبعثت الداعيه،و اقتحم فی المعاصی،و ارتکب أنواع الفجور.و مهما کان آیسا عن القدره لم یتحرک داعيه إليها:إذ العجز قد یحول بين المرء و بين المعصيه،و من العصمه ألا يقدر،و أما مع القدره فإن اقتحم ما يشتهيه هلک، و إن صبر وقع فی شده.إذ الصبر مع القدره أشد،و فتنه السراء من فتنه الضراء أعظم.

و ثانيها-أداؤه إلى التنعم فی المباحات.

فإن الغالب أن صاحب المال يتنعم بالدنيا و يمرن عليه نفسه،فيصير التنعم محبوبا عنده مألوفا، بحيث لا يصبر عنه،و يجره البعض منه إلى البعض.و إذا اشتد ألفه به و صار عاده له،ربما لم يقدر عليه من الحلال،فيقتحم فی الشبهات

و يخوض فی المحرمات:من الخيانه،و الظلم،و الغصب،و الرياء،و الكذب و النفاق،و المداهنه،و سائر الأخلاق المهلكه،و الأشغال الرديه،لينتظم أمر دنياه و يتيسر له تنعمه.و ما أقل لصاحب الثروه و المال ألا يصير التنعم مألوفا له،إذ متی يقدر أن يقنع بخبز الشعير و لبس الخشن و ترک لذيذ الأطعمه بأسرها،فإنما ذلک شأن نادر من أولی النفوس القويه القدسيه كسليمان بن داود عليه السلام و أمثاله.علی أن من كثر ماله كثرت حاجته إلی الناس،و من احتاج إلی الناس فلا بد أن ينافقهم و يسخط اللّه فی طلب رضاهم،فإن سلم من الآفه الأولی،أعنی مباشره المحرمات،فلا يسلم من هذه أصلا.و من الحاجه إلی الناس تثور العداوه و الصداقه، و يحصل الحقد،و الحسد،و الكبر،و الرياء،و الكذب،و الغيبه،و البهتان و النميمه،و سائر معاصی القلب و اللسان،و كل ذلک يلزم من شؤم المال و الحاجه إلی حفظه و إصلاحه.

و ثالثها-و هو الذی لا ينفک عنه أحد من أرباب الأموال،

و هو أنه يلهيه إصلاح ماله و حفظه عن ذكر اللّه تعالی،و كل ما يشغل العبد عن اللّه تعالی فهو خسران و وبال.

و لذا قال روح اللّه عليه السلام: «فی المال ثلاث آفات،أن يأخذه من غير حله»،فقيل:إن أخذه من حله؟ قال:«يضعه فی غير حقه»،فقيل:إن وضعه فی حقه؟فقال:

«يشغله إصلاحه عن اللّه». و هذا هو الداء العضال،إذ أصل العبادات و روحها و حقيقتها هو الذكر و الفكر فی جلال اللّه تعالی،و ذلک يستدعی قلبا فارغا.و صاحب الضيعه يصبح و يمسی متفكرا فی خصومه الفلاح و محاسبته و خيانته،و منازعه الشركاء و خصومتهم فی الماء و الحدود،و خصومه أعوان السلطان فی الخراج،و خصومه الإجراء فی التقصير فی العماره و غير ذلک.و صاحب التجاره يكون متفكرا فی خيانه الشركاء و انفرادهم بالربح

و تقصیرهم فی العمل و تضییعهم المال،و یکون غالبا فی بلاد الغربه متفرق الهم محزون القلب من کساد ما یصحبه من مال التجاره.و کذلک صاحب المواشی و غیره من أرباب أصناف الأموال.و أبعدها عن کثره الشغل النقد المکنون تحت الأرض،و صاحبه أیضا لا یزال متفکرا مترددا فیما یصرف إلیه،و فی کیفیه حفظه،و فی الخوف ممن یعثر علیه،و فی دفع طمع الخلق منه. و بالجمله:أودیه أفکار أهل الدنیا لا نهایه لها،و الذی لیس معه إلا قوت یومه أو سنته،و لا یطلب أزید من ذلک،فهو فی سلامه من جمیع ذلک.

و أما فوائده:فهی أیضا دنیویه و دینیه:

أما الدنیویه:

فهی ما یتعلق بالحظوظ العاجله:من الخلاص من ذل السؤال،و حقاره الفقر،و الوصول إلی العز و المجد بین الخلق،و کثره الإخوان و الأصدقاء و الأعوان،و حصول الوقار و الکرامه فی القلوب.

و أما الدینیه:فثلاثه أنواع:

أولها-أن ینفقه علی نفسه فی عباده،

کالحج و الجهاد،أو فیما یقوی علی العباده،کالمطعم و الملبس و المسکن.

و ثانیها-أن یصرفه إلی أشخاص معینه:

کالصدقه،و المروه، و وقایه العرض،و أجره الاستخدام.و أما الصدقه بأنواعها،فلا یحصی ثوابها،و ربما نشیر إلی فضیلتها فی موضعها،و أما المروه،و نعنی بها صرف المال إلی الأغنیاء و الأشراف فی ضیافه أو هدیه أو إعانه و ما یجری مجراها مما یکتسب به الإخوان و الأصدقاء و یجلب به صفه الجود و السخاء، إذ لا یتصف بالجود إلا من یصطنع المعروف و یسلک سبیل الفتوه و المروه، فلا ریب فی کونه مما یعظم ثوابه.فقد وردت أخبار کثیره فی الهدایا و الضیافات و إطعام الطعام،من غیر اشتراط الفقر و الفاقه فی مصارفها.

و أما وقايه العرض،و نعنى بها بذل المال لدفع ثلب السفهاء،و هجو الشعراء،و قطع ألسنه الفاحشين و المغتابين،و منع شر الظالمين و أمثال ذلك فهو أيضا من الفوائد الدينيه.

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله:

«ما وقى المرء به عرضه فهو له صدقه»، و أما أجره الاستخدام،فلا ريب فى إعانته على أمور الدين،إذ الأعمال التى يحتاج إليها الإنسان لتهيئه أسبابه كثيره،و لو تولاها بنفسه ضاعت أوقاته،و تعذر عليه سلوك سبيل الآخره بالفكر و الذكر الذى هو أعلى مقامات السالكين،و من لا مال له يحتاج أن يتولى بنفسه جميع الأعمال التى يحتاج إليها فى الدنيا،حتى نسخ الكتاب الذى يفتقر إليه،و كلما يتصور أن يقوم به الغير فتضييع الوقت فيه خسران و ندامه.

و ثالثها-أن يصرفه إلى غير معين يحصل به خير عام،

و هى الخيرات الجاريه:من بناء المساجد،و المدارس،و القناطر،و الرباطات،و نصب الخشيات فى الطرق،و إجراء القنوات،و نسخ المصاحف و الكتب العلميه و غير ذلك من الأوقاف المرصده للخيرات المؤبده،الدائره بعد الموت، المستجلبه ببركه أدعيه الصالحين إلى أوقات متماديه.

فصل (الأمور المنجيه من غوائل المال)

من أراد النجاه من غوائل المال،فليحافظ على أمور:

الأول-أن يعرف مقصود المال و باعث خلقه و عله الاحتياج إليه حتى لا يكتسب و لا يحفظ إلا قدر حاجته.

الثانى-أن يراعى جهه دخله،فيجتنب الحرام و المشتبه،و الجهات

المکروهه القادحه فی المروه و الحریه،کالهدایا المشوبه بالرشوه،و السؤال الذی فیه الانکسار و الذله.

الثالث-أن یراعی جهه الخرج،و یقتصد فی الإنفاق،غیر مبذر و لا مقتر.قال اللّه تعالی:

وَ الَّذِینَ إِذٰا أَنْفَقُوا لَمْ یُسْرِفُوا وَ لَمْ یَقْتُرُوا وَ کٰانَ بَیْنَ ذٰلِکَ قَوٰاماً

(۱)

.

و قال النبی صلی اللّه علیه و آله-: «ما عال من اقتصد». ثم للاقتصاد فی المطعم و الملبس و المسکن درجات ثلاث:أدنی و أوسط و أعلی،و ربما کان المیل إلی الأول أحری و أولی،لیدخل فی زمره المخفین یوم القیامه.

الرابع-أن یضع ما اکتسبه من حله فی حقه،و لا یضعه فی غیر حقه،فإن الإثم فی الأخذ من غیر حله و الوضع فی غیر حقه سواء.

الخامس-أن یصلح نیته فی الأخذ و الترک و الإنفاق و الإمساک، فیأخذ ما یأخذ استعانه به علی ما خلق لأجله،و یترک ما یترک زهدا فیه و استحقارا له و اجتنابا عن وزره و ثقله،و إذا فعل ذلک لم یضره وجوده

قال أمیر المؤمنین علیه السلام: «لو أن رجلا أخذ جمیع ما فی الأرض و أراد به وجه اللّه فهو زاهد،و لو ترک الجمیع و لم یرد به وجه اللّه فلیس بزاهد».

فینبغی لکل مؤمن أن یکون باعث جمیع أفعاله التقرب إلی اللّه لیصیر الجمیع عباده.فإن أبعد الأفعال عن العباده الأکل و الوقاع و قضاء الحاجه و یصیر بالقصد عباده.فمن أخذ من المال ما یحتاج إلیه فی طریق الدین،

۱- ۱) الفرقان،الآیه:۶۷.

و بذل ما فضل منه على إخوانه المؤمنين،فهو الذى أخذ من حيه المال ترياقها،و اتقى سمها،فلا تضره كثره المال.إلا أنه لا يتأتى ذلك إلا لمن كثر علمه و استحكمت فى الدين قدمه.و العامى إذ يشتبه به فى الاستكثار من المال،فشأنه شأن الصبى الذى يرى المعزم الحاذق يأخذ بالحيه و يتصرف بها ليأخذ ترياقها،فيقتدى به و يأخذها مستحسنا صورتها و شكلها و مستلينا جلدها فتقتله فى الحال.إلا أن قتيل الحيه يدرى أنه قتيل،و قتيل المال قد لا يعرف ذلك.و كما يمتنع أن يتشبه الأعمى بالبصير فى التخطى قلل الجبال و أطراف البحار و الطرق المشوكه،فيمتنع أن يتشبه العامى الجاهل بالعالم الكامل فى الاستكثار من المال.

وصل (الزهد)

ضد حب الدنيا و الرغبه إليها هو(الزهد)،و هو ألا يريد الدنيا بقلبه،و يتركها بجوارحه،إلا بقدر ضروره بدنه.و بعباره أخرى:هو الإعراض من متاع الدنيا و طيباتها،من الأموال و المناصب و سائر ما يزول بالموت.و بتقرير آخر:هو الرغبه عن الدنيا عدولا إلى الآخره،أو عن غير اللّه،عدولا إلى اللّه،و هو الدرجه العليا.فمن رغب عن كل ما سوى اللّه حتى الفراديس،و لم يحب إلا اللّه،فهو الزاهد المطلق.و من رغب عن حظوظ الدنيا خوفا من النار أو طمعا فى نعيم الجنه،من الحور و القصور و الفواكه و الأنهار،فهو أيضا زاهد،و لكنه دون الأول.و من ترك بعض حظوظ الدنيا دون بعض،كالذى يترك المال دون الجاه،أو يترك التوسع فى الأكل دون التجمل فى الزينه،لا يستحق اسم الزاهد مطلقا.

و بما ذکر یظهر:أن الزهد إنما یتحقق إذا تمکن من نیل الدنیا و ترکها،و کان باعث الترک هو حقاره المرغوب عنه و خساسته،أعنی الدنیا بالإضافه إلی المرغوب إلیه و هو اللّه و الدار الآخره .فلو کان الترک لعدم قدرته علیها،أو لغرض غیر اللّه تعالی غیر الدار الآخره،من حسن الذکر،و استماله القلوب،أو الاشتهار بالفتوه و السخاء،أو الاستثقال لما فی حفظ الأموال من المشقه و العناء،أو أمثال ذلک،لم یکن من الزهد أصلا.

فصل (مدح الزهد)

الزهد أحد منازل الدین و أعلی مقامات السالکین.قال اللّه سبحانه:

فَخَرَجَ عَلیٰ قَوْمِهِ فِی زِینَتِهِ ... وَ قٰالَ الَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَیْلَکُمْ ثَوٰابُ اللّٰهِ خَیْرٌ (۱).

فنسب الزهد إلی العلماء،و وصف أهله بالعلم،و هو غایه المدح.

و قال:

وَ لاٰ تَمُدَّنَّ عَیْنَیْکَ إِلیٰ مٰا مَتَّعْنٰا بِهِ أَزْوٰاجاً مِنْهُمْ زَهْرَهَ الْحَیٰاهِ الدُّنْیٰا لِنَفْتِنَهُمْ فِیهِ وَ رِزْقُ رَبِّکَ خَیْرٌ وَ أَبْقیٰ

(۲)

.

۱- ۱) القصص،الآیه:۷۹-۸۰.

۲- ۲) طه،الآیه:۱۳.

و قال: وَ مَنْ كٰانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيٰا نُؤْتِهِ مِنْهٰا وَ مٰا لَهُ فِي الْآخِرَهِ مِنْ نَصِيبٍ (۱).

و قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: «من أصبح و همه الدنيا، شتت اللّه عليه أمره،و فرق عليه ضيعته،و جعل فقره بين عينيه،و لم يؤته من الدنيا إلا ما كتب له.و من أصبح و همه الآخره،جمع اللّه له همه،و حفظ عليه ضيعته،و جعل غناه فى قلبه،و أتته الدنيا و هى راغمه»

و قال صلى اللّه عليه و آله: «إذا رأيتم العبد قد أعطى صمتا و زهدا فى الدنيا فاقتربوا منه،فإنه يلقى الحكمه».

و قال صلى اللّه عليه و آله:

«من أراد أن يؤتيه اللّه علما بغير تعلم،و هدى بغير هدايه،فليزهد فى الدنيا».

و قال صلى اللّه عليه و آله: «ازهد فى الدنيا يحبك اللّه.و ازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس»

و قال-صلى اللّه عليه و آله-لأمير المؤمنين عليه السلام: «يا على،من عرضت له دنياه و آخرته فاختار الآخره و ترك الدنيا فله الجنه،و من اختار الدنيا استخفافا بآخرته فله النار»

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «سيكون بعدى قوم لا يستقيم لهم الملك إلا بالقتل و التجبر،و لا الغنى إلا بالفخر و البخل،و لا المحبه إلا باتباع الهوى.ألا فمن أدرك ذلك الزمان منكم،فصبر على الفقر و هو يقدر على الغناء،و صبر للبغضاء و هو يقدر على المحبه،و صبر على الذل و هو يقدر على العز،لا يريد بذلك إلا وجه اللّه،أعطاه اللّه ثواب خمسين صديقا».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: بعد ما سئل على معنى شرح الصدر للإسلام-:«إن النور إذا دخل القلب انشرح له و انفسح

۱- ۱) الشورى،الآيه:۲۰.

قیل:یا رسول اللّه،و هل لذلک من علامه؟قال:«نعم!التجافی عن دار الغرور،و الإنابه إلی دار الخلود،و الاستعداد للموت قبل نزوله»

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «استحیوا من اللّه حق الحیاء»،قالوا إنا لنستحیی منه تعالی،قال:«فلیس کذلک،تبنون ما لا تسکنون، و تجمعون ما لا تأکلون».

و روی: «أنه قدم علیه بعض الوفود.و قالوا إنا مؤمنون.قال:و ما علامه إیمانکم؟فذکروا الصبر عند البلاء،و الشکر عند الرخاء،و الرضی بمواقع القضاء،و ترک الشماته بالمصیبه إذا نزلت بالأعداء.فقال-صلی اللّه علیه و آله-:إن کنتم کذلک،فلا تجمعوا ما لا تأکلون،و لا تبنوا ما لا تسکنون،و لا تنافسوا فیما عنه ترحلون»، فجعل الزهد من مکملات إیمانهم.

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «من جاء بلا إله إلا اللّه،لا یخلط معها غیرها،وجبت له الجنه»، و فسر (غیرها)(بحب الدنیا و طلبها.

و قال صلی اللّه علیه و آله: «من زهد فی الدنیا،أدخل اللّه الحکمه قلبه،فأنطق بها لسانه،و عرفه داء الدنیا و دواءها،و أخرجه منها سالما إلی دار السلام».

و روی: «أن بعض زوجاته بکت مما رأت به من الجوع،و قالت له:یا رسول اللّه،ألا تستطعم اللّه فیطعمک؟فقال:و الذی نفسی بیده!لو سألت ربی أن یجری معی جبال الدنیا ذهبا لأجراها حیث شئت من الأرض،و لکنی اخترت جوع الدنیا علی شبعها،و فقر الدنیا علی غنائها،و حزن الدنیا علی فرحها.إن الدنیا لا تنبغی لمحمد و لا لآل محمد.إن اللّه لم یرض لأولی العزم من الرسل إلا الصبر علی مکروه الدنیا و الصبر عن محبوبها،ثم لم یرض لی إلا أن یکلفنی مثل ما کلفهم،فقال:

فَاصْبِرْ کَمٰا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ

(۱)

.

۱- ۱) الاحقاف،الآیه:۳۵.

و اللّه ما لی بد من طاعته!و إنی و اللّه لأصبرن کما صبروا بجهدی و لا قوه إلا باللّه!»..

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «لا یستکمل العبد الإیمان حتی یکون ألا یعرف أحب إلیه من أن یعرف،و حتی یکون قله الشیء أحب إلیه من کثرته».

و قال-صلی اللّه علیه و آله- «إذا أراد اللّه بعبد خیرا،زهده فی الدنیا،و رغبه فی الآخره،و بصره بعیوب نفسه»

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «من اشتاق إلی الجنه سارع إلی الخیرات و من خاف من النار لهی عن الشهوات،و من ترقب الموت ترک اللذات، و من زهد فی الدنیا هانت علیه المصیبات».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-:

«إن ربی عز و جل عرض علی أن یجعل لی بطحاء مکه ذهبا،فقلت:

لا یا رب،و لکن أجوع یوما و أشبع یوما،فأما الیوم الذی أجوع فیه فأتضرع إلیک و أدعوک،و أما الیوم الذی أشبع فیه فأحمدک و أثنی علیک».

و روی: «أنه-صلی اللّه علیه و آله-:خرج ذات یوم یمشی و معه جبرئیل،فصعد علی الصفا،فقال له رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:

یا جبرئیل،و الذی بعثک بالحق!ما أمسی لآل محمد کف سویق و لا سفه دقیق فلم یتم کلامه بأسرع من أن سمع هده من السماء أفزعته،فقال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله:أمر اللّه القیامه أن تقوم؟قال:لا! و لکن هذا إسرافیل علیه السلام قد نزل إلیک حین سمع کلامک.فأتاه إسرافیل،فقال:إن اللّه-عز و جل-سمع ما ذکرت،فبعثنی بمفاتیح الأرض،و أمرنی أن أعرض علیک إن أحببت أن أسیر معک جبال تهامه زمردا و یاقوتا و ذهبا و فضه فعلت،و إن شئت نبیا ملکا،و إن شئت نبیا عبدا.فأومأ إلیه جبرئیل أن تواضع للّه.فقال:«نبیا عبدا،ثلاثا»

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «قال اللّه تعالی:إن من أغبط أولیائی عندی رجلا حفیف الحال ذا حظ من صلاه،أحسن عباده ربه بالغیب

و كان غامضا فى الناس،جعل رزقه كفافا فصبر عليه،عجلت منيته فقل تراثه و قل بواكيه»

(۱)

و عن على بن الحسين-صلوات اللّه عليهما- قال: «مر رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:براعى إبل،فبعث يستسقيه،فقال:أما ما فى ضروعها فصبوح الحى،و أما فى آنيتنا فغبوقهم فقال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: اللهم كثر ماله و ولده .ثم مر براعى غنم،فبعث إليه يستسقيه،فحلب له ما فى ضروعها و اكفأ ما فى إناءه فى إناء رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-،و بعث إليه بشاه،و قال:هذا ما عندنا،و إن أحببت أن نزيدك زدناك،قال:رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: اللهم ارزقه الكفاف .فقال له بعض أصحابه:يا رسول اللّه دعوت للذى ردک بدعاء عامتنا نحبه،و دعوت للذى أسعفک بحاجتک بدعاء كلنا نكرهه.فقال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله:إن ما قل و كفى خير مما كثر و ألهى. اللهم ارزق محمدا و آل محمد الكفاف»

(۲)

و قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الناس ثلاثه:زاهد،و صابر،و راغب.

فأما الزاهد،فقد خرجت الأحزان و الأفراح من قلبه،فلا يفرح بشىء من الدنيا و لا يأسى على شىء منها فاته،فهو مستريح.و أما الصابر، فإنه يتمناها بقلبه،فإذا نال منها ألجم نفسه عنها بسوء عاقبتها و شناءتها و لو اطلعت على قلبه لعجبت من عفته و تواضعه و حزمه.و أما الراغب، فلا يبالى من أين جاءته،من حلها أو حرامها،و لا يبالى ما دنس فيها عرضه و أهلك نفسه و اذهب مروته،فهم فى غمرته يعمهون و يضطربون».

و قال عليه السلام: «إن من أعون الأخلاق على الدين الزهد فى الدنيا»

ص :۶۲

---

۱ - ۱) صححنا الحديث على(الكافى):باب الكفاف.قال فى(الوافى): الحفيف-بالمهمله-:العيش السوء و قله المال.و الغامض:الخامل الذليل.

۲- ۲) صححنا الحديث على ما فى(أصول الكافى):باب الكفاف.

و قال علیه السلام: «من جمع ست خصال لم یدع للجنه مطلبا و لا عن النار مهربا:عرف اللّه فأطاعه،و عرف الشیطان فعصاه،و عرف الدنیا فترکها،و عرف الآخره فطلبها،و عرف الباطل فاتقاه،و عرف الحق فاتبعه».

و قال-علیه السلام-: «من اشتاق الجنه سارع إلی الخیرات و من خاف النار نهی عن الشهوات،و من ترقب الموت ترک اللذات، و من زهد فی الدنیا هانت علیه المصیبات».

و قال علیه السلام: «إن علامه الراغب فی ثواب الآخره زهده فی عاجل زهره الدنیا،أما إن زهد الزاهد فی هذه الدنیا لا ینقصه مما قسم اللّه عز و جل له فیها و إن زهد و إن حرص الحریص علی عاجل زهره الدنیا لا یزیده فیها و إن حرص.فالمغبون من حرم حظه من الآخره (۱)

و قال علی بن الحسین-علیهما السلام-: «ما من عمل بعد معرفه اللّه عز و جل و معرفه رسوله صلی اللّه علیه و آله أفضل من بغض الدنیا...الحدیث»

(۲)

و قال الباقر علیه السلام: «أکثر ذکر الموت،فإنه لم یکثر إنسان ذکر الموت إلا زهد فی الدنیا».

و قال علیه السلام: «قال اللّه تعالی:و عزتی و جلالی و عظمتی و بهائی و علو ارتفاعی لا یؤثر عبد مؤمن هوای علی هواه فی شیء من أمر الدنیا،إلا جعلت غناه فی نفسه،و همته فی آخرته،و ضمنت السماوات و الأرض رزقه، و کنت له من وراء تجاره کل تاجر».

و قال علیه السلام: «أعظم الناس قدرا من لا یناول الدنیا فی ید من کانت،فمن کرمت علیه نفسه صغرت الدنیا فی عینیه،و من هانت علیه نفسه کبرت الدنیا فی عینیه».

و قال الصادق-علیه السلام-: «جعل الخیر کله فی بیت،و جعل

۱- ۱) صححنا الحدیث علی(الکافی):باب ذم الدنیا.

۲- ۲) الحدیث مروی فی(أصول الکافی):باب ذم الدنیا و قد مضی ذکره فی صفحه ۳۲.

مفتاحه الزهد فی الدنیا».

و قال-علیه السلام-: «ما کان شیء أحب إلی رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-من أن یظل خائفا جائعا فی اللّه تعالی».

و قال علیه السلام: «إذا أراد اللّه بعبد خیرا،زهده فی الدنیا و فقهه فی الدین،و بصره عیوبها.و من أوتیهن فقد أوتی خیر الدنیا و الآخره

و قال علیه السلام: «لم یطلب أحد الحق بباب أفضل من الزهد فی الدنیا و هو ضد لما طلب أعداء الحق،قلت:جعلت فداک،مما ذا؟قال:

من الرغبه فیها،و قال:ألا من صبار کریم؟فإنما هی أیام قلائل ألا إنه حرام علیکم أن تجدوا طعم الإیمان حتی تزهدوا فی الدنیا (۱)

و قال علیه السلام: «الزهد مفتاح باب الآخره و البراءه من النار،و هو ترکک کل شیء یشغلک عن اللّه من غیر تأسف علی فوتها،و لا إعجاب فی ترکها،و لا انتظار فرج منها و لا طلب محمده علیها،و لا عوض منها، بل یری فوتها راحه و کونها آفه و یکون أبدا هاربا من الآفه معتصما بالراحه و الزاهد الذی یختار الآخره علی الدنیا و الذل علی العز و الجهد علی الراحه و الجوع علی الشبع و عافیه الآجل علی محبه العاجل و الذکر علی الغفله، و تکون نفسه فی الدنیا و قلبه فی الآخره»،

و قال الرضا علیه السلام:

«من أصبح و أمسی معافی فی بدنه،آمنا فی سربه،عنده قوت یومه فکأنما خیرت له الدنیا».

و کفی للزهد فضیله و مدحا أنه أعرف صفات الأنبیاء و الأولیاء، و لم یبعث نبی إلا به،و لو لم یتوقف التقرب إلی اللّه و النجاه فی دار الآخره علیه،لما ضیق عظماء نوع الإنسان و أعرف الناس بحقیقه الحال علی أنفسهم فی فطامها عن شهوات الدنیا و لذاتها.

فانظر إلی کلیم اللّه موسی-علیه السلام-کیف کان غالب قوته نبت

۱- ۱) صححنا الحدیث علی(الکافی):باب ذم الدنیا.

الأرض و أوراق الأشجار،و كان ضعف بدنه من كثره رياضته،بحيث ترى الخضره من صفاق بطنه،كما أخبر به أمير المؤمنين- عليه السلام- فى نهج البلاغه.

ثم انظر إلى روح اللّه عليه السلام كيف يلبس الشعر و يأكل الشجر،و لم يكن له ولد يموت و لا بيت يخرب و لا يدخر لغد، أينما يدركه المساء نام،و قال له الحواريون يوما:يا نبى اللّه لو أمرتنا أن نبنى بيتا تعبد اللّه فيه»،قال«اذهبوا فابنوا بيتا على الماء»فقالوا:

كيف يستقيم بنيان على الماء؟قال:«فكيف تستقيم عباده على حب الدنيا»

و روى: «أنه اشتد به يوما المطر و الرعد و البرق،فجعل يطلب بيتا يلجأ إليه،فرفعت إليه خيمه من بعيد فأتاها فإذا فيها امرأه فحاد عنها فإذا هو بكهف فى جبل فأتاه فإذا فيه أسد،فوضع يده عليه و قال:

«إلهى جعلت لكل شىء مأوى و لم تجعل لى مأوى»فأوحى اللّه إليه«مأواك فى مستقر من رحمتى،لأزوجنك يوم القيامه ألف حوراء خلقتها بيدى، و لأطعمنك فى عرسك أربعه آلاف عام،يوم منها كعمر الدنيا،و لآمرن مناديا ينادى أين الزهاد فى الدنيا،زوروا عرس الزاهد عيسى بن مريم».

ثم انظر إلى يحيى بن زكريا،حيث يلبس المسوح حتى ثقب جلده تركا للتنعم بلين اللباس و استراحه حس اللمس فسألته أمه أن يلبس مكانها جبه من صوف ففعل،فأوحى اللّه إليه:«يا يحيى آثرت على الدنيا»، فبكى و نزع الصوف و عاد إلى ما كان عليه.

ثم افتح بصيرتك و تأمل فى سيره رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله- و زهده فى الدنيا،فإنه لبث فى النبوه ما لبث،و لم يشبع هو و أهل بيته غدوه إلا جاعوا عشيه،و لم يشبعوا عشيه إلا جاعوا غدوه،و لم يشبع من التمر هو و أهل بيته حتى فتح اللّه عليهم خيبر،

و قرب إليه يوما طعاما على مائده فيها ارتفاع،فشق ذلك عليه حتى تغير لونه،فأمر بالمائده

فرفعت و وضع الطعام على الأرض،و كان ينام على عباءه مثنيه فثنوها له ليله أربع طاقات فنام عليها،فلما استيقظ قال منعتمونى قيام الليله هذه بهذه العباءه اثنوها باثنتين كما كنتم تثنونها،و كان يضع ثيابه لتغسل فيأتيه بلال فيؤذنه بالصلاه فما يجد ثوبا يخرج به إلى الصلاه حتى تجف ثيابه فيخرج بها إلى الصلاه.

و روى: «أن امرأه من بنى ظفر صنعت له صلى اللّه عليه و آله كساءين إزارا و رداء و بعثت إليه بأحدهما قبل أن يبلغ الآخر فخرج إلى الصلاه و هو مشتمل به ليس عليه غيره قد عقد طرفيه إلى عنقه فصلى كذلك».

و شده زهد على عليه السلام و تركه الدنيا أشهر من أن يحتاج إلى بيان،و كذا من بعده من الأئمه الراشدين و الأصحاب و التابعين و غيرهم من أكابر الدين و السلف الصالحين،حتى كان أحدهم يعيش خمسين سنه و ستين لم يطو له ثوب و لم ينصب له قدر و لم يجعل بينه و بين الأرض شيئا و لا أمر من فى بيته بصنعه طعام،فعلى أطرافهم يقومون و وجوهم على الأرض يفترشون تجرى دموعهم على خدودهم و يناجون ربهم فى فكاك رقابهم من النار.

و قد حكى أن بعض الخلفاء أرسل إلى بعضهم بعشره آلاف درهم فلم يقبلها فشق ذلك على أهله،فقال أ تدرون؟ما مثلى و مثلكم إلا كمثل قوم كانت لهم بقره يحرثون عليها فلما هرمت ذبحوها لينتفعوا بجلدها، فكذلك أنتم أردتم ذبحى على كبر سنى فموتوا جوعا خير لكم من أن تذبحونى.و قد بلغ بعضهم من الزهد بحيث يطلب لقيام الليل موضعا لا يصيبه نسيم الأسحار خيفه من الاستراحه به.و كان لبعضهم حب مكسور،فيه ماؤه،لا يرفعه من الشمس و يشرب الماء الحار و يقول من وجد لذه الماء البارد يشق عليه مفارقه الدنيا.

فيا حبيبى أفق من سكر الهوى و اعرف المضاده التى بين الآخره و الدنيا،و اقتد بالواقفين على جليه الحال و المطلعين على حقيقه المآل فى المواظبه على الزهد و التقوى و فطام النفس عن لذائذ الدنيا،فإن ذلک و إن كان شاقا فمدته قريبه،و الاحتماء مده يسيره للتنعم على التأييد لا يثقل على أهل المعرفه القاهرين أنفسهم بسياسه الشرع المبين المعتصمين بعروه اليقين بما وعد اللّه فى الآخره لعباده الزاهدين.

فصل (اعتبارات الزهد و درجاته)

اعلم أن للزهد اعتبارات تتحقق له بكل اعتبار درجات:

(الأول)اعتبار نفسه

أى من حيث نفس الترک للدنيا و بهذا الاعتبار له درجات ثلاث: (الأولى)أن يزهد فى الدنيا مع ميله إليها و حبه لها بأن يكف نفسه عنها بالمجاهده و المشقه،و هذا هو التزهد. (الثانيه) أن يترک الدنيا طوعا و سهوله من دون ميل إليها لاستحقاره إياها بالإضافه إلى ما يطمع فيه من لذات الآخره،و هذا كالذى يترک درهما لأجل درهمين معاوضه فإنه لا يشق عليه ذلک و إن كان يحتاج إلى قليل انتظار،و مثله ربما أعجب بنفسه و بزهده لاحتمال أن يظن بنفسه أنه ترک شيئا له قدر لما هو أعظم قدرا منه. (الثالثه)و هى أعلى الدرجات أن يترک الدنيا طوعا و شوقا و لا يرى أنه ترک شيئا،إذ عرف أن الدنيا لا شى فيكون كمن ترک خنفساء و أخذ ياقوته صافيه حمراء،فلا يرى ذلک معاوضه و لا يرى نفسه تاركا شيئا و سبب هذا الترک كمال المعرفه،فان العارف على يقين بأن الدنيا بالإضافه إلى اللّه و نعيم الآخره أخس من خنفساء بالنظر

إلى ياقوته،هذا الزاهد فى أمن من خطر الالتفات إلى الدنيا،كما أن تارك الخنفساء بالياقوته فى أمن من طلب الإقاله فى البيع.

و قد ذكر أرباب القلوب من أهل المعرفه أن مثل تارك الدنيا بالآخره مثل من منعه عن باب الملك كلب يكون فى بابه فألقى إليه لقمه خبز نالها من موائد الملك فشغله بنفسه و دخل الباب و نال غايه القرب من الملك حتى نفذ أمره فى جميع مملكته،أ فترى أنه يرى لنفسه عوضا عند الملك بلقمه خبز ألقاها إلى كلب فى مقابله ما يناله مع كون هذه اللقمه أيضا من الملك.فالشيطان كلب على باب اللّه يمنع الناس من الدخول،مع أن الباب مفتوح و الحجاب مرفوع و الدنيا كلقمه خبز إن أكلها فلذتها فى حال المضغ و تنقضى على القرب بالابتلاع ثم يبقى ثقله فى المعده ثم ينتهى إلى النتن و القذر و يحتاج إلى إخراجه،فمن تركها لينال عز الملك كيف يلتفت إليها.و لا ريب فى نسبه الدنيا لكل شخص أعنى ما يسلم له منها و إن عمر ألف سنه بالإضافه إلى نعيم الآخره أقل من لقمه بالإضافه إلى ملك الدنيا،إذ لا نسبه للمتناهى إلى غير المتناهى،و الدنيا متناهيه،و لو كانت تتمادى ألف ألف سنه صافيه عن كل كدوره لكان لا نسبه لها إلى الأبد فكيف و مده العمر قصيره و لذاتها مكدره غير صافيه فأى نسبه لها أى نعيم الأبد.

(الثانى)اعتبار المرغوب عنه

أعنى ما يترك و بهذا الاعتبار له خمس درجات:

(الأولى)أن يترك المحرمات و هو الزهد فى الحرام،و يسمى زهد فرض.

(الثانیه)أن یترک المشتبهات أیضا و هو الزهد فی الشبهه،و یسمی زهد سلامه.

(الثالثه)أن یزهد فی الزائد عن قدر الحاجه من الحلال أیضا و لا یزهد فی التمتع بالقدر الضروری من المطعم و الملبس و المسکن و أثاثه و المنکح و ما هو وسیله إلیها من المال و الجاه،و إلی هذه الدرجات کلا أو بعضا

أشار مولانا أمیر المؤمنین علیه السلام بقوله: «کونوا علی قبول العمل أشد عنایه منکم علی العمل،الزهد فی الدنیا قصر الأمل و شکر کل نعمه و الورع عن کل ما حرم اللّه عز و جل»

(۱)

و مولانا الصادق علیه السلام بقوله:

«الزهد فی الدنیا لیس بإضاعه المال و لا تحریم الحلال بل الزهد فی الدنیا ألا تکون بما فی یدک أوثق بما فی ید اللّه عز و جل»

(۲)

و هذا مع ما یأتی بعده هو الزهد فی الحلال،و یسمی زهد ثقل.

(الرابعه)أن یترک جمیع ما للنفس فیه تمتع و یزهد فیه و لو فی قدر الضروره،لا بمعنی ترک هذا القدر بالمره،إذ ذلک متعذر،بل ترکه من حیث التمتع به و إن ارتکبه اضطرارا من قبیل أکل المیته مع الإکراه له باطنا،و هذا یتناول ترک جمیع مقتضیات الطبع من الشهوه و الغضب و الکبر و الرئاسه و المال و الجاه و غیرها،و إلی هذه الدرجه

أشار الصادق علیه السلام بقوله: (الزاهد فی الدنیا الذی یترک حلالها مخافه حسابه و یترک حرامها مخافه عذابه) و إلیها یرجع

قول أمیر المؤمنین علیه السلام: (الزهد کله بین کلمتین من القرآن قال اللّه سبحانه:

ص :۶۹

۱- ۱) صحِحنا الحدیث علی ما فی البحار الجزء الثانی من المجلد الخامس عشر فی باب الزهد ص ۱۰۱.

۲- ۲) صححنا الحدیث علی ما فی سفینه البحار ج ۱ ص ۵۶۸.

لِكَيْلاٰ تَأْسَوْا عَلىٰ مٰا فٰاتَكُمْ وَ لاٰ تَفْرَحُوا بِمٰا آتٰاكُمْ

(۱)

.

فمن لم يأس على الماضى و لم يفرح بالآتى فقد أخذ الزهد بطرفيه (۲)

و قوله عليه السلام (الزهد فى الدنيا ثلاثه أحرف:زاء و هاء و دال أما الزاء فترك الزينه و أما الهاء فترك الهوى و أما الدال فترك الدنيا».

(الخامسه)أن يترك جميع ما سوى اللّه و يزهد فيه حتى فى بدنه و نفسه أيضا بحيث كان ما يصحبه و يرتكبه فى الدنيا إلجاء و إكراها من دون استلذاذ و تمتع به،و إلى هذه الدرجه

أشار مولانا الصادق-عليه السلام-فى كلامه المنقول سابقا(ص ۶۲)حيث قال: «الزهد مفتاح باب الآخره و البراءه من النار و هو تركك كل شىء يشغلك عن اللّه من غير تأسف على فوقها و لا إعجاب فى تركها و لا انتظار فرج منها و لا طلب محمده عليها و لا عوض منها بل يرى فوتها راحه و كونها آفه» إلى آخر الحديث (۳).

ثم الالتفات إلى بعض ما سوى اللّه و الاشتغال به ضرورى كضروره الأكل و اللبس و مخالطه الناس و مكالمتهم و أمثال ذلك،لا ينافى هذه المرتبه من الزهد، إذ معنى الانصراف من الدنيا إلى اللّه تعالى إنما هو الإقبال بكل القلب إليه

۱- ۱) الحديد الآيه ۲۳.
۲- ۲) هذا الحديث مروى فى البحار الجزء الثانى من المجلد الخامس عشر فى باب الزهد ص ۱۰۳.
۳- ۳) صححنا الحديث هنا و هناك على ما فى البحار الجزء الثانى من المجلد الخامس عشر فى باب الزهد ص ۱۰۰ و الحديث منقول فيه عن مصباح الشريعه الذى تقدم ذكره فى الجزء الأول ص ۱۲۱،۲۵۴.

تعالی ذکرا و فکرا،و هذا لا یتصور بدون البقاء و لا بقاء إلا بضرورات المعیشه،فمتی اقتصر من الدنیا علیها قصدا لدفع المهلکات عن البدن و الاستعانه بالبدن علی العباده و سائر ما یقربه إلی اللّه لم یکن مشتغلا بغیر اللّه،إذ ما لا یتوصل إلی الشیء إلا به فهو منه،فالمشتغل بعلف دابته فی طریق الحج لیس معرضا عن الحج،و لکن ینبغی أن یکون البدن فی طریق اللّه مثل الدابه فی طریق الحج،فکما أن قصدک من تهیئه ما تحتاج إلیه دابتک دفع المهلکات عنها حتی تسیر بک إلی مقصدک دون تنعمها، فکذلک ینبغی أن یکون قصدک من الأکل و الشرب و اللباس و السکنی صیانه بدنک عما یهلکک من الجوع و العطش و الحر و البرد فتقتصر علی قدر الضروره و تقصد به التقوی علی طاعه اللّه دون التلذذ و التنعم،و ذلک لا ینافی الزهد بل هو شرطه، ثم ترتب التلذذ علی ذلک لا یضرک إذا لم یکن مقصودا بالذات لک فإن الإنسان قد یستریح فی قیام اللیل بنسیم الأسحار و صوت الطیور و هذا لا یضر بعبادته إذا لم یقصد طلب موضع خاص لهذه الاستراحه علی أنه لا لذه حقیقه فی الأکل و الشرب و اللباس و إنما تندفع بها آلام الجوع و العطش و الحر و البرد.

ثم لا یخفی أن الفضول من أمور الدنیا من المطعم و المشرب و الملبس و المسکن و أثاثه و المنکح و المال و الجاه ینبغی ترکها و الزهد فیها إذ الأخذ بما لا یحتاج إلیه ینافی الزهد.(و أما)غیر الفضول مما یحتاج إلیه الإنسان و یکون مهما له من الأمور الثمانیه،فینبغی ألا یترک الزهد فیها،إذ ما هو المهم الضروری یتطرق إلیه فضول فی مقداره و جنسه و أوقاته فینبغی ألا یترک الزهد فیه أیضا.

و مقتضی غایه الزهد فیه أن یقتصر من القوت علی قوت یومه و لیلته فإن کان عنده أزید من ذلک فلیبذله علی بعض المستحقین،فإن اقتصر من

جنسه على خبز الشعير فهو نهايه الزهد فى القوت،إلاـ أن أكل خبز الحنطه فى بعض الأحيان بل أكل أدام واحد فى بعض الأوقات إذا لم يكن من اللذائذ الشديده من أطعمه المتنعمين من أهل الدنيا لا ينافى الزهد،و ربما لم يكن أكل اللحم فى بعض الأحيان منافيا له.و يقتصر من(اللباس) بعد كونه من القطن أو الصوف على ما يستر الأعضاء و يحفظها من الحر و البرد و لا بأس بكونه اثنين ليلبس الآخر عند غسل أحدهما.و من(المسكن) على ما يحفظ نفسه و أهله من الحر و البرد.و من(أثاثه)أعنى الفرش و الظرف و القدر و الكوز و أمثال ذلك،ما يدفع حاجته من غير تعد إلى ما يمكن زوال ضرورته بدونه.و من(المنكح)على ما تنكسر به سوره شبقه و يحفظه عن النظر و الوساوس الشهويه المانعه عن الحضور فى العبادات و من(المال)على ما يقتضى به حاجه يومه بليلته فإن كان كاسبا فإذا اكتسب حاجه يومه فليترك كسبه و يشتغل بأمر الدين،و إن كانت له ضيعه و لم يكن له مدخل آخر يمكن أن يصل إليه كل يوم قدر حاجته فيه فالظاهر عدم خروجه عن الزهد بامساك قدر ما يكفى لسد رمقه بسنه واحده بشرط أن يتصدق بكل ما يفضل من كفايه نفقته.و ربما قيل إن مثله من ضعفاء الزهاد،بمعنى أن ما وعد للزاهدين فى الدار الآخره من المقامات العاليه و الدرجات الرفيعه لا يناله،و إن صدق عليه كونه زاهدا،إذ مثله ليس له قوه اليقين،لأن صاحب اليقين الواقعى إذا كان له قوت يومه لا يدخر شيئا لغده و من شرط التوكل فى الزهد،فلا يكون هذا من الزهاد عنده.و هذا غايه الزهد فى الأمور المذكوره،و عليه جرت طوائف الأنبياء و زمره الأوصياء و من بعدهم من السلف الأتقياء. و الحق أن حكم الزهد فيها يختلف باختلاف الأشخاص و الأوقات فإن أمر المتفرد فى جميع ذلك أخف من أمر المعيل،و من قصر جميع همه على تحصيل العلم و العمل و لم

يقدر على كسب،حاله يخالف حال أهل الكسب،و كذا فى بعض الأوقات و فى بعض الأماكن يمكن تحصيل قدر الحاجه فى كل يوم و فى بعض آخر منها لا يمكن ذلك،فاللائق لكل أحد أن يلاحظ حاله و وقته و مكانه و يتأمل فى أن الأصلح بأمر آخرته و الأعون على تحصيل ما خلق لأجله إمساك أى قدر من المال و صرف أى قدر و جنس من القوت، بحيث لو كان أقل منه لم يتمكن من تحصيل ما يقربه إلى ربه فيأخذ به و يترك الزائد،فإن بعد صحه النيه و خلوص القصد فى ذلك لا يخرج به عن الزهد الواقعى و إن تصور الاكتفاء بأقل من ذلك مع إيجابه لفقد ما هو أهم فى تكميل النفس.

و أما(الجاه)فقد تقدم أن القدر الضرورى منه فى أمر المعيشه كتحصيل منزله فى قلب خادمه ليخدمه،و فى قلب السلطان ليدفع الأشرار عنه،لا بأس به،فالظاهر عدم منافاه هذا القدر للزهد،و قال بعض العلماء:(هذا القدر و إن لم يكن به بأس إلا أنه يتمادى إلى هاويه لا عمق لها و من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه)و إنما يحتاج إلى المحل فى القلوب إما لجلب نفع أو لدفع ضرر أو لخلاص من ظلم،أما النفع فيغنى عنه المال فإن من يخدم بأجره يخدم و إن لم يكن لمستأجره عنده قدر، و إنما يحتاج إلى الجاه فى قلب من يخدم بغير أجره،و معلوم أن من أراد أن يخدم بغير أجره فهو من الظالمين فكيف يكون من الزاهدين. و أما دفع الضرر فيحتاج لأجله إلى الجاه فى بلد لا يكمل العدل فيها و أن يكون بين جيران يظلمونه و لا يقدر على دفع شرهم إلا بمحل له فى القلوب أو محل له عند السلطان.و قدر الحاجه فيه لا ينضبط لا سيما إذا انضم إليه الخوف و سوء الظن بالعواقب،و الخائض فى طلب الجاه سالك طريق الهلاك، بل حق الزاهد ألا يسعى لطلب المحل فى القلوب أصلا،فإن اشتغاله بالدين

و العباده یمهد له من المحل فی القلوب ما یدفع عنه الأذی و لو کان بین الکفار فکیف بین المسلمین.و أما التوهمات و التقدیرات التی تخرج إلی الزیاده فی الجاه علی الحاصل بغیر کسب فهی أوهام کاذبه،إذ من طلب الجاه أیضا لم یخل عن أذی فی بعض الأوقات فعلاج ذلک بالاحتمال و الصبر أولی من علاجه بطلب الجاه،فإذن طلب المحل فی القلوب لا رخصه فیه أصلا و الیسیر منه داع إلی الکثیر و ضراوته أشد من ضراوه الخمر فلیحترز من قلیله و کثیره،نعم ما أعطاه اللّه لبعض عبیده من دون سعیه فی طلبه لنشر دینه أو لاتصافه ببعض الکمالات المختصه لحصول منزله له فی القلوب فلیس به بأس و لا ینافی الزهد،فإن جاه رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-کان أوسع الجاه مع کونه أزهد الناس.

و الحق کما تقدم أن الجاه کالمال فی نفی البأس من قدر یضطر إلیه الإنسان إذا وقع فی زمان أو بلد توقف أمر معیشته علیه،فالقدر الضروری منهما غیر محذور و غیر مناف للزهد،و الزائد علی الحاجه سم قاتل،فلا ینبغی أن ینسب المقتصر علی الضروره إلی الدنیا،بل ذلک القدر من الدین لأنه من شرطه و الشرط من جمله المشروط،و یدل علیه

ما روی أن إبراهیم علیه السلام أصابته حاجه فذهب إلی صدیق له یستقرض شیئا فلم یقرضه فرجع مهموما،فأوحی اللّه تعالی إلیه:(لو سألت خلیلک لأعطاک)، فقال یا رب:(عرفت مقتک للدنیا فخفت أن أسألک منها)،فأوحی اللّه إلیه:(لیس الحاجه من الدنیا) و یدل علیه أیضا کلام الصادق-علیه السلام-مع سفیان الثوری کما أورده بطوله شیخنا الأقدم رحمه اللّه فی جامعه الکافی.

فإذن قدر الحاجه من الدین و ما وراءه وبال فی الآخره،بل فی الدنیا أیضا،و یعرف ذلک بالتأمل فی أحوال الأغنیاء و ما علیهم من المحنه

فی کسب المال و جمعه و حفظه و تحمل الذل فیه،و غایه سعادته أن یترکه لورثته،فیأکلونه و هم أعداؤه،أو یستعینون به علی المعصیه،فیکون معینا لهم علیها،و لذلک شبه جامع الدنیا و تابع الشهوات بدود القز،لا یزال ینسج علی نفسه حتی یقتلها،ثم یروم الخروج فلا یجد مخلصا فیموت و یهلک بسبب العمل الذی عمله بنفسه کما قیل فی ذلک:

أ لم تر أن المرء طول حیاته

معنی بأمر لا یزال یعالجه

کدود کدود القز ینسج دائما

و یهلک غما وسط ما هو ناسجه

فکل مکب علی الدنیا متبع للشهوات لا یزال یقید نفسه بسلاسل و أغلال لا یقدر علی قطعها،إلی أن یفرق ملک الموت بینه و بین شهواته دفعه، فتبقی السلاسل من قلبه معلقه بالدنیا التی فاتته و خلفها،و هی تجاذبه إلی الدنیا،و مخالب ملک الموت قد تعلقت بعروق قلبه تجذبه إلی الآخره فأهون أحواله عند الموت أن یکون مثل شخص ینشر بالمناشیر و یفصل أحد جانبه عن الآخر.فهذا أول عذاب یلقاه قبل ما یراه من حسرات نزوله فی أسفل السافلین و منعه عن أعلی علیین و جوار رب العالمین.فبالنزوع إلی الدنیا یحجب عن لقاء اللّه،و عند الحجاب تتسلط علیه نار جهنم،إذ النار لکل محجوب معده،کما قال اللّه تعالی:

کَلاّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ یَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ. ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصالُوا الْجَحِیمِ

(۱)

.

و لما انکشف لأرباب القلوب أن العبد یهلک نفسه باتباع الهوی و الخوض فی الدنیا إهلاک دود القز نفسه،رفضوا الدنیا بالکلیه.فنسأل

۱- ۱) المطففین،الآیه:۱۵-۱۶.

اللّه تعالى أن يقرر فى قلوبنا ما نفث فى روع حبيبه صلى اللّه عليه و آله، حيث أوحى إليه:«أحبب ما أحببت،فإنك مفارقه».

(الثالث)اعتبار المرغوب فيه:أعنى ما يترك لأجله.

و له بهذا الاعتبار ثلاث درجات. الأولى:أن يكون المرغوب فيه النجاه من النار و سائر عذاب الآخره،و هذا زهد الخائفين. الثانيه:أن يكون ثواب اللّه و نعيم الجنه،و هذا زهد الراجين. الثالثه:و هى الدرجه العليا:ألا تكون له رغبه إلا فى اللّه و فى لقائه،فلا يلتفت إلى الآلام ليقصد منها الخلاص و لا إلى اللذات ليقصد نيلها،بل كان مستغرق الهم باللّه،و هذا زهد العارفين،لأنه لا يحب اللّه خاصه إلا من عرفه بصفاته الكماليه.فكما أن من عرف الدينار و الدرهم،و علم أنه لا يقدر على الجمع بينهما،لم يحب إلا الدينار.كذلك من عرف اللّه،و عرف لذه النظر إلى وجهه الكريم و عرف أن الجمع بين تلك اللذه و لذه التنعم بالحور العين و النظر إلى القصور و خضره الأشجار غير ممكن،فلا يحب إلا لذه النظر و لا يؤثر غيره.

و قال بعض العرفاء:و لا تظنن أن أهل الجنه عند النظر إلى وجه اللّه تعالى يبقى للذه الحور و القصور متسع فى قلوبهم،بل تلك اللذه بالإضافه إلى لذه نعيم الجنه،كلذه ملك الدنيا و الاستيلاء على أطراف الأرض و رقاب الخلق،بالإضافه إلى لذه الاستيلاء على عصفور و اللعب به و الطالبون لنعيم الجنه،عند أهل المعرفه و أرباب القلوب،كالصبى الطالب للعب بالعصفور التارك للذه الملك،و ذلك لقصوره عن إدراك لذه الملك،لا لأن اللعب بالعصفور فى نفسه أعلى و ألذ من الاستيلاء بطريق الملك على كافه الخلق.

تتميم الزهد الحقيقى

لا تظنن أن كل من يترك مال الـدنيا أنه زاهد،فإن ترك المال و إظهار التضـييق و الخشونه فى المأكل و الملبس سـهل على من أحب المدح بالزهد.

فكم من الرهبـان و المرائين تركوا مال الـدنيا و روضوا (۱)أنفسـهم كل يوم على قدر قليل من القوت،و اكتفوا من المسـكن بأى موضع اتفق لهم، و كان غرضـهم من ذلك أن يعرفهم الناس بالزهد و يمدحهم عليه،فهم تركوا المال لنيل الجاه.فالزهد الحقيقى ترك المال و الجاه،بل جميع حظوظ النفس من الـدنيا.و علامه ذلك اسـتواء الغنى و الفقر و الـذم و المـدح و الذل و العز لأجل غلبه الأنس باللّه،إذ ما لم يغلب على القلب الأنس باللّه و الحب له لم يخرج عنه حب الـدنيا بكليته.إذ محبه اللّه و محبه الـدنيا فى القلب كالماء و الهواء فى القـدح،فإذا دخل أحدهما خرج الآخر،فكلاهما لا يجتمعان و لا يرتفعان أيضا.فالقلب المملوء من حب الـدنيا يكون خاليا عن حب اللّه،كما أن القلب المشـغول بحب اللّه و أنسه فارغ عن حب الدنيا و بقدر ما يقدر ما يخرج أحدهما يدخل الآخر و بالعكس.

و منها: الغنى

اشاره

ص: ۷۷

۱- ۱) فى بعض النسخ(ردوا)،و فى بعض آخر(رودوا).و الظاهر أن الصحيح ما أثبتناه.

و هو وجود كل ما يحتاج إليه من الأموال،و هذا أقل مراتبه،و فوق ذلك مراتب لا تحصى،حتى ينتهى إلى جمع أكثر أموال الدنيا،كما اتفق لبعض الملوك.

ثم (الغنىّ)إما أن يكون بحيث يسعى فى طلب المال و جمعه و يتعب فى تحصيله و يكره خروجه عن يده و يتأذى به،و هذا غنى حريص.أو يكون بحيث لا يتعب و لا يسعى فى تحصيله،إلا أنه لما أتاه أخذه و فرح به، مع تأذيه بفقده و كراهته له،و هذا أيضا لا يخلو عن الحرص لحزنه بفقده أو يكون بحيث لا يتعب فى طلبه و لا يرغب فيه رغبه يفرح بحصوله و يتأذى بفقده،و لكن لما أتاه رضى به:إما مع تساوى وجوده و عدمه أو مع كون وجوده أحب إليه من عدمه،و مثله الغنى الراضى و القانع.

و أيضا الغنى إما أن يكون جميع ماله حلالا،أو يكون بعضه أو كله حراما.

و أيضا إما يمسكه غايه الإمساك،بحيث لا يؤدى شيئا من حقوقه الواجبه و المستحبه،أو ينفقه فى مصارفه اللائقه.و للإنفاق مراتب شتى:

أدناها أن يؤدى الحقوق الواجبه،و أعلاها أن يبذل كلما يزيد عن أقل مراتب الغنى،بحيث لو تعدى عنه يسيرا صار فقيرا.

فصل ذم الغنى

الغنى الحاصل من الحلال،مع بـذل ما يفضل عن أقل مرتبته فى المصارف اللائقه و مساواه وجوده و عـدمه عند صاحبه،سالم من الآفـات و الأخطـار.و غير ذلـك من أقسـامه لاـ يخلو عن آفه أو خطر،و حبه بعض أفراد حب الـدنيا،بـل هو راجع إلى حب المال بعينه،فيدل على ذمه ما ورد فى ذمهما.و قد ورد فى ذمه بخصوصه بعض الآيات و الأخبار،قال اللّه سبحانه:

إِنَّ الْإِنْسانَ لَيَطْغىٰ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنىٰ

(١)

.

و قيل لرسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:أىّ أمتك أشر؟قال:

«الأغنياء».

و قال-صلى اللّه عليه و آله لبلال:«ألق اللّه فقيرا، و لا تلقه غنيا».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «يدخل فقراء أمتى الجنه قبل أغنيائهم بخمسمائه عام».

و قـال صـلى اللّه عليه و آله: «اطلعت على الجنه،فرأيت أكثر أهلهـا الفقراء.و اطلعت على النـار،فرأيت أكثر أهلهـا الأغنيـاء».و فى طريق:«فقلت:أين الأغنياء؟فقال:حسبهم الجد».

و أوحى اللّه تعالى إلى موسى«يا موسى،إذا رأيت الفقر مقبلا،فقل:

مرحبا بشعار الصالحين،و إذا رأيت الغنى مقبلا،فقل:ذنب عجلت عقوبته».

و روى: «أنه ما من يوم إلا و ملك ينادى من تحت العرش:

يا ابن آدم،قليل يكفيك خير من كثير يطغيك».

و قال عيسى-عليه السلام-: «بشده يدخل الغنى الجنه».

١- ١) العلق،الآيه:۶-٧.

وصل الفقر

ضد الغنى(الفقر).و هو فقد ما يحتاج إليه.و لا يسمى فقد ما لا حاجه إليه فقرا.فإن عمم ما يحتاج إليه و لم يخص بالمال،لكان كل موجود ممكن محتاجا،لاحتياجه إلى دوام الوجود و غيره من الحاجات المستفاده من اللّه سبحانه،و انحصر الغنى بواحد واجب لذاته و مفيد لوجود غيره من الموجودات،أعنى اللّه سبحانه.فهو الغنى المطلق،و سائر الأشياء الموجوده فقراء محتاجون.و قد أشير إلى هذا الحصر فى الكتاب الآلهى بقوله تعالى:

وَ اللّٰهُ الْغَنِيُّ وَ أَنْتُمُ الْفُقَرٰاءُ

(١)

.

و إن خص بالمال لم يكن كل الناس فقراء،بل من فقد المال الذى هو محتاج إليه كان فقيرا بالإضافه إليه،و الفقر بهذا المعنى هو الذى نريد بيانه هنا.

فصل اختلاف أحوال الفقراء

(الفقير)إما أن يكون راغبا فى المال محبا له،بحيث لو وجد إليه سبيلا لطلبه،و لو بالتعب و المشقه،و إنما ترك طلبه لعجزه منه،و يسمى هذا فقيرا(حريصا).

١- ١) محمد-صلى اللّه عليه و آله-،الآيه:٣٧.

أو يكون وجود المال أحب إليه من عدمه،و لكن لم يبلغ حبه له حدا يبعثه على طلبه،بل إن أتاه بلا طلب أخذه و فرح به،و إن افتقر إلى سعى فى طلبه لم يشتغل به،و يسمى هذا فقيرا(قانعا).

أو يكون بحيث لا يحبه و لا يرغب فيه،و يكره وجوده و يتأذى به، و لو أتاه هرب منه،مبغضا له و محترزا عن شره،و يسمى هذا فقيرا (زاهدا).فإعراضه عنه و عدم سعيه فى محافظته و ضبطه لو وجده، إن كان لخوف العقاب فهو(فقر الخائفين).و إن كان لشوق الثواب فهو(فقر الراجين).و إن كان لعدم التفاته اللازم لإقباله على اللّه تعالى بشراشره من دون غرض دنيوى أو أخروى فهو(فقر العارفين).

أو يكون بحيث لا يحبه حبا يفرح بحصوله و لا يكرهه كراهه يتأذى بها و يزهد فيه،بل يستوى عنده وجوده و عدمه،فلا يفرح بحصوله و لا يتأذى بفقده،بل كان راضيا بالحالتين على السواء،و غنيا عن دخوله و بقائه و خروجه من يده،من غير خوف من الاحتياج إذ فقد،كالحريص و القانع،و لا حذار من شره و إضراره إذا وجد كالزاهد.فمثله لو كانت أموال الدنيا بأسرها فى يده لم تضره،إذ هو يرى الأموال فى خزانه اللّه لا فى يد نفسه،فلا تفريق بين أن تكون فى يده أو فى يد غيره،فيكون بحيث يستوى عنده المال و الهواء المخلوق فى الجو،فكما أن كثره الهواء فى جواره لا يؤذيه،و لا يكون قلبه مشغولا بالفرار عنه و لا يبغضه،بل يستنشق منه بقدر الضروره،و لا يبخل به على أحد،فكذلك كثره المال لا يؤذيه و لا يشغل قلبه،و يرى نفسه و غيره فيه على السواء فى المالكيه.

و مثله ينبغى أن يسمى(مستغنيا راضيا)،لاستغنائه عنه وجودا و عدما،و رضائه بالحالتين من دون تفاوت،و مرتبته فوق الزاهد،إذ غايه درجه الزهد كمال الأبرار،و صاحب هذه المرتبه من المقربين،فالزهد

فی حقه نقصان،إذ حسنات الأبرار سیئات المقربین.و السر فیه:أن الزاهد کاره للدنیا،فهو مشغول بالدنیا،کما أن الراغب فیها مشغول بها و الشغل بما سوی اللّه حجاب عن اللّه،سواء کان بالحب أو بالبغض.

فکل ما سوی اللّه،کالرقیب الحاضر فی مجلس جمع العاشق و المعشوق.

فکما أن التفات قلب العاشق إلی الرقیب و بغضه و کراهته حضوره نقص فی العشق،فکذلک التفات قلب العبد إلی غیر اللّه تعالی و بغضه و کراهته نقصان فی الحب و الأنس،کما أن التفاته بالحب نقص فیهما.إذ کما لا یجتمع فی قلب واحد حبان فی حاله واحده،فکذلک لا یجتمع فیه حب و بغض فی حاله واحده،فالمشغول ببغض الدنیا غافل عن اللّه کالمشغول بحبها،و إن کان الثانی أسوأ حالا من الآخر.إذ المشغول بحبها غافل فی غفلته،سالک فی طریق البعد،و المشغول ببغضها غافل،و هو فی غفلته سالک فی طریق القرب،فیحتمل زوال غفلته و تبدلها بالشهود،فالکمال مرتقب له،إذ بغض الدنیا مظنه توصل العبد إلی اللّه.

و هرب الأنبیاء و الأولیاء من المال،و فرارهم عنه،و ترجیحهم فقده علی وجوده-کما أشیر إلیه فی بعض الأخبار و الآثار-:إما نزول منهم إلی درجه الضعفاء لیقتدوا بهم فی الترک،إذ الکمال فی حقهم حب الترک و بغض الوجود،لأن مع وجوده یتعذر فی حقهم استواء وجوده و فقده و کونه عندهم کماء البحر،فلو لم یظهر الأنبیاء النفار و الکراهه من المال و یقتدی الضعفاء بهم فی الأخذ لهلکوا.فمثل النبی کمثل المعزم الحاذق، یفر بین یدی أولاده من الحیه،لا لضعفه عن أخذها،بل لعلمه بأنه لو أخذها لأخذها أولاده أیضا إذا رأوها،و هلکوا.فالسیر بسیره الضعفاء صفه الأنبیاء و الأوصیاء.أو غیر الهرب و النفار اللازمین للبغض و الکراهه و خوف الاشتغال به،بل کان نفارهم منه کنفارهم من الماء،علی معنی

أنهم شربوا منه بقدر حاجتهم،و تركوا الباقى فى الشطوط و الأنهار للمحتاجين،من غير اشتغال قلوبهم بحبه و بغضه.أ لا ترى أنه قد حملت خزائن الأرض إلى رسول اللّه و خلفائه،فأخذوها و وضعوها فى مواضعها، من غير هرب منه و بغض له،و ذلك لاستواء المال و الماء و الحجر و الذهب عندهم.

ثم تسميه صاحب هذه المرتبه بالفقير و المستغنى لا يوجب التنافى، إذ إطلاق الفقير عليه لمعرفته بكونه محتاجا إليه تعالى فى جميع أموره عامه و فى بقاء استغنائه عن المال خاصه،فيكون اسم الفقير له كاسم العبد لمن عرف نفسه بالعبوديه و أقر بها،فإنه أحق باسم العبد من الغافلين،و إن كان عاما للخلق،ثم كل مرتبه من المراتب المذكوره للفقر،ما عدا الأخيره،أعم من أن يكون بالغا حد الاضطرار،بأن يكون ما فقده من المال مضطرا إليه،كالجائع الفاقد للخبز و العارى الفاقد للثوب،أم لا.

و أنت،بعد ما فهمت اشتراك الفقر بين المعانى المذكوره،لم يشكل عليك الجمع بين ما ورد فى مدح الفقر-كما يأتى-و بين ما ورد فى ذمه،

كقوله صلى اللّه عليه و آله: «كاد الفقر أن يكون كفرا»،

و قوله صلى اللّه عليه و آله: «الفقر الموت الأكبر».

و قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«من ابتلى بالفقر فقد ابتلى بأربع خصال:بالضعف فى يقينه،و النقصان فى عقله،و الرقه فى دينه،و قله الحياء فى وجهه.فنعوذ باللّه من الفقر!».

فصل مراتب الفقر و مدحه

قد عرفت أن بعض مراتب الفقر راجع إلى الزهد،و بعضها إلى

ما هو فوقه،أعنى الرضى و الاستغناء،و بعضها إلى القناعه،ففضيله هذه المراتب ظاهره،و الأخبار الوارده فى فضيله الزهد و الرضى و القناعه تدل على فضيله المراتب المذكوره من الفقر.و أما المرتبه الأولى المتضمنه للحرص،فهو أيضا لا يخلو عن فضيله بالنظر إلى الغنى المتضمن له و الأخبار الوارده فى مدح الفقر تتناول بعمومها جميع مراتبه،قال اللّه سبحانه:

لِلْفُقَرٰاءِ الْمُهٰاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيٰارِهِمْ وَ أَمْوٰالِهِمْ

(١)

.

و قال: لِلْفُقَرٰاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِى سَبِيلِ اللّٰهِ... الآيه (٢).

ساق اللّه سبحانه الكلام فى معرض المدح،و قدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالهجره و الإحصار،و فيه دلاله جليه على مدح الفقر (٣).

و قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: «خير هذه الأمه فقراؤها،و أسرعها تصعدا فى الجنه ضعفاؤها».

و قال-صلى اللّه عليه و آله: «اللهم أحينى مسكينا و أمتنى مسكينا،و احشرنى فى زمره المساكين).

و قال صلى اللّه عليه و آله: «إن لى حرفتين اثنتين،فمن أحبهما فقد أحبنى،و من أبغضهما فقد أبغضنى:الفقر و الجهاد».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-:

«الفقر أزين للمؤمنين من العذار الحسن على خد الفرس».

و سئل عن الفقر،فقال:«خزانه من خزائن اللّه»،و سئل عنه ثانيا،فقال:

١- ١) الحشر،الآيه:٨.

٢- ٢) البقره،الآيه:٢٧٣.

٣- ٣) قال المحقق(الفيض)فى(إحياء الأحياء):«لا دلاله فى الآيتين على مدح الفقر،و إنما سيقتا لبيان أن مصرف المال إنما هم الفقراء المتصفون بهذه الصفات».

«كرامه من اللّه».و سئل عنه ثالثا،فقال:«شیء لا یعطیه إلا نبیا مرسلا أو مؤمنا کریما علی اللّه».

و قال صلی اللّه علیه و آله: «إن فی الجنه غرفه من یاقوته حمراء،ینظر إلیها أهل الجنه کما ینظر أهل الأرض إلی نجوم السماء،لا یدخل فیها إلا نبی فقیر أو مؤمن فقیر».

و قال:

«یوم فقراء أمتی یوم القیامه و ثیابهم خضر،و شعورهم منسوجه بالدر و الیاقوت،و بأیدیهم قضبان من نور یخطبون علی المنابر،فیمر علیهم الأنبیاء،فیقولون:هؤلاء من الملائکه،و تقول الملائکه:هؤلاء من الأنبیاء.فیقولون:نحن لا ملائکه و لا أنبیاء!بل من فقراء أمه محمد-صلی اللّه علیه و آله-،فیقولون:بم نلتم هذه الکرامه؟فیقولون:

لم تکن أعمالنا شدیده،و لم نصم الدهر،و لم نقم اللیل،و لکن أقمنا علی الصلوات الخمس،و إذا سمعنا ذکر محمد فاضت دموعنا علی خدودنا»

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «کلمنی ربی فقال:یا محمد،إذا أحببت عبدا،اجعل له ثلاثه أشیاء:قلبه حزینا،و بدنه سقیما،و یده خالیه من حطام الدنیا.و إذا أبغضت عبدا،اجعل له ثلاثه أشیاء:قلبه مسرورا و بدله صحیحا،و یده مملوه من حطام الدنیا».

و قال-صلی اللّه علیه و آله- «الناس کلهم مشتاقون إلی الجنه،و الجنه مشتاقه إلی الفقراء».

و قال -صلی اللّه علیه و آله-: «الفقر فخری».

و قال صلی اللّه علیه و آله:

«تحفه المؤمن فی الدنیا الفقر»

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «یؤتی بالعبد یوم القیامه،فیعتذر اللّه تعالی إلیه کما یعتذر الأخ إلی أخیه فی الدنیا، فیقول:و عزتی و جلالی!ما زویت الدنیا عنک لهوانک علی،و لکن لما أعددت لک من الکرامه و الفضیله.اخرج یا عبدی إلی هذه الصفوف، فمن أطعمک فی أو کساک فی یرید بذلک وجهی،فخذ بیده فهو لک و الناس یومئذ قد ألجمهم العرق.فیتخلل الصفوف.و ینظر من فعل ذلک

به،و يدخله الجنه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «أكثروا معرفه الفقراء و اتخذوا عندهم الأيادى،فإن لهم دوله»،قالوا:يا رسول اللّه، و ما دولتهم؟قال:«إذا كان يوم القيامه،قيل لهم:انظروا إلى من أطعمكم كسره أو سقاكم شربه أو كساكم ثوبا،فخذوا بيده ثم امضوا به إلى الجنه».

و قال صلى اللّه عليه و آله: «أ لا أخبركم بملوك أهل الجنه؟ قالوا:بلى يا رسول اللّه!قال:كل ضعيف مستضعف أغبر أشعث ذى طمرين لا يؤبه به لو أقسم على اللّه لأبره».

و دخل-صلى اللّه عليه و آله-على رجل فقير،و لم ير له شيئا،فقال:«لو قسم نور هذا على أهل الأرض لوسعهم».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «إذا أبغض الناس فقراءهم،و أظهروا عماره الدنيا،و تكالبوا على جمع الدراهم و الدنانير،رماهم اللّه بأربع خصال:بالقحط من الزمان، و الجور من السلطان،و الجنايه من ولاه الحكام،و الشوكه من الأعداء» (۱).

و ورد من طريق أهل البيت عليهم السلام: «إن اللّه تعالى إذا أحب عبدا ابتلاه،فإذا أحبه الحب البالغ اقتناه.قيل:و ما اقتناه؟قال:

لم يترک له أهلا و لا مالا».

و قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وكل الرزق بالحمق،و وكل الحرمان بالعقل،و وكل البلاء بالصبر»

و قال الباقر عليه السلام: «إذا كان يوم القيامه،أمر اللّه تعالى مناديا ينادى بين يديه:أين الفقراء؟فيقوم عنق من الناس كثير،فيقول:عبادى! فيقولون:لبيك ربنا!فيقول:إنى لم أفقركم لهون بكم على،و لكن إنما اخترتكم لمثل هذا اليوم.تصفحوا وجوه الناس،فمن صنع إليكم معروفا

۱- ۱) هذه الأخبار كلها عاميه،فصححناها على(إحياء العلوم)،و(إحياء الأحياء).

لم يصنعه إلا فى فكافوه عنى بالجنه».

و قال الصادق عليه السلام: «لو لا إلحاح المؤمنين على اللّه فى طلب الرزق،لنقلهم من الحال التى هم فيها إلى حال أضيق منها».

و قال عليه السلام: «ليس لمصاص (۱)شيعتنا فى دوله الباطل إلا القوت،شرقوا إن شئتم أو غربوا،لن ترزقوا إلا القوت».

و قال عليه السلام: «ما كان من ولد آدم مؤمن إلا فقيرا و لا كافر إلا غنيا،حتى جاء إبراهيم عليه السلام،فقال:

رَبَّنا لا تَجْعَلْنا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا

(۲)

.

فصير اللّه فى هؤلاء أموالا و حاجه».

و قال-عليه السلام-: «إن فقراء المؤمنين يتقلبون فى رياض الجنه قبل أغنيائهم بأربعين خريفا»، ثم قال:«سأضرب لك مثل ذلك:إنما مثل ذلك مثل سفينتين مر بهما على عاشر،فنظر فى أحداهما فلم ير فيها شيئا،فقال:اسربوها.و نظر فى الأخرى،فإذا هى موقره،فقال:احبسوها». و فى بعض الأخبار فسر الخريف بألف عام،و العام بألف سنه.و على هذا،فيكون المراد من أربعين خريفا أربعين ألف ألف عام.

و قال الصادق عليه السلام:

«المصائب منح من اللّه،و الفقر مخزون عند اللّه»: أى المصائب عطايا من اللّه يعطيها عباده،و الفقر من جملتها مخزون عنده عزيز لا يعطيه إلا من خصه بمزيد العنايه.

و قال عليه السلام: «إن اللّه عزّ و جل يلتفت يوم القيامه إلى فقراء المؤمنين شبيها بالمعتذر إليهم،فيقول:و عزتى و جلالى! ما أفقرتكم فى الدنيا من هوان بكم على،و لترون ما أصنع بكم اليوم، فمن زود منكم فى دار الدنيا معروفا فخذوا بيده فأدخلوه الجنه»،قال

۱- ۱) المصاص:خالص كل شیء.قاله الجوهری.

۲- ۲) الممتحنه،الآيه:۵.

«فیقول رجل منهم:یا رب،إن أهل الدنیا تنافسوا فی دنیاهم،فنکحوا النساء،و لبسوا الثیاب اللینه،و أکلوا الطعام،و سکنوا الدور،و رکبوا المشهور من الدواب.فأعطنی مثل ما أعطیتهم.فیقول تبارک و تعالی:

لک و لکل عبد منکم مثل ما أعطیت أهل الدنیا منذ کانت الدنیا إلی أن انقضت الدنیا سبعون ضعفا».

و قال-علیه السلام-: «إن اللّه جل ثناؤه لیعتذر إلی عبده المؤمن المحوج فی الدنیا کما یعتذر الأخ إلی أخیه، فیقول:و عزتی و جلالی!ما أحوجتک فی الدنیا من هوان کان بک علی فارفع هذا السجف،فانظر إلی ما عوضتک من الدنیا.قال:فیرفع، فیقول:ما ضرنی ما منعتنی ما عوضتنی».

و قال علیه السلام: «إذا کان یوم القیامه قام عنق من الناس حتی یأتوا باب الجنه،فیضربوا باب الجنه فیقال لهم:من أنتم؟فیقولون:نحن الفقراء،فیقال لهم:أقبلوا الحساب فیقولون:ما أعطیتمونا شیئا تحاسبونا علیه،فیقول اللّه عز و جل:

صدقوا،ادخلوا الجنه».

و قال-لبعض أصحابه: «أ ما تدخل للسوق؟ أ ما تری الفاکهه تباع و الشیء مما تشتهیه؟فقلت:بلی!فقال:أما إن لک بکل ما تراه فلا تقدر علی شراه حسنه».

و قال الکاظم علیه السلام:

«إن اللّه عز و جل یقول:إنی لم أغن الغنی لکرامه به علی،و لم أفقر الفقیر لهوان به علی،و هو مما ابتلیت به الأغنیاء بالفقراء،و لو لا الفقراء لم یستوجب الأغنیاء الجنه» (۱).

و قال-علیه السلام-: «إن الأنبیاء و أولاد الأنبیاء و أتباع الأنبیاء خصوا بثلاث خصال:السقم فی الأبدان و خوف السلطان،و الفقر».

و قال الرضا-علیه السلام-: «من لقی

---

۱ – ۱) صححنا أغلب الأحادیث المرویه عن أهل البیت-علیهم السلام-فی هذا الفصل علی(الکافی):باب الفقر.و علی(سفینه البحار)۲-۳۷۷.و علی (إحیاء الأحیاء):کتاب الفقر.

فقیرا مسلما و سلم علیه خلاف سلامه علی الغنی،لقی اللّه یوم القیامه و هو علیه غضبان».

و قال علیه السلام: «الفقر شین عند الناس و زین عند اللّه یوم القیامه»

و قال موسی-علیه السلام-فی بعض مناجاته: «إلهی من أحباؤک من خلقک حتی أحبهم لأجلک؟فقال:کل فقیر»

و قال عیسی-علیه السلام-: «إن أحب الأسامی إلی أن یقال:یا مسکین» و قال بعض الصحابه:«ملعون من أکرم الغنی و أهان الفقیر».

و قال لقمان لابنه:«لا تحقرن أحدا لخلقان ثیابه،فإن ربک و ربه واحد».

و مما یدل علی فضیله الفقر،إذا کان مع الرضی أو القناعه أو الصبر أو الصدق أو الستر،

قوله صلی اللّه علیه و آله :«یا معشر الفقراء:

أعطوا اللّه الرضی من قلوبکم تظفروا بثواب فقرکم،فإن لم تفعلوا فلا ثواب لکم».

و قوله-صلی اللّه علیه و آله-: «إن أحب العباد إلی اللّه الفقیر القانع برزقه الراضی عن اللّه تعالی».

و قوله-صلی اللّه علیه و آله-: «لا أحد أفضل من الفقیر إذا کان راضیا»،

و قوله صلی اللّه علیه و آله: «یقول اللّه تعالی یوم القیامه:أین صفوتی من خلقی؟ فتقول الملائکه:من هم یا ربنا؟فیقول:فقراء المسلمین القانعین بعطائی الراضین بقدری،أدخلوهم الجنه.فیدخلونها،و یأکلون و یشربون،و الناس فی الحساب یترددون».

و قوله صلی اللّه علیه و آله: «ما من أحد،غنی و لا فقیر،إلا ود یوم القیامه أنه کان أوتی قوتا فی الدنیا»

و قوله صلی اللّه علیه و آله: «طوبی للمساکین بالصبر!و هم الذین یرون ملکوت السماوات و الأرض».

و قوله-صلی اللّه علیه و آله-: «من جاع أو احتاج،فکتمه عن الناس و أفشاه إلی اللّه تعالی،کان حقا علی اللّه أن یرزقه رزق السنه من الحلال».

و قوله-صلی اللّه علیه و آله-:

«إن لکل شیء مفتاحا،و مفتاح الجنه حب المساکین و الفقراء الصابرین

و هم جلساء اللّه يوم القيامه».

و ما روى: «أن اللّه أوحى إلى إسماعيل -عليه السلام-:اطلبنى عند المنكسره قلوبهم من أجلى.قال:و من هم؟قال:الفقراء الصادقون».

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله- لأمير المؤمنين عليه السلام:«يا على،إن اللّه جعل الفقر أمانه عند خلقه، فمن ستره أعطاه اللّه تعالى مثل أجر الصائم القائم،و من أفشاه إلى من يقدر على قضاء حاجته فلم يفعل فقد قتله أما إنه ما قتله بسيف و لا رمح و لكنه قتله بما نكأ من قلبه».

ثم لا ريب فى أن كل من لم يجد القوت من التعفف و ستر احتياجه هذا و صبر و رضى يكون داخلا تحت هذه الأخبار و تثبت له الفضيله التى وردت فيها،و لا ريب فى أن هذه صفه لا توجد فى ألف ألف واحد.

و أما الفقير الحريص الذى يظهر فقره و يجزع معه،فظاهر بعض الأخبار و إن تناوله،إلا أن الظاهر خروجه منها كما أومأت إليه بعض الأخبار المذكوره و إن كان أحسن حالا من الغنى الذى مثله فى الحرص.

فصل (الموازنه بين الفقر و الغنى)

لا ريب فى أن الفقر مع الصبر و القناعه و قصد الفراغ أفضل من الغنى مع الحرص و الإمساك،كما لا ريب فى أن الغنى مع الإنفاق و قصد الاستعانه على العباده أفضل من الفقر مع الحرص و الجزع،

و إنما وقع الشك فى الترجيح بين الفقر و الغنى فى مواضع:

(الأول)فى الترجيح بين الفقر مع الصبر و القناعه،و الغنى مع الإنفاق،و قصد الاستعانه على العباده،

فقال قوم إن الأول أفضل،

لما

روی: «أن رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله قال لأصحابه:أی الناس خیر؟فقالوا:موسر من المال یعطی حق اللّه تعالی من نفسه و ماله،فقال نعم الرجل هذا و لیس به المراد،قالوا فمن خیر الناس یا رسول اللّه؟ فقال:فقیر یعطی جهده»،

و ما روی: «أن الفقراء بعثوا رسولا إلی رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله فقال:إنی رسول الفقراء إلیک،فقال:

مرحبا بک و بمن جئت من عندهم،جئت من عند قوم أحبهم،فقال:

قالوا إن الأغنیاء ذهبوا بالجنه یحجون و لا نقدر علیه،و یعتمرون و لا نقدر علیه،و إذا مرضوا بعثوا بفضل أموالهم ذخیره لهم،فقال النبی صلی اللّه علیه و آله:بلغ عنی الفقراء أن لمن صبر و احتسب منکم ثلاث خصال لیست للأغنیاء:أما (الأولی)فإن فی الجنه غرفا ینظر إلیها أهل الجنه کما ینظر أهل الأرض إلی نجوم السماء،لا یدخلها الا نبی فقیر،أو شهید فقیر،أو مؤمن فقیر، (و الثانیه)یدخل الفقراء الجنه قبل الأغنیاء بنصف یوم و هو خمسمائه عام. (و الثالثه)إذا قال الغنی: سبحان اللّه و الحمد للّه و لا إله إلاّ اللّه و اللّه أکبر ،و قال الفقیر مثل ذلک،لم یلحق الغنی بالفقیر و إن انفق فیها عشره آلاف درهم،و کذلک أعمال البر کلها،فرجع إلیهم،فقالوا رضینا».

و قال آخرون:الثانی أفضل،لأن الغنی من صفات الربوبیه، و الفقر من لوازم العبودیه،و وصف الحق أفضل من وصف العبد.

(و أجیب عنه)بأن غنی الواجب سبحانه لیس بالأسباب و الأغراض و غنی العبد بهما،إذ هو غنی بوجود المال و مفتقر إلی بقائه،فأنی یکون الغنی الذی یتصف العبد به من أوصاف الربوبیه،نعم الغنی الاستغناء من وجود المال و عدمه جمیعا بأن یستوی کلاهما عنده یشبه أوصاف الحق،إلا أنک قد عرفت أنه نوع من الفقر،و بأن التکبر من أوصاف الربوبیه،

فينبغى أن يكون أفضل من التواضع،مع أن الأمر ليس كذلك،بل الحق أن الأفضل للعبد إنما هو صفات العبوديه كالخوف و الرجاء،إذ صفات الربوبيه لا ينبغى أن ينازع فيها،

و لذلك قال اللّه سبحانه: «و العظمه إزارى،و الكبرياء ردائى،فمن نازعنى فيهما قصمته». و على هذا فالفقر أفضل من الغنى.

و الحق أن ترجيح واحد من صفات الربوبيه و صفات العبوديه على الآخر للعبد على الإطلاق غير صحيح،إذ كما ينتقض ترجيح الأولى على الثانيه بالتكبير ينتقض العكس بالعلم و المعرفه و الجهل و الغفله،فإن العلم من صفات الربوبيه،و الجهل من صفات العبوديه،مع أن الأول أفضل من الثانى ضروره.

و الحق أن الأفضل من الفقر و الغنى ما لا يشغل العبد عن اللّه،فإن كان الفقر يشغله فالغنى أولى به،و إن كان الغنى يشغله عن اللّه فالفقر أولى به،و ذلك لأن الغنى ليس محذورا بعينه،بل لكونه عائقا عن الوصول إلى اللّه،و الفقر ليس مطلوبا لذاته،بل لعدم كونه عائقا عن اللّه،و ليس مانعيه الأول و عدم مانعيه الثانى كليا،إذ رب فقير يشغله الفقر عن المقصد و كم من غنى لا يصرفه الغنى عنه،إذ الشاغل ليس إلا حب الدنيا لمضادته حب اللّه تعالى،و المحب للشىء مشغول به،سواء كان فى وصاله أو فى فراقه. فإذن فضل الفقير و الغنى بحسب تعلق قلبهما بالمال وجودا و عدما، فإن تساويا فيه تساوت درجتهما.و إن تفاوتا فيه فأيهما أقل تعلقا درجته أعلى و أفضل،بل مع وجود تعلق لهما و تساويهما فيه يكون وجود قدر الحاجه من المال أفضل من فقده،إذ الجائع يسلك سبيل الموت لا سبيل المعرفه و الطاعه،و مع عدم تعلق قلبهما أصلا بحيث يستوى عندهما وجود المال و عدمه كان المال عندهما كهواء الجو و ماء البحر-و بالجمله حصلت

لهما المرتبه الأخيره من الفقر،أعنى الاستغناء و الرضا-كان الواجد أفضل من الفاقد،لاستوائهما فى عدم الالتفات إليه،و مزيه الواجد باستفاده أدعيه الفقراء و المساكين.

ثم الحكم بانقطاع القلب رأسا عن المال وجودا و عدما إنما يتصور فى الشاذ النادر الذى لا يسمح الدهر بمثله إلا بعد أزمنه متطاوله،و قلوب جل الناس غير خاليه عن حب المال و التعلق به.فتفصيل القول بأفضليه من هو أقل تعلقا بالمال،و استواء درجتهما مع استوائهما فى التعلق،و مزيه الواجد على الفاقد مع انقطاع قلبهما بالكليه عنه مزله الأقدام و موضع الغرور، إذ الغنى ربما يظن أنه منقطع القلب عن المال و يكون حبه دفينا فى باطنه و هو لا يشعر به،و إنما يشعر به إذا فقده،فما عدا الأنبياء و الأولياء و شرذمه قليله من أكابر الأتقياء لو ظنوا انقطاعهم عن الدنيا إذا جربوا أنفسهم بإخراج المال من أيديهم يظهر لهم أنهم مغرورون و ليس لهم تمام الانقطاع عن الدنيا،و إذا كان ذلك محالا أو بعيدا فليطلق القول بأن الفقر أصلح لكافه الناس و أفضل،لأنه عن الخطر أبعد،إذ فتنه السراء من فتنه الضراء أشد،و علاقه الفقير و أنسه بالدنيا غالبا أضعف،و بقدر ضعف علاقته يتضاعف ثواب أذكاره و عبادته،إذ حركات اللسان و الجوارح ليست مراده لأعيانها بل ليتأكد بها الأنس بالمذكور و تأثيرها فى إثاره الأنس فى قلب فارغ عن غير المذكور أشد من تأثيرها فى قلب مشغول،و لهذا وردت الأخبار مطلقه فى فضل الفقر على الغنى،و فى فضل الفقراء على الأغنياء.

(الثانى)فى الترجيح بين الفقر مع الحرص و الجزع،و الغنى مع الحرص و الإمساك.

و التحقيق فيه أن مطلوب الفقير إن كان ما لا بد منه فى المعيشه و كان حرصه فى تحصيل هذا القدر دون الزائد منه و كان قصده

الاستعانه به على الدين،و كذا كان حرص الغنى و إمساكه فى هذا القدر بهذا القصد،فحال الوجود أفضل لأن الفقد يصده عن أمور الدين لاضطراره فى طلب القوت،و هو أولى بالتفضيل إذا كان قصد الغنى ذلك و كان مطلوب الفقير فوق الحاجه،أو قدر الحاجه،أو قدر الحاجه بدون قصد الاستعانه به إلى أمر الدين.و إن كان مطلوب كل منها فوق الحاجه أو لم يكن قصدهما الاستعانه به على أمر الدين،فالفقد أصلح و أفضل، لأنهما استويا فى الحرص و حب المال،و فى عدم قصد الاستعانه به على الدين،لكنهما افترقا فى أن الواجد يتأكد حب الدنيا فى قلبه،و يطمئن إليها لأنسه بها،و الفاقد يتجافى قلبه عنها اضطرارا،أو تكون الدنيا عنده كالسجن الذى يطلب الخلاص منه.و هو أولى و أحرى بالتفضيل،إذا كان قصد الفقير ذلك و كان قصد الغنى فوق الحاجه،أو قدر الحاجه بدون الاستعانه به على أمر الدين.

(الثالث)فى الترجيح بين فقير حريص متكالب على الدنيا ليس له هم سواه،و غنى هو دونه فى الحرص

على حفظ المال،و تفجعه بفقد المال لو فقده أقل من تفجع الفقير بفقده،و الظاهر حينئذ كون الفقير أسوأ حالا،إذ البعد عن اللّه بقدر قوه التفجع بفقد المال،و القرب بقدر ضعف التفجع به.

فصل ما ينبغى للفقير

ينبغى للفقير ألاـ يكون كارها للفقر من حيث إنه فعل اللّه و من حيث إنه فقر،بل يكون راضيا به طالبا له فرحانا به لعلمه بغوائل الغنى،و أن

يكون متوكلا فى باطنه على اللّه،واثقا به فى إتيان قدر ضرورته،و يكون قانعا به،كارها للزياده عليه،منقطع الطمع عن الخلق،غير ملتفت إلى ما فى أيديهم،و غير حريص على اكتساب المال كيف كان،و أن يكون صابرا شاكرا على فقره،

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن اللّه عقوبات بالفقر،و مثوبات بالفقر،فمن علامات الفقر إذا كان مثوبه أن يحسن عليه خلقه،و يطيع به ربه،و لا يشكو حاله،و يشكر اللّه تعالى على فقره و من علاماته إذا كان عقوبه أن يسوء عليه خلقه،و يعصى ربه بترك طاعته و يكثر الشكايه،و يتسخط بالقضاء»، و هذا يدل على أن كل فقير ليس مثابا على فقره،بل من يرضى بفقره،و يفرح به،و يقنع بالكفاف، و يقصر الأمل،و إن لم يرض به و تشوف إلى الكثره و طول الأمل،و فاته عز القناعه،و تدنس بذل الحرص و الطمع،و جره الحرص و الطمع إلى مساوى الأخلاق،و ارتكاب المنكرات الخارقه للمروات حبط أجره و كان آثما قلبه.

و ينبغى أن يظهر التعفف و يستر الفقر و يستر،أنّه يستر و ألا يخالط الأغنياء، و لا يرغب فى مجالستهم،و لا يتواضع لهم لأجل غناهم بل يتكبر عليهم.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ما أحسن تواضع الغنى للفقير رغبه فى ثواب اللّه،و أحسن منه تيه الفقير على الغنى ثقه باللّه» ،و ألا يسكت عن ذكر الحق مداهنه للأغنياء،و طمعا بما فى أيديهم،و لا يفتر بسبب فقره عن عباده اللّه،و يبذل قليل ما يفضل عنه،فإن ذلک جهد المقل، و فضله أكثر من أموال كثيره يبذلها الغنى،

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: «درهم من الصدقه أفضل عند اللّه من مائه ألف دينار،قيل و كيف ذلک يا رسول اللّه؟قال:أخرج رجل من عرض ماله مائه ألف دينار يتصدق بها،و أخرج رجل درهما من درهمين لا يملک غيرهما

طیبه به نفسه فصار صاحب الدرهم أفضل من صاحب مائه ألف دینار» و ینبغی ألا یدخر أزید من قدر الحاجه،فإن لم یدخر أکثر من قوت یومه و لیلته فهو من الصدیقین،و إن لم یدخر أکثر من قوت أربعین یوما کان من المتقین،و إن لم یدخر أکثر من قوت سنه-و هو الفضل المشترک بین الفقر و الغنی-کان من الصالحین،و لو زاد علیه خرج عن زمره الفقراء.

فصل وظیفه الفقراء

ما یعطی الفقیر بغیر سؤاله:إن کان(حراما أو شبهه)وجب علیه رده و الاجتناب عنه،و إن کان(حلالا)،فإن کان(هدیه)استحب قبوله تأسیا برسول اللّه صلی اللّه علیه و آله إن لم تکن فیه منه،و لو کانت فیه منه فالأولی ترکه.و کان بعضهم إذا أعطاه صدیقه شیئا یقول له اترکه عندک،و انظر إن کنت أنا بعد قبوله فی قلبک أفضل منی قبل القبول فأخبرنی حتی آخذه و إلا فلا،و علامه ذلک أن یشق علی المعطی رده، و یفرح بالقبول،و یری المنه علی نفسه فی قبوله،و إن کان(صدقه أو زکاه)أو غیر ذلک مما یکون للثواب المحض،فینبغی أن ینظر فی استحقاقه لذلک،فإن کان من أهله قبله و إلا رده،و إن کان المعطی أعطاه لوصف یعلمه فیه کعلم أو ورع أو کونه علویا،و لو لم یکن له هذا الاختصاص لنفر طبعه،و لما تقرب إلی اللّه بإعطائه،و لم یکن هو باطنا کذلک فأخذه حرام،و إن لم یکن هدیه و لا صدقه بل أعطاه للشهره و الریاء و السمعه فینبغی أن یرد علیه و لا یقبله،و إلا کان معینا له علی غرضه الفاسد،و الإعانه علی الإثم إثم.

ص:۹۶

فصل موارد قبول العطاء و ردها

ما يعطى الفقير إن كان محتاجا إليه و لم يكن أزيد من حاجته فالأفضل له الأخذ إذا سلم من الآفات المذكوره،

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: «ما المعطى من سعه بأعظم أجرا من الآخذ إذا كان محتاجا»،

و قال صلى اللّه عليه و آله: «من أتاه شيء من هذا المال من غير مسأله و لا استشراف فإنما هو رزق ساقه اللّه إليه فلا يرده»، و إن كان زائدا على قدر حاجته فليرد الزائد إن كان طالبا طريق الآخره، إذ الزياده على قدر الحاجه إنما يأتيك ابتلاء و فتنه لينظر اللّه إليك ما ذا تعمل فيه،و قدر الحاجه يأتيك رفقا بك،فأنت في أخذ قدر الحاجه مثاب،و فيما زاد عليه إما عاص أو متعرض للحساب،

قال رسول اللّه -صلى اللّه عليه و آله-: «لا حق لابن آدم إلا في ثلاث:طعام يقيم صلبه،و ثوب يوارى عورته،و بيت يسكنه،فما زاد فهو حساب»، فلا ينبغي لطالب السعاده أن يأخذ الأزيد من قدر الحاجه،إذ النفس إذا رخصت في نقض العزم و العهد ألفت به،و ردها بعد الألف و العاده مشكل.

و الحاصل أن أخذ قدر الحاجه راجع لكونه مما لا بد منه،و إيجابه ثواب المعطى،و لذلك

لما أمر موسى بن عمران عليه السلام بأن يفطر عند بنى إسرائيل قال:إلهى ما بالى فرقت رزقى على أيدى بنى إسرائيل يغدينى هذا يوما و يعشينى هذا ليله،فأوحى اللّه إليه:«هكذا أصنع بأوليائى أجرى أرزاقهم على أيدى البطالين من عبادى ليؤجروا فيهم». فلا ينبغي أن يرى المعطى إلا من حيث إنه مسخر مأجور.

و أما أخـذ الزياده على قدر الحاجه فليس مما ينبغى،من كان حاله التكفل بأمور الفقراء و الإنفاق عليهم،لما فى طبعه من البذل و السـخاء، و الرفق و العطاء،فيجوز له أخـذ الزياده ليبـذلها على المسـتحقين،و لكن يلزم أن يبادر إلى الصـرف إليهم و لا ينبغى أن يـدخر،إذ فى إمسـاكه و لو فى يوم واحـد أو ليله واحـده فتنه و اختبـار،فربما مالت النفس إلى الإمساك و يصـير وبالا عليها،و قد نقل أن جماعه تصدوا لخدمه الفقراء و التكفل لأحوالهم فخدعتهم النفس الأماره بإعانه الشيطان فاتخذوها وسيله إلى التوسع فى المال،و التنعم فى المطعم و المشرب،و انجر أمرهم إلى الهلاك.

فصل لا يجوز السؤال من غير حاجه

ينبغى للمؤمن ألاـ يسأل الناس من غير حاجه اضـطر إليها،بل يسـتعف عن السؤال ما اسـتطاع،لأنه فقر معجل،و حساب طويل يوم القيامه و الأصل فيه التحريم لتضـمنه الشـكوى من اللّه،و إذلال السائل نفسه عند غير اللّه،و إيذاء المسـئول غالبا،إذ ربما لم تسمح نفسه بالبـذل عن طيب القلب،و بعـد السؤال ألجـأه الحياء أو الرياء إليه،و معلوم أن الإعطاء اسـتحياء أو رياء لئلا ينقص جاهه عند الناس بنسبتهم إياه إلى البخل لا يكون له حليه شرعا.

و لتضمنه هذه المفاسد ورد فى الشريعه المنع منه،

قال رسول اللّه -صلى اللّه عليه و آله-: «مسأله الناس من الفواحش»،

و قال صـلى اللّه عليه و آله: «من سأل عن ظهر غنى فإنما يستكثر من جمر جهنم، و من سأل و له ما يغنيه جاء يوم القيامه و وجهه عظم يتقعقع ليس عليه لحم»

و قال صلی اللّه علیه و آله: «من سأل الناس و عنده قوت ثلاثه أیام لقی اللّه یوم یلقاه و لیس علی وجهه لحم»

(۱)

و قال-صلی اللّه علیه و آله-:

«ما من عبد فتح علی نفسه بابا من المسأله إلا فتح اللّه علیه سبعین بابا من الفقر».

و قال: «إن المسأله لا تحل إلا لفقر مدقع أو غرم مفظع»

و قال: «السؤال عن ظهر غنی صداع فی الرأس،و داء فی البطن».

و قال: «من سأل الناس أموالهم تکثرا فإنما هی جمره فلیستقل منه أو لیستکثر».

و روی: «أنه جاءت فخذ من الأنصار إلی رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله و سلم-فسلموا علیه فرد علیهم السلام،فقالوا یا رسول اللّه إن لنا إلیک حاجه فقال:(هاتوا حاجتکم)فقالوا إنها حاجه عظیمه فقال:

(هاتوها ما هی)قالوا:تضمن لنا علی ربک الجنه،فنکس رأسه،ثم نکت (۲)فی الأرض،ثم رفع رأسه فقال:(أفعل ذلک بکم علی ألا تسألوا أحدا شیئا)،فکان الرجل منهم یکون فی السفر فیسقط سوطه،فیکره أن یقول لإنسان ناولنیه فرارا من المسأله و ینزل فیأخذه،و یکون علی المائده و یکون بعض الجلساء أقرب إلی الماء منه فلا یقول ناولنی حتی یقوم فیشرب» (۳)

و بایع صلی اللّه علیه و آله قوما علی الإسلام فاشترط علیهم السمع و الطاعه،ثم قال لهم خفیه:«لا تسألوا الناس شیئا»،فکان بعد ذلک تقع المحفره من ید أحدهم فینزل لها و لا یقول لأحد ناولنیها.و کان

۱- ۱) روی هذا الحدیث عینه عن الصادق-علیه السلام-(الوسائل کتاب الزکاه أبواب الصدقه الباب ۳۲ الحدیث ۵).

۲- ۲) نکت الأرض بقضیب أو بإصبعه:ضربها به حال التفکر فأکثر فیها.

۳- ۳) صححنا الحدیث علی الوسائل(کتاب الزکاه ابواب الصدقه الباب ۳۳ الحدیث ۴)و هو یرویه عن الکافی.

صلی اللّه علیه و آله یأمر غالبا بالتعفف عن السؤال،و یقول:«من سألنا أعطیناه،و من استغنی أغناه اللّه،و من لم یسألنا فهو أحب إلینا»

و قال:

«و ما قل من السؤال فهو خیر»قالوا:و منک یا رسول اللّه؟قال:

«و منی»:«لو أن أحدکم أخذ حبلا فیأتی بحزمه حطب علی ظهره فیبیعها و یکف بها وجهه،خیر من أن یسأل».

و قال سید الساجدین علیه السلام: «ضمنت علی ربی أنه لا یسأل أحد أحدا من غیر حاجه إلا اضطرته المسأله یوما إلی أن یسأل من حاجه»

و نظر علیه السلام یوم عرفه إلی رجال و نساء یسألون،فقال«هؤلاء شرار خلق اللّه،الناس مقبلون علی اللّه و هم مقبلون علی الناس».

و قال الباقر علیه السلام: «أقسم باللّه و هو حق ما فتح رجل علی نفسه باب مسأله إلا فتح اللّه علیه باب فقر»،

و قال الصادق علیه السلام: «طلب الحوائج إلی الناس استلاب (۱)للعز و مذهبه للحیاء،و الیأس مما فی أیدی الناس عز للمؤمن فی دینه،و الطمع هو الفقر الحاضر».

و قال الصادق علیه السلام: «لو یعلم السائل ما علیه من الوزر ما سأل أحد أحدا،و لو یعلم المسئول ما علیه إذا منع ما منع أحد أحدا».

و قال: «من سأل من غیر حاجه فکأنما یأکل الجمر».

ثم المنع و التحریم إنما هو فی السؤال بدون الاضطرار،و أما مع الحاجه و الاضطرار فلا ریب فی جوازه،و قد وردت به الرخصه،قال اللّه سبحانه:

وَ أَمَّا السّٰائِلَ فَلاٰ تَنْهَرْ

(۲)

.

۱- ۱) الاستلاب بمعنی السلب،و هو من باب الافتعال.

۲- ۲) الضحی،الآیه:۱۰.

و قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: «لا تردوا السائل و لو بشق تمره»

و قال صلی اللّه علیه و آله: «لو لا أن السائل یکذب ما قدس من رده»

و قال صلی اللّه علیه و آله: «للسائل حق و إن جاء علی الفرس»

و قال صلی اللّه علیه و آله: «لا تردوا السائل و لو بظلف محترق»

(۱)

.و لو کان السؤال مطلقا حراما لما أجاز اللّه و رسوله إعانه العاصی علی معصیته.

ثم الحاجه المجوزه للسؤال:ما بلغت حد الاضطرار،کسؤال الجائع الخائف علی نفسه بالموت أو المرض لو لم یصل إلیه قوت،و سؤال العاری الذی بدنه مکشوف و یخاف من الحر و البرد-أو لم تبلغ إلیه،و هی إما حاجه(مهمه)کالاحتیاج إلی الجبه فی الشتاء بحیث لولاها لتأذی بالبرد تأذیا لا ینتهی إلی حد الضروره،و الاحتیاج إلی الکری مع القدره علی المشی مع المشقه،أو حاجه(خفیفه)کالاحتیاج إلی الإدام مع وجود الخبز-فالظاهر جواز السؤال فی جمیع ذلک(مع رجحانه فی الأول، و إباحته فی الثانی،و مرجوحیته فی الثالث)،بشرط إخلائه عن المحذورات المذکوره،أعنی الشکوی و الذل و الإیذاء،و تندفع هذه المحذورات بأن یظهر حاجته تعریضا بعد تقدیم الشکر للّه،و إظهار الاستغناء عن الخلق عند بعض الأصدقاء أو الأسخیاء،إذ السؤال من الصدیق لا یوجب الإذلال و السخی لا یتأذی بالسؤال بل یفرح به.

ثم ما ذکر إنما هو فی السؤال للاحتیاج إلیه بعد النسبه لما یحتاج إلیه فی الحال،و أما السؤال لما یحتاج إلیه فی الاستقبال،فإن کان یحتاج إلیه بعد السنه فهو حرام قطعا،و إن کان یحتاج إلیه قبلها،سواء کان بعد

۱- ۱) صححنا أکثر الأحادیث هنا علی ما فی سفینه البحار الجزء الأول ص ۵۸۵ و کتاب الزکاه من الوسائل أبواب الصدقه باب ۳۳-۳۷ و إحیاء الأحیاء فی کتاب الفقر.

أربعين يوما من يومه أو خمسين أو أقل أو أكثر،فإن أمكنه السؤال عند بلوغ وقت الحاجه فلا يحل له السؤال،و إن علم بأنه لا يتمكن من السؤال عنده فهو جائز مع الكراهه و المرجوحيه،و كلما كان تراخى الحاجه عن يومه أكثر كانت الكراهه أشد.ثم معرفه درجات الحاجه و ضعفها و شدتها و الوقت الذى يحتاج فيه موكول إلى العبد و منوط باجتهاده و نظره لنفسه بينه و بين اللّه،فليعمل به بعد استغناء قلبه على ما يقتضيه سلوك طريق الآخره،و كلما كان يقينه أقوى،و ثقته بمجىء الرزق أتم،و قناعته بقوت الوقت أظهر،فدرجته عند اللّه أعلى.

فيا حبيبى،لا تهبط نفسك من أوج التوكل و الاعتماد على اللّه إلى حضيض الخوف و الاضطراب فى مجىء رزقك،و لا تصغ إلى تخويف الشيطان،فإنه يعدكم الفقر و يأمركم بالفحشاء،و كن مطمئنا بوعد ربك إذ قال:

وَ اللّٰهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَ فَضْلاً

(۱)

.

و اسمع

قول نبيك-صلى اللّه عليه و آله-حيث قال: «لو توكلتم على اللّه حق توكله،لرزقتم كما ترزق الطيور،تغدوا خماصا و تروح بطانا».

و منها:

اشاره

الحرص

و هو معنى راتب فى النفس،باعث على جميع ما لا يحتاج إليه و لا يفيده من الأموال،من دون أن ينتهى إلى حد يكتفى به،و هو أقوى شعب

۱- ۱) البقره،الآيه:۲۶۸.

حب الدنيا و أشهر أنواعه.و لا ريب فی كونه ملكه مهلكه و صفه مضله بل باديه مظلمه الأرجاء و الأطراف،و هاويه غير متناهيه الأعماق و الأكناف من وقع فيها ضل و باد،و من سقط فيها هلك و ما عاد.و التجربه و الاعتبار و الأخبار و الآثار متظاهره على أن الحريص لا ينتهی إلى حد يقف دونه، بل لا يزال يخوض فی غمرات الدنيا إلى أن يغرق،و تطرحه أرض إلى أرض حتى يهلك.

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: «لو كان لابن آدم واديان من ذهب،لابتغى وراءهما ثالثا،و لا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب،و يتوب اللّه على من تاب».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-:

«منهومان لا يشبعان:منهوم العلم،و منهوم المال».

و قال صلى اللّه عليه و آله: «يشيب ابن آدم و تشب فيه خصلتان:الحرص،و طول الأمل»

و قال أبو جعفر الباقر عليه السلام: «مثل الحريص على الدنيا كمثل دوده القز،كلما ازدادت على نفسها لفا كان أبعد لها من الخروج،حتى تموت غما».

و قال الصادق عليه السلام: «إن فيما نزل به الوحی من السماء لو أن لابن آدم واديين يسيلان ذهبا و فضه لابتغى لهما ثالثا.يا ابن آدم إنما بطنك بحر من البحور و وارد من الأوديه،لا يملأه شیء إلا التراب» و قال بعض الأكابر:«من عجيب أمر الإنسان،أنه لو نودی بدوام البقاء فی أيام الدنيا لم يكن فی قوی خلقته من الحرص على الجمع أكثر مما قد استعمله مع قصر مده التمتع و توقع الزوال».ثم ما ورد من الأخبار فی ذمه أكثر من أن تحصى،و لا حاجه إلى إيرادها لاشتهارها.

و قال الباقر-عليه السلام-: «رب حريص على أمر قد شقی به حين أتاه، و رب كاره لأمر قد سعد به حين أتاه». و أی خسران أشد من أن يسعى الإنسان فی طلب به هلاكه؟و أی تأمل فی أن كلما يحرص عليه الإنسان من أموال الدنيا يكون مهلكا له؟!

وصل القناعه

ضد الحرص(القناعه).و هى ملكه للنفس:توجب الاكتفاء بقدر الحاجه و الضروره من المال،من دون سعى و تعب فى طلب الزائد عنه،و هى صفه فاضله يتوقف عليها كسب سائر الفضائل،و عدمها يؤدى بالعبد إلى مساوئ الأخلاق و الرذائل،و هى المظنه للوصول إلى المقصد و أعظم الوسائل لتحصيل سعاده الأبد،إذ من قنع بقدر الضروره من المطعم و الملبس،و يقتصر على أقله قدرا أو أخسه نوعا،و يرد أمله إلى يومه أو إلى شهره،و لا يشغل قلبه بالزائد عن ذلك،كان فارغ البال مجتمع الهم،فيتمكن من الاشتغال بأمر الدين و سلوك طريق الآخره، و من فاتته القناعه،و تدنس بالحرص و الطمع و طول الأمل،و خاض فى غمرات الدنيا،تفرق قلبه و تشتت أمره.فكيف يمكنه التشمر لتحصيل أمر الدين و الوصول إلى درجات المتقين؟و لذلك ورد فى مدح القناعه ما ورد من الأخبار،

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: «طوبى لمن هدى للإسلام،و كان عيشه كفافا به!»

. و قال: «ما من أحد،من غنى و لا فقير،إلا ود يوم القيامه أنه كان أوتى قوتا فى الدنيا».

و قال -صلى اللّه عليه و آله-: «أيها الناس،أجملوا فى الطلب،فإنه ليس للعبد إلا ما كتب له فى الدنيا،و لن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له فى الدنيا و هى راغمه»

و قال صلى اللّه عليه و آله: «نفث روح القدس فى روعى:أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها.فاتقوا اللّه و أجملوا فى الطلب».

و قال صلى اللّه عليه و آله: «كن ورعا تكن أعبد الناس

و کن قانعا تکن أشکر الناس،و أحب للنّاس ما تحب لنفسک تکن مؤمنا»

و فی الخبر القدسی: «یا ابن آدم،لو کانت الدنیا کلها لک لم یکن لک منها إلا القوت،فإذا أنا أعطیتک منها القوت و جعلت حسابها علی غیرک فأنا إلیک محسن».

و روی: «أن موسی سأل ربه تعالی،و قال:أی عبادک أغنی؟قال:أقنعهم لما أعطیته».

و قال أمیر المؤمنین علیه السلام «ابن آدم،إن کنت ترید من الدنیا ما یکفیک،فإن أیسر ما فیها یکفیک و إن کنت إنما ترید ما لا یکفیک،فإن کل ما فیها لا یکفیک».

و قال أبو جعفر الباقر علیه السلام: «إیاک أن تطمح بصرک إلی من هو فوقک فکفی بما قال اللّه عز و جل لنبیه-صلی اللّه علیه و آله-:

فَلاٰ تُعْجِبْکَ أَمْوٰالُهُمْ وَ لاٰ أَوْلاٰدُهُمْ

(۱)

.و قال:

وَ لاٰ تَمُدَّنَّ عَیْنَیْکَ إِلیٰ مٰا مَتَّعْنٰا بِهِ أَزْوٰاجاً مِنْهُمْ زَهْرَهَ الْحَیٰاهِ الدُّنْیٰا

(۲)

.

فإن دخلک من ذلک شیء،فاذکر عیش رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-فإنما کان قوته الشعیر-و حلواه التمر،و وقوده السعف إذا وجده» (۳)

و قال: «من قنع بما رزقه اللّه فهو من أغنی الناس.

و قال

ص :۱۰۵

۱- ۱) التوبه،الآیه.۵۶.

۲- ۲) طه،الآیه:۱۳۱.

۳- ۳) صححنا الحدیث و ما قبله علی ما فی(الکافی):باب القناعه،و کذا الحدیثین المذکورین بعده.إلا أن هذا الحدیث مروی

فی(الکافی)عن أبی جعفر -علیه السلام-و روی فی(الوسائل)عن کتاب الزهد،فی أبواب جهاد النفس من کتاب الجهاد:الباب ۶۱ الحدیث ۱۱،ما یقرب من عباره هذا الحدیث عن أبی عبد اللّه-علیه السلام-.

الصادق عليه السلام: «من رضى من اللّه باليسير من المعاش رضى اللّه عنه باليسير من العمل».

و قال: «مكتوب فى التوراه:ابن آدم،كن كيف شئت كما تدين تدان،من رضى من اللّه بالقليل من الرزق قبل اللّه منه اليسير من العمل،و من رضى باليسير من الحلال خفت مؤنته و زكت مكسبته و خرج من حد الفجور».

و قال: «إن اللّه عز و جل يقول:

يحزن عبدى المؤمن إن قترت عليه،و ذلك أقرب له منى،و يفرح عبدى المؤمن إن وسعت عليه،و ذلك أبعد له منى».

و قال: «كلما ازداد العبد إيمانا ازداد ضيقا فى معيشته». و الأخبار الوارده فى فضيله القناعه أكثر من أن تحصى،و ما أوردناه كاف لأهل البصيره.

فصل علاج الحرص

طريق المعالجه فى إزاله الحرص و تحصيل القناعه:أن يتذكر أولا-ما فى القناعه من المدح و الشرافه،و عز النفس و فضيله الحريه،و ما فى الحرص من الذم و المهانه،و تحمل الذله و متابعه الشهوه.و يعرف أن من لا يؤثر عز النفس على شهوه البطن،فهو قليل العقل ناقص الإيمان.ثم يتذكر ما فى جمع المال من الآفات الدنيويه و العقوبات الأخرويه،و يكثر التأمل فيما مضى عليه عظماء الخلق و أعز أصنافهم،أعنى الأنبياء و الأوصياء و من سار بسيرتهم من السلف الأتقياء،من صبرهم على القليل،و قناعتهم باليسير،و فيما يجرى عليه الكفار من الهند و و اليهود و النصارى و أراذل

الناس و أغنيائهم و أمثالهم،من التنعم و جمع المال الكثير. و بعد هذا التأمل لا أظنه يشك فى أن الاقتداء بأعز الخلائق أحسن من الاقتداء بأراذلهم، بل المتأمل يعرف أن الحريص المتكالب على لذات الدنيا خارج عن أفق الإنسانيه،و داخل فى جريده البهائم،إذ الحرص على شهوات البطن و الفرج من لوازم البهيميه،و أحرص الناس على الشهوات لا يبلغ رتبه البهائم فى ذلك.فما من حريص على التنعم فى البطن إلا-و الحمار أكثر أكلا-منه،و ما من حريص على الجماع إلا و الخنزير أشد نزوا منه.فظهر أن الحريص فى مرتبه الخنزير و الحمير و اليهود و الهند،و القانع لا يساهمه فى الرتبه إلا الأنبياء و الأولياء.و بعد التأمل فى جميع ما ذكر،يتم العلاج العلمى،و به تسهل إزاله الحرص و اكتساب القناعه .فليبادر إلى العلاج العملى،و هو العمل بالاقتصاد فى أمر المعيشه،ليسد أبواب الخرج ما أمكن و رد النفس إلى ما لا بد منه.فإن من كثر خرجه و اتسع إنفاقه،لم تمكنه القناعه،فإن كان وحده،اكتفى بثوب خشن،و يقنع بأى طعام كان و يقلل من الإدام ما أمكنه،و هكذا الحال فى سائر ما يضطر إليه و يوطن نفسه عليه.و إن كان له عيال رد كل واحد منهم إلى هذا القدر.و إذا بنى أمره على الاقتصاد،لم يحتج إلى كثير جهد و إن كان معيلا.

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: «ما عال من اقتصد» (۱).

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «ثلاث منجيات:خشيه اللّه فى السر و العلانيه،و القصد فى الغناء و الفقر،و العدل فى الرضا و الغضب».

و قال: «التدبير نصف المعيشه».

و قال: «من اقتصد أغناه اللّه،و من بذر أفقره اللّه».

---

۱ - ۱) روى فى(سفينه البحار):۲:۴۳۱،عن أمير المؤمنين-عليه السلام- مثل هذا الحديث هكذا:«ما عال امرؤ اقتصد»،و كذا فى(بحار الأنوار): ۲ مج ۱۵-۱۹۹.

و قال «الاقتصاد،و حسن الصمت،و الهدی الصالح،جزء من بضع و عشرین جزءا من النبوه».

و قال أمیر المؤمنین-علیه السلام-: «القصد مثراه و السرف متواه» (۱).

و قال السجاد-علیه السلام-: «لینفق الرجل بالقصد و بلغه الکفاف،و یقدم منه الأفضل لآخرته،فإن ذلک أبقی للنعمه و أقرب إلی المزید من اللّه تعالی،و أنفع فی العافیه».

و قال الصادق -علیه السلام-: «إن القصد أمر یحبه اللّه،و إن السرف أمر یبغضه اللّه،حتی طرحک النواه،فإنها تصلح لشیء،و حتی صبک فضل شرابک (۲)

و قال-علیه السلام-: «ضمنت لمن اقتصد ألا یفتقر»

و قال-علیه السلام-: «إن السرف یورث الفقر،و إن القصد یورث الغناء».

و الأخبار فی مدح الاقتصاد أکثر من أن تحصی.

ثم إذا تیسرت له المعیشه فی الحال،فلا ینبغی أن یکون مضطربا لأجل الاستقبال،و یعتمد علی فضل اللّه و وعده بأن الرزق الذی قدر له یأتیه و إن لم یکن حریصا و لا مضطربا لأجله و لا یعلم لنفسه مدخلا یأتی رزقه منه.و قال اللّه تعالی:

وَ مٰا مِنْ دَابَّةٍ فِی اَلْأَرْضِ إِلاّٰ عَلَی اَللّٰهِ رِزْقُهٰا

(۳)

.

و قال: وَ مَنْ یَتَّقِ اَللّٰهَ یَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً. وَ یَرْزُقْهُ مِنْ حَیْثُ لاٰ یَحْتَسِبُ (۴).

ص:۱۰۸

۱- ۱) صححنا الحدیث علی ما فی(الوافی):۵-۲۹۵،و قال فیه:«کلاهما بکسر المیم:اسم آله من الثروه.و التوی-بالمثناه-بمعنی الهلاک و التلف»

۲- ۲) صححنا الحدیث علی ما فی(الوافی):۵-۲۴۵.

۳- ۳) هود،الآیه:۶.

۴- ۴) الطلاق،الآیه:۲-۳.

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: «أبى اللّه أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب».

ثم ينبغى ألا ينظر إلى من هو فوقه،بل ينظر إلى من هو دونه فى التنعم و فى مال الدنيا،فإن الشيطان يصرف نظره فى أمر الدنيا إلى من هو فوقه،و يقول:لم تفتر عن طلب الدنيا و أرباب الأموال يتنعمون فى المطاعم و الملابس؟و يصرف نظره فى أمر الدين إلى من هو دونه،و يقول:

لم تضيق على نفسك و تخاف اللّه و فلان أعلم منك و لا يخاف اللّه؟

قال أبو ذر(ره): «أوصانى خليلى رسول اللّه أن أنظر إلى من هو دونى، لا إلى من هو فوقى فى الدنيا».

و قال صلى اللّه عليه و آله: «إذا نظر أحدكم إلى من فضله اللّه عليه فى المال و الخلق،فلينظر إلى من هو أسفل منه».

و منها:

اشاره

الطمع

و هو التوقع من الناس فى أموالهم،و هو أيضا من شعب حب الدنيا و من أنواعه،و من الرذائل المهلكه.

و قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله «إياك و الطمع،فإنه الفقر الحاضر».

و قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«استغن عمن شئت تكن نظيره،و أرغب إلى من شئت تكن أسيره، و أحسن إلى من شئت تكن أميره».

و قال الباقر عليه السلام: «بئس العبد عبد له طمع يقوده،و بئس العبد عبد له رغبه تذله»

و قيل للصادق عليه السلام:ما الذى يثبت الإيمان فى العبد؟قال:«الورع

و الذی یخرجه منه الطمع» (۱)و الأخبار فی ذم الطمع کثیره،و کفی به ذما أن کل طامع یکون ذلیلا مهینا عند الناس،و أن وثوقه بالناس و اعتماده علیهم أکثر من وثوقه باللّه،إذ لو کان اعتماده علی اللّه أکثر من اعتماده علی الناس لم یکن نظره إلیهم،بل لم یطمع من أحد شیئا إلا من اللّه سبحانه.

وصل الاستغناء عن الناس

ضد الطمع هو(الاستغناء عن الناس)و هو من الفضائل الموجبه لتقرب العبد إلی اللّه سبحانه،إذ من استغنی باللّه عن غیر اللّه أحبه اللّه.

و الأخبار الآمره بالاتصاف به و المادحه له کثیره.

قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: «لیس الغنی عن کثره العروض،إنما الغنی غنی النفس»

و قال لأعرابی طلب منه موعظه:«اذا صلیت فصل صلاه مودع،و لا تحدثن بحدیث تعتذر منه غدا،و اجمع الیأس عما فی أیدی الناس».

و قال صلی اللّه علیه و آله: «علیک بالیأس عما فی أیدی الناس،فإنه الغنی الحاضر».

و قال أمیر المؤمنین-علیه السلام-: «لیجتمع فی قلبک الافتقار إلی الناس و الاستغناء عنهم،فیکون افتقارک إلیهم فی لین کلامک و حسن بشرک،و یکون استغناؤک عنهم فی نزاهه عرضک و بقاء عزک»

---

۱ – ۱) صححنا الحدیث علی(الکافی)فی باب الطمع کما اثبتناه،لکن فی(سفینه البحار):۲-۹۳،رواه عن الصادق-علیه السلام- هکذا:«قال:قلت: ما الذی یثبت الإیمان فی قلب العبد؟قال:الذی یثبته فیه الورع،و الذی یخرجه منه الطمع».

و قال سيد الساجدين-عليه السلام-: «رأيت الخير كله قد اجتمع فى قطع الطمع عما فى أيدى الناس،و من لم يرج الناس فى شيء،و رد أمره إلى اللّه تعالى فى جميع أموره،استجاب اللّه تعالى له فى كل شيء».

و قال الباقر-عليه السلام-: «سخاء المرء عما فى أيدى الناس أكثر من سخاء النفس و البذل،و مروه الصبر فى حال الفاقه و الحاجه و التعفف و الغنى أكثر من مروه الإعطاء،و خير المال الثقه باللّه و اليأس مما فى أيدى الناس»

و قال-عليه السلام-: «اليأس مما فى أيدى الناس عز المؤمن فى دينه»

و قال الصادق عليه السلام: «شرف المؤمن قيام الليل،و عزه استغناؤه عن الناس».

و قال-عليه السلام-: «شيعتنا من لا يسأل الناس،و لو مات جوعا».

و قال-عليه السلام-: «ثلاث هنّ فخر المؤمن و زينته فى الدنيا و الآخره:الصلاه فى آخر الليل،و يأسه مما فى أيدى الناس، و ولايته للإمام من آل محمد-عليهم السلام-».

و قال عليه السلام:

«إذا أراد أحدكم ألا يسأل ربه شيئا إلا أعطاه،فلييأس من الناس كلهم و لا يكون له رجاء إلا عند اللّه،فإذا علم اللّه ذلك من قلبه،لم يسأل اللّه شيئا إلا أعطاه (1)ثم طريق العلاج فى قطع الطمع و كسب الاستغناء قريب مما ذكر فى علاج إزاله الحرص و تحصيل القناعه،فتذكر.

---

1 - 1) صححنا الأحاديث هنا-ابتداء من الحديث المروى عن على-عليه السلام- على(الكافى):باب الاستغناء عن الناس.و(الوسائل):كتاب الزكاه،أبواب الصدقه،الباب 37.

و منها:

اشاره

البخل

و هو الإمساک حیث ینبغی البذل،کما أن الإسراف هو البذل حیث ینبغی الإمساک،و کلاهما مذمومان،و المحمود هو الوسط،و هو الجود و السخاء.إذ لم یؤمر رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله إلا بالسخاء،و قیل له:

وَ لاٰ تَجْعَلْ یَدَکَ مَغْلُولَهً إِلیٰ عُنُقِکَ وَ لاٰ تَبْسُطْهٰا کُلَّ الْبَسْطِ

(۱)

.و قال تعالی: وَ الَّذِینَ إِذٰا أَنْفَقُوا لَمْ یُسْرِفُوا وَ لَمْ یَقْتُرُوا وَ کٰانَ بَیْنَ ذٰلِکَ قَوٰاماً (۲).

فالجود وسط بین الإقتار و الإسراف،و بین البسط و القبض،و هو تقدیر البذل و الإمساک بقدر الواجب اللائق.و لا یکفی فی تحقق الجود و السخاء أن یفعل ذلک بالجوارح ما لم یکن قلبه طیبا غیر منازع له فیه.

فإن بذل فی محل وجوب البذل و نفسه تنازعه و هو یضایرها فهو متسخ و لیس بسخی،بل ینبغی ألا یکون لقلبه علاقه مع المال إلا من حیث یراد المال له،و هو صرفه إلی ما یجب أو ینبغی صرفه إلیه.

۱- ۱) الإسراء،الآیه:۲۹.

۲- ۲) الفرقان،الآیه:۶۷.

فصل ذم البخل

البخل من ثمرات حب الدنيا و نتائجه،و هو من خبائث الصفات و رذائل الأخلاق.و لذا ورد في ذمه ما ورد من الآيات و الأخبار.قال اللّه سبحانه:

اَلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَ يَأْمُرُونَ النّاسَ بِالْبُخْلِ وَ يَكْتُمُونَ ما آتاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ...

(۱)

.و قال تعالى: وَ لا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِما آتاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ .(۲)

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: «إياكم و الشح،فإنه أهلك من كان قبلكم،حملهم على أن سفكوا دماءهم و استحلوا محارمهم»

و قال صلى اللّه عليه و آله: «لا يدخل الجنه بخيل و لا خب و لا خائن و لا شيء الملكه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «البخيل بعيد من اللّه،بعيد من الناس،بعيد من الجنه،قريب من النار.و جاهل.

سخى أحب إلى اللّه من عابد بخيل،و أدوى الداء البخل» (۳)

و قال -صلى اللّه عليه و آله-: «الموبقات ثلاث:شح مطاع،و هوى متبع و إعجاب المرء بنفسه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «إن اللّه يبغض

۱- ۱) النساء،الآيه:۳۶.

۲- ۲) آل عمران،الآيه:۱۸۰.

۳- ۳) الأحاديث كلها عاميه،صححناها على(إحياء العلوم)و(إحياء الأحياء).

الشیخ الزانی،و البخیل المنان،و المعیل المختال».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «إیاکم و الشح،فإنما هلک من کان قبلکم بالشح،أمرهم بالکذب فکذبوا،و أمرهم بالظلم فظلموا،و أمرهم بالقطیعه فقطعوا» (۱)

و قال -صلی اللّه علیه و آله-: «البخل شجره تنبت فی النار،فلا یلج النار إلا بخیل».

و قال: «خلق البخل من مقته،و جعل رأسه راسخا فی أصل شجره الزقوم،و دلی بعض أغصانها إلی الدنیا،فمن تعلق بغصن منها أدخله النار.ألا إن البخل من الکفر،و الکفر فی النار».

و قتل فی الجهاد رجل من أصحاب رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-فبکته باکیه و قالت:وا شهیداه!فقال النبی-صلی اللّه علیه و آله-:«ما یدریک أنه شهید؟فلعله کان یتکلم بما لا یعنیه،أو یبخل بما لا ینقصه».

و قال -صلی اللّه علیه و آله-: «إن اللّه یبغض البخیل فی حیاته،و السخی عند موته».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «السخی الجهول أحب إلی اللّه عز و جل من العابد البخیل».

و قال: «الشح و الإیمان لا یجتمعان فی قلب واحد».

و قال أیضا: «خصلتان لا تجتمعان فی مؤمن:البخل و سوء الخلق».

و قال صلی اللّه علیه و آله: «لا ینبغی للمؤمن أن یکون بخیلا و لا جبانا».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «یقول قائلکم:الشحیح أعذر من الظالم.و أی ظلم أظلم عند اللّه من الشح؟حلف اللّه بعزته و عظمته و جلاله لا یدخل الجنه شحیح و لا بخیل».

و قال: «اللهم إنی أعوذ بک من البخل!».

و روی: «أنه-صلی اللّه علیه و آله-کان یطوف بالبیت،فإذا رجل متعلق بأستار الکعبه و هو یقول:بحرمه هذا البیت إلا غفرت لی ذنبی!قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:

۱- ۱) صححنا الحدیث(علی البحار):ج ۳ من المجلد الخامس عشر ص ۱۴۳ و کذا الحدیث المتقدم.

و ما ذنبک؟صفه لی.قال:هو أعظم من أن أصفه لک.قال ویحک! ذنبک أعظم أم الأرضون؟قال:بل ذنبی یا رسول اللّه.قال صلی اللّه علیه و آله ویحک!ذنبک أعظم أم الجبال؟قال:بل ذنبی یا رسول اللّه.قال -صلی اللّه علیه و آله-:فذنبک أعظم أم البحار؟قال:بل ذنبی یا رسول اللّه قال-صلی اللّه علیه و آله-:فذنبک أعظم أم السماوات؟قال:بل ذنبی یا رسول اللّه.قال:ذنبک أعظم أم اللّه؟قال:بل اللّه أعظم و أعلی و أجل.قال:ویحک اتصف لی ذنبک.قال:یا رسول اللّه،إنی رجل ذو ثروه من المال،و أن السائل لیأتینی لیسألنی فکأنما یستقبلنی بشعله من النار.فقال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:إلیک عنی!لا تحرقنی بنارک!فو الذی بعثنی بالهدایه و الکرامه،لو قمت بین الرکن و المقام، ثم صلیت ألفی ألف عام،و بکیت حتی تجری من دموعک الأنهار و تسقی بها الأشجار،ثم مت و أنت لئیم،لأکبک اللّه فی النار!ویحک!أ ما علمت أن اللّه یقول:

وَ مَنْ یَبْخَلْ فَإِنَّما یَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ

(۱)

.

وَ مَنْ یُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولٰئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ؟! (۲).

و قال أمیر المؤمنین-علیه السلام-: «سیأتی علی الناس زمان عضوض،یعض المؤمن علی ما فی یدیه،و لم یؤمر بذلک.قال اللّه تعالی:

۱- ۱) محمد،الآیه:۳۸.

۲- ۲) الحشر،الآیه:۹.التغابن،الآیه:۱۶.

وَ لاٰ تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ

(۱)

.

و روى: «أنه ما من صباح إلا و قد وكل اللّه تعالى ملكين يناديان:

اللهم اجعل لكل ممسك تلفا،و لكل منفق خلفا!». و الأخبار فى ذم البخل أكثر من أن تحصى،مع أن تضمنه للمفاسد الدنيويه و الأخرويه مما يحكم به الوجدان و لا يحتاج إلى دليل و برهان،حتى أن النظر إلى البخيل يقسى القلب،و من كان له صفاء سريره،يكرب قلبه و يظلم من ملاقاته و قد قيل:«أبخل الناس بماله أجودهم بعرضه).

وصل السخاء

ضد البخل(السخاء).و قد عرفت معناه،و هو من ثمره الزهد كما أن البخل من ثمره حب الدنيا.فينبغى لكل سالك لطريق الآخره أن يكون حاله القناعه إن لم يكن له مال،و السخاء و اصطناع المعروف إن كان له مال.و لا ريب فى كون الجود و السخاء من شرائف الصفات و معالى الأخلاق،و هو أصل من أصول النجاه،و أشهر أوصاف النبيين و أعرف أخلاق المرسلين.و ما ورد فى مدحه خارج عن حد الإحصاء،

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: «السخاء شجره من شجر الجنه أغصانها متدليه إلى الأرض،فمن أخذ منها غصنا قاده ذلك الغصن إلى الجنه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «إن السخاء من الإيمان فى الجنه»

و قال صلى اللّه عليه و آله: «السخاء شجره تنبت فى الجنه،فلا

۱- ۱) البقره،الآيه:۲۳۷.

يلج الجنه إلا سخى».

و قال صلى اللّه عليه و آله: «قال اللّه سبحانه إن هذا دين ارتضيته لنفسى،و لن يصلحه إلا السخاء و حسن الخلق، فأكرموه بهما ما استطعتم».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «ما جعل اللّه أولياءه إلا على السخاء و حسن الخلق».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-:

«إن من موجبات المغفره:بذل الطعام.و إفشاء السلام،و حسن الكلام».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «إن السخى قريب من اللّه،قريب من الناس،قريب من الجنه،بعيد من النار».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-:

«تجافوا عن ذنب السخى،فإن اللّه آخذ بيده كلما عثر»

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «طعام الجواد دواء،و طعام البخيل داء»

(۱)

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «أفضل الأعمال:الصبر و السماحه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «خلقان يحبهما اللّه،و هما:حسن الخلق،و السخاء»

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «إن اللّه جواد يحب الجود،و يحب معالى الأخلاق،و يكره سفاسفها».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «الرزق إلى مطعم الطعام أسرع من السكين إلى ذروه البعير،و إن اللّه تعالى ليباهى بمطعم الطعام الملائكه-عليهم السلام-:».

و قال-صلى اللّه عليه و آله- «إن للّه عبادا يخصهم بالنعم لمنافع العباد،فمن بخل بتلك المنافع عن العباد،نقلها اللّه عنه و حولها إلى غيره».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-:

«الجنه دار الأسخياء».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «لشاب سخى مرهق فى الذنوب،أحب إلى اللّه من شيخ عابد بخيل (۲)

و قال صلى اللّه عليه و آله: «اصنع المعروف إلى من هو أهله و إلى من ليس بأهله،فإن

1- 1) (البحار):2 مج 15-221،باب السخاء و السماحه.

2- 2) صححنا الحديث على(البحار)فى الموضع المتقدم:(الشحيح)بدل (البخيل).

أصبت أهله فقد أصبت أهله،و إن لم تصب أهله فأنت من أهله».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «إن بدلاء أمتى لم يدخلوا الجنه بصلاه و لا صيام،و لكن دخلوها بسخاء الأنفس،و سلامه الصدور،و النصح للمسلمين».

و قال صلى اللّه عليه و آله: «إن اللّه عز و جل جعل للمعروف وجوها من خلقه،حبب إليهم المعروف و حبب إليهم فعاله،و وجه طلاب المعروف إليهم و يسر عليهم إعطاءه،كما ييسر الغيث إلى البلده الجدبه فيحييها و يحيى بها أهلها».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «السخى محبب فى السماوات و محبب فى الأرضين،خلق من طينه عذبه،و خلق ماء عينيه من ماء الكوثر،و البخيل مبغض فى السماوات مبغض فى الأرضين، خلق من طينه سبخه،و خلق ماء عينيه من ماء العوسج».-

و قال -صلى اللّه عليه و آله-: «إن أفضل الناس إيمانا أبسطهم كفا».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «يؤتى يوم القيامه برجل،فيقال:احتج فيقول:يا رب،خلقتنى و هديتنى،و أوسعت على فلم أزل أوسع على خلقك،و أنشر عليهم لكى تنشر على هذا اليوم رحمتك و تيسره.فيقول الرب-تعالى ذكره-:صدق عبدى،أدخلوه الجنه».

و روى: «أنه أتى النبى-صلى اللّه عليه و آله-وفد من اليمن،و فيهم رجل كان أعظمهم كلاما و أشدهم استقصاء فى محاجه النبى صلى اللّه عليه و آله فغضب النبى حتى التوى عرق الغضب بين عينيه،و تربد وجهه و أطرق إلى الأرض فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال:ربك يقول لك:هذا رجل سخى يطعم الطعام.فسكن عن النبى-صلى اللّه عليه و آله-الغضب،و رفع رأسه و قال:لو لا أن جبرئيل أخبرنى عن اللّه عز و جل أنك سخى تطعم الطعام لشردت بك،و جعلتك حديثا لمن خلفك!فقال له الرجل:إن ربك يحب السخاء؟فقال:نعم!فقال:إنى أشهد ألا إله إلاّ اللّه،و أنك

رسول اللّه،و الذی بعثک بالحق،لا رددت عن مالی أحدا!» (۱)،

و قال صلی اللّه علیه و آله: «کل معروف صدقه،و کل ما أنفق الرجل علی نفسه و أهله کتب له صدقه،و ما وقی المرء به عرضه فهو له صدقه و ما وقی المرء به عرضه فهو له صدقه،و ما أنفق الرجل من نفقه فعلی اللّه خلفها».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «کل معروف صدقه، و الدال علی الخیر کفاعله،و اللّه تعالی یحب إغاثه اللهفان».

و روی:

«أنه أوحی اللّه إلی موسی-علیه السلام-:لا تقتل السامری،فإنه سخی» (۲)

و قال عیسی علیه السلام: «استکثروا من شیء لا تأکله النار قیل:و ما هو؟قال:«المعروف».

و قال أمیر المؤمنین علیه السلام «و من یبسط یده بالمعروف إذا وجده،یخلف اللّه له ما أنفق فی دنیاه، و یضاعف له فی آخرته» (۳).

و قال الباقر-علیه السلام-: «إن الشمس لتطلع و معها أربعه أملاک:ملک ینادی:یا صاحب الخیر أتم و أبشر و ملک ینادی یا صاحب الشر انزع و اقصر،و ملک ینادی:أعط منفقا خلفا و آت ممسکا تلفا،و ملک ینضح الأرض بالماء،و لو لا ذلک اشتعلت الأرض».

و قال الصادق علیه السلام لبعض جلسائه: «أ لا أخبرک بشیء تقرب به من اللّه و تقرب من الجنه و تباعد من النار؟»،فقال:بلی.فقال:«علیک بالسخاء».

و قال: «خیارکم سمحاؤکم،و شرارکم بخلاؤکم.و من خالص الإیمان:البر بالإخوان و السعی فی حوائجهم،و أن البار بالإخوان

---

۱ - ۱) صححنا الحدیث علی(سفینه البحار):۱-۶۰۷،و علی(الوافی): ۵-۲۹۳،فی باب الجود و البخل.لکن بینهما اختلاف یسیر،فرجحنا تصحیح الحدیث علی ما فی(السفینه).

۲- ۲) الروایات کلها عامیه،صححناها علی احیاء العلوم:۳-۲۱۰.

۳- ۳) صححنا الحدیث علی(الوافی):۵-۲۹۴،باب الجود و البخل.

ليحبه الرحمن،و فى ذلك مرغمه للشيطان،و تزحزح عن النيران و دخول الجنان».

و قال الكاظم عليه السلام: «السخى الحسن الخلق فى كنف اللّه،لا يستخلى اللّه منه حتى يدخله الجنه.و ما بعث اللّه نبيا و لا وصيا إلا سخيا،و لا كان أحد من الصالحين إلا سخيا،و ما زال أبى يوصينى بالسخاء حتى مضى».

فصل معرفه ما يجب أن يبذل

لعلك تقول:إنك قلت:السخاء هو الوسط بين الاقتار و الإسراف و هو صرف المال إلى ما يجب أو ينبغى صرفه إليه،و هذا غير كاف لمعرفه حد السخاء،لتوقفه على معرفه ما يجب أو ينبغى،و هو عندنا مبهم.

قلنا:ما يجب أو ينبغى يتناول الواجب و اللائق بحسب الشرع و المروه و العاده.فالسخى هو الذى يؤدى واجب الشرع و واجب المروه و العاده جميعا،فإن منع واحدا منها فهو بخيل،و إن كان الذى يمنع واجب الشرع أبخل. ثم ما يجب بذله شرعا مضبوط معين،من الزكاه و الخمس و غيرهما من أطيب ماله أو وسطه دون الخبيث منه،و الإنفاق على أهله و عياله على قدر احتياجهم.فمن أدى جميع ذلك فقد أدى الواجب الشرعى و يستحق اسم السخى شرعا،إذا كان الأداء بطيبه من قلبه،من دون أن يشق عليه،إذ لو شق عليه ذلك كان بخيلا بالطبع و متسخيا بالتكلف و أما ما يجب مروه و عاده،فهو ترك المضايقه فى بذل ما يستقبح المضايقه فيه عرفا و عاده،و هو يختلف فى الأحوال و الأشخاص،فتستقبح من الغنى المضايقه ما لا يستقبح من الفقير،و مع الأهل و الأقارب ما لا يستقبح

مع الأجانب،و مع الجار ما لا يستقبح من البعيد،و فى الضيافه ما لا يستقبح أقل منه فى المبايعه و المعامله،و يستقبح من المضايقه فى الأطعمه ما لا يستقبح فى غيرها . و بالجمله:يختلف ذلك بما فيه المضايقه من ضيافه أو معامله و بما فيه المضايقه من طعام أو ثوب أو فرش أو غير ذلك.و بمن معه المضايقه من صديق أو قريب أو جار أو أجنبى أو بعيد،و بمن منه المضايقه من غنى أو فقير أو أمير أو رعيه أو عالم أو جاهل أو صبى أو كامل.

فالسخى هو الذى لا يمنع حيث ينبغى ألا يمنع شرعا أو مروه أو عاده، و البخيل من يمنع شيئا مما ينبغى ألا يمنع شرعا أو مروه أو عاده.و لا يمكن التنصيص على مقدار ذلك،فلعل حد البخل هو إمساك المال لغرض و ذلك الغرض أهم من حفظ المال،و فى مقابله الجود و السخاء.

ثم من يؤدى الواجب و يحفظ العاده و المروه،و لكن له مال كثير قد جمعه،لا يصرفه إلى المحتاجين و لا ينفقه فى الصدقات المستحبه ليكون له عده على نوائب الزمان،و إن لم يكن بخيلا- عند عوام الخلق،و لكنه بخيل عند أهل الفطانه و الكياسه،إذ التبرى عن البخل و الاتصاف بصفه الجود و السخاء لا يتحقق عندهم ما لم يبذل زياده على قدر واجب الشرع و واجب المروه و العاده اللائقه به،لطلب الفضيله و الثواب،و نيل الدرجات فى الآخره.و تختلف هذه الزياده باختلاف مقدار ماله،و باختلاف حاجه المحتاجين و صلاحهم و ورعهم.فاتصافه بالجود،بقدر ما تتسع له نفسه من قليل أو كثير،و تختلف درجات ذلك.فاصطناع المعروف أمر وراء ما توجبه العاده و المروه،و هو الجود بشرط أن يكون عن طيبه من النفس و لا يكون لأجل غرض،من خدمه أو مدح و ثناء.إذ من يبذل المال بعوض المدح و الثناء أو غيره فليس بجواد،بل هو بياع يشترى المدح بماله،لكون المدح ألذ عنده من المال.

فالجود هو بذل الشیء عن طیبه من القلب من غیر غرض،و هذا و إن کان حقیقته،إلا أنه لا یتصور فی غیر حق اللّه،إذ ما من إنسان یبذل الشیء إلا لغرض،لکن إذا لم یکن غرضه إلا الثواب فی الآخره و رفع الدرجات،و اکتساب فضیله الجود،و تطهیر النفس عن رذیله البخل،سمی جوادا،و إن کان غرضه شیئا من الأمور الدنیویه لم یسم جوادا.

تنبیه الإیثار

أرفع درجات الجود و السخاء(الإیثار)،و هو أن یجود بالمال مع الحاجه إلیه.قال اللّه سبحانه فی معرض الثناء علی أهل الإیثار:

وَ یُؤْثِرُونَ عَلیٰ أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ کٰانَ بِهِمْ خَصٰاصَهٌ

(۱)

.

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: أیما امرؤ اشتهی شهوه، فرد شهوته و آثر علی نفسه،غفر له».

و کان الإیثار من شعار رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-،

و لقد قالت بعض زوجاته: «إنه-صلی اللّه علیه و آله-ما شبع ثلاثه أیام متوالیه حتی فارق الدنیا،و لو شئنا لشبعنا،و لکنا نؤثر علی أنفسنا»

و روی: «أن موسی بن عمران قال:یا رب،أرنی بعض درجات محمد و أمته.قال:یا موسی،إنک لن تطیق ذلک،لکنی أریک منزله من منازله،جلیله عظیمه،فضلته بها علیک و علی جمیع خلقی.قال (۲):

۱- ۱) الحشر،الآیه:۹.

۲- ۲) أی الراوی.

فکشف له عن ملکوت السماوات،فنظر إلی منزله کادت أن تتلف نفسه من أنوارها و قربها من اللّه،فقال:یا رب،بما ذا بلغ إلی هذه الکرامه؟قال تعالی:بخلق اختصصته به من بینهم،و هو الإیثار یا موسی لا یأتینی أحد منهم قد عمل به وقتا من عمره إلا استحییت من محاسبته، و بوأته من جنتی حیث یشاء»

و سئل الصادق-علیه السلام-:«أی الصدقه أفضل؟قال علیه السلام:جهد المقل.أ ما سمعت قول اللّه عز و جل: وَ یُؤْثِرُونَ عَلیٰ أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ کٰانَ بِهِمْ خَصٰاصَهٌ؟ و إیثار علی -علیه السلام-غیره فی جمیع أوقات عمره مشهور،و فی الکتب مسطور و لقد آثر حیاه رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-علی حیاته لیله المبیت فباهی اللّه به الملائکه،و أنزل فیه:

وَ مِنَ النّٰاسِ مَنْ یَشْرِی نَفْسَهُ ابْتِغٰاءَ مَرْضٰاتِ اللّٰهِ

(۱)

.

و لقد کان الخواص من شیعته و المقتدون به فی سنته و سیرته، یجتهدون فی المحافظه علی هذه الفضیله مهما أمکن.

فصل علاج مرض البخل

علاج مرض البخل یتم بعلم و عمل.و العلم یرجع إلی معرفه آفه البخل و فائده الجود،و العمل یرجع إلی البذل علی سبیل التکلف إلی أن یصیر طبعا له.فکل طالب لإزاله البخل و کسب الجود ینبغی أن یکثر التأمل فی أخبار ذم البخل و مدح السخاء،و ما توعد اللّه به علی البخل من العذاب

۱- ۱) البقره،الآیه:۲۰۷.

العظيم،و يكثر التأمل فى أحوال البخلاء و فى نفره الطبع عنهم،حتى يعرف بنور المعرفه أن البذل خير له من الإمساك فى الدنيا و الآخره.ثم يكلف نفسه على البذل و مفارقه المال،و لا يزال يفعل ذلك إلى أن يهيج رغبته فى البذل،و كلما تحركت الرغبه ينبغى أن يجتنب الخاطر الأول و لا يتوقف لأن الشيطان يعده الفقر و يخوفه و يوسوسه بأنواع الوساوس الصاده عن البذل.

و لو كان مرض البخل مزمنا غير مندفع بما مر،فمن معالجاته أن يخدع نفسه بحسن الاسم و الاشتهار بالجود،فيبذل على قصد الرياء،حتى تسمح نفسه بالبذل طمعا فى الاشتهار بصفه الجود،فيكون قد زال عن نفسه رذيله البخل و اكتسب خبث الرياء،و لكن يتعطف بعد ذلك على الرياء و يزيله بعلاجه،و يكون طلب الشهره و الاسم كالتسليه للنفس عند فطامها عن المال،كما يسلى الصبى عند فطامه عن الثدى باللعب بالعصافير و غيرها لا لكون اللعب مطلوبا بذاته،بل لينتقل من الثدى إليه ثم ينتقل عنه إلى غيره.فكذلك هذه الصفات الخبيثه ينبغى أن يسلط بعضها على بعض حتى يندفع الجميع،فتسلط الشهوه على الغضب حتى تكسر سورته بها،و يسلط الغضب على الشهوه حتى تكسر رعونتها به.و قد جرت سنه اللّه بدفع المؤذيات و المهلكات بعضها ببعض،إلى أن يندفع الجميع،سواء كانت من الصفات المؤذيه أو من الأشخاص المؤذيه من الظلمه و الأشرار،أ لا ترى أنه يسلط الظالمين و الأشرار بعضهم على بعض إلى أن يهلك الجميع؟ و مثال ذلك-كما قيل-:إن الميت تستحيل جميع أجزائه دودا، ثم يأكل بعض الديدان بعضا،إلى أن يرجع إلى اثنين قويين،ثم لا يزالان يتقابلان و يتعارضان،إلى أن يغلب أحدهما الآخر فيأكله و يسمن به،ثم لا يزال يبقى وحده جائعا إلى أن يموت.فكذلك هذه الصفات الخبيثه

يمكن أن يسلط بعض على بعضها حتى يقمعها،فيجعل الأضعف قوتا للأقوى،إلى أن لا تبقى إلا واحده.ثم تقع العنايه بمحوها و إذابتها بالمجاهده،و هو منع القوت منها،أى عدم العمل بمقتضاها،فإنها تقتضى لا محاله آثارا،فإذا خولفت خمدت و ماتت.مثلا البخل يقتضى إمساك المال،فإذا منع مقتضاه و بذل المال مع الجهد و المشقه مره بعد أخرى، ماتت صفه البخل و صارت صفه البذل طبعا،و سقط التعب و المشقه فيه.

ثم العمده فى علاجه أن يقطع سببه،و سببه حب المال،و سبب حب المال إما حب الشهوات التى يتوقف الوصول إليها على المال مع طول الأمل،إذ لو لم يكن له طول أمل و علم أنه يموت بعد أيام قلائل ربما لم يبخل بماله،أو ادخاره و إبقاؤه لأولاده،فإنه يقدر بقاءهم كبقاء نفسه،فيمسك المال لأجلهم،أو حبه عين المال من حيث إنه مال فيحب فإن بعض الناس من المشايخ و المعمرين يكون له من المال ما يكفيه لغايه ما يتصور من بقيه عمره،و تزيد معه أموال كثيره،و لا ولد له ليحتاط لأجله،مع ذلک لا نسمح نفسه بإخراج مثل الزكاه و مداواه نفسه عند المرض،بل هو محب للدنانير،عاشق لها،يتلذذ بوجودها فى يده،مع علمه بأنه عن قريب يموت،فتضيع أو تأخذها أعداؤه،و مع ذلک لا تسمح نفسه بأن يأكل منها أو يتصدق ببعضها.و هذا مرض عسر العلاج، لا سيما فى كبر السن،إذ حينئذ يكون المرض مزمنا و الطبيعه المدافعه له قاصره و البدن ضعيفا.و مثله مثل من عشق شخصا فأحب رسوله،ثم نسى محبوبه و اشتغل برسوله.فإن الدنانير رسول مبلغ إلى الحاجات، و هى محبوبه من هذه الحيثيه،لا من حيث أنها دنانير،فمن نسى الحاجات و صارت الدنانير محبوبه عنده فى نفسها،فهو فى غايه الضلاله و الخسران بل من رأى بين الفاضل منها عن قدر الحاجه و بين الحجر فرقا،فهو

فی غایه الجهل.

ثم لما کان الطریق فی قطع سبب کل عله أن یواظب علی ضد هذا السبب،فیعالج حب الشهوات بالقناعه بالیسیر و بالصبر،و یعالج طول الأمل بکثره ذکر الموت و النظر فی موت الأقران و طول تعبهم فی جمع المال و ضیاعه بعدهم،و یعالج التفات القلب إلی الأولاد بأن الذی خلقهم خلق أرزاقهم،و کم من ولد لم یرث مالا من أبیه و حاله أحسن ممن ورث،و بأن یعلم أن ولده إن کان تقیا صالحا فیکفیه اللّه،و إن کان فاسقا فیستعین بماله علی المعصیه و ترجع مظلمته علیه،و یعالج حب المال من حیث إنه مال،بأن یتفکر فی مقاصد المال و إنه لما ذا خلق،فلا یحفظ منه إلا بقدر حاجته،و یبذل الباقی علی المستحقین لیبقی له ثوابه فی الآخره.

تذنیب

اعلم أن بذل الأموال و إنفاقها المترتب علی صفه الجود و السخاء یتناول أمورا:بعضها واجب،و بعضها مندوب.و قد ورد فی فضیله کل منها بخصوصه أخبار،فلا بد لنا أن نشیر إلی ذلک تأکیدا لبیان فضل السخاء،و إلی بعض ما لها من الآداب و الدقائق الباطنه،و نحیل ما لها من الأحکام و الشروط الظاهره إلی کتب الفقه،فنقول:

أما الأمور الواجبه،

ص :١٢۶

فأولها: الزكاه

و الآيات و الأخبار الوارده فی ذم تارکها و مدح فاعلها کثیره.

قال اللّه سبحانه:

فَأَقِيمُوا الصَّلاٰهَ وَ آتُوا الزَّكٰاهَ

(۱)

.و قال تعالی:

وَ الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّهَ وَ لاٰ يُنْفِقُونَهٰا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذٰابٍ أَلِيمٍ

(۲)

.

و معنی الإنفاق فی سبیل اللّه إخراج الزکاه،کما ورد عن أهل البیت -علیهم السلام-،و أجمع علیه المفسرون.

و قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: «إذا منعت الزکاه منعت الأرض برکاتها».

و قال الباقر -علیه السلام-: «إن اللّه عزّ و جل قرن الزکاه بالصلاه،قال:

فَأَقِيمُوا الصَّلاٰهَ وَ آتُوا الزَّكٰاهَ

(۳)

.

فمن أقام الصلاه و لم یؤت الزکاه،فلم یقم الصلاه».

و قال الصادق -علیه السلام-: «ما من ذی مال ذهب أو فضه یمنع زکاه ماله،إلا حبسه اللّه یوم القیامه بقاع قرقر،و سلط علیه شجاعا أقرع یریده و هو یحید عنه،فإذا رأی أنه لا یتخلص منه،أمکنه من یده،فقضمها کما یقضم الفحل،ثم یصیر طوقا فی عنقه،و ذلک قول اللّه تعالی:

۱- ۱) و

۲- ۳) الحج،الآیه:۷۸.المجادله،الآیه:۱۳.

۳- ۲) التوبه،الآیه:۳۵.

سَيُطَوَّقُونَ مٰا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيٰامَهِ

(۱)

.

و مـا من ذی مـال إبـل أو غنم أو بقر يمنع زكاه ماله،إلا حبسه اللّه يوم القيامه بقاع قرقر،تطأه كل ذات ظلف بظلفها،و تنهشه كل ذات نـاب بنابهـا،و مـا من ذی مـال نخـل أو كرم أو زرع يمنع زكاتها، إلا طوقه اللّه تعالی ريعه أرضه إلی سبع أرضـين إلی يوم القيامه» (۲).

و قال عليه السلام: «ما فرض اللّه علی هذه الأمه شيئا أشد عليهم من الزكاه،و فيها تهلك عامتهم».

و قال: «من منع قيراطا من الزكاه، فليس بمؤمن و لا مسلم،و هو قوله تعالی:

قٰالَ رَبِّ ارْجِعُونِ، لَعَلِّی أَعْمَلُ صٰالِحاً فِيمٰا تَرَكْتُ

(۳)

و قـال عليه السـلام: «إنمـا وضـعت الزكـاه اختبـارا للأغنيـاء،و معونه للفقراء.و لو أن النـاس أدوا زكاه أموالهم،ما بقی مسـلم فقيرا محتاجا، و لاستغنی بما فرض اللّه له.و إن الناس ما افتقروا و لا احتاجوا و لا جاعوا و لا عروا إلا بذنوب الأغنياء،و حقيق علی اللّه أن يمنع رحمته ممن منع حق اللّه فی ماله.و أقسم بالذی خلق الخلق و بسط الرزق:أنه ما ضاع

۱- ۱) آل عمران،الآيه:۱۸۰.

۲ – ۲) قـال فی(الوافی):۶-۲۴۱،بـاب الزكاه:«بيان(القاع):الأرض السـهله المطمئنه.و(القرقر):الأرض المسـتويه اللينه.و(الشـجاع)-بالضم و الكسر-:الحيه،أو الـذكر منها،أو ضـرب منها.و(الفحل)-بالمهمله-: الذكر من كل حيوان،و من الإبل خاصه،و هو المراد هنا.(الريع)-بكسر الراء و فتحها-المرتفع من الأرض».

۳- ۳) المؤمنون،الآيه:۹۹-۱۰۰.

مال فی بر و لا بحر إلا بترک الزکاه،و ما صید صید فی بر و لا بحر إلا بترکه التسبیح فی ذلک الیوم،و إن أحب الناس إلی اللّه تعالی أسخاهم کفا و أسخی الناس من أدی زکاه ماله،و لم یبخل علی المؤمنین بما افترض اللّه لهم فی ماله».

و قال علیه السلام «إن الزکاه لیس یحمد بها صاحبها و إنما هو شیء ظاهر حقن بها دمه و سمی بها مسلما،و لو لم یؤدها لم تقبل له صلاه» (۱). و الأخبار فی فضل الزکاه و ذم تارکها أکثر من أن تحصی،و ما ذکرناه کاف لإیقاظ الطالبین.

فصل سر وجوب الزکاه،و فضیله سائر الإنفاقات

السر فی إیجاب الزکاه،بل فضیله مطلق إنفاق المال،ثلاثه أمور:

الأول-أن التوحید العام ألا یبقی للموحد محبوب سوی الواحد الفرد،

إذ المحبه لا تقبل الشرکه،و التوحید باللسان قلیل الجدوی،و إنما تمتحن درجه الحب بمفارقه سائر المحاب،و الأموال محبوبه عند الناس، لأنها آله تمتعهم بالدنیا،و لأجلها یأنسون بهذا العالم،و یخافون من الموت و یتوحشون منه،مع أن فیه لقاء المحبوب،فامتحنوا فی صدق دعواهم الحب التام للّه تعالی بمفارقتهم عن بعض محابهم،أعنی المال،و لذلک قال اللّه سبحانه:

إِنَّ اللّهَ اشْتَری مِنَ الْمُؤْمِنِینَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ بِأَنَّ

۱- ۱) صححنا الأحادیث کلها علی(الوافی):۶-۲۴۱-۲۴۲،باب الزکاه

لَهُمُ الْجَنَّهَ

(۱)

.

و لفهم هـذا السـر فی بـذل الأموال،انقسم الناس بحسب درجاتهم فی التوحیـد و المحبه ثلاثه أقسام:(قسم)صدقوا التوحید و وفوا بعهـده، و لم یجعلوا قلوبهم إلا محلا لحب واحـد.فنزلوا عن جمیع أموالهم،و لم یـدخروا شیئا من الدرهم و الدینار و غیرهما من أنواع المـال،و لم یتعرضوا لوجوب الزکـاه علیهم،حتی قیـل لبعضـهم:کم یجب من الزکـاه فی مائتی درهم؟فقال:أما علی العوام-بحکم الشرع-فخمسه دراهم،و أما نحن،فیجب علینا بذل الجمیع.

و سـئل الصـادق-علیه السـلام-«فی کم تجب الزکـاه من المـال؟فقـال:أمـا الزکـاه الظاهره،ففی کل ألف خمسه و عشـرون،و أما الباطنه،فلا تسـتأثر علی أخیک بما هو أحوج إلیه منک». و(قسم)درجتهم دون هذا،و هم الذین أمسـکوا أموالهم، و لکنهم راقبوا مواقیت الحاجـات و مراسم الخیرات،و یکون قصـدهم من الإمسـاک الإنفاق علی قـدر الحاجه،دون التنعم،و صـرف الفاضل عن قدر الحاجه إلی وجوه البر.و هؤلاء لا یقتصرون علی إعطاء مجرد ما یجب علیهم من الزکاه و الخمس،بل یؤدون جمیع أنواع البر و المعروف أو أکثرهـا و(قسـم)اقتصــروا علی أداء الـواجب،فلاـ یزیــدون علیـه و لاـ ینقصـون منـه.و هـو أدون الـدرجات و أقل المراتب،و هو درجه العوام الراغبین إلی المال،لجهلهم بحقیقته و فائدته،و ضعف حبهم للآخره.

الثانی-تطهیر النفس عن رذیله البخل،

فإنه من المهلکات-کما تقـدم-،و إنما تزول هذه الرذیله ببذل المال مره بعد أخری حتی یتعود إذ حب الشـیء لا ینقطع إلا بقهر النفس علی مفارقته،حتی یصیر ذلک

۱- ۱) التوبه.الآیه:۱۱۱.

اعتیادا.و علی هذا،فالإنفاق یطهر صاحبه من خبث البخل المهلک،و إنما طهارته بقدر بذله،و بقدر فرحه بإخراجه و استبشاره بصرفه إلی اللّه تعالی

الثالث-شکر النعمه،

فإن للّه سبحانه علی عبده نعمه فی نفسه و نعمه فی ماله.فالعبادات البدنیه شکر لنعمه البدن،و المالیه شکر لنعمه المال.و ما أقبح بالغنی المسلم أن ینظر إلی فقیر مسلم،و قد ضیق الرزق علیه و أحوج إلیه،ثم لا تسمح نفسه بأن یؤدی شکر اللّه تعالی علی إغنائه عن السؤال،و إحواج غیره إلیه،بإعطاء عشر أو ربع عشر من ماله.

فصل الحث علی التعجیل فی الإعطاء

ینبغی للمعطی المنفق،عند ظهور داعیه الخیر من باطنه،أن یغتنم الفرصه،و یسارع إلی الامتثال،تعجیلا لإدخال السرور فی قلوب الفقراء و حذرا عن عوائق الزمان المانعه عن الخیرات،و علما بأن فی التأخیر آفات و تنبها بأن انبعاث داعیه الخیر لمه الملک،و قلب المؤمن بین إصبعین من أصابع الرحمن،فما أسرع تقلبه،و الشیطان یعد الفقر و یأمر بالفحشاء و المنکر،و له لمه عقیب لمه الملک،و صونا للفقراء عن الاضطرار إلی السؤال،إذ

ورد: أن الإعطاء معه مکافاه لوجهه المبذول و ثمن لما أخذ منه،و لیس بمعروف.

و روی: «أن أمیر المؤمنین علیه السلام بعث إلی رجل بخمسه أوساق من تمر البغیبغه،و کان الرجل ممن ترجی نوافله، و یؤمل نائله و رفده،و کان لا یسأل علیا و لا غیره شیئا،فقال رجل لأمیر المؤمنین علیه السلام و اللّه ما سألک فلان شیئا!و لقد کان یجزیه من الخمسه أوساق وسق واحد.فقال له أمیر المؤمنین علیه السلام:لا کثر

اللّه فی المؤمنین ضربک!أعطی أنا،و تبخل أنت!اللّه أنت!إذا أنا لم أعط الذی یرجونی إلا-من بعد المسأله،ثم أعطیه بعد المسأله،فلم أعطه إلا ثمن ما أخذت منه،و ذلک لأنی عرضته أن یبذل لی وجهه الذی یعفره فی التراب لربی و ربه عز و جل عند تعبده له و طلب حوائجه إلیه.فمن فعل هذا بأخیه المسلم،و قد عرف أنه موضع لصلته و معروفه،فلم یصدق اللّه فی دعائه،حیث یتمنی له الجنه بلسانه،و یبخل علیه بالحطام من ماله»

(۱)

.ثم ینبغی أن یعین لأداء صدقته وقتا فاضلا،کیوم الغدیر و شهر ذی الحجه،(لا)سیما العشره الأولی،أو شهر رمضان،(لا) سیما العشره الأخیره،

و قد ورد أن رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله- کان أجود الخلق،و کان فی رمضان کالریح المرسله،لا یمسک فیه شیئا.

فصل فضیله إعلان الصدقه الواجبه

الصدقه الواجبه،أعنی الزکاه،إعلانها أفضل من إسرارها-إن کان فی إظهارها ترغیب للناس فی الاقتداء،و أمن من تطرق الریاء،و لم یکن الفقیر بحیث یستحیی من أخذها علانیه.

قال الصادق علیه السلام: «کلما فرض اللّه علیک فإعلانه أفضل من إسراره،و کلما کان تطوعا فإسراره أفضل من إعلانه،و لو أن رجلا حمل زکاه ماله علی عاتقه علانیه کان ذلک حسنا جمیلا.و قال فی قوله تعالی:

وَ إِنْ تُخْفُوهٰا وَ تُؤْتُوهَا الْفُقَرٰاءَ فَهُوَ خَیْرٌ لَکُمْ

(۲)

:

۱- ۱) صححنا الحدیث علی(الوافی):۶-۲۸۶،باب آداب الإعطاء.قال (البغیبغه)ضیعه بالمدینه،و(النوافل):العطایا،و(للّه أنت!):أی کن للّه و أنصفنی فی القول.

۲- ۲) البقره،الآیه:۲۷۱.

هی ما سوی الزکاه علانیه غیر سرّ». فلو دخل فی نفسه الریاء مع الإظهار،أو کان الفقیر یستحیی من أخذها علانیه،کان الأسرار بها أفضل:أما الأول:فظاهر،و أما الثانی:

فلما روی: «أنه قیل لأبی جعفر الباقر علیه السلام:الرجل من أصحابنا یستحی من أن یأخذ من الزکاه،فأعطیه من الزکاه و لا أسمی له أنها من الزکاه.فقال:

أعطه و لا تسم له،و لا تذل المؤمن».

و بالجمله:الإعلان کما یتصور فیه فائده الترغیب،یتطرق إلیه محذور الریاء و المن و الأذی،و ذلک یختلف بالأحوال و الأشخاص.فبالنظر إلی بعض الأحوال و الأشخاص،یکون الإعلان أفضل،و بالنظر إلی بعض آخر،یکون الأسرار أفضل.فلا بد لکل منفق أن یلاحظ حاله و وقته و یقابل الفائده بالمحذور،و یختار ما هو الأفضل.و من عرف الفوائد و الغوائل و لم ینظر بعین الشهوه،اتضح له ما هو الأولی و الألیق،

فصل ذم المن و الأذی فی الصدقه

ینبغی للمتصدق أن یجتنب عن المن و الأذی.قال اللّه سبحانه:

لاٰ تُبْطِلُوا صَدَقٰاتِکُمْ بِالْمَنِّ وَ الْأَذیٰ

(۱)

و قال: قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَ مَغْفِرَهٌ خَیْرٌ مِنْ صَدَقَهٍ یَتْبَعُهٰا أَذیً (۲).

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: «إن اللّه تبارک و تعالی کره لی ست خصال،و کرهتهن للأوصیاء من ولدی و أتباعهم من بعدی:

۱- ۱) البقره،الآیه:۲۶۴.

۲- ۲) البقره،الآیه:۲۶۳.

العبث فی الصلاه،و الرفث فی الصوم،و المن بعد الصدقه،و إتیان المساجد جنبا،و التطلع فی الوفد،و الضحک بین القبور».

و(المن):أن یری نفسه محسنا.و من ثمراتها الظاهره:الإظهار بالإنفاق،و التحدث به،و طلب المکافاه منه،بالشکر و الخدمه و التعظیم و المتابعه فی الأمور.و(الأذی):التعبیر،و التوبیخ،و الاستخفاف و الاستخدام،و القول السیء،و تقطیب الوجه،و هتک الستر.ثم معرفه الأذی ظاهره،و کذا معرفه الثمرات الظاهره للمن.و أما المن الباطنی، أی رؤیه نفسه محسنا،فیعرف بأن یکون استبعاده من خیانه القابض بعد العطاء أکثر من استبعاده منه قبله.

و علاج المن:أن یعرف أن المحسن هو الفقیر القابض لإیصاله الثواب و الإنجاء من العذاب،و کونه نائبا عن اللّه تعالی،و کون ما یعطیه حقا من اللّه سبحانه،أحال علیه الفقیر انجازا لما وعده من الرزق. و علاج الأذی:أن یعرف أن سببه استکثار العطاء و کراهیه إنفاق المال و التکبر علی الفقیر القابض برؤیه نفسه خیرا منه،لغنائه و احتیاجه،و جمیع ذلک جهل و حماقه.أما استکثاره العطاء،فلأن ما أعطاه بالنظر إلی ما یطلبه لأجله من رضا اللّه و ثواب الآخره فی غایه القله و الخسه،و کیف یستعظم العاقل بذل خسیس فان إذا أخذ فی مقابله خطیرا باقیا.و أما استحقاره الفقیر،فلما تقدم من فضل الفقیر علی الغنی،فکیف یری نفسه خیرا منه؟و کفی للفقیر فضلا:أن اللّه سبحانه جعل الغنی مسخرا له،بأن یکتسب المال بالجهد و التعب،و یسعی فی حفظه،و یسلمه إلی الفقیر بقدر حاجته،و یکف عنه الفاضل الذی یضره لو سلمه إلیه.فالغنی یخدم الفقیر فی طلب المال،مع کون ما یحمد منه للفقیر،و کون ما یذم منه من تحمل المشاق و تقلد المظالم و حراسه الفضلات إلی أن یموت فتأکله

الأعداء،على الغنى.

و بالجمله:العاقل،بعد التأمل،يعلم أن ما يعطيه قليل فى مقابله ما يأخذه،و أن الفقير محسن إليه.

قال أمير المؤمنين(ع): «و من علم أن ما صنع إنما صنع إلى نفسه،لم يستبطئ الناس فى شكرهم،و لم يستزدهم فى مودتهم،فلا تلتمس من غيرك شكر ما أتيت إلى نفسك و وقيت به عرضك،و أعلم أن الطالب إليك لحاجه لم يكرم وجهه عن وجهك،فأكرم وجهك عن رده»

(۱)

.و ينبغى للمحترز عن المن و الأذى أن يتواضع و يتخضع للفقير عند إعطائه،بأن يضع الصدقه لديه و يمثل قائما بين يديه،أو يبسط كفه ليأخذ الفقير،و تكون يد الفقير هى العليا.

فصل ما ينبغى للمعطى

و مما ينبغى للمعطى أن يستصغر العطيه ليعظم عند اللّه،و إن استعظمها صغرت عند اللّه،

قال الصادق-عليه السلام-: «رأيت المعروف لا يصلح إلا بثلاث خصال:تصغيره،و تستيره،و تعجيله.فأنت إذا صغرته عظمته عند من تصنعه إليه،و إذا سترته تممته،و إذا عجلته هنأته و إن كان غير ذلك محقته و نكدته» (۲). و استعظام العطاء غير المن و الأذى،إذ الصرف إلى عماره المسجد و مثله يتأتى فيه الاستعطاء،و لا يتأتى فيه المن و الأذى، و أن يعطى الأجود و الأحب و الأبعد عن الشبهه

۱- ۱) صححنا الحديث على(الوافى):۶-۲۹۰،كتاب الزكاه باب ۵۷ المعروف و فضله.

۲- ۲) صححنا الحديث على(الوافى):۶-۲۹۰،كتاب الزكاه باب ۵۷ المعروف و فضله.

لأن اللّه طيب لا يقبل إلا طيبا،و إخراج غير الجيد سوء أدب بالنسبه إلى اللّه،إذ إمساك الجيد لنفسه و أهله،و إنفاق الردیء فی سبیل اللّه یوجب إیثار غیر اللّه و ترجیحه علیه،و لو فعل هذا لضیف و قدم إلیه أردأ طعام فی البیت لانکسر قلبه و وغر به صدره.

هذا إذا کان نظره إلى اللّه بأن یتصدق لوجه اللّه،من غیر ملاحظه عوض لنفسه فی دار الآخره،و إن کان نظره إلى نفسه و ثوابه فی الآخره فلا ریب فی أن العاقل لا یؤثر غیره على نفسه،و لیس له من ماله إلا ما تصدق فأبقى،و أکل فأفنى.و لعظم فائده إنفاق الأجود الأحب، و قبح إنفاق الردیء الأخس،قال اللّه تعالى:

أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَ مِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَ لاَ تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَ لَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ

(۱)

:

أی لا تأخذونه إلا مع کراهیه و حیاء،و هو معنى الإغماض،و ما هذا شأنه عندکم فلا تؤثروا به ربکم.و قال سبحانه:

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ!

(۲)

.و قال:

وَ يَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ

(۳)

.

۱- ۱) البقره،الآیه:۲۶۷.

۲- ۲) آل عمران،الآیه:۹۲.

۳- ۳) النحل،الآیه:۶۲.

و فی الخبر: «سبق درهم مائه ألف درهم». و ذلک بأن یخرجه الإنسان و هو من أحل ماله و أجوده،فیصدر ذلک عن الرضا و الفرح بالبذل،و قد یخرج مائه ألف درهم مما یکره من ماله،فیدل علی أنه لیس یؤثر اللّه بشیء مما یحبه.

و مما ینبغی له أن یغنی الفقیر إذا قدر،

ففی الخبر إذا أعطیته فأغنه و أن یقبل یده بعد الإعطاء،لأنه یقع فی ید اللّه تعالی أولا.

قال أمیر المؤمنین-علیه السلام-: «إذا ناولتم السائل فلیرد الذی ناوله یده إلی فیه فیقبلها،فإن اللّه عز و جل یأخذ الصدقات».

و قال النبی(ص) «ما تقع صدقه المؤمن فی ید السائل حتی تقع فی ید اللّه،ثم تلا هذه الآیه.

أَ لَمْ یَعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ هُوَ یَقْبَلُ التَّوْبَهَ عَنْ عِبٰادِهِ وَ یَأْخُذُ الصَّدَقٰاتِ؟

(۱)

.

و قال الصادق-علیه السلام-: «إن اللّه تعالی یقول:ما من شیء إلا و قد وکلت به من یقبضه غیری،إلا الصدقه،فإنی أتلقفها بیدی تلقفا،حتی أن الرجل لیتصدق بالتمر أو بشق تمره،فأربیها له کما یربی الرجل فلوه و فصیله،فتأتی یوم القیامه و هی مثل أحد و أعظم من أحد» (۲). و أن یلتمس الدعاء من الفقیر،لأن دعاءه یستجاب فیه

کما روی: «أن علی بن الحسین-علیه السلام-کان یقول للخادم:

أمسک قلیلا حتی یدعو،فإن دعوه السائل الفقیر لا ترد».

و أنه(ع)

۱- ۱) التوبه،الآیه:۱۰۵.

۲- ۲) صححنا الحدیث علی(الوافی):۶-۲۶۲،باب فضل الصدقه.

كان يأمر الخادم إذا أعطى السائل،أن يأمره أن يدعو بالخير.

و عن أحدهما -عليهما السلام-: «إذا أعطيتموهم فلقنوهم الدعاء،فإنه يستجاب لهم فيكم،و لا يستجاب لهم فى أنفسهم». و ما قيل من أن أرباب القلوب لا يتوقعون الدعاء من القابض،لأنه شبيه المكافاه،و كانوا يقابلون الدعاء بمثله،و لو أرسلوا معروفا إلى فقير،قالوا للرسول أحفظ ما يدعو به ليردوا عليه مثل قوله،خلاف طريقه أئمتنا الراشدين عليهم السلام فلا اعتبار به عندنا.

و مما ينبغى له أيضا أن يصرف الصدقات إلى من يكثر بإعطائه الأجر كأهل الورع و العلم،و أرباب التقوى و الصدق،و الكاملين فى الإيمان و التشيع.

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: لا يأكل طعامك إلا تقى»،

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «اطعموا طعامكم الأتقياء»

و قال صلى اللّه عليه و آله: «أضف بطعامك من تحبه فى اللّه». و لكن يرفعهم من الزكاه الواجبه و الصدقات،لأنها أوساخ الأموال،و يوسع عليهم بالهدايا و الصلاه،

ففى الخبر: «مستحقوا الزكاه المستضعفون من شيعه محمد و آله:الذين لم تقو بصائرهم،و أما من قويت بصيرته و حسنت بالولايه لأوليائهم و البراءه من أعدائهم معرفته،فذاك أخوكم فى الدين، أمس بكم رحما من الآباء و الأمهات المخالفين،فلا تعطوه زكاه و لا صدقه فإن موالينا و شيعتنا منا كالجسد الواحد،تحرم على جماعتنا الزكاه و الصدقه و ليكن ما تعطونه إخوانكم المستبصرين البر،و ارفعوهم عن الزكاه و الصدقات و نزهوهم عن أن تصبوا عليهم أوساخكم.أ يحب أحدكم أن يغسل وسخ بدنه ثم يصبه على أخيه المؤمن؟إن وسخ الذنوب أعظم من وسخ البدن فلا توسخوا إخوانكم...»الحديث.

و لا ينبغى أن يصرف إلى من نظره إلى الوسائط،بل ينبغى الصرف

إلى من بلغ مقام التوحيد،و یری النعمه من اللّه،و لا ینظر إلى الوسائط إذ من لم یصف باطنه عن رؤیه الوسائط إلا من حیث أنهم وسائط، فغیر خال من نوع من الشرک الخفی.

قال الصادق-علیه السلام- فی قول اللّه تعالى:

وَ مٰا یُؤْمِنُ أَکْثَرُهُمْ بِاللّٰهِ إِلاّٰ وَ هُمْ مُشْرِکُونَ

(۱)

.

«هو قول الرجل:لو لا فلان لهلکت أو لو لا فلان لما أصبت کذا و لو لا فلان لضاع عیالی!أ لا ترى أنه قد جعل اللّه شریکا فی ملکه، یرزقه أو یدفع عنه؟».فقال الراوی یجوز أن یقال:لو لا أن اللّه من على بفلان لهلکت؟قال«نعم!لا بأس بهذا». و من أهل المزیه و الاختصاص بالبذل إلیه،من کان مستترا ساترا للحاجه،کائنا من أهل المروه،متغشیا فی جلباب التجمل،محصورا فی سبیل اللّه،محبوسا فی طریق الآخره بعیله أو مرض أو ضیق معیشه أو إصلاح قلب أو سبب آخر من الأسباب،و الأولى من الکل الأقارب و أولو الأرحام من أهل الاحتیاج،فإن الإنفاق علیهم صدقه و صله.و فی صله الرحم من الثواب ما لا یخفى،

قال أمیر المؤمنین-علیه السلام-: «لأن أصل أخا من إخوانی بدرهم،أحب إلی من أتصدق بعشرین درهما،و لأن أصله بعشرین درهما أحب إلی من أن أتصدق بمائه درهم،و لأن أصله بمائه درهم أحب إلی من أعتق رقبه».

و فی خبر آخر: «لا صدقه و ذو رحم محتاج،الصدقه بعشره و القرض بثمانیه عشر،و صله الإخوان بعشرین،و صله الرحم بأربعه و عشرین».

و فی الخبر: «إن أفضل الصدقات و الصلاه الإنفاق على ذی الرحم الکاشح»: یعنی المبغض،

۱- ۱) یوسف،الآیه:۱۰۶.

و کأنه لمخالفه الهوی و صدوره عن الخلوص و التقوی.

فصل ما ینبغی للفقراء فی أخذ الصدقه

ینبغی للفقیر الآخذ أن یعلم أن اللّه تعالی أوجب صرف المال إلیه لیکفی مهمته،فیتجرد للعباده و الاستعداد للموت،فینبغی أن یتأهب لذلک و لا یصرفه عنه فضول الدنیا، و یشکر اللّه علی ذلک،و یشکر المعطی، فیدعو له و یثنی علیه مع رؤیه النعمه من اللّه سبحانه،

قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: «من لم یشکر الناس لم یشکر اللّه».

و قال الصادق -علیه السلام-: «لعن اللّه قاطعی سبیل المعروف قیل:و ما قاطعوا سبل المعروف؟قال:الرجل یصنع إلیه المعروف فیکفره فیمنع صاحبه من أن یصنع ذلک إلی غیره» (1)

و قال أمیر المؤمنین-علیه السلام-: «من صنع بمثل ما صنع إلیه فإنما کافاه،و من ضعفه کان شکورا،و من شکر کان کریما».

و ینبغی له أیضا أن یستر عیوب صاحب العطاء،و لا یذمه و لا یحقره و لا یغیره بالمنع إذا منع،و یفخم عند نفسه و عند الناس إعطاءه،بحیث لا یخرجه عن کونه واسطه،لئلا یکون مشرکا، و أن یتوقی مواقع الحرمه و الریبه و الشبهه فی أصله و مقداره،فلا یأخذ ممن لا یحل ماله أو یشتبه، کعمال السلاطین و الجنود و من أکثر کسبه من الحرام، و لا الزیاده علی قدر الحاجه، و لا یسأل علی رءوس الملأ ممن یستحی الرد،و أن یتورع العالم

۱- ۱) صححنا الحدیث علی(الکافی):۴-۳۳،کتاب الزکاه،باب من کفر المعروف.ط طهران ۱۳۷۷ ه.

و المتقى من أخذ الزكاه و الصدقات ما لم يضطر إليها،تنزيها لنفسه عن الأوساخ،و أن يستر الأخذ بنيه أنه أبقى لستر المروه و التعفف،و أصون لنفسه عن الإهانه و الإذلال،و أعون للمعطى على الإخفاء و الإسرار،و أسلم لقلوب الناس من الحسد و سوء الظن،أو يظهره بنيه الإخلاص و الصدق و إظهار المسكنه و العبوديه،و التبرى عن الكبر،و تلبيس الحال و إقامه سيئه الشكر أو غير ذلك.فإنه يختلف باختلاف النيات و الأشخاص و الأحوال،و لكل امرئ ما نوى،و كل مراقب للأحوال عارف بالفوائد و المفاسد،يمكنه الأخذ بالأنفع الأرجح.

تتميم زكاه الأبدان

اعلم أنه كما فى المال زكاه فكذلك للبدن زكاه،و هو نقصه ليزيد الخير و البركه لصاحبه.و هذا النقص إما أن يكون اختيارا،بأن يصرف فى الطاعه و يمنع عن المعصيه،أو اضطرارا،بأن يصاب بمرض و آفه.

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-يوما لأصحابه: «ملعون كل مال لا يزكى،ملعون كل جسد لا يزكى،و لو فى كل أربعين يوما مره.قيل له:يا رسول اللّه،أما زكاه المال فقد عرفناها،فما زكاه الأجساد؟قال -صلى اللّه عليه و آله-:أن يصاب بآفه».فتغيرت وجوه الذين سمعوا منه ذلك،فلما رآهم قد تغيرت ألوانهم،قال:«هل تدرون ما عنيت بقولى؟فقالوا:لا يا رسول اللّه!قال:إن الرجل يخدش الخدشه، و ينكب النكبه،و يعثر العثره،و يمرض المرضه،و يشاك الشوكه،و ما أشبه هذا...»،حتى ذكر فى حديثه اختلاج العين.

و قال-صلى اللّه عليه

و آله- «لكل شيء زكاه،و زكاه الأبدان الصيام».

و قال الصادق -عليه السلام-: «على كل جزء من أجزائك زكاه واجبه للّه عز و جل بل على كل منبت شعر من شعرك،بل على كل لحظه من لحاظك زكاه.

فزكاه العين:النظره بالعبره (۱)و الغض عن الشهوات و ما يضاهيها.

و زكاه الأذن:استماع العلم و الحكمه و القرآن،و فوائد الدين من الموعظه و النصيحه،و ما فيه نجاتك،و بالإعراض عما هو ضده من الكذب و الغيبه و أشباههما،و زكاه اللسان:النصح للمسلمين،و التيقظ للغافلين،و كثره التسبيح و الذكر و غيرها.و زكاه اليد:البذل و العطاء و السخاء بما أنعم اللّه عليك به،و تحريكها بكتابه العلم و منافع ينتفع بها المسلمون فى طاعه اللّه تعالى، و القبض عن الشر.و زكاه الرجل:السعى فى حقوق اللّه،من زياره الصالحين،و مجالس الذكر،و إصلاح الناس،و صله الأرحام،و الجهاد و ما فيه صلاح قلبك و سلامه دينك» (۲).

و ثانيها:

الخمس

و قد فرضه اللّه تعالى على عباده صونا لذريه نبيه-صلى اللّه عليه و آله- عن الافتقار،و تنزيها لهم عن الصدقات التى هى أوساخ الناس،فقال سبحانه:

وَ اعْلَمُوا أَنَّمٰا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّٰهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ

ص: ۱۴۲

۱- ۱) فى نسخ(جامع السعادات):«النظر بالعبر»،و لعله الأولى.

۲- ۲) صححنا الحديث على(مصباح الشريعه):الباب ۲۲،و فيه اختلاف كثير عن نسخ(جامع السعادات)بما لم يخرج عن المعنى.

وَ لِذِی الْقُرْبیٰ وَ الْیَتامیٰ وَ الْمَساکِینِ وَ ابْنِ السَّبِیلِ،إِنْ کُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللّهِ وَ ما أَنْزَلْنا عَلیٰ عَبْدِنا یَوْمَ الْفُرْقانِ یَوْمَ الْتَقَی الْجَمْعانِ،وَ اللّهُ عَلیٰ کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ

(۱)

.

و المستفاد من الآیه:أن مانع الخمس لا إیمان له.

و قال أمیر المؤمنین -علیه السلام-: «هلک الناس فی بطونهم و فروجهم،لأنهم لا یؤدون إلینا حقنا». و لا ریب فی عظم الثواب و الأجر فی أدائه و إیصاله إلی أهله،و کیف لا و هو إعانه ذریه الرسول-صلی اللّه علیه و آله-و قضاء حوائجهم،

و قد قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: «حقت شفاعتی لمن أعان ذریتی بیده و لسانه و ماله» (۲).

و قال-صلی اللّه علیه و آله- «أربعه أنا لهم شفیع یوم القیامه:المکرم لذریتی،و القاضی لهم حوائجهم و الساعی لهم فی أمورهم عند ما اضطروا إلیه،و المحب لهم بقلبه و لسانه»

و قال صلی اللّه علیه و آله: «من اصطنع إلی أحد من أهل بیتی یدا، کافیته یوم القیامه».

و عن الصادق-علیه السلام-قال: «إذا کان یوم القیامه،نادی مناد:أیها الخلائق،انصتوا،فإن محمدا یکلمکم.

فتنصت الخلائق،فیقوم النبی صلی اللّه علیه و آله فیقول:یا معشر الخلائق من کانت له عندی ید أو منه أو معروف فلیقم حتی أکافیه.فیقولون:

بآبائنا و أمهاتنا!و أی منه و أی معروف لنا؟!بل الید و المنه و المعروف للّه و لرسوله علی جمیع الخلائق.فیقول لهم:بلی!من آوی أحدا من أهل بیتی،أو برهم،أو کساهم من عری،أو أشبع جائعهم،فلیقم حتی أکافیه.فیقوم أناس قد فعلوا ذلک،فیأتی النداء من عند اللّه:

۱- ۱) الأنفال،الآیه:۴۱.

۲- ۲) صححنا هذا الحدیث علی(جامع الإخبار):الباب ۲،الفصل ۶.

یا محمد،یا حبیبی،قد جعلت مکافاتهم إلیک،فأسکنهم من الجنه حیث شئت.قال:فیسکنهم فی الوسیله حیث لا یحجبون عن محمد و أهل بیته -صلوات اللّه علیهم» (۱). و قد ظهر مما تقدم بعض ما تعلق به من الأسرار و الآداب و الشرائط الباطنه.

و ینبغی أن یکون معطیه فی غایه الحذر عن استعظامه و عن المن و الأذی و أن یکون فی غایه التخضع و التواضع للذریه العلویه عند إعطائه إیاهم، و یعلم أنه عبد من عباد اللّه،أعطاه مولاه نبذا من أمواله،ثم أمره بأن یوصل قلیلا منها إلی ذریه نبیه-صلی اللّه علیه و آله-،و جعل له أیضا فی مقابله هذا الإیصال زیاده المال فی الدنیا و عظیم الأجر و الثواب فی العقبی فما أقبح بالعاقل-مع ذلک-أن یستعظم ما یعطیه،و یمن علی أولاد نبیه -صلی اللّه علیه و آله-.

و ثالثها:

الإنفاق علی الأهل و العیال

و التوسع علیهم.و هو أیضا من الواجبات،علی النحو المقرر فی کتب الفقه.و ما ورد فی مدحه و عظم أجره أکثر من أن یحصی،

قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: «الکاد علی عیاله کالمجاهد فی سبیل اللّه» (۲)

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «خیرکم خیرکم لأهله».

۱- ۱) صححنا الأحادیث الثلاثه الأخیره علی(الوسائل):کتاب الأمر بالمعروف أبواب الأمر بالمعروف،الباب ۱۷.

۲- ۲) صححنا الحدیث علی(الوسائل):کتاب التجاره،أبواب مقدماتها، الباب ۲۲.و روی الحدیث فی(المستدرک)عن(غوالی اللئالی).

و قال صلى اللّه عليه و آله: «المؤمن يأكل بشهوه أهله،و المنافق يأكل أهله بشهوته» (۱)

و قال: «أفضل الصدقه صدقه عن ظهر غنى،و ابدأ بمن تعول،و اليد العليا خير من اليد السفلى،و لا يلوم اللّه على الكفاف» (۲)

و قال صلى اللّه عليه و آله: «دينار أنفقته على أهلك،و دينار أنفقته فى سبيل اللّه،و دينار أنفقته فى رقبه،و دينار تصدقت به على مسكين، و أعظمها أجرا الدينار الذى أنفقته على أهلك».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «ما أنفق الرجل على أهله فهو صدقه،و أن الرجل ليؤجر فى رفع اللقمه إلى فم امرأته».

و قال صلى اللّه عليه و آله: «من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهّم بطلب المعيشه».

و قال صلى اللّه عليه و آله: «من كانت له ثلاث بنات،فأنفق عليهن و أحسن إليهن حتى يغنيهن اللّه عنه أوجب اللّه تعالى له الجنه،إلا أن يعمل عملا لا يغفر اللّه له».

و قال -صلى اللّه عليه و آله-يوما لأصحابه: «تصدقوا.فقال رجل:إن عندى دينارا.قال:أنفقه على نفسك،فقال:إن عندى آخر قال:

أنفقه على زوجتك.قال:إن عندى آخر.قال:أنفقه على ولدك.

قال:إن عندى آخر،قال:أنفقه على خادمك.قال:إن عندى آخر.قال-صلى اللّه عليه و آله-:أنت أبصر به» (۳)

و قال صلى اللّه عليه و آله: «ملعون ملعون من ألقى كله على الناس!ملعون ملعون من ضيع من يعوله!»،

و قال-صلى اللّه عليه و آله-لأمير المؤمنين

۱- ۱) صححنا الحديث على(الوسائل):كتاب النكاح،أبواب النفقات، الباب ۲۱.و كذا الحديث الآتى:«ملعون ملعون...».

۲- ۲) صححنا الحديث على(الوافى):۶-۲۸۹،و هو بمضمونه من المشهورات التى يرويها العامه و الخاصه.

۳- ۳) صححنا الحديث على(احياء العلوم):۱-۲۰۳.

علیه السلام-بعد ما رآه فی البیت ینقی العدس،و فاطمه علیها السلام جالسه عند القدر:«اسمع منی یا أبا الحسن،و ما أقول إلا من أمر ربی:ما من رجل یعین امرأته فی بیتها،إلا کان له بکل شعره علی بدنه عباده سنه صیام نهارها و قیام لیلها،و أعطاه اللّه من الثواب مثل ما أعطاه الصابرین و داود النبی و یعقوب و عیسی-علیهم السلام-یا علی،من کان فی خدمه العیال فی البیت و لم یأنف،کتب اللّه اسمه فی دیوان الشهداء،و کتب له بکل یوم و لیله ثواب ألف شهید،و کتب له بکل قدم ثواب حجه و عمره و أعطاه اللّه بکل عرق فی جسده مدینه فی الجنه.یا علی،ساعه فی خدمه البیت خیر من عباده ألف سنه،و ألف حجه،و ألف عمره،و خیر من عتق ألف رقبه،و ألف غزوه،و ألف مریض عاده،و ألف جمعه،و ألف جنازه،و ألف جائع یشبعهم،و ألف عار یکسوهم،و ألف فرس یوجهه فی سبیل اللّه،و خیر له من ألف دینار یتصدق علی المساکین،و خیر له من أن یقرأ التوراه و الإنجیل و الزبور و الفرقان،و من ألف أسیره اشتراها فأعتقها،و خیر له من ألف بدنه یعطی للمساکین،و لا یخرج من الدنیا حتی یری مکانه فی الجنه.یا علی،من لم یأنف من خدمه العیال دخل الجنه بغیر حساب.یا علی،خدمه العیال کفاره للکبائر،و تطفئ غضب الرب،و مهور حور العین،و تزید فی الحسنات و الدرجات.یا علی، لا یخدم العیال إلا صدیق أو شهید،أو رجل یرید اللّه به خیر الدنیا و الآخره» (۱).

و قال السجاد علیه السلام: «أرضاکم عند اللّه أسبغکم علی عیاله»

ص: ۱۴۶

۱ - ۱) صححنا الحدیث علی(جامع الأخبار):الباب ۸،الفصل ۳،طبع بمبئی سنه ۱۳۳۸،و لم نعثر علی الحدیث فی الکتب المعتبره.إلا أنه فی(مستدرک الوسائل)نقله عن(جامع الأخبار)نفسه فی أبواب مقدمات التجاره:الباب ۱۷.

و قال-علیه السلام-: «لئن ادخل السوق،و معی دراهم أبتاع لعیالی لحما،و قد قرموا (۱)إلیه،أحب إلی من أن أعتق نسمه».

و قال الصادق علیه السلام: «کفی بالمرء إثما أن یضیع من یعوله».

و قال علیه السلام: «من سعاده الرجل أن یکون القیم علی عیاله».

و قال الکاظم علیه السلام: «إن عیال الرجل أسراؤه،فمن أنعم اللّه علیه نعمه فلیوسع علی أسرائه،فإن لم یفعل أوشک أن تزول النعمه».

و قال أبو الحسن الرضا علیه السلام: «ینبغی للرجل أن یوسع علی عیاله لئلا یتمنوا موته».

و قال علیه السلام: «صاحب النعمه یجب علیه التوسعه علی عیاله» (۲). و الأخبار الوارده فی ثواب الإنفاق علی العیال و خدمتهم و التوسع علیهم مما لا تعد کثره.و ما ذکرناه کاف لإیقاظ أهل الاستبصار

فصل ما ینبغی فی الإنفاق علی العیال

ینبغی لطالب الأجر و الثواب فی إنفاق العیال:أن یقصد فی کده و سعیه فی تحصیل النفقه و فی إنفاقه وجه اللّه و ثواب الآخره،إذ لا ثواب بدون القربه،و أن یجتنب عن تحصیل الحرام و الشبهه،و لا یدخل علی عیاله إلا الحلال،إذ أخذ الحرام،و إنفاقه أعظم الذنوب و أشد المعاصی، و أن یقصد فی التحصیل و الإنفاق،فلیحترز عن الإقتار لئلا یضیع عیاله

۱- ۱) قال فی(الوافی):۶-۲۸۸،باب التوسع علی العیال،فی شرح هذا الحدیث:«القرم:شده شهوه للحم».

۲- ۲) صححنا الأحادیث،ابتداء من الروایه عن السجاد،علی(الوسائل): کتاب النکاح،أبواب النفقات،الباب ۲۰ و ۲۱.

و عن الإسراف لئلا يضيع عمره فی طلب المال،فيكون من الخاسرين الهالكين.قال اللّه سبحانه:

وَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا وَ لاٰ تُسْرِفُوا

(۱)

.و قال: وَ لاٰ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلىٰ عُنُقِكَ وَ لاٰ تَبْسُطْهٰا كُلَّ الْبَسْطِ (۲).

و قال: وَ الَّذِينَ إِذٰا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَ لَمْ يَقْتُرُوا وَ كٰانَ بَيْنَ ذٰلِكَ قَوٰاماً (۳).

و عن الصادق-عليه السلام-: «أنه تلا هذه الآيه: (وَ الَّذِينَ إِذٰا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَ لَمْ يَقْتُرُوا وَ كٰانَ بَيْنَ ذٰلِكَ قَوٰاماً) ،فأخذ قبضه من حصی و قبضها بيده،فقال:هذا الإقتار الذی ذكره اللّه فی كتابه.ثم أخذ قبضه أخری،فأرخی كفه كلها،ثم قال:هذا الإسراف.ثم أخذ قبضه أخری،فأرخی بعضها و أمسك بعضها،و قال:هذا القوام» (۴)و ينبغی ألا يستأثر نفسه أو بعض عياله بمأكول طيب،و لا يطعم سائرهم منه،فإن ذلك يوغر الصدر و يبعد عن المعاشره بالمعروف،إلا أن يضطر إليه،لمرض أو ضعف أو غير ذلك.و ينبغی ألا يصف عندهم طعاما ليس يريد إطعامهم إياه،و أن يقعد عياله كلهم علی مائده عند الأكل

۱- ۱) الأعراف،الآيه:۳۰.

۲- ۲) الإسراء،الآيه:۲۹.

۳- ۳) الفرقان،الآيه:۶۷.

۴- ۴) صححنا الحديث علی(الوافی):۶-۲۹۶.باب فضل القصد بين الإسراف و التقتير.

فقد روی: «أن اللّه و ملائکته یصلون علی أهل بیت یأکلون فی جماعه».

و أما الأمور المستحبه من الإنفاق،الداخله تحت السخاء،

فأولها:

صدقه التطوع

و فضلها عظیم،و فوائدها الدنیویه و الأخرویه کثیره.

قال رسول اللّه -صلی اللّه علیه و آله-: «تصدقوا و لو بتمره،فإنها تسد من الجائع و تطفئ الخطیئه،کما یطفئ الماء النار».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-:

«اتقوا النار و لو بشق تمره،فإن لم تجدوا فبکلمه طیبه»

و قال صلی اللّه علیه و آله: «ما من عبد مسلم یتصدق بصدقه من کسب طیب،و لا یقبل اللّه إلا طیبا،إلا کان اللّه آخذها بیمینه،فیربیها له کما یربی أحدکم فصیله،حتی تبلغ التمره مثل أحد».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-:

«ما أحسن عبد الصدقه إلا أحسن اللّه عز و جل الخلافه علی ترکته».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «کل امرئ فی ظل صدقته،حتی یقضی بین الناس»

و قال صلی اللّه علیه و آله: «أرض القیامه نار،ما خلا ظل المؤمن،فإن صدقته تظله».

و قال صلی اللّه علیه و آله: «إن اللّه لا إله إلاّ هو،لیدفع بالصدقه الداء و الدبیله،و الحرق و الغرق،و الهدم و الجنون ...» و عد سبعین بابا من الشر.

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «صدقه السر تطفئ غضب الرب عز و جل» (۱).

و قال-صلی اللّه علیه و آله-:

«إذا أطرقکم سائل ذکر باللیل فلا تردوه».

و فائده التخصیص بالذکر و اللیل:أن من یسألک لیلا فی صوره

۱- ۱) الأخبار النبویه المذکوره فی هذا الفصل أغلبها عامیه صححناها علی (إحیاء العلوم):ج ۱ بیان فضیله الصدقه.

الإنسان،يحتمل أن يكون ملكا أتاک للامتحان،

كما روى: «أنه سبحانه أوحى إلى موسى بن عمران عليه السلام،و قال:يا موسى،أكرم السائل ببذل يسير أو يرد جميل،إنه يأتيک من ليس بإنس و لا جان،بل ملائكه من ملائكه الرحمن،يبلونک فيما خولتک،و يسألونک فيما نولتک،فانظر كيف أنت صانع يا ابن عمران». و لذلک حث رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-على عدم رد السائل،

و قال: «أعط السائل و لو على ظهر فرس».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «لا تقطعوا على السائل مسألته فلو لا أن المساكين يكذبون ما أفلح من ردهم»

و قال الباقر-عليه السلام- «البر و الصدقه ينفيان الفقر،و يزيدان فى العمر،و يدفعان عن صاحبهما سبعين ميته سوء»

و قال الصادق-عليه السلام-: «داووا مرضاكم بالصدقه و ادفعوا البلاء بالدعاء،و استنزلوا الرزق بالصدقه،فإنها تفک من بين لحى سبعمائه شيطان،و ليس شىء أثقل على الشيطان من الصدقه على المؤمن و هى تقع فى يد الرب تعالى قبل أن تقع فى يد العبد»

و قال-عليه السلام- «الصدقه باليد تقى ميته السوء،و تدفع سبعين نوعا من البلاء،و تفک عن لحى سبعين شيطانا كلهم يأمره ألا يفعل».

و قال-عليه السلام- «يستحب للمريض أن يعطى السائل بيده،و يأمره أن يدعو له».

و قال عليه السلام: «باكروا بالصدقه،فإن البلاء لا يتخطاها،و من تصدق بصدقه أول النهار دفع اللّه عنه شر ما ينزل من السماء فى ذلک اليوم،فإن تصدق أول الليل دفع اللّه شر ما ينزل من السماء فى تلک الليله».

و كان -عليه السلام-إذا أعتم-أى صلى العتمه-و ذهب من الليل شطره، أخذ جرابا فيه خبز و لحم و دراهم،فحمله على عنقه،ثم ذهب به إلى أهل الحاجه من أهل المدينه،فقسمه فيهم و لا يعرفونه،فلما مضى أبو عبد اللّه عليه السلام،فقدوا ذلک،فعلموا أنه كان أبا عبد اللّه-عليه

و سئل علیه السلام عن السائل یسأل و لا یدری ما هو،فقال:«أعط من أوقع فی قلبک الرحمه».

و قال-علیه السلام- فی السؤال:«أطعموا ثلاثه، و إن شئتم أن تزدادوا فازدادوا،و إلا فقد أدیتم حق یومکم»

و قال-علیه السلام -فی الرجل یعطی غیره الدراهم یقسمها،قال:«یجری له من الأجر مثل ما یجری للمعطی،و لا ینقص من أجره شیئا.و لو أن المعروف جری علی سبعین ید،لأوجروا کلهم من غیر أن ینقص من أجر صاحبه شیء». و قد وردت أخبار کثیره فی فضل تصدق الماء و ثوابه،

قال أمیر المؤمنین-علیه السلام-: «أول ما یبدأ به فی الآخره صدقه الماء یعنی فی الأجر».

و قال أبو جعفر-علیه السلام-: «إن اللّه تعالی یحب إیراد الکبد الحراء،و من سقی الماء کبدا حراء،من بهیمه و غیرها أظله اللّه فی ظل عرشه یوم لا ظل إلا ظله».

و قال الصادق-علیه السلام- «من سقی الماء فی موضع لا یوجد فیه الماء،کان کمن أعتق رقبه،و من سقی الماء فی موضع لا یوجد فیه الماء،کان کمن أحیی نفسا،و من أحیی نفسا فکأنما أحیی الناس جمیعا».

(تنبیه):

سئل رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«أی الصدقه أفضل؟قال:أن تتصدق و أنت صحیح،تأمل البقاء و تخشی الفاقه، و لا تمهل حتی إذا بلغت الحلقوم قلت:لفلان کذا و لفلان کذا».

فصل فضیله الإسرار فی الصدقه المندوبه

لا کلام فی أن الإسرار فی الصدقه المندوبه أفضل من إظهارها للمعطی فی إعطائها،و یدل علیه

قول الصادق علیه السلام: «الصدقه فی السر

و اللّه أفضل من الصدقه فی العلانیه» (۱).

و قوله-علیه السلام-: کلما فرض اللّه علیک فإعلانه أفضل من إسراره،و کلما کان تطوعا،فإسراره أفضل من إعلانه».

و إنما الکلام فی أن الأفضل للآخذ فی أخذها أن یأخذها سرا أو علانیه.فقیل الأفضل له أخذها سرا،لأنه أبقی للتعفف و ستر المروه،و أسلم لقلوب الناس و ألسنتهم من الحسد و سوء الظن و الغیبه.و عون للمعطی علی العمل،و قد علمت أفضلیه السر علی الجهر فی الإعطاء،و أصون لنفسه عن الإذلال و الإهانه،و أخلص من شوب شرکه الحضار،فإن المستفاد من الأخبار:

أن الحضار شرکاء من أهدی له فی الهدیه.و الظاهر أن الصدقه مثلها إذا کان الحضار من أهلها.

قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: «من أهدی له هدیه و عنده قوم،فهم شرکاؤه فیها».

و قال الباقر علیه السلام «جلساء الرجل شرکاؤه فی الهدیه».

و قال-علیه السلام-: «إذا أهدی للرجل هدیه من طعام،و عنده قوم،فهم شرکاؤه فی الهدیه:الفاکهه أو غیرها». و قیل:الأفضل أخذها علانیه،و التحدث بها،لتنقیه الکبر و الریاء،و تلبیس الحال،و إیجابه الإخلاص و الصدق،و إقامه منه الشکر،و إسقاط الجاه و المنزله،و إظهار العبودیه و المسکنه،مع أن العارف ینبغی ألا ینظر إلا إلی اللّه،و السر و العلانیه فی حقه واحد،فاختلاف الحال شرک فی التوحید.

و الحق أن الحکم بأفضلیه أحدهما علی الإطلاق غیر صحیح،إذ تختلف فضیله کل منها باختلاف النیات،و تختلف النیات باختلاف الأحوال و الأشخاص

ص:۱۵۲

---

۱ - ۱) صححنا أغلب هذه الأخبار المرویه عن أهل البیت-علیهم السلام-فی هذا المقام علی(الوافی):۶-۲۸۲،۲۸۴ باب فضل الصدقه و باب فضل صدقه السر.

فینبغی لطالب السعاده أن یراقب نفسه،و یلاحظ حاله و وقته، و یری أن أی الحالتین من السر و الجهر بالنظر إلیه أقرب إلی الخلوص و القربه،و أبعد من الریاء و التلبیس و سائر الآفات،فیختار ذلک،و لا یتدلی بحبل الغرور،و لا ینخدع بتلبیس الطبع و مکر الشیطان.مثلا إذا کان طبعه مائلا إلی الإسرار و رأی أن باعث هذا المیل حفظ الجاه و المنزله و خوف سقوط القدر من أعین الناس،و نظر الخلق إلیه بعین الازدراء، و إلی المعطی کونه منعما محسنا إلیه،أو خوف ألا یعطیه الناس بعد ذلک لعلمهم بما أخذه،فلینتقل عن الإسرار و یأخذها علانیه،إذ لو أبقی نفسه علی ما استکن فیها من الداء الدفین،و عمل بمقتضاها،صار هالکا و إن کان طبعه مائلا إلی الإسرار،و أیقن بأن باعث المیل إلیه:إبقاء التعفف،و ستر المروه،و صیانه الناس عن الحسد،و سوء الظن و الغیبه، و لم یکن باعثه شیء من المفاسد المذکوره،فالأولی أن یأخذها سرا.

و یعرف ذلک بأن یکون تألمه بانکشاف أخذه للصدقه کتألمه بانکشاف صدقه أخذها بعض أقرانه و إخوانه المؤمنین،فإنه إن کان طالبا لبقاء السر و إعانه المعطی علی الاسرار،و صیانه العلم عن الابتذال،و حفظ الناس عن الحسد و الغیبه و سوء الظن،فینبغی أن یکون طالبا لها فی صدقه أخیه أیضا، إذ یحصل ما یحذر منه:من هتک الستر،و ابتذال العلم،و وقوع الناس فی الغیبه و الحسد بانکشاف صدقه أخیه أیضا.فإن کان انکشاف صدقته أثقل علیه من انکشاف صدقه غیره،فتقدیره الحذر من هذه المعانی تلبیس من النفس و مکر من الشیطان. و إذا کان طبعه مائلا إلی الإظهار،و وجد منه أن باعث هذا المیل هو التطیب لقلب المعطی،و الاستحثاث له علی مثله،و الإظهار للغیر بأنه من المبالغین فی الشکر،حتی یرغبوا فی الإحسان إلیه،فلیتنبه أن هذا الداء من الداء الدفین الذی یهلکه لو لم یعالجه،فلیترک

أخذها جهرا و التحدث بها،و ينتقل إلى الأخذ خفيه.و إن تيقن من نفسه بأن الباعث هو إقامه السنه فى الشكر،و التحدث بالنعمه،و إسقاط الجاه و المنزله،و إظهار العبوديه و المسكنه،أو غير ذلك من المقاصد الصحيحه من دون تطرق شىء من المفاسد المذكوره،فالإظهار الأفضل،و يعرف ذلك بأن تميل نفسه إلى الشكر،حيث لا ينتهى الخبر إلى المعطى و لا إلى من يرغب فى عطائه،و بين يدى جماعه يعلم أنهم يكرهون إظهار العطيه و يرغبون فى إخفائها،و عادتهم ألا يعطوها إلا من يخفيها و لا يتحدث بها و لا يشكر عليها.ثم إذا جزم بكون الباعث إقامه السنه فى الشكر،فينبغى أن يغفل عن قضاء حق المعطى،فينظر أنه إن كان ممن يحب الشكر و النشر فيخفى الأخذ و لا يشكر،لأن قضاء حقه ألا ينصره على الإثم، و إن كان ممن لا يحب الشكر و لا يطلب النشر،فالأولى أن يشكره و يظهر صدقته.

و ينبغى لكل من يراعى قلبه أن يلاحظ هذه الدقائق و لا يهملها، إذ إعمال الجوارح مع إهمالها ضحكه للشيطان و شماته له،لكثره التعب فيها مع عدم تصور نفع لها،و العلم بهذه الدقائق و ملاحظتها هو العلم الذى ورد فيه أن تعلم مسأله واحده منه أفضل من عباده سنه،إذ بهذا العلم تحيى عباده العمر،و بالجهل به تموت عباده العمر.

و ثانيها:

الهديه

و هى ما يعطى و يرسل إلى أخيه المسلم،فقيرا كان أم غنيا،طلبا للاستيناس،و تأكيدا للصحبه و التودد.و هو مندوب إليه من الشرع، و مع سلامه القصد و النيه يكون عباده.

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه

و آله-: «تحابوا تهادوا،فإنها تذهب بالضغائن.

و قال صلى اللّه عليه و آله-: «لو أهدى الى ذراع لقبلت».

و قال أمير المؤمنين-عليه السلام-: «لأن أهدى لأخى المسلم هديه أحب إلى من أن أتصدق بمثلها»

و قال-عليه السلام-: «من تكرمه الرجل لأخيه المسلم،أن يقبل تحفته و أن يتحفه بما عنده،و لا يتكلف له شيئا».

و ثالثها:

الضيافه

و ثوابها جزيل،و أجرها جميل،و فضلها عظيم،و ثمرها جسيم.

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: «لا خير فيمن لا يضيف».

و مر-صلى اللّه عليه و آله-برجل له إبل و بقر كثير،فلم يضفه،و مر بأمرأه لها شويهات،فذبحت له،فقال-صلى اللّه عليه و آله-«انظروا إليهما،فإنما هذه الأخلاق بيد اللّه عز و جل،فمن شاء أن يمنحه خلقا حسنا فعل».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «الضيف إذا جاء فنزل بالقوم،جاء برزقه معه من السماء،فإذا أكل غفر اللّه لهم بنزوله».

و قال: «ما من ضيف حل بقوم إلا و رزقه فى حجره».

و قال: «من كان يؤمن باللّه و اليوم الآخر فليكرم ضيفه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-:

«لا تزال أمتى بخير:ما تحابوا،و أدوا،الأمانه،و اجتنبوا الحرام،و أقرءوا الضيف،و أقاموا الصلاه،و آتوا الزكاه،فإذا لم يفعلوا ذلك ابتلوا بالقحط و السنين».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «إذا أراد اللّه بقوم خيرا أهدى لهم هديه.قالوا:و ما تلك الهديه؟قال:الضيف ينزل برزقه،و يرتحل بذنوب أهل البيت».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-:

«كل بيت لا يدخل فيه الضيف لا تدخله الملائكه».

و قال-صلى اللّه

علیه و آله-: «الضیف دلیل الجنه».

و قال أمیر المؤمنین علیه السلام:

«ما من مؤمن یحب الضیف إلا و یقوم من قبره و وجهه کالقمر لیله البدر فینظر أهل الجمع،فیقولون:ما هذا إلا نبی مرسل!فیقول ملک:هذا مؤمن یحب الضیف و یکرم الضیف،و لا سبیل له إلا أن یدخل الجنه»

و قال-علیه السلام-: «ما من مؤمن یسمع بهمس الضیف و فرح بذلک إلا غفرت له خطایاه،و إن کانت مطبقه بین السماء و الأرض».

و بکی -علیه السلام-یوما،فقیل له:ما یبکیک؟قال:«لم یأتنی ضیف منذ سبعه أیام،أخاف أن یکون اللّه قد أهاننی».

و عن محمد بن قیس عن أبی عبد اللّه-علیه السلام-،قال: «ذکر أصحابنا قوما،فقلت:

و اللّه ما أتغدی و لا أتعشی إلا و معی منهم اثنان أو ثلاثه أو أقل أو أکثر فقال-علیه السلام-:فضلهم علیک أکثر من فضلک علیهم.قلت:

جعلت فداک!کیف ذا و أنا أطعمهم طعامی،و أنفق علیهم من مالی، و یخدمهم خادمی؟فقال:إذا دخلوا علیک دخلوا من اللّه بالرزق الکثیر، و إذا خرجوا خرجوا بالمغفره لک».

و کان إبراهیم الخلیل-علیه السلام- إذا أراد أن یأکل،خرج میلا أو میلین یلتمس من یتغدی معه،و کان یکنی(أبا الضیفان).

و جمیع الأخبار الوارده فی فضیله إطعام المؤمن و سعیه تدل علی فضیله الضیافه،

کقوله-صلی اللّه علیه و آله- بعد سؤاله عن الحج المبرور:

«هو إطعام الطعام و طیب الکلام».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-:

«من أطعم ثلاثه نفر من المسلمین أطعمه اللّه من ثلاث جنان فی ملکوت السماوات:الفردوس،و جنه عدن،و طوبی شجره تخرج فی جنه عدن غرسها ربنا بیده».

و قول الصادق-علیه السلام-: «من أشبع مؤمنا وجبت له الجنه».

و قوله-علیه السلام-: «من أطعم مؤمنا حتی یشبعه

لم یدر أحد من خلق اللّه ما له من الأجر فی الآخره،لا ملک مقرب و لا نبی مرسل،إلا اللّه رب العالمین».

و سئل-صلی اللّه علیه و آله-:

«ما الإیمان؟فقال:إطعام الطعام».

و قال: «إن فی الجنه غرفا یری ظاهرها من باطنها،و باطنها من ظاهرها،یسکنها من أمتی من أطاب الکلام،و أطعم الطعام،و أفشی السلام،و صلی باللیل و الناس نیام».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «من أحب الأعمال إلی اللّه تعالی:

إشباع جوعه المؤمن،و تنفیس کربته،و قضاء دینه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «إن اللّه یحب الإطعام فی اللّه،و یحب الذی یطعم الطعام فی اللّه،و البرکه فی بیته أسرع من الشفره فی سنام البعیر».

و قال -صلی اللّه علیه و آله-: «خیرکم من أطعم الطعام».

و قال(ص):

«من أطعم الطعام أخاه المؤمن حتی یشبعه،و سقاه حتی یرویه،بعده اللّه من النار سبع خنادق،ما بین کل خندقین مسیره خمسمائه عام».

و فی الخبر: «أن اللّه تعالی یقول للعبد فی القیامه:یا ابن آدم،خفت فلم تطعمنی.فیقول:کیف أطعمک و أنت رب العالمین؟فیقول:جاع أخوک فلم تطعمه،و لو أطعمته کنت أطعمتنی».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «من سقی مؤمنا من ظمإ،سقاه اللّه من الرحیق المختوم»

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «من سقی مؤمنا شربه من ماء من حیث یقدر علی الماء،أعطاه اللّه بکل شربه سبعین ألف حسنه،و إن سقاه من حیث لا یقدر علی الماء،فکأنما أعتق عشر رقاب من ولد إسماعیل» (۱).

---

۱ - ۱) صححنا أحادیث هذا الفصل علی(البحار):۴ مج ۱۵-۱۱۰،باب إطعام المؤمن و ۲۴۲،۲۴۴.باب آداب الضیف.و علی(الکافی):باب إطعام المؤمن.و علی(الوسائل):فی آداب المائده من کتاب الأطعمه و الأشربه.

فصل ما ینبغی أن یقصد بالضیافه

ینبغی أن یقصد فی ضیافته التقرب إلی اللّه،و التسنن بسنه رسول اللّه و استماله قلوب الإخوان،و إدخال السرور علی قلوب المؤمنین،و لا یقصد به الریاء و المفاخره و المباهاه،و إلا ضاع عمله،و أن یدعو الفقراء و الأتقیاء و إن کان فی ضیافه الأغنیاء و مطلق الناس فضیله أیضا.و ینبغی ألا یهمل فی ضیافته الأقارب و الجیران،إذ إهمالهم قطع رحم و إیحاش،و ألا یدعو من یعلم أنه تشق علیه الإجابه.و ینبغی أن یعجل فی إحضار الطعام لأنه من إکرام الضیف،

و قد ورد: «أن العجله من الشیطان،إلا فی خمسه أشیاء،فإنها من سنه رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:

إطعام الضیف،و تجهیز البیت،و تزویج البکر،و قضاء الدین،و التوبه من الذنوب». و أن یحضر من الطعام قدر الکفایه،إذ التقلیل عنه نقص فی المروه،و الزیاده علیه تضییع،و أن یسعی فی إکرام الضیف:من طلاقه الوجه،و طیب الکلام معه عند دخوله و خروجه و علی المائده، و الخروج معه إلی باب الدار إذا خرج،

قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: «إن من سنه الضیف أن یشیعه إلی باب الدار». و مما ینبغی له ألا یستخدم الضیف،

قال الباقر-علیه السلام-: «من الجفاء استخدام الضیف».

و کان عند الرضا-علیه السلام-ضیف،فکان یوما فی بعض الحوائج،فنهاه عن ذلک،و قام بنفسه إلی تلک الحاجه،و قال:

«نهی رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله عن أن یستخدم الضیف».

فصل آداب الضيافه

ينبغى لكل مؤمن أن يجيب دعوه أخيه إلى الضيافه،من غير أن يفرق بين الغنى و الفقير،بل يكون أسرع إجابه إلى دعوه الفقير،و ألا يمنعه بعد المسافه عن الإجابه إذا أمكن احتمالها عاده.

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله «أوصى الشاهد من أمتى و الغائب،أن يجيب دعوه المسلم و لو على خمسه أميال،و لا يمنعه صوم التطوع عن الإجابه،بل يحضر،فإن علم سرور أخيه بالإفطار فليفطر،و يحتسب فى إفطاره أفضل ما يحتسب فى صومه»

و قال الصادق-عليه السلام-: «من دخل على أخيه و هو صائم، فأفطر عنده و لم يعلمه بصومه فيمن عليه،كتب اللّه له صوم سنه،و إن علم أنه متكلف و لا يسر بإفطاره فليتعلل».

و ينبغى ألا يقصد بالإجابه قضاء شهوه البطن،ليدخل عمله فى أمور الدنيا،بل ينوى الاقتداء بسنه رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله- و إكرام أخيه المؤمن،ليكون فى عمله مطيعا للّه مثابا فى الآخره،و أن يحترز عن الإجابه إذا كان الداعى من الظلمه أو الفساق،أو كانت ضيافته للفخر و المباهاه،و من كان طعامه حراما أو شبهه،أو لم يكن موضعه أو بساطه المفروش حلالا،أو كان فى الموضع شىء من المنكرات كاناء فضه،أو تصوير حيوان على سقف أو حائط،أو أحد آلات اللهو من المزامير و أمثالها،أو التشاغل بشىء من اللهو و اللعب و الهزل، فكل ذلك مما يمنع الإجابه،و يوجب تحريمها أو كراهيتها.

قال الصادق -عليه السلام-: «لا ينبغى للمؤمن أن يجلس مجلسا يعصى اللّه تعالى

فیه و لا یقدر علی تغییره.و من ابتلی بحضور طعام ظالم إکراها و تقیه، فلیقلل الأکل،و لا یأکل أطایب الأطعمه.

و ینبغی للضیف-أیضا-إذا دخل الدار ألا یصدر،و لا یقصد أحسن الأماکن،بل یتواضع و یرضی بالدون من المجلس،و إن أشار إلیه صاحب الدار بموضع فلا یخالفه و یجلس فیه،و إن أشار إلیه بعض الضیفان بالارتفاع أو الانحطاط،و ألا یجلس فی مقابله باب حجره النسوان،و لا یکثر النظر إلی الموضع الذی یخرج منه الطعام،فإنه دلیل الشره و خسه النفس،و أن یخص بالتحیه و السلام أولا من یقرب منه.

و ینبغی لمن دعی إلی الضیافه ألا یطول الانتظار علیهم،و لا یعجل بحیث یفاجئهم قبل تمام الاستعداد.

و رابعها:

الحق المعلوم و حق الحصاد و الجذاذ

و المراد من الأول:ما یعرضه الرجل و یقدره فی ماله،من قلیل أو کثیر،غیر الصدقات الواجبه،یعطیه محتاجا أو یصل به رحمه.و المراد بالثانی:ما یعطی به إلی الفقراء من الضغث بعد الضغث:أی القبضه بعد القبضه من الزرع یوم حصاده،و من الحفنه بعد الحفنه:أی ملء الکف من التمر أو الحنطه أو غیرهما من الثمار و الفواکه و الحبوبات عند قطعها و تصفیتها.و هذان النوعان من الإنفاق معدودان فی صدقه التطوع،و قد وردت بخصوصهما أخبار کثیره لشده استحبابهما.

قال الصادق علیه السلام:

«إن اللّه فرض للفقراء فی أموال الأغنیاء فریضه لا یحمدون إلا بأدائها و هی الزکاه،بها حقنوا دماءهم،و بها سموا مسلمین،و لکن اللّه تعالی فرض فی أموال الأغنیاء حقوقا غیر الزکاه،فقال اللّه تعالی:

وَ الَّذِینَ فِی أَمْوٰالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ

(۱)

.

و الحق المعلوم غیر الزکاه،و هو شیء یفرضه الرجل علی نفسه فی ماله،یجب علیه أن یفرضه علی قدر طاقته و سعه ماله،فیؤدی الذی فرض علی نفسه إن شاء کل یوم جمعه،و إن شاء فی کل شهر» (۲).

و قال-علیه السلام-:«الحق المعلوم لیس من الزکاه،هو الشیء تخرجه من مالک،إن شئت کل جمعه،و إن شئت کل شهر،و لکل ذی فضل فضله،و قول اللّه تعالی:(وَ إِنْ تُخْفُوهٰا وَ تُؤْتُوهَا الْفُقَرٰاءَ فَهُوَ خَیْرٌ لَکُمْ) ،فلیس من الزکاه،و الماعون لیس من الزکاه،و هو المعروف تصنعه و القرض تقرضه و متاع البیت تعیره،و صله قرابتک لیس من الزکاه و قال اللّه تعالی: وَ الَّذِینَ فِی أَمْوٰالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ،فالحق المعلوم غیر الزکاه،و هو شیء یفرضه الرجل علی نفسه أنه فی ماله و نفسه،و یجب له أن یفرضه علی قدر طاقته و وسعه» (۳).

و قال-علیه السلام-:

«و إن علیکم فی أموالکم غیر الزکاه.فقلت:أصلحک اللّه،و ما علینا فی أموالنا غیر الزکاه؟فقال:سبحان اللّه!أ ما تسمع قول اللّه تعالی؟ یقول فی کتابه:

وَ الَّذِینَ فِی أَمْوٰالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسّٰائِلِ وَ الْمَحْرُومِ

(۴)

۱- ۱) المعارج،الآیه:۲۴.

۲- ۲) صححنا الحدیث علی(الوافی):۶-۲۸۱،باب جمله ما یجب فی المال من الحقوق.

۳- ۳) نفس المصدر:باب جمله ما یجب فیه الزکاه(الوسائل):۲-۷، باب الحقوق فی المال سوی الزکاه.

۴- ۴) المعارج،الآیه:۲۴،۲۵.

قال:قلت:فما ذا الحق المعلوم الذی علینا؟قال:هو و اللّه الشیء یعلمه الرجل فی ماله،یعطیه فی الیوم أو فی الجمعه أو الشهر،قل أو کثر غیر أنه یدوم علیه» (۱).

و قال-علیه السلام -فی قول اللّه تعالی:

فِی أَمْوٰالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ، لِلسّٰائِلِ وَ الْمَحْرُومِ):«هو الرجل یؤتیه اللّه الثروه من المال،فیخرج منه الألف و الألفین و الثلاثه آلاف و الأقل و الأکثر،فیصل به رحمه،و یحمل به الکل عن قومه».

و قال(ع) «فی الزرع حقان:حق تؤخذ به،و حق تعطیه.قلت:و ما الذی أؤخذ به و ما الذی أعطیه؟قال:أما الذی تؤخذ به،فالعشر و نصف العشر،و أما الذی تعطیه،فقول اللّه:

وَ آتُوا حَقَّهُ یَوْمَ حَصٰادِهِ

(۲)

.

یعنی من حصدک الشیء ثم الشیء-و لا أعلمه إلا قال الضغث ثم الضغث-حتی تفرغ» (۳).

و قال-علیه السلام-: «لا تصرم باللیل و لا تحصد باللیل،و لا تضح باللیل،و لا تهذر باللیل.فإنک إن فعلت ذلک لم یأتک القانع و المعتر.فقلت:و ما القانع و المعتر؟فقال:القانع الذی یقنع بما أعطیته،و المعتر:الذی یمر بک فیسألک.و إن حصدت باللیل لم یأتک السؤال،و هو قول اللّه تعالی: وَ آتُوا حَقَّهُ یَوْمَ حَصٰادِهِ عند الحصاد،یعنی القبضه بعد القبضه إذا حصدته،فإذا خرج فالحفنه

۱- ۱) صححنا الحدیث علی(الوافی):۶-۲۸۱،باب جمله ما یجب فی المال من الحقوق و علی(الوسائل):۲-۷،باب جمله ما یجب فیه الزکاه.

۲- ۲) الأنعام،الآیه:۱۴۱.

۳- ۳) صححنا الحدیث علی(الوافی):۶-۲۸۲.و علی(فروع الکافی): کتاب الزکاه،باب الحصاد و الجذاذ.و کذا ما بعده.

بعد الحفنه،و كذلك عند الصرام،و كذلك عند البذر.و لا تبذر باليل لأنك تعطى من البذر كما تعطى من الحصاد».

و قال الباقر-عليه السلام- فى قول اللّه تعالى وَ آتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصٰادِهِ :«هذا من الصدقه،يعطى المسكين القبضه بعد القبضه،و من الجذاذ الحفنه بعد الحفنه،حتى يفرغ» و فى مضمون هذه الأخبار أخبار كثيره أخر.

و خامسها:

القرض

و هو أيضا من ثمرات السخاء،لأن السخى تسمح نفسه بأن يقرض أخاه المحتاج بعض أمواله إلى حين استطاعته،كما تسمح نفسه بأن يبذل عليه أصل ماله،و البخيل يشق عليه ذلك.و ثواب القرض عظيم،و فضله جسيم.

قال الباقر-عليه السلام-: «من أقرض رجلا قرضا إلى ميسره كان ماله فى زكاه،و كان هو فى الصلاه مع الملائكه حتى يقبضه».

و قال الصادق-عليه السلام-: «مكتوب على باب الجنه:الصدقه بعشره، و القرض بثمانيه عشر».

و قال عليه السلام: «ما من مؤمن أقرض مؤمنا يلتمس به وجه اللّه،إلا حسب اللّه له أجره بحساب الصدقه،حتى يرجع ماله إليه،يعنى أعطاه اللّه فى كل آن أجر صدقه،ذلك لأن له قضاءه فى كل آن،فلما لم يفعل فكأنما أعطاه ثانيا و ثالثا و هلم جرا،إلى أن يقبضه»

و قال عليه السلام: «لا تمانعوا قرض الخمير و الخبز و اقتباس النار،فإنه يجلب الرزق على أهل البيت مع ما فيه من مكارم الأخلاق».

و قال:

«لا تمانعوا قرض الخمير و الخبز،فإن منعهما يورث الفقر» (۱)

۱- ۱) صحنا الأحاديث الوارده فى هذا المقام على(الوافى):۶-۲۹۲، باب القرض.

و سادسها:

إنظار المعسر و التحليل

و هو أيضا من أفراد البذل المترتب على السخاء،و قد ورد فى فضله أخبار كثيره،

قال الصادق-عليه السلام-: «من أراد أن يظله اللّه يوم لا ظل إلا ظله،فلينظر معسرا،أو يدع له من حقه».

و قال عليه السلام: «إن رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-قال فى يوم حار -و حنا كفه-:من أحب أن يستظل من فور جهنم؟-قالها ثلاث مرات-فقال الناس فى كل مره:نحن يا رسول اللّه.فقال:من أنظر غريما أو ترك المعسر».

و قال عليه السلام-: «صعد رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-المنبر ذات يوم،فحمد اللّه و أثنى عليه،و صلى على أنبيائه ثم قال:أيها الناس،ليبلغ الشاهد الغائب منكم،ألا-و من أنظر معسرا كان له على اللّه فى كل يوم ثواب صدقه بمثل ماله،حتى يستوفيه».

و قيل له-عليه السلام-:«إن لعبد الرحمن بن سبابه دينا على رجل قد مات،و قد كلمناه أن يحلله فأبى،فقال:ويحه!أ ما يعلم أن له بكل درهم عشره إذا حلله،و إن لم يحلله فإنما هو درهم بدرهم؟» (۱)و فى معناها أخبار كثيره آخر.

---

۱ - ۱) صححنا جميع الأحاديث الوارده فى هذا المقام على(الوافى):۶-۲۹۲ باب إنظار المعسر و التحليل،و على(فروع الكافى):باب إنظار المعسر،كتاب الزكاه.

و سابعها:

بذل الکسوه و السکنی و نحوهما

غیر ما ذکر من وجوه الإعانه بالمسلم،کبذل الکسوه و السکنی، و حمله علی الدابه،و إعطائه الماعون،و إعارته المتاع و سائر ما یحتاج إلیه، و اطراق الفحل و غیر ذلک،فإن جمیع ذلک من ثمرات السخاء،و منعهما من نتایج البخل.و فی کل واحد منها فضیله و ثواب،و ورد فی فضیله کل منها أخبار.

و مما یدل علی مدح کسوه المؤمن،

قول الباقر-علیه السلام-:

«لإن أحج حجه أحب إلی من أعتق رقبه و رقبه و رقبه(حتی انتهی إلی عشره)،و مثلها و مثلها(حتی انتهی إلی سبعین).و لإن أعول أهل بیت من المسلمین،أشبع جوعتهم،و أکسو عورتهم،و أکف وجوههم عن الناس،أحب إلی من أن أحج حجه و حجه(حتی انتهی إلی عشر) و عشر مثلها و مثلها(حتی انتهی إلی سبعین)» (۱).

و قال الصادق علیه السلام: «من کسا أخاه کسوه شتاء أو صیف،کان حقا علی اللّه أن یکسوه من ثیاب الجنه،و أن یهون علیه من سکرات الموت،و أن یوسع علیه فی قبره،و أن یلقی الملائکه إذا خرج من قبره بالبشری،و هو قول اللّه عز و جل فی کتابه:

وَ تَتَلَقّٰاهُمُ الْمَلاٰئِکَهُ هٰذٰا یَوْمُکُمُ الَّذِی کُنْتُمْ تُوعَدُونَ

(۲)

و قال:«من کسا أحدا من فقراء المسلمین ثوبا من عری،أو أعانه

۱- ۱) صححنا الحدیث علی(الوافی):۶-۲۸۲،باب فضل الصدقه.

۲- ۲) الأنبیاء،الآیه:۱۰۳.

بشـیء مما یقویه علی معیشـته،وکل اللّه عز و جل به سـبعه آلاف ملک من الملائکه،یستغفرون لکل ذنب عمله،إلی أن ینفخ فی الصور» (۱).

و ثامنها:

ما یبذل لوقایه العرض و النفس

ما یبذل لوقایه العرض،و حفظ الحرمه،و رفع شر الأشرار و ظلم الظلمه.فإن السخی لا یقصر فی شیء من ذلک،و البخیل ربما منع بخله عن ذلک،فیهتک عرضه و یـذهب حرمته.و فی بعض الأخبار دلاله علی أن البـذل لذلک صدقه.و تقدم أن ما وقی المرء به عرضه فهو له صدقه و کذا بذل ما تقتضیه المروه و العاده من ثمرات الجود و السخاء،و من منعه کان بخیلا.

و تاسعها:

ما ینفق فی المنافع العامه

و الخیرات الجـاریه،من بنـاء المساجـد و المـدارس و الربـط و القنـاطیر، و إجراء القنـوات،و أمثـال ذلـک ممـا یبقی أثره علی مر الـدهور،و یصـل نفعه و ثوابه إلی صـاحبه فی کـل وقت إلی یوم النشور.و لاـ یخفی ثواب ذلـک.و الأخبـار الوارده فی مـدحه و فضیلته أکثر من أن تحصی،و لا حاجه إلی ذکرها لاشتهارها بین الناس.

۱- ۱) صححنا الأحادیث الوارده فی هذا المقام علی(الکافی):باب من کسا مؤمنا.

تنبیه الفرق بین الإنفاق و البر و المعروف

اعلم أن لفظ الإنفاق و المعروف و البر یتناول جمیع ما تقدم من الإنفاقات الواجبه و المستحبه.و الفرق بینها:أن الإنفاق خاص بالمال،و المعروف اسم جامع لکل ما عرف من طاعه اللّه و التقرب إلیه و الإحسان إلی الناس، و کل ما ندب إلیه الشرع من فعل و ترک،و هو من الصفات الغالبه،أی أمر معروف بین الناس إذا رأوه لا ینکرونه،و الغالب فی الأخبار إراده ما یتعلق بالمال من معانیه.و البر کالمعروف فی شموله لجمیع أعمال الخیر فی الأصل،و انصراف إطلاقه غالبا فی الأخبار إلی ما یتعلق بالمال من وجوه الإنفاقات المتقدمه بأسرها،و ربما خص بما سوی الصدقه منها،لما ورد أن البر و الصدقه ینفیان الفقر و یزیدان فی العمر.و الظاهر أن مبنی الخبر علی ذکر الخاص بعد العام،فلا وجه للتخصیص.ثم الصدقه تتناول جمیع ما تقدم من وجوه الإنفاق،سوی المروه.و علی أی تقدیر،لا ریب فی أن ما ورد من الآیات و الأخبار فی فضیله مطلق الإنفاق و المعروف و البر یدل علی فضیله کل واحد مما تقدم من وجوه الإنفاق،کقوله سبحانه:

أَنْفِقُوا مِنْ طَیِّبٰاتِ مٰا کَسَبْتُمْ وَ مِمّٰا أَخْرَجْنٰا لَکُمْ

(۱)

.

و قوله: وَ مٰا تُنْفِقُوا مِنْ خَیْرٍ فَلِأَنْفُسِکُمْ وَ مٰا تُنْفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغٰاءَ وَجْهِ اللّٰهِ وَ مٰا تُنْفِقُوا مِنْ خَیْرٍ یُوَفَّ إِلَیْکُمْ وَ أَنْتُمْ

۱- ۱) البقره،الآیه:۲۶۷.

لاٰ تُظْلَمُونَ

(۱)

.و قوله: وَ آتَی الْمٰالَ عَلیٰ حُبِّهِ ذَوِی الْقُرْبیٰ وَ الْیَتٰامیٰ... الآیه (۲).و قوله: قُلْ مٰا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَیْرٍ فَلِلْوٰالِدَیْنِ وَ الْأَقْرَبِینَ... (۳).و قوله: یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمّٰا رَزَقْنٰاکُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ یَأْتِیَ یَوْمٌ لاٰ بَیْعٌ فِیهِ وَ لاٰ خُلَّهٌ وَ لاٰ شَفٰاعَهٌ (۴).و قوله: مَثَلُ الَّذِینَ یُنْفِقُونَ أَمْوٰالَهُمْ فِی سَبِیلِ اللّٰهِ کَمَثَلِ حَبَّهٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنٰابِلَ فِی کُلِّ سُنْبُلَهٍ... الآیه (۵).و قوله: اَلَّذِینَ یُنْفِقُونَ أَمْوٰالَهُمْ فِی سَبِیلِ اللّٰهِ ثُمَّ لاٰ یُتْبِعُونَ مٰا أَنْفَقُوا مَنًّا وَ لاٰ أَذیً لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لاٰ خَوْفٌ عَلَیْهِمْ وَ لاٰ هُمْ یَحْزَنُونَ (۶).

و قول رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«أول من یدخل الجنه المعروف و أهله،و أول من یرد علی الحوض».

و قوله-صلی اللّه علیه و آله-:«إن البرکه أسرع إلی البیت الذی یمتار فیه المعروف من الشفره فی سنام الجزور،أو من السیل إلی منتهاه».

و قول الباقر-علیه السلام-:

ص:۱۶۸

۱- ۱) البقره،الآیه:۲۷۲.

۲- ۲) البقره،الآیه:۱۷۶.

۳- ۳) البقره،الآیه:۲۱۵.

۴- ۴) البقره،الآیه:۲۵۴.

۵- ۵) البقره،الآیه:۲۶۱.

۶- ۶) البقره،الآیه:۲۶۲.

«إن من أحب عباد اللّه إلى اللّه،لمن حبب إليه المعروف و حبب إليه فعاله»

و قول الصادق عليه السـلام: «إن من بقاء المسلمين و بقاء الإسلام أن تصير الأموال عند من يعرف فيها الحق و يصنع المعروف،و إن من فناء الإسلام و فناء المسلمين أن تصير الأموال فى أيدى من لا يعرف فيها الحق و لا يصنع فيها المعروف»

و قوله-عليه السلام-: «رأيت المعروف كاسمه،و ليس شىء أفضل من المعروف إلا ثوابه».

و قوله عليه السـلام مخاطبـا لزراره «ثلاثه إن تعلمهن المؤمن كانت زياده فى عمره و بقاء لنعمه عليه.فقلت و ما هن؟فقال:تطويله فى ركوعه و سجوده فى صلاته،و تطويله لجلوسه على طعامه إذا أطعم على مائدته،و اصطناعه المعروف إلى أهله».

و قوله عليه السلام: «أقيلوا لأهل المعروف عثراتهم،و اغفروا لهم،فإن كف اللّه عليهم هكذا-و أومأ بيده كأنه يظلل بها شيئا».

و قوله-عليه السلام-:

«صنائع المعروف تقى مصارع السوء».

و قال عليه السـلام: «إن للجنه بابا يقال له المعروف،لا يـدخله إلا أهل المعروف.و أهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخره»: يعنى كما أنهم يصنعون المعروف فى الدنيا كذلك يصنعونه فى الآخره،يهبون حسناتكم لمن شاؤا،

كما قال الصادق عليه السـلام فى خبر آخر: «يقال لهم فى الآخره:إن ذنوبكم قد غفرت لكم،فهبوا حسـناتكم لمن شـئتم و ادخلوا الجنه».

و قال عليه السلام: «قال أصحاب رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:يا رسول اللّه فداك آباؤنا و أمهاتنا!إن أصحاب المعروف فى الدنيا عرفوا بمعروفهم، فبم يعرفون فى الآخره؟فقال-صـلى اللّه عليه و آله-:إن اللّه إذا أدخل أهل الجنه الجنه،أمر ريحا عبقه طيبه فلصقت بأهل المعروف،فلا يمر أحد منهم بملإ من أهل الجنه إلا وجدوا ريحه،فقالوا:هذا من أهل

المعروف» (۱).

و منها–أی من رذائل القوه الشهویه–:

اشاره

طلب الحرام

و عدم الاجتناب عنه.و لا ریب فی کونه مترتبا علی حب الدنیا و الحرص علیها،و هو أعظم المهلکات،به هلک أکثر من هلک،و جل الناس حرموا عن السعاده لأجله،و منعوا عن توفیق الوصول إلی اللّه بسببه.و من تأمل یعلم أن أکل الحرام أعظم الحجب للعبد من نیل درجه الأبرار،و أقوی الموانع له عن الوصول إلی عالم الأنوار،و هو موجب لظلمه القلب و کدرته،و هو الباعث لخبثه و غفلته،و هو العله العظمی لخسران النفس و هلاکها،و هو السبب الأقوی لضلالتها و خباثتها،هو الذی أنساها عهود الحمی،و هو الذی أ هواها فی مهاوی الضلاله و الردی و ما للقلب المتکون من الحرام و الاستعداد لفیوضات عالم القدس!و أنی للنطفه الحاصله منه و الوصول إلی مراتب الأنس!و کیف یدخل النور و الضیاء فی قلب أظلمته أدخنه المحرمات؟!و کیف تحصل الطهاره و الصفاء لنفس اخبثتها قذرات المشتبهات؟! و لأمر ما حذر عنه أصحاب الشرع و أمناء الوحی غایه التحذیر، و زجروا منه أشد الزجر،

قال رسول اللّه–صلی اللّه علیه و آله–:

«إن للّه ملکا علی بیت المقدس،ینادی کل لیله:من أکل حراما لم یقبل منه صرف و لا عدل»: أی لا نافله و لا فریضه.

و قال–صلی اللّه

---

۱ - ۱) صححنا الأحادیث الوارده هنا علی(الوافی):۶-۲۸۹-۲۹۰.و علی (الوسائل):کتاب الأمر بالمعروف،أبواب فعل المعروف،الباب ۱-۶.

علیه و آله-: «من لم یبال من أین اکتسب المال،لم یبال اللّه من أین أدخله النار».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «کل لحم نبت من حرام فالنار أولی به».

و قال-صلی اللّه علیه و آله- «من أصاب ما لا-من مأثم،فوصل به رحما أو تصدق به أو أنفقه فی سبیل اللّه،جمع اللّه ذلک جمعا،ثم أدخله فی النار».

و قال-صلی اللّه علیه و آله: «إن أخوف ما أخاف علی أمتی من بعدی هذه المکاسب الحرام،و الشهوه الخفیه، و الربا».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «من اکتسب مالا من الحرام فإن تصدق به لم یقبل منه،و إن ترکه وراءه کان زاده إلی النار» (۱).

و قال الصادق-علیه السلام-: «إذا اکتسب الرجل مالا من غیر حله ثم حج فلبی،نودی:لا لبیک و لا سعدیک!و إن کان من حله، نودی لبیک و سعدیک!» (۲).

و قال-علیه السلام-: «کسب الحرام یبین فی الذریه».

و قال-علیه السلام- فی قوله تعالی:

وَ قَدِمْنٰا إِلیٰ مٰا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنٰاهُ هَبٰاءً مَنْثُوراً

(۳)

«إن کانت أعمالهم أشد بیاضا من القباطی،فیقول اللّه عز و جل

ص:۱۷۱

---

۱ - ۱) هذه النبویات-عدا الخامس-مذکوره فی(إحیاء العلوم):۲-۸۱، و صححناها علیه.أما الخامس،فقد رواه فی(الوسائل)عن(الکافی):کتاب التجاره،أبواب ما یکتسب منه،الباب ۱،الحدیث ۱.

۲ - ۲) صححنا الحدیث علی(الوسائل):کتاب التجاره،أبواب ما یکتسب به،باب عدم جواز الإنفاق من الکسب الحرام،الحدیث ۳.و فی نسخ(جامع السعادات):«إذا کسب».

۳- ۳) الفرقان،الآیه:۲۳.

لها:كونى هباء.و ذلك أنهم كانوا إذا شرع لهم الحرام أخذوه» (۱)

و قال الكاظم-عليه السلام-: «إن الحرام لا ينمى،و إن نمى لم يبارك فيه،و إن أنفقه لم يؤجر عليه،و ما خلفه كان زاده إلى النار».

و فى بعض الأخبار: «أن العبد ليوقف عند الميزان،و له من الحسنات أمثال الجبال،فيسأل عن رعايه عياله و القيام بهم،و عن ماله من أين اكتسبه و فيم أنفقه،حتى تفنى تلك المطالبات كل أعماله،فلا تبقى له حسنه.

فتنادى الملائكه:هذا الذى أكل عياله حسناته فى الدنيا،و ارتهن اليوم بأعماله»

و ورد: «أن أهل الرجل و أولاده يتعلقون به يوم القيامه، فيوقفونه بين يدى اللّه تعالى،و يقولون:يا ربنا،خذ لنا،بحقنا منه، فإنه ما علمنا ما نجهل،و كان يطعمنا من الحرام و نحن لا نعلم.فيقتص لهم منه» (۲).

فصل عزه تحصيل الحلال

ينبغى لطالب النجاه أن يفر من الحرام فراره من الأسد،و يحترز منه احترازه من الحيه السوداء،بل أشد.و أنى يمكنه ذلك فى أمثال زماننا الذى لم يبق فيه من الحلال إلا الماء الفرات و الحشيش النابت فى أرض الموات،و ما عداه قد أخبثته الأيدى العاديه،و أفسدته المعاملات الفاسده

---

۱ - ۱) صححنا الحديث على(الوسائل):كتاب التجاره،أبواب ما يكتسب به الباب ۱،الحديث ۶.و كذا ما قبله فى هذا الباب،الحديث ۳.

۲ - ۲) هذان الخبران الأخيران لم نعثر لهما على مستند.و قد ذكرهما فى(إحياء العلوم):۳-۳۰،فقال عن الأول:«و فى الخبر»،و عن الثانى:«و يقال».

ما من درهم إلا و قد غصب من أهله مره بعد أولى،و ما من دينار إلا و قد خرج من أيدى من أخذه قهرا كره غب أولى،جل المياه و الأراضى من أهلها مغصوبه،و أنى يمكن القطع بحليه الأقوات و أكثر المواشى و الحيوانات من أهلها منهوبه،فأنى يتأتى الجزم بحليه اللحوم و الألبان و الدسوم.فهيهات ذلك هيهات!ما من تاجر إلا و معاملته مع الظالمين، و ما من ذى عمل إلا و هو مخالط للجائرين من عمال السلاطين.

و بالجمله:الحلال فى أمثال زماننا مفقود،و السبيل دون الوصول إليه مسدود.و لعمرى!أن فقده آفه عم فى الدين ضررها،و نار استطار فى الخلق شررها.و الظاهر أن أكثر الأعصار كان حالها كذلك،

و لذلک قال الإمام جعفر بن محمد الصادق-عليهما السلام-: «المؤمن يأكل فى الدنيا بمنزله المضطر».

و قال رجل للكاظم-عليه السلام-: «ادع اللّه جل و عز أن يرزقنى الحلال،فقال:أ تدرى ما الحلال؟قال:الكسب الطيب.فقال:كان على بن الحسين-عليهما السلام-يقول:الحلال قوت المصطفين.و لكن قل:أسألك من رزقك الواسع». و مع ذلک كله،لا ينبغى للمؤمن أن ييأس من تحصيل الحلال،و يترک الفرق و الفصل بين الأموال،فإن اللّه سبحانه أجل و أعظم من أن يكلف عباده بأكل الحلال و يسد عنهم طريق تحصيله.

فصل أنواع الأموال

اعلم أن الأموال على أقسام ثلاثه:حلال بين،و حرام بين، و شبهات بينهما.و لكل منها درجات،فإن الحرام و إن كان كله خبيثا،

إلا أن بعضه أخبث من بعض،فإن ما يؤخذ بالمعامله الفاسده مع التراضی لیس فی الحرمه کمال الیتیم الذی یؤخذ قهرا.و کذا الحلال و إن کان کله طیبا،إلا أن بعضه أطیب من بعض.و الشبهه کلها مکروهه،و لکن بعضها أشد کراهه من بعض.و کما أن الطبیب یحکم علی کل حلو بالحراره و لکن یقول بعضه حار فی الدرجه الأولی،و بعضه فی الثانیه،و بعضه فی الثالثه،و بعضه فی الرابعه،فکذلک الحرام بعضه خبیث فی الدرجه الأولی و بعضه فی الثانیه،و بعضه فی الثالثه،و بعضه فی الرابعه،و کذلک درجات الحلال فی الصفاء و الطیبه،و درجات الشبهه فی الکراهه.

ثم الحرام إما یحرم لعینه،کالکلب و الخنزیر و التراب و غیرها من المحرمات العینیه،أو لصفه حادثه فیه،کالخمر لإسکاره،و الطعام المسموم لسمیته،أو لخلل فی جهه إثبات الید علیه.و له أقسام غیر محصوره، کالمأخوذ بالظلم و القهر و الغصب و السرقه و الخیانه فی الأمانه و غیرها،و الغش و التلبیس و الرشوه،و بالبخس فی الوزن و الکیل،و بإحدی المعاملات الفاسده من الربا و الصرف و الاحتکار،و غیر ذلک مما هو مذکور فی کتب الفقه و قد نهی اللّه سبحانه عن جمیع ذلک فی آیات کثیره،کقوله تعالی:

وَ لاٰ تَأْکُلُوا أَمْوٰالَکُمْ بَیْنَکُمْ بِالْبٰاطِلِ

(۱)

.و قوله:

إِنَّ الَّذِینَ یَأْکُلُونَ أَمْوٰالَ الْیَتٰامیٰ ظُلْماً...

(۲)

.و عن خصوص الربا بقوله:یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ وَ ذَرُوا

ص:۱۷۴

۱- ۱) البقره،الآیه:۱۸۸.

۲- ۲) النساء،الآیه:۹.

مٰا بَقِيَ مِنَ الرِّبٰا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ،ثم قال: فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللّٰهِ وَ رَسُولِهِ ،ثم قال: وَ إِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُسُ أَمْوٰالِكُمْ (۱)،ثم قال: وَ مَنْ عٰادَ فَأُولٰئِكَ أَصْحٰابُ النّٰارِ (۲).

جعل أكل الربا فى أول الأمر مؤديا إلى محاربه اللّه،و فى آخره متعرضا للنار.و قد ورد الذم الشديد على كل واحد منها بخصوصه فى أخبار كثيره،و هى فى كتب الأخبار و الفقه مذكوره،و تفصيل جميع المحرمات موكول إلى كتب الفقه،و ليس هنا موضع بيانه،فليرجع فيه إلى كتب الفقهاء.

الفرق بين الرشوه و الهديه

و ربما يتوهم الاشتباه فى بعض الموارد بين الرشوه و الهديه،فلنشر إلى جليه الحال فيهما،فنقول:ههنا صور:

الأولى-أن يسلم أو يرسل مالا إلى بعض الإخوان طلبا للاستئناس و تأكيدا للصحبه و التودد.و قد عرفت كونه هديه و حلالا،سواء قصد به الثواب فى الآخره و التقرب إلى اللّه تعالى أيضا،أ و لم يقصد به الثواب بل قصد مجرد الاستئناس و التودد.

الثانيه-أن يقصد بالبذل عوض مالى معين فى العاجل،كأن يهدى

۱- ۱) البقره،الآيه:۲۷۸-۲۷۹.

۲- ۲) البقره،الآيه:۲۷۵.

الفقير إلی الغنی أو الغنی إلی الغنی شیئا طمعا فی عوض أکثر أو مساو من ماله.

و هذا أیضا نوع هدیه،و حقیقته ترجع إلی هبه بشرط العوض،و إذا و فی بما(یطمع فیه) (۱)من العوض فلا ریب فی حلیته.

قال الصادق علیه السلام: «الربا رباءان:ربا یؤکل،و ربا لا یؤکل فأما الذی یؤکل فهدیتک إلی الرجل تطلب منه الثواب أفضل منها،فذلک الربا الذی یؤکل و هو قول اللّه تعالی:

وَ مٰا آتَیْتُمْ مِنْ رِباً لِیَرْبُوَا فِی أَمْوٰالِ النّٰاسِ فَلاٰ یَرْبُوا عِنْدَ اللّٰهِ

(۲)

.

و أما الذی لا یؤکل،فهو الذی نهی اللّه عز و جل عنه،و أوعد علیه النار»

(۳)

و عنه-علیه السلام-:«قال:قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله- الهدیه علی ثلاثه وجوه:هدیه مکافأه،و هدیه مصانعه، و هدیه للّه عز و جل»

(۴)

. و فی بعض الأخبار نوع إشعار بالحل،و إن لم یتحقق الوفاء بما(بطمع فیه) (۵)من العوض،

کخبر إسحاق بن عمار عن الصادق-علیه السلام-:«قال: قلت له علیه السلام:الرجل

۱- ۱) فی النسخ:«یطعمه»،فرجحنا ما أثبتناه.

۲- ۲) الروم،الآیه:۳۹.

۳- ۳) صححناه علی(الوسائل):کتاب التجاره،أبواب الربا،الباب ۳، الحدیث ۱.

۴- ۴) صححناه علی(الوسائل):کتاب التجاره،أبواب ما یکتسب به،الباب ۱۱۹،الحدیث ۲.

۵- ۵) فی النسخ:(یطعمه).

الفقير يهدى الى الهديه،يتعرض لما عندى،فآخذها و لا أعطيه شيئا أ يحل لى؟قال نعم!هى لك حلال،و لكن لا تدع أن تعطيه» (۱)و هل يحل مع إعطائه العوض المطموع فيه إذا لم يكن من ماله،بل كان من الأموال التى أعطته الناس ليصرف إلى الفقراء من الزكوات و الأخماس و سائر وجوه البر،و الظاهر الحل إذا كان المهدى من أهل الاستحقاق و المهدى له معطيا إياه،و إن لم يكن ليهدى له شيئا.و فيه تأمل،كما يظهر بعد ذلك.

الثالثه-أن يقصد به الإعانه بعمل معين،كالمحتاج إلى السلطان أو ذى شوكه يهدى إلى وكيلهما،أو من له مكانه عندهما،فينظر إلى ذلك العمل،فإن كان حراما،كالسعى فى تنجز إدرار حرام أو ظلم إنسان أو غير ذلك،أو واجبا،كدفع ظلم أو استخلاص حق ينحصر الدفع و الاستخلاص به،أو شهاده معينه،أو حكم شرعى يجب عليه،أو أمثال ذلك،فهو رشوه محرمه يحرم أخذها،و إن كان العمل مباحا لا-حراما و لا واجبا.فإن كان فيه تعب،بحيث جاز الاستئجار عليه،فما يأخذه حلال و جار مجرى الجعاله،كأن يقول:أوصل هذه الفضه إلى السلطان و لك دينار.أو اقترح على فلان أن يعيننى على كذا أو يعطينى كذا،و توقف تنجز غرضه على تعب أو كلام طويل،فما يأخذه فى جميع ذلك مباح،إذا كان الغرض مشروعا مباحا،و هو مثل ما يأخذه وكيل القاضى للخصومه بين يديه،بشرط ألا يتعدى من الحق.و إن لم يكن العمل مما فيه تعب بل كان مثل كلمه أو فعله لا تعب فيها أصلا،و لكن كانت تلك الكلمه أو تلك الفعله من مثله مفيده،لكونه ذا منزله،كقوله للبواب لا-تغلق دونه باب السلطان،فقال بعض العلماء:الآخذ على هذا حرام،إذ لم

۱- ۱) صححناه على(الوسائل):كتاب التجاره،أبواب ما يكتسب به، الباب ۱۱۹،الحديث ۲.

يثبت فى الشرع جواز ذلك.و يقرب من هذا أخذ الطبيب العوض على كلمه واحده ينبه بها على دواء يتفرد بمعرفته.و فيه نظر،إذ الظاهر جواز هذا الأخذ مع مشروعيه الغرض و عدم كونه واجبا عليه.

الرابعه-أن يطلب به حصول التودد و المحبه،و لكن لا ـ من حيث إنه تودد فقط،بل ليتوصل بجاهه إلى أغراض ينحصر جنسها و إن لم ينحصر عينها،و كان بحيث لو لا ـ جاهه لكان لا يهدى إليه،فإن كان جاهه لأجل علم أورع أو نسب فالأمر فيه أخف،و الظاهر كون الأخذ حينئذ مكروها،لأنه هديه فى الظاهر مع كونه مشابها للرشوه.و إن كان لأجل ولايه تولاها،من قضاء أو حكومه أو ولايه صدقه أو وقف أو جبايه مال أو غير ذلك من الإعمال السلطانيه،فالظاهر كون ما يأخذه حراما لو كان بحيث لا يهدى إليه لو لا تلك الولايه،لأنه رشوه عرضت فى معرض الهديه،إذ القصد بها فى الحال طلب التقرب و المحبه،و لكن لأمر ينحصر فى جنسه،لظهور أن ما يمكن التوصل إليه بالولايات ما ذا،

قال رسول اللّه -صلى اللّه عليه و آله-: «يأتى على الناس زمان يستحل فيه السحت بالهديه،و القتل بالموعظه،يقتل البرىء لتوعظ به العامه».

و روى:

«أنه صلى اللّه عليه و آله بعث واليا على صدقات الأزد،فلما جاء أمسك بعض ما معه،و قال:هذا لكم و هذا لى هديه.فقال-صلى اللّه عليه و آله-:ألا ـ جلست فى بيت أبيك و بيت أمك حتى تأتيك هديه إن كنت صادقا!ثم قال:ما لى استعمل الرجل منكم،فيقول:هذه لكم و هذه هديه لى،ألا جلس فى بيت أمه ليهدى له!و الذى نفسى بيده! لا يأخذ منكم أحد شيئا بغير حقه إلا أتى اللّه بحمله،و لا يأتين أحدكم يوم القيامه ببعير له رغاء،أو بقره لها خوار أو شاه تيعر...ثم رفع يديه

حتى رأوا بياض إبطيه،و قال:اللهم هل بلغت؟» (۱).

و على هذا،فينبغى لكل وال أو حاكم و قاض و غيرهم من عمال السلاطين،أن يقدر نفسه فى بيت أبيه و أمه معزولا بلا شغل،فما كان يعطى حينئذ يجوز له أن يأخذه فى ولايته أيضا،و ما لا يعطى مع عزله و يعطى لولايته يحرم أخذه،و ما أشكل عليه من عطايا أصدقائه فهو شبهه و طريق الاحتياط فيها واضح.

وصل الورع عن الحرام

ضد عدم الاجتناب عن الحرام التنزه و الاحتياط عنه،و هو الورع بأحد إطلاقيه،فإن الورع قد يفسر بملكه التنزه و الاجتناب عن مال الحرام أكلا و طلبا و أخذا و استعمالا،و قد يفسر بكف النفس عن مطلق المعاصى و منعها عما لا ينبغى.فعلى الأول يكون ضدا لعدم الاجتناب عن المال الحرام،و يكون من رذائل قوه الشهوه،و على الثانى يكون ضدا للملكه الولوع على مطلق المعصيه،و يكون من رذائل القوه الغضبيه و الشهويه جميعا.

ثم الظاهر أن التقوى مرادفه للورع،فإن لها أيضا تفسيرين:أحدهما الاتقاء عن الأموال المحرمه،و قد أطلقت التقوى فى بعض الأخبار على هذا المعنى.و ثانيهما:ملكه الاتقاء عن مطلق المعاصى،خوفا من سخط اللّه و طلبا لرضاه.فعلى الأول يكون ضدا لعدم التنزه عن المال الحرام و رذيله

۱- ۱) صححنا هذين النبويين على ما فى(إحياء العلوم):۲-۱۳۷.

لقوه الشهوه،و على الثانى يكون ضدا لملكه ارتكاب المعاصى و رذيله للقوتين معا.

ثم اللازم على طريقتنا أن يذكر الورع و التقوى بالتفسير الأول هنا و بالتفسير الثانى فى المقام الرابع الذى نذكر فيه ما يتعلق بالقوتين أو بالثلاث من الرذائل و الفضائل.إلا أنا نذكر ما ورد فى فضيلتهما هنا،لدلاله ما ورد فى فضيلتهما بالتفسير الثانى على فضيلتهما بالتفسير الأول أيضا،و لعدم فائده فى استئناف عنوان على حده لمطلق المعصيه و ذكر ما ورد فى ذمها، ثم تذييلها بضدها الذى هو الورع و التقوى بتفسيريهما العام.إذ بعد ذكر جميع الأجناس و الأنواع و الأصناف من المعاصى و الطاعات،بأحكامها و لوازمها و ذمها و مدحها،لا فائده لاستئناف ذكر مطلق المعصيه أو الطاعه إذ لا يتعلق بهما غرض سوى ذكر ما ورد فى ذم مطلق المعصيه،و ما ورد فى مدح مطلق الطاعه،و هذا أمر ظاهر لا حاجه إليه فى كتب الأخلاق.

نعم،نشير إلى مطلق العصيان و ضده،أعنى الورع و التقوى بالمعنى الأعم إجمالا،ضبطا للأنواع و الأقسام.

فصل مدح الورع

الورع و التقوى عن الحرام أعظم المنجيات،و عمده ما ينال به إلى السعادات و رفع الدرجات.

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:

«خير دينكم الورع».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «من لقى اللّه سبحانه ورعا،أعطاه اللّه ثواب الإسلام كله».

و فى بعض الكتب السماويه «و أما الورعون،فإنى أستحيى أن أحاسبهم».

و قال الباقر-عليه السلام-:

«إن أشد العباده الورع».

و قال-عليه السلام-: «ما شيعتنا إلا من أتقى اللّه و أطاعه،فاتقوا اللّه و اعملوا لما عند اللّه،ليس بين اللّه و بين أحد قرابه.أحب العباد إلى اللّه تعالى و أكرمهم عليه أبقاهم و أعملهم بطاعته»

و قال الصادق-عليه السلام-: «أوصيك بتقوى اللّه و الورع و الاجتهاد و اعلم أنه لا ينفع اجتهاد لا ورع فيه».

و قال: «اتقوا اللّه و صونوا دينكم بالورع».

و قال عليه السلام-: «عليكم بالورع،فإنه لا ينال ما عند اللّه إلا بالورع».

و قال-عليه السلام-: «إن اللّه ضمن لمن اتقاه،أن يحوله عما يكره إلى ما يحب،و يرزقه من حيث لا يحتسب».

و قال-عليه السلام-: «إن قليل العمل مع التقوى خير من كثير بلا تقوى».

و قال عليه السلام: «ما نقل اللّه عبدا من ذل المعاصى إلى عز التقوى،إلا أغناه من غير مال،و أعزه من غير عشيره،و آنسه من غير بشر».

و قال -عليه السلام-: «إنما أصحابى من اشتد ورعه،و عمل لخالقه،و رجا ثوابه، هؤلاء أصحابى».

و قال عليه السلام-: «ألا و إن من اتباع أمرنا و إرادته الورع،فتزينوا به يرحمكم اللّه،و كيدوا أعداءنا ينعشكم اللّه».

و قال-عليه السلام-: «أعينونا بالورع،فإن من لقى اللّه تعالى منكم بالورع،كان له عند اللّه فرجا.إن اللّه عز و جل يقول:

وَ مَنْ يُطِعِ اللّٰهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَدٰاءِ وَ الصّٰالِحِينَ وَ حَسُنَ أُولٰئِكَ رَفِيقاً

(۱)

.

۱- ۱) النساء،الآيه:۶۸.

فمنا النبی،و منا الصدیق و الشهداء و الصالحون»

و قال أبو جعفر -علیه السلام-: «قال اللّه عز و جل.یا بن آدم،اجتنب ما حرم علیک تکن من أورع الناس».

و سئل الصادق-علیه السلام-عن الورع من الناس،فقال:«الذی یتورع عن محارم اللّه عز و جل» (۱).

و لکون طلب الحرام و عدم الاجتناب عنه باعثا للهلاک،و توقف النجاه و السعاده فی الآخره علی الورع عن المحرمات،مع افتقار الناس فی الدنیا إلی المطاعم و الملابس،ورد فی فضیله کسب الحلال و مدحه

ما ورد قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: «طلب الحلال فریضه علی کل مسلم و مسلمه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «من بات کالا من طلب الحلال،بات مغفورا له».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-:

«العباده سبعون جزءا،أفضلها طلب الحلال».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: العباده عشره أجزائه فی طلب الحلال».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «من أکل من کد یده،مر علی الصراط کالبرق الخاطف»،

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «من أکل من کد یده،نظر اللّه إلیه بالرحمه،ثم لا یعذبه أبدا».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «من أکل من کد یده حلالا،فتح اللّه له أبواب الجنه،یدخل من أیها شاء»

و قال صلی اللّه علیه و آله: «من أکل من کد یده،کان یوم القیامه فی عداد الأنبیاء،و یأخذ ثواب الأنبیاء».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-:

«من طلب الدنیا استعفافا عن الناس و سعیا علی أهله و تعطفا علی جاره

۱- ۱) صححنا الأحادیث الوارده فی هذا الفصل علی الکافی باب الطاعه و التقوی و باب الورع.و علی(البحار):۲ مج ۱۵-۹۶-۸۹ باب الطاعه و التقوی، و باب الورع و اجتناب الشبهات.

لقی اللّه عز و جل یوم القیامه و وجهه کالقمر لیله البدر» (۱)

و کان -صلی اللّه علیه و آله-إذا نظر إلی الرجل و أعجبه،قال:«هل له حرفه؟فان قال:لا،قال:سقط من عینی.قیل:و کیف ذاک یا رسول اللّه؟قال:لأن المؤمن إذا لم تکن له حرفه یعیش بدینه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «من سعی علی عیاله من حله،فهو کالمجاهد فی سبیل اللّه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «من طلب الدنیا حلالا فی عفاف،کان فی درجه الشهداء»

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «من أکل الحلال أربعین یوما،نور اللّه قلبه،و أجری ینابیع الحکمه من قلبه علی لسانه».

و طلب منه-صلی اللّه علیه و آله-بعض الصحابه أن یجعله اللّه تعالی مستجاب الدعوه،فقال له:«أطب طعمتک تستجب دعوتک».

و قال الصادق علیه السلام-: «اقرؤا من لقیتم من أصحابکم السلام،و قولوا لهم:إن فلان بن فلان یقرؤکم السلام، و قولوا لهم:علیکم بتقوی اللّه عز و جل،و ما ینال به ما عند اللّه،إنی و اللّه ما آمرکم إلا بما نأمر به أنفسنا،فعلیکم بالجد و الاجتهاد،و إذا صلیتم الصبح و انصرفتم،فبکروا فی طلب الرزق،و اطلبوا الحلال،فإن اللّه عز و جل سیرزقکم و یعینکم علیه» (۲)

۱- ۱) صححنا أکثر الأحادیث المذکوره هنا علی الوسائل:کتاب التجاره، أبواب مقدماتها،الباب ۴.و علی فروع الکافی:کتاب المعیشه،باب الحث علی الطلب و التعرض للرزق.

۲- ۲) صححنا الحدیث علی الوسائل:کتاب التجاره،فی الباب المتقدم،

فصل مداخل الحلال

اعلم أن مداخل الحلال خمسه:

الأول-ما لا يؤخذ من مالك،كنيل المعادن،و إحياء الموات، و الاصطياد،و الاحتطاب،و الاحتشاش،و الاستقاء من الشطوط و الأنهار و هذا حلال بشرط عدم صيرورته مختصا بذى حرمه من الناس،و تفصيل ذلك موكول إلى كتاب إحياء الموات.

الثانى-ما يؤخذ قهرا ممن لا حرمه له،و هو الفىء،و الغنيمه،و سائر أموال الكفار المحاربين.و ذلك حلال للمسلمين بالشروط المقرره فى كتاب الغنائم و الجزيه.

الثالث-ما ينتقل إليه بالرضى من غير عوض،من حى أو ميت، كالهبه،و الميراث،و الوصيه،و الصدقات.و هذا حلال بشرط أن يكون المنقول منه اكتسبه من مداخل الحلال،و يضمن سائر الشروط المقرره فى كتاب الهبات و الفرائض و الوصايا و الصدقات.

الرابع-ما يؤخذ تراضيا بمعاوضه،و ذلك حلال بالشرائط و الآداب المقرره فى فن المعاملات من الفقه،من البيع،و السلم،و الإجاره،و الصلح و الشركه،و المضاربه،و المزارعه،و المساقاه،و الحواله،و الضمان، و الكتابه،و الخلع،و الصداق،و غير ذلك من المعاوضات.

الخامس-ما يحصل من الزراعه و منافع الحيوانات.و هو حلال إذا كان الأرض و البذر و الماء و الحيوانات حلالا بأحد الوجوه المتقدمه.

فهذه مداخل الحلال،فينبغى لطالب النجاه أن يكون ما يكتسبه

ص :۱۸۴

من المال من أحد هذه المداخل،بعد فتوى الفقيه العدل بحصول شرائط الحليه.

فصل درجات الورع

قسم بعض العلماء الورع و التقوى عن الحرام على أربع درجات:

الأولى-ورع العدول:و هو الاجتناب عن كل ما يلزم الفسق باقتحامه،و تسقط به العداله،و يثبت به العصيان و التعرض للنار،و هو الورع عن كل ما يحرمه فتوى المجتهدين.

الثانيه-ورع الصالحين:و هو الاجتناب من الشبهات أيضا.

الثالثه-الورع عما يخاف أداؤه إلى محرم أو شبهه أيضا،و إن لم يكن فى نفسه حراما و لا شبهه،فهو ترك ما لا بأس به مخافه ما به بأس.

الرابعه-ورع الصديقين:و هو الاجتناب عن كل ما ليس للّه، و يتناول لغير اللّه،و غير نيته التقوى على عبادته و إن كان حلالا صرفا لا يخاف أداؤه إلى حرام أو شبهه.و الصديقون الذين هذه درجتهم هم الموحدون المتجردون عن حظوظ أنفسهم،المتفردون للّه تعالى بالقصد، الراؤن كل ما ليس للّه تعالى حراما،العاملون بقوله سبحانه:

قُلِ اللّٰهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ

(۱)

.

۱- ۱) الإنعام،الآيه:۹۱.

تتميم

قال الصادق-عليه السلام-: «التقوى على ثلاثه أوجه:تقوى من خوف النار و العقاب،و هو ترك الحرام،و هو تقوى العام.و تقوى من اللّه،و هو ترك الشبهات فضلا عن الحرام،و هو تقوى الخاص.

و تقوى فى اللّه،و هو ترك الحلال فضلا عن الشبهه» (۱)و إلى هذه المراتب الثلاث أشير فى الكتاب الإلهى بقوله:

لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ جُناحٌ فِيما طَعِمُوا إِذا مَا اتَّقَوْا وَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَ آمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَ أَحْسَنُوا وَ اللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ

(۲)

.

الغدر و الخيانه

فى المال أو العرض أو الجاه.و يدخل تحته الذهاب بحقوق الناس خفيه،و حبسها من غير عسر،و بالبخس فى الوزن و الكيل،و بالغش بما يخفى،و غير ذلک من التدليسات المموهه و التلبيسات المحرمه.و جميع

۱- ۱) هذا مقتبس من(مصباح الشريعه):الباب ۸۳ و فيه تقديم و تأخير فى مراتب التقوى عما هنا و لم يتبين لنا وجه صحه التعبير:تقوى العام و تقوى الخاص فأثبتناه كما وجدناه.

۲- ۲) المائده،الآيه:۹۶.

ذلک من خباثه القوه الشهویه،و رذائلها،و من الرذائل المهلکه و خبائثها.

و قد وردت فی ذم الخیانه و بأقسامها أخبار کثیره،و جمیع ما یدل علی ذم الذهاب بحقوق الناس و أخذ أموالهم بدون رضاهم یدل علی ذمها.

و ضد الخیانه(الأمانه)،و قد وردت فی مدحها و عظم فوائدها أخبار کثیره،

کقول الصادق-علیه السلام-: «إن اللّه عز و جل لم یبعث نبیا إلا بصدق الحدیث و أداء الأمانه إلی البر و الفاجر»

و قوله-علیه السلام-: «لا تغتروا بصلاتهم و لا بصیامهم،فإن الرجل ربما لهج بالصلاه و الصوم حتی لو ترکه استوحش،و لکن اختبروهم بصدق الحدیث و أداء الأمانه» (۱)

و قوله-علیه السلام-: «انظر ما بلغ به علی علیه السلام عند رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله فالزمه،فإن علیا-علیه السلام-إنما بلغ ما بلغ به عند رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله بصدق الحدیث و أداء الأمانه» (۲)

و قوله-علیه السلام-: «ثلاث لا عذر فیها لأحد:أداء الأمانه إلی البر و الفاجر،و الوفاء بالعهد إلی البر و الفاجر،و بر الوالدین، برین کانا أو فاجرین» (۳).

۱- ۱) فی نسخ جامع السعادات و البحار و الوسائل:«عند صدق الحدیث...» و رجحنا نسخه الکافی.
۲- ۲) صححنا هذه الأحادیث الثلاثه علی البحار:۲ مج ۱۵-۱۲۳-۱۲۴ باب الصدق و لزوم أداء الأمانه،و علی الکافی:باب الصدق و أداء الأمانه،و علی الوسائل:کتاب الودیعه الباب ۱.
۳- ۳) روی فی الکافی باب بر الوالدین-:هذا الحدیث عن أبی جعفر -علیه السلام-و جاء فیه:«ثلاث لم یجعل اللّه عز و جل لأحد فیهن رخصه...» و لکن فی الوسائل-کتاب الودیعه الباب ۲ الطبعه الحجریه-رواه عن الکافی کما فی المتن.

و قوله-علیه السلام-:«کان أبی یقول أربع من کن فیه کمل إیمانه،و إن کان من قرنه إلی قدمه ذنوبا لم ینقصه ذلک،و هی:الصدق،و أداء الأمانه،و الحیاء،و حسن الخلق» (۱).

و قوله-علیه السلام-: «أهل الأرض مرحومون ما یخافون و أدوا الأمانه و عملوا بالحق».

و قیل له علیه السلام:«إن امرأه بالمدینه کان الناس یضعون عندها الجواری فیصلحن،و مع ذلک ما رأینا مثل ما صب علیها من الرزق.فقال:إنها صدقت الحدیث و أدت الأمانه،و ذلک یجلب الرزق» (۲) و الأخبار فی فضیله الأمانه کثیره.

و لقد قال لقمان:«ما بلغت إلی ما بلغت إلیه من الحکمه،إلا بصدق الحدیث و أداء الأمانه». فمن تأمل فی ذم الخیانه و إیجابها الفضیحه و العار فی الدنیا و العذاب و النار فی الآخره،و فی فضیله الأمانه و أدائها إلی خیر الدنیا و سعاده الآخره،سهل علیه ترک الخیانه و الاتصاف بالأمانه.

أنواع الفجور

من الزنا،و اللواط،و شرب الخمر،و الاشتغال بالملاهی،و استعمال آلاتها،من العود،و المزمار،و الرباب،و الدف،و أمثالها.فإن کل ذلک من رذائل القوه الشهویه.و کذا لبس الذهب و الحریر للرجال.و قد وردت فی ذم کل واحد منها بخصوصه أخبار کثیره،و لا حاجه إلی ذکرها،لشیوعها و اشتهارها.

۱- ۱) روی فی الکافی باب حسن الخلق-هذا الحدیث عن الصادق-علیه السلام-،و لیس فیه:«کان أبی یقول».

۲- ۲) صححنا الحدیث علی الوسائل:کتاب الودیعه،الباب ۱ و هو یرویه عن الکافی.

و منها:

الخوض فی الباطل

و هو التکلم فی المعاصی و الفجور و حکایتها،کحکایات أحوال النساء و مجالس الخمر،و مقامات الفساق،و تنعم الأغنیاء،و تجبر الملوک و مراسمهم المذمومه و أحوالهم المکروهه،و أمثال ذلک.فکل ذلک من رداءه القوه الشهویه و خباثتها.

ثم لما کانت أنواع الباطل غیر محصوره لکثرتها،فالخوض فیه أیضا کذلک،و تکون له أنواع غیر متناهیه،و لا یفتح باب کلام إلا و ینتهی إلی واحد منها،فلا خلاص منه إلا باقتصار الکلام علی قدر الحاجه من مهمات الدین و الدنیا.و ربما وقعت من الرجل من أنواع الخوض فی الباطل کلمه تهلکه و هو مستحقر لها،فإن أکثر الخوض فی الباطل حرام،

و لذا قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: «أعظم الناس خطایا یوم القیامه أکثرهم خوضا فی الباطل». و إلیه الإشاره بقوله تعالی.

وَ کُنّا نَخُوضُ مَعَ الْخائِضِینَ

(۱)

.و قوله تعالی: فَلاٰ تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتّٰی یَخُوضُوا فِی حَدِیثٍ غَیْرِهِ (۲).

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «إن الرجل لیتکلم بالکلمه من

۱- ۱) المدثر،الآیه:۴۵.

۲- ۲) النساء،الآیه:۱۳۹.

رضوان اللّه،مـا یظن أن تبلغ ما بلغت،فیکتب اللّه له بها رضوانه إلی یوم القیامه.و إن الرجل لیتکلم بالکلمه من سـخط اللّه ما یظن أن تبلغ ما بلغت،فیکتب اللّه علیه بها سخطه إلی یوم القیامه» (۱)

و قـال سـلمان الفارسـی-رضـی اللّه عنه-: «أکثر الناس ذنوبا یوم القیامه،أکثرهم کلاما فی معصـیه اللّه». و کان رجل من الأنصار یمر علی مجلس الخائضـین فی الباطل،فیقول لهم:«توضـئوا،فإن بعض ما تقولون شـر من الحدث» ثم الخوض فی الباطل هو ذکر محظورات سـبق وجودها بمجرد شـهوه النفس،من دون حاجه داعیه إلیه،فلا مدخلیه له بمثل الغیبه و النمیمه و الفحش و المراء و الجـدال و أمثالها،و یـدخل فیه الخوض فی حکایات البدع و المذاهب الفاسده،فإن الحدیث عنها خوض فی الباطل،و ورد النهی عنه

و منها:

اشاره

التکلم بما لا یعنی أو بالفضول

و المراد بالأول:التکلم بما لا فائده فیه أصلا،لا فی الدین و لا فی الدنیا،و الثانی-أعنی فضول الکلام-:أعم منه،إذ یتناول الخوض فی مـا لاـ یعنی و الزیـاده فی مـا یعنی علی قـدر الحاجه.فـإن من یعنیه أمر و یتمکن من تقریره و تـأدیته و تـأدیه مقصـوده بکلمه واحده،و مع ذلک ذکر کلمتین فالثانیه فضول،أی فضل علی الحاجه،و لا ریب فی أن التکلم بما لا یعنی و بالفضول مذموم،و إن لم یکن فیه إثم،و هو ناش عن رداءه القوه الشهویه،إذ الباعث علیه لیس إلا مجرد تشهی النفس و هواها.

۱- ۱) صحححناه علی کنز العمال:۲-۱۱۲.

و السر فی ذمه:أنه یوجب تضییع الوقت،و المنع من الذکر و الفکر و ربما یبنی لأجل تهلیله أو تسبیحه قصر فی الجنه،و ربما ینفح من نفحات رحمه اللّه عند الفکره ما یعظم جدواه،فمن قدر علی أن یأخذ کنزا من الکنوز،فأخذ بدله مدره لا ینتفع بها،کان خاسرا.فمن ترک ذکر اللّه و الفکر فی عجائب قدرته،و اشتغل بمباح لا یعنیه،و إن لم یأثم،إلا أنه قد خسر،حیث فاته الربح العظیم بذکر اللّه و فکره.فإن رأس مال العبد أوقاته،و مهما صرفها إلی ما لا یعنیه،و لم یدخر بها ثوابا فی الآخره، فقد ضیع رأس ماله.علی أن الغالب تأدیه الخوض فی ما لا یعنی و فی الفضول إلی الخوض فی الباطل،و ربما أدی إلی الکذب بالزیاده و النقصان.و لذا ورد فی ذمه ما ورد،

و قد روی: «أنه استشهد یوم أحد غلام من أصحاب النبی-صلی اللّه علیه و آله-،و وجد علی بطنه حجر مربوط من الجوع فمسحت أمه التراب عن وجهه،و قالت:هنیئا لک الجنه یا بنی!فقال النبی-صلی اللّه علیه و آله-:و ما یدریک؟لعله کان یتکلم فیما لا یعنیه و یمنع ما لا یضره؟».

و ورد أیضا: «أن رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-قال لبعض أصحابه-و هو مریض-:ابشر.فقالت أمه:هنیئا لک الجنه!فقال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:و ما یدریک؟لعله قال ما لا یعنیه أو منع ما یعنیه؟»:یعنی إنما تتهنأ الجنه لمن لا یحاسب و من یتکلم فیما لا یعنیه حوسب علیه،و إن کان کلامه مباحا،فلا تتهنأ له الجنه مع المناقشه فی الحساب،فإنه نوع من العذاب.

و روی: «أنه تکلم رجل عند النبی-صلی اللّه علیه و آله و سلم-:فأکثر،فقال له النبی کم دون لسانک من حجاب؟فقال:شفتای و أسنانی.فقال:أ فما کان فی ذلک ما یرد کلامک؟».

و فی روایه أخری: «أنه قال ذلک فی رجل أثنی علیه،فاستهتر فی الکلام،ثم قال:ما أوتی رجل شرا من

فضل فی لسانه».

و روی: «أنه قدم رهط من بنی عامر علی رسول اللّه -صلی اللّه علیه و آله-،فشرعوا بالمدح و الثناء علیه.فقال-صلی اللّه علیه و آله-:قولوا قولکم،و لا یستهوینکم الشیطان! (۱). و مراده -صلی اللّه علیه و آله-:أن اللسان إذا أطلق الثناء،و لو بالصدق، فیخشی أن یستهویه الشیطان إلی الزیاده المستغنی عنها .و قال بعض الصحابه «إن الرجل لیکلمنی بالکلام و جوابه أشهی الی من الماء البارد علی الظمآن فاترکه خیفه أن یکون فضولا».و قال بعض الأکابر:«من کثر کلامه کثر کذبه».و قال بعضهم:«یهلک الناس فی خصلتین:فضول المال و فضول الکلام».

فصل حد التکلم بما لا یعنی

التکلم بما لا یعنی و بالفضول لا تنحصر أنواعه و أقسامه،لعدم تناهیها، و إنما حده أن تتکلم بما لو سکتّ عنه لم تأثم،و لم تتضرر فی شیء مما یتعلق بک،و لم یعطل شیء من أمورک.مثاله:أن تحکی مع قوم أسفارک و ما رأیت فیها من جبال و أنهار،و ما وقع لک من الوقایع،و ما استحسنته من الأطعمه و الثیاب،و ما تعجبت منه من مشایخ البلاد و وقائعهم.فهذه أمور لو سکت عنها لم تأثم و لم تتضرر،و لا یتصور فیها فائده دینیه و لا دنیویه لأحد،فإذا بالغت فی الاجتهاد حتی لا تمتزج بحکایتک زیاده و نقصان و لا تزکیه نفس من حیث التفاخر بمشاهده الأحوال العظیمه،و لا اغتیاب

۱- ۱) صححنا أحادیث الباب کلها علی(احیاء العلوم):۳-۹۳-۹۹، و علی(کنز العمال):۲-۱۸۴،۱۳۰.

شخص و لا مذمه شیء مما خلقه اللّه،فإنک مع ذلک کله مضیع وقتک.

ثم کما أن التکلم بما لا یعنیک مذموم،کذلک سؤالک غیرک عما لا یعنیک مذموم،بل هو أشد ذما،لأنک بالسؤال مضیع وقتک،و قد ألجأت أیضا صاحبک بالجواب إلی تضییع وقته.و هذا إذا کان الشیء مما لا یتطرق إلی السؤال عنه آفه،و لو کان فی جوابه آفه-کما هو الشأن فی أکثر الأسئله عما لا یعنیک-کنت آثما عاصیا.مثلا:لو سألت غیرک عن عبادته،فتقول:هل أنت صائم؟فان قال:نعم،کان مظهرا عبادته فیدخل علیه الریاء،و إن لم یدخل الریاء سقطت عبادته-علی الأقل- من دون عباده السر،و عباده السر تفضل عباده الجهر بدرجات،و إن قال:لا،کان کاذبا،و إن سکت،کان مستحقرا إیاک و تأذیت به، و إن احتال لمدافعه الجواب افتقر إلی تعب و جهد فیه.فقد عرضته بالسؤال إما للریاء و الکذب،أو للاستحقار،أو التعب فی حیله الدفع.

و کذلک سؤالک عن کل ما یخفی و یستحیی من إظهاره،أو عما یحتمل أن یکون فی إظهاره مانع،کان یحدث به أحد غیرک،فتسأله و تقول:

ما ذا تقول؟و فیم أنتم؟و کأن تری إنسانا فی الطریق فتقول:من أین إذ ربما یمنع مانع من إظهار مقصوده.و من هذا القبیل سؤالک غیرک:

لم أنت ضعیف؟أو ما هذا الضعف أو الهزال الذی حدث بک؟أو أی مرض فیک؟و أمثال ذلک.و أشد من ذلک أن تخوف مریضا بشده مرضه و تقول:ما أشد مرضک و ما أسوأ حالک!فإن جمیع ذلک و أمثالها،مع کونها من فضول الکلام و الخوض فی ما لا یعنی،یتضمن إثما و إیذاء.و لیس من مجرد التکلم بما لا یعنی و الفضول،و إنما مجرد ما لا یعنی ما لا یتصور فیه إیذاء و کسر خاطر و استحیاء من الجواب،

کما روی: «أن لقمان دخل علی داود علیه السلام و هو یسرد الدرع،و لم یکن یراها قبل ذلک

فجعل يتعجب مما يرى.فأراد أن يسأله عن ذلك فمنعته الحكمه،فأمسك نفسه و لم يسأله.فلما فرغ داود،قام و لبسها،و قال:نعم الدرع للحرب فقال لقمان:الصمت حكم و قليل فاعله». و هذا و أمثاله من الأسئله إذا لم يكن فيه ضرر و هتك ستر و إيقاع فى رياء أو كذب،فهو مما لا يعنى، و تركه من حسن الإسلام.

فصل علاج الخوض فيما لا يعنى

سبب الخوض فى ما لا يعنى و فى فضول الكلام:إما الحرص على معرفه ما لا حاجه إليه،أو المباسطه بالكلام على سبيل التودد،أو ترجيه الوقت بحكايات أحوال لا فائده فيها،و كل ذلك من رداءه قوه الشهوه.

و علاج ذلك من حيث العلم:أن يتذكر ذمه كما مر،و مدح ضده،أعنى الصمت،و تركه-كما يأتى-و يعلم أن الموت بين يديه،و أنه مسئول عن كل كلمه،و أن أنفاسه رأس ماله،و أن لسانه شبكه يقدر على أن يقتنص بها الحور العين،فإهماله و تضييعه خسران،و من حيث العمل أن يعتزل عن الناس مهما أمكن،و يلزم نفسه السكوت عن بعض ما يعنيه ليتعود لسانه ترک ما لا يعنيه،و أن يقدم التأمل و التروى على كل كلام يريد أن يتكلم به فإن كان فيه فائده دينيه أو دنيويه تكلم به و إلا تركه.و كان بعضهم يضع فى فمه حجرا،خوفا من التكلم بالفضول و ما لا يعنيه.

وصل الصمت

ضد التكلم بما لا يعنيه و بالفضول تركها،إما بالصمت أو بالتكلم فيما يعنيه مما يتعلق بدينه أو دنياه.و فوائد الصمت و مدحه يأتي في موضعه.

و قد وردت أخبار في المدح على خصوص ترك ما لا يعني و فضول الكلام

كقول النبي صلى اللّه عليه و آله-: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»

و قوله-صلى اللّه عليه و آله-: «طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه، و أنفق الفضل من ماله!». و انظر كيف قلب الناس الأمر في ذلك، فأمسكوا فضل المال و أطلقوا فضل اللسان.

و روى:«أنه-صلى اللّه عليه و آله-قال ذات يوم: إن أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنه.فلما دخل هذا الرجل،قالوا له:أخبرنا بأوثق عملك في نفسك ترجو به.فقال:إني رجل ضعيف العمل،و أوثق ما أرجو اللّه به سلامه الصدر و ترك ما لا يعنيني»

و قال-صلى اللّه عليه و آله-لأبي ذر «ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الميزان.قال:بلى يا رسول اللّه قال:هو الصمت،و حسن الخلق،و ترك ما لا يعنيك».

قال ابن عباس:

«خمس هن أحسن من الدراهم الموتقه:لا تتكلم فيما لا يعنيك،فإنه فضل و لا آمن عليك الوزر.و لا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعا،فإنه رب متكلم في أمر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعنت.و لا تمار حليما و لا سفيها،فإن الحليم يغلبك بصمته،و إن السفيه يؤذيك بمنطقه.و اذكر أخاك إذا تغيب عنك بما تحب أن يذكرك به،و اعفه مما تحب أن يعفيك

ص: ١٩٥

منه.و اعمل عمل رجل یری أنه مجازی بالإحسان مأخوذ بالاحترام» (۱)

و قیل للقمان:ما حکمتک؟قال:«لا أسأل عما کفیت،و لا أتکلف ما لا یعنینی» و ما ورد فی فضیله ترک الفضول و ما لا یعنی فی أخبار الحجج-علیهم السلام-و کلمات الأکابر من الحکماء و العرفاء أکثر من أن تحصی،و ما ذکرناه کاف لأهل الاستبصار.

۱- ۱) ذکر هذه الروایه عن ابن عباس فی(إحیاء العلماء):۳-۹۷.و فیه اختلاف کثیر عما هنا،و لم یحصل لنا تحققها علی مصدر آخر.و الأحادیث النبویه هنا رواها فی(إحیاء العلوم)أیضا فی الموقع المذکور.

المقام الرابع (فيما يتعلق بالقوى الثلاث من العاقله و قوتى الغضب و الشهوه،أو باثنتين منها من الرذائل و الفضائل).

اشاره

الحسد و ذمه-الغبطه-بواعث الحسد-لا- تحاسد بين علماء الآخره و العارفين-علاج الحسد-القدر الواجب فى نفى الحسد-النصيحه-الإيذاء و الإهانه-كف الأذى-ذم الظلم-العدل-إخافه المؤمن-إدخال السرور على المؤمن-ترك إعانه المسلمين-قضاء حوائج المسلمين-المداهنه فى الأمر بالمعروف-السعى فيه-وجوبه و شروطه-لا تشترط العداله فيه-مراتبه- ما ينبغى فى الآمر و الناهى-أنواع المنكرات-الهجران-التآلف-قطع الرحم-صله الرحم-المراد منه-عقوق الوالدين-برهما-حق الجوار- حدود الجوار و حقه-طلب العثرات-ستر العيوب-إفشاء السر-كتمان السر-النميمه-السعايه-الإفساد بين الناس-الإصلاح-الشماته-المراء علاجه-طيب الكلام-السخريه-المزاح-المذموم منه-الغيبه-لا تنحصر الغيبه باللسان-بواعثها-ذمها-مسوغاتها-كفارتها-البهتان-المدح الكذب-ذمه-مسوغاته-التوريه-المبالغه-شهاده الزور-علاج الكذب-الصدق و مدحه-أنواعه-اللسان أضر الجوارح-الصمت-حب الجاه-ذمه-الجاه أحب من المال-لا بد للإنسان من جاه-دفع إشكال- الكمال الحقيقى فى العلم و القدره و الجاه و المال-علاج حب الجاه-الخمول- مراتب حب المدح-أسبابه-علاجه-ضد حب المدح-الرياء-ذمه -أقسامه-تأثير الرياء على العباده السرور بالاطلاع على العباده-متعلقات الرياء- بواعثه-الرياء الجلى و الخفى-كيف يفسد الرياء العمل-شوائب الرياء المبطله للعمل-علاجه-الوسوسه بالرياء-الإخلاص-مدحه-آفاته-النفاق.

ص:۱۹۷

فمنها:

اشاره

الحسد

و هو تمنی زوال نعم اللّه تعالی عن أخیک المسلم مما له فیه صلاح، فإن لم ترد زوالها عنه و لکن ترید لنفسک مثلها فهو(غبطه)و منافسه، فإن لم یکن له فیها صلاح و أردت زوالها عنه فهو(غیره).ثم إن کان باعث حسدک مجرد الحرص علی وصول النعمه إلی نفسک،فهو من رداءه القوه الشهویه،و إن کان باعثه محض وصول المکروه إلی المحسود فهو من رذائل القوه الغضبیه،و یکون من نتائج الحقد الذی هو من نتائج الغضب،و إن کان باعثه مرکبا منهما،فهو من رداءه القوتین.و ضده (النصیحه)،و هی إراده بقاء نعمه اللّه علی أخیک المسلم مما له فیه صلاح.

و لا ریب فی أنه لا یمکن الحکم علی القطع بکون هذه النعمه صلاحا أو فسادا.فربما کانت وبالا علی صاحبه و فسادا له،مع کونها نعمه و صلاحا فی بادی النظر.فالمناط فی ذلک غلبه الظن،فما ظن کونه صلاحا فإراده زواله حسد و إراده بقائه نصیحه،و ما ظن کونه فاسدا فإراده زواله غیره.ثم إن اشتبه علیک الصلاح و الفساد،فلا ترد زال نعمه أخیک و لا بقاءها إلا مقیدا بالتفویض و شرط الصلاح،لتتخلص من حکم الحسد و یحصل لک حکم النصیحه.و المعیار فی کونک ناصحا:أن ترید لأخیک ما ترید لنفسک،و تکره له ما تکره لنفسک.و فی کونک حاسدا:

أن ترید له ما تکره لنفسک،و تکره له ما ترید لنفسک.

فصل ذم الحسد

الحسد أشد الأمراض و أصعبها،و أسوأ الرذائل و أخبثها،و يؤدى بصاحبه إلى عقوبه الدنيا و عذاب الآخره،لأنه فى الدنيا لا يخلو لحظه عن الحزن و الألم،إذ هو يتألم بكل نعمه يرى لغيره،و نعم اللّه تعالى غير متناهيه لا- تنقطع عن عباده،فيدوم حزنه و تألمه.فوبال حسده يرجع إلى نفسه،و لا يضر المحسود أصلا،بل يوجب ازدياد حسناته و رفع درجاته من حيث إنه يعيبه،و يقول فيه ما لا يجوز فى الشريعه،فيكون ظالما عليه، فيحمل بعضا من أوزاره و عصيانه،و تنقل صالحات أعماله إلى ديوانه، فحسده لا يؤثر فيه إلا- خيرا و نفعا،و مع ذلك يكون فى مقام التعاند و التضاد مع رب الأرباب و خالق العباد،إذ هو الذى أفاض النعم و الخيرات على البرايا كما شاء و أراد بمقتضى حكمته و مصلحته،فحكمته الحقه الكامله أوجبت بقاء هذه النعمه على هذا العبد،و الحاسد المسكين يريد زوالها،و هل هو إلا سخط قضاء اللّه فى تفضيل بعض عباده على بعض و تمنى انقطاع فيوضات اللّه التى صدرت عنه بحسب حكمته و إراده خلاف ما أراد اللّه على مقتضى مصلحته؟!بل هو يريد نقصه سبحانه،و عدم اتصافه بصفاته الكماليه.إذ إفاضه النعم منه سبحانه فى أوقاتها اللائقه على محالها المستعده من صفاته الكماليه التى عدمها نقص عليه تعالى،و إلا- لم يصدر عنه،و هو يريد ثبوت هذا النقص،ثم لتمنيه زوال النعم الإلهيه التى هى الوجودات و رجوع الشرور إلى الأعدام يكون طالبا للشر و محبا له،و قد صرح الحكماء بأن من رضى بالشر،و لو بوصوله إلى العدو،

ص:١٩٩

فهو شریر فالحسد أشد الرذائل،و الحاسد شر الناس.و أی معصیه أشد من کراهه راحه مسلم من غیر أن یکون له فیها مضره؟و لذا ورد به الذم الشدید فی الآیات و الأخبار،قال اللّه سبحانه فی معرض الإنکار:

أَمْ یَحْسُدُونَ النّاسَ عَلیٰ مٰا آتٰاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ

(۱)

.

و قال: وَدَّ کَثِیرٌ مِنْ أَهْلِ الْکِتٰابِ لَوْ یَرُدُّونَکُمْ مِنْ بَعْدِ إِیمٰانِکُمْ کُفّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ (۲).و قال: إِنْ تَمْسَسْکُمْ حَسَنَهٌ تَسُؤْهُمْ وَ إِنْ تُصِبْکُمْ سَیِّئَهٌ یَفْرَحُوا بِهٰا (۳).

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: «الحسد یأکل الحسنات کما تأکل النار الحطب».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «قال اللّه عز و جل لموسی بن عمران:یا بن عمران،لا تحسدن الناس علی ما آتیتهم من فضلی،و لا تمدن عینیک إلی ذلک،و لا تتبعه نفسک،فإن الحاسد ساخط لنعمی،صاد لقسمی الذی قسمت بین عبادی.و من یک کذلک فلست منه و لیس منی».

و قال-صلی اللّه علیه و آله- «لا تحاسدوا و لا تقاطعوا و لا تدابروا و لا تباغضوا،و کونوا عباد اللّه إخوانا».

و قال -صلی اللّه علیه و آله-: «دب إلیکم داء الأمم من قبلکم:الحسد و البغضاء،و البغضه هی الحالقه،لا أقول حالقه الشعر،و لکن حالقه الدین.و الذی نفس محمد بیده!لا تدخلون الجنه حتی تؤمنوا،و لن

۱- ۱) النساء،الآیه:۵۳.

۲- ۲) البقره،الآیه:۱۰۹.

۳- ۳) آل عمران،الآیه:۱۳۰.

تؤمنوا حتى تحابوا.أ لا أنبئكم بما يثبت ذلك لكم؟افشوا السلام بينكم!»

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «كاد الفقر أن يكون كفرا،و كاد الحسد أن يغلب القدر».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «سيصيب أمتى داء الأمم.قالوا:و ما داء الأمم؟قال:الأشر،و البطر، و التكاثر،و التنافس فى الدنيا،و التباعد و التحاسد،حتى يكون البغى ثم الهرج».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «أخوف ما أخاف على أمتى أن يكثر فيهم المال فيتحاسدون و يقتتلون».

و قال صلى اللّه عليه و آله «إن لنعم اللّه أعداء.فقيل:و من هم؟قال:الذين يحسدون الناس على ما آتاهم اللّه من فضله».

و ورد فى بعض الأحاديث القدسيه: «أن الحاسد عدو لنعمتى،متسخط لقضائى،غير راض بقسمتى التى قسمت بين عبادى».

و قال الإمام أبو جعفر الباقر-عليهما السلام-: «إن الرجل ليأتى بأدنى بادره فيكفر (۱)،و إن الحسد ليأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب».

و قال أبو عبد اللّه عليه السلام: «آفه الدين:الحسد و العجب و الفخر».

و قال عليه السلام: «إن المؤمن يغبط و لا يحسد، و المنافق يحسد و لا يغبط» (۲).

و قال: «الحاسد مضر بنفسه قبل أن يضر بالمحسود،كإبليس أورث بحسده لنفسه اللعنه،و لآدم الاجتباء و الهدى و الرفع إلى محل حقائق العهد و الاصطفاء.فكن محسودا و لا تكن حاسدا

ص:۲۰۱

۱- ۱) فى بعض نسخ(الكافى):«ليتأذى»و فى نسخ(جامع السعادات): «ليأتى بأى»و رجحنا نسخه(الوسائل)و(البحار)كما فى المتن.

۲- ۲) صححنا أحاديث هذا الفصل على(البحار):۳ مج ۱۵-۱۳۱-۱۳۲ باب الحسد.و على(الكافى):باب الحسد.و على(سفينه البحار):۱-۲۵۰-۲۵۱ و على(احياء العلوم):۳-۱۶۲-۱۶۴ و على(الوسائل):أبواب جهاد النفس الباب ۵۴.

فإن میزان الحاسد أبدا خفیف بثقل میزان المحسود،و الرزق مقسوم،فما ذا ینفع الحسد الحاسد،و ما ذا یضر المحسود الحسد.و الحسد أصله من عمی القلب و الجحود بفضل اللّه تعالی،و هما جناحان للکفر،و بالحسد وقع ابن آدم فی حسره الأبد،و هلک مهلکا لا ینجو منه أبدا،و لا توبه للحاسد لأنه مصر علیه معتقد به مطبوع فیه،یبدو بلا معارض به و لا سبب، و الطبع لا یتغیر عن الأصل،و إن عولج» (۱). و قال بعض الحکماء:

«الحسد جرح لا یبرأ».و قال بعض العقلاء:«ما رأیت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد،إنه یری النعمه علیک نقمه علیه».و قال بعض الأکابر:

«الحاسد لا ینال من المجالس إلا مذمه و ذلا،و لا من الملائکه إلا لعنه و بغضا،و لا ینال من الخلق إلا جزعا و غما،و لا ینال عند النزع إلا شده و هولا،و لا ینال عند الموقف إلا فضیحه و نکالا».و الأخبار و الآثار فی ذم الحسد أکثر من أن تحصی،و ما ذکرناه یکفی لطالب الحق ثم ینبغی أن یعلم أنه إذا أصاب النعمه کافر أو فاجر و هو یستعین بها علی تهیج الفتنه و إیذاء الخلق و إفساد ذات البین،فلا مانع من کراهتها علیه و حب زوالها منه،من حیث أنها آله للفساد،لا من حیث أنها نعمه.

فصل المنافسه و الغبطه

قد علمت أن المنافسه هی تمنی مثل ما للمغبوط،من غیر أن یرید زواله عنه،و لیست مذمومه،بل هی فی الواجب واجبه،و فی المندوب

۱- ۱) هذا الخبر فی(مصباح الشریعه):الباب ۵۱،و صححناه علیه.

مندوبه و فی المباح مباحه.قال اللّه سبحانه:

وَ فِی ذٰلِکَ فَلْیَتَنٰافَسِ الْمُتَنٰافِسُونَ

(۱)

.

و علیها یحمل

قول النبی-صلی اللّه علیه و آله-: «لا حسد إلا فی اثنین:رجل آتاه اللّه مالا،فسلطه علی ملکه فی الحق.و رجل آتاه اللّه علما،فهو یعمل به و یعلمه الناس»: أی لا غبطه إلا فی ذلک،سمیت الغبطه حسدا کما یسمی الحسد منافسه،اتساعا لمقارنتهما.و سبب الغبطه حب النعمه التی للمغبوط،فإن کانت أمرا دینیا فسببها حب اللّه و حب طاعته،و إن کانت دنیویه فسببها حب مباحات الدنیا و التنعم فیها.و الأول لا کراهه فیه بوجه،بل هو مندوب إلیه.و الثانی و إن لم یکن حراما، إلا أنه ینقص درجته فی الدین،و یحجب عن المقامات الرفیعه،لمنافاته الزهد و التوکل و الرضا.

ثم الغبطه لو کانت مقصوره علی مجرد حب الوصول إلی ما للمغبوط لکونه من مقاصد الدین و الدنیا،من دون حب مساواته له و کراهه نقصانه عنه،فلا حرج فیه بوجه،و إن کان معه حب المساواه و کراهه التخلف و النقصان،فهنا موضع خطر.إذ زوال النقصان إما بوصوله إلی نعمه المغبوط أو بزوالها عنه،فإذا انسدت إحدی الطریقتین تکاد النفس لا تنفک عن شهوه الطریقه الأخری.إذ یبعد أن یکون إنسان مریدا لمساواه غیره فی النعمه فیعجز عنها،ثم لا ینفک عن میل إلی زوالها،بل الأغلب میله إلیه،حتی إذا زالت النعمه عنه کان ذلک عنده أشهی من بقائها علیه، إذ بزوالها یزول نقصانه و تخلفه عنه.فإن کان بحیث لو ألقی الأمر إلیه ورد إلی اختیاره لسعی فی إزاله النعمه عنه،کان حاسدا حسدا مذموما

۱- ۱) المطففین،الآیه:۲۶.

و إن منعه مانع العقل من ذلک السعی،و لکنه وجد من طبعه الفرح و الارتیاح بزوال النعمه عن المغبوط،من غیر کراهه لذلک و مجاهده لدفعه فهو أیضا من مذموم الحسد،و إن لم یکن فی المرتبه الأولی،و إن کره ما یجد فی طبعه من السرور و الانبساط بزوال النعمه بقوه عقله و دینه، و کان فی مقام المجاهده لدفع ذلک عن نفسه،فمقتضی الرحمه الواسعه أن یعفی عنه،لأن دفع ذلک لیس فی وسعه و قدرته إلا بمشاق الریاضیات.

إذ ما من إنسان إلا و یری من هو فوقه من معارفه و أقاربه فی بعض النعم الإلهیه،فإذا لم یصل إلی مقام التسلیم و الرضا،کان طالبا لمساواته له فیه و کارها عن ظهور نقصانه عنه.فإذا لم یقدر أن یصل إلیه،مال طبعه بلا اختیار إلی زوال النعمه عنه،و اهتز و ارتاح به حتی ینزل هو إلی مساواته.و هذا و إن کان نقصا تنحط به النفس عن درجات المقربین، سواء کان من مقاصد الدنیا أو الدین،إلا أنه لکراهته له بقوه عقله و تقواه،و عدم العمل بمقتضاه،یعفی عنه إن شاء اللّه،و تکون کراهته لذلک من نفسه کفاره له.

و قد ظهر من تضاعیف ما ذکر:أن الحسد المذموم له مراتب أربع:

الأولی-أن یحب زوال النعمه عن المحسود و إن لم تنتقل إلیه،و هذا أخبث المراتب و أشدها ذما.

الثانیه-أن یحب زوالها لرغبته فی عینها،کرغبته فی دار حسنه معینه،أو امرأه جمیله بعینها،و یحب زوالها من حیث توقف و صوله إلیها علیه، لا من حیث تنعم غیره بها.و یدل علی تحریم هذه المرتبه و ذمها قوله تعالی:

وَ لاٰ تَتَمَنَّوْا مٰا فَضَّلَ اللّٰهُ بِهِ بَعْضَکُمْ عَلیٰ بَعْضٍ

(۱)

.

الثالثه-ألا یشتهی عینها،بل یشتهی لنفسه مثلها،إلا أنه إن

۱- ۱) النساء،الآیه:۳۱.

عجز عن مثلها أحب زوالها عنه،كيلا يظهر التفاوت بينهما،و مع ذلک لو خلی و طبعه،اجتهد و سعی فی زوالها.

الرابعه-کالثالثه،إلا أنه إن اقتدر علی إزالتها منعه قاهر العقل أو غیره من السعی فیه،و لکنه یهتز و یرتاح به من غیر کراهه من نفسه لذلک الارتیاح.

و الغبطه لها مرتبتان:

الأولی-أن یشتهی الوصول إلی مثل ما للمغبوط،من غیر میل إلی المساواه و کراهه للنقصان،فلا یحب زوالها عنه.

الثانیه-أن یشتهی الوصول إلیه مع میله إلی المساواه و کراهته للنقصان،بحیث لو عجز عن نیله،وجد من طبعه حبا خفیا لزوالها عنه و ارتاح من ذلک إدراکا للمساواه و دفعا للنقصان،إلا أنه کان کارها من هذا الحب،و مغضبا علی نفسه لذلک الارتیاح،و ربما سمیت هذه المرتبه ب(الحسد المعفو عنه)و کأنه المقصود

من قوله-صلی اللّه علیه و آله-:

«ثلاث لا ینفک المؤمن عنهن:الحسد،و الظن،و الطیره...ثم قال:و له منهن مخرج،إذا حسدت فلا تبغ-أی إن وجدت فی قلبک شیئا فلا تعمل به،و کن کارها له-و إذا ظننت فلا تحقق،و إذا تطیرت فامض».

فصل بواعث الحسد

اشاره

بواعث الحسد سبعه:

الأول-خبث النفس و شحها بالخیر لعباد اللّه.

فإنک تجد فی زوایا العالم من یسر و یرتاح بابتلاء العباد بالبلایا و المحن،و یحزن من حسن حالهم

و سعه عیشهم.فمثله إذا وصف له اضطراب أمور الناس و إدبارهم، و فوات مقاصدهم و تنغص عیشهم،یجد من طبعه الخبیث فرحا و انبساطا و إن لم یکن بینه و بینهم عداوه و لا رابطه،و لم یوجب ذلک تفاوتا فی حاله من وصوله إلی جاه أو مال أو غیر ذلک.و إذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد اللّه و انتظام أموره،شق ذلک علیه،و إن لم یوجب ذلک نقصا فی شیء مما له.فهو یبخل بنعمه اللّه علی عباده من دون قصد و غرض،و لا تصور انتقال النعمه إلیه،فیکون ناشئا عن خبث نفسه و رذاله طبعه.و لذا یعسر علاجه،لکونه مقتضی خباثه الجبله،و ما یقتضیه الطبع و الجبله تعسر إزالته،بخلاف ما یحدث من الأسباب العارضه.

الثانی-العداوه و البغضاء.

و هی أشد أسبابه،إذ کل أحد-إلا أوحدی من المجاهدین-إذا أصابت عدوه بلیه فرح بذلک،إما لظنها مکافأه من اللّه لأجله،أو لحبه طبعا ضعفه و هلاکه.و مهما أصابته نعمه ساءه ذلک،لأنه ضد مراده،و ربما تصور لأجله أنه لا منزله له عند اللّه حیث لم ینتقم من عدوه و أنعم علیه،فیحزن لذلک.

الثالث-حب الرئاسه و طلب المال و الجاه.

فإن من غلب علیه حب التفرد و الثناء،و استقره الفرح بما یمدح به من أنه وحید الدهر و فرید العصر فی فنه،من شجاعه أو علم أو عباده أو صناعه أو جمال أو غیر ذلک،لو سمع بنظیر له فی أقصی العالم ساءه ذلک،و ارتاح بموته أو زوال النعمه التی یشارکه فیها،لیکون فائقا علی الکل فی فنه،و متفردا بالمدح و الثناء فی صفته.

الرابع-الخوف من فوت المقاصد.

و ذلک یختص بمتزاحمین علی مقصود واحد،فإن کل واحد،منهما یحسد صاحبه فی وصوله هذا المقصود طلبا للتفرد به،کتحاسد الضرات فی مقاصد الزوجیه.و الإخوه فی نیل

المنزله فی قلب الأبوین توصلا إلی مالهما،و التلامذه لأستاذ واحد فی نیل المنزله فی قلبه،و ندماء الملک و خواصه فی نیل المنزله و الکرامه عنده،و الوعاظ و الفقهاء المتزاحمین علی أهل بلده واحده فی نیل القبول و المال عندهم،إذا کان غرضهم ذلک.

الخامس-التعزز:

و هو أن یثقل علیه أن یترفع علیه بعض أقرانه و یعلم أنه لو أصاب بعض النعم یستکبر علیه و یستصغره،و هو لا یطیق ذلک لعزه نفسه،فیحسده لو أصاب تلک النعمه تعززا لنفسه.فلیس غرضه أن یتکبر،لأنه قد رضی بمساواته،بل غرضه أن یدفع کبره.

السادس-التکبر:

و هو أن یکون فی طبعه الترفع علی بعض الناس و یتوقع منه الانقیاد و المتابعه فی مقاصده،فإذا نال بعض النعم خاف ألا یحتمل تکبره و یترفع عن خدمته،و ربما أراد مساواته أو التفوق علیه، فیعود مخدوما بعد إن کان خادما،فیحسده فی وصول النعمه لأجل ذلک و قد کان حسد أکثر الکفار لرسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-من هذا القبیل،حیث قالوا:کیف یتقدم علینا غلام فقیر یتیم؟ لَوْ لاٰ نُزِّلَ هٰذَا الْقُرْآنُ عَلیٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْیَتَیْنِ عَظِیمٍ (۱).

السابع-التعجب:

و هو أن یکون المحسود فی نظر الحاسد حقیرا و النعمه عظیمه،فیعجب من فوز مثله بمثلها،فیحسده و یحب زوالها عنه و من هذا القبیل حسد الأمم لأنبیائهم،حیث قالوا:

۱- ۱) الزخرف،الآیه:۳۱.

مٰا أَنْتُمْ إِلاّٰ بَشَرٌ مِثْلُنٰا

(۱)

. فَقٰالُوا:أَ نُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنٰا (۲). وَ لَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَخٰاسِرُونَ (۳).

فتعجبوا من فوز من هو مثلهم برتبه الوحی و الرساله،و حسدوه بمجرد ذلک،من دون قصد تکبر أو رئاسه أو عداوه أو غیرها من أسباب الحسد.

و قد تجتمع هذه الأسباب أو أکثرها فی شخص واحد،فیعظم لذلک حسده،و تقوی قوه لا یقدر معها علی المجامله،فتظهر العداوه بالمکاشفه.

و ربما قوی الحسد بحیث یتمنی صاحبه أن یزول عن کل أحد ما یراه له من النعمه،و ینتقل إلیه.و مثله لا ینفک عن الجهل و الحرص،إذ هو یتمنی استجماع جمیع النعم و الخیرات الحاصله لجمیع الناس له،و لا ریب فی استحاله ذلک،و لو قدر إمکانه لا یمکنه الاستمتاع بها،فلو لم یکن حریصا لم یتمن ذلک أصلا،و لو کان عالما لدفع هذا التمنی بقوته العاقله.

(تنبیه)

بعض الأسباب المذکوره،کما یقتضی أن یتمنی زوال النعمه و السرور به کذلک یقتضی تمنی حدوث البلیه و الارتیاح منه.إلا أن المعدود من الحسد هو الأول،و الثانی معدود من العداوه.فالعداوه أعم منه،إذ هی تمنی وقوع مطلق الضرر بالعدو،سواء کان زوال نعمه أو حدوث بلیه.و الحسد تمنی زوال مجرد النعمه.

۱- ۱) یس،الآیه:۱۵.

۲- ۲) المؤمنون،الآیه:۴۸.

۳- ۳) المؤمنون،الآیه:۳۴.

فصل لا تحاسد بين علماء الآخره و العارفين

الأسباب المذكوره إنما تكثر بين أقوام تجمعهم روابط يجتمعون لأجلها فی مجالس المخاطبات و يتواردون على الأغراض،فإذا خالف بعضهم بعضا فی غرض من أغراضه،أبغضه و ثبت فيه الحقد،فعند ذلک يريد استحقاره و التكبر عليه،و يكون فی صدد مكافاته على المخالفه لغرضه، و يكره تمكنه من النعمه التی توصله إلى أغراضه،فيتحقق الحسد.و لذا ترى أنه لا- تحاسد بين شخصين فی بلدتين متباعدتين،لعدم رابطه بينهما، إلا إذا تجاورا فی محل واحد،و توارداعلى مقاصد تظهر فيها مخالفه بينهما فيحدث منهما التباغض،و تثور منه بقيه أسباب الحسد.و ترى كل صنف يحسد مثله دون غيره،لتواردهما على المقاصد،و تزاحمهما على صنعه واحده فالعالم يحسد العالم دون العابد،و التاجر يحسد التاجر دون غيره،إلا بسبب آخر سوى الاجتماع على الحرفه،و هكذا يغم من اشتد حرصه على حب الجاه و أحب الصيت و الاشتهار فی جميع أطراف العالم و شاق التفرد بما هو فيه،فإنه يحسد كل من فی العالم ممن يشاركه فی الفن الذی يتفاخر به.

ثم منشأ جميع ذلک حب الدنيا،إذ منافعها لضيقها و انحصارها تصير محل التزاحم و التعارک،بحيث لا يمكن وصول منفعه منها،كمنصب أو مال إلى أحد إلا بزوالها عن الآخر.و أما الآخره،فلا ضيق فيها،فلا تنازع بين أهلها.و مثالها فی الدنيا العلم،فإنه منزه عن المزاحمه،فمن يحب العلم بالله و صفاته و أفعاله و معرفه النظام الجملی من البدو إلى النهايه لم يحسد غيره إذا عرف ذلک أيضا.إذ العلم لا يضيق عن كثره العالمين،

و المعلوم الواحد يعرفه ألف ألف عالم،و يفرح كل واحد منهم بمعرفته و يلتذ به،و لا ينقص ما لديه بمعرفه غيره،بل يحصل بكثره العارفين زياده الأنس و ثمره الإفاده و الاستفاده.إذ معرفه اللّه بحر واسع لا ضيق فيه، و كل علم يزيد بالإنفاق و تشريك غيره من أبناء النوع،يصير منشأ لزياده اللذه و البهجه،و قس على العلم التقرب و المنزله عند اللّه و غيرهما من النعم الأخرويه.فإن أجل ما عند اللّه من النعم و أعلى مراتب المنزله و القرب عنده تعالى لذه لقائه،و ليس فيها ممانعه و مزاحمه،و لا يضيق بعض أهل اللقاء على بعض،بل يزيد الأنس بكثرتهم.

و قد ظهر مما ذكر:أنه لا تحاسد بين علماء الآخره،لأنهم يلتذون و يبتهجون بكثره المشاركين فی معرفه اللّه و حبه و أنسه،و إنما يقع التحاسد بين علماء الدنيا،و هم الذين يقصدون بعلمهم طلب المال و الجاه.إذ المال أعيان و أجسام،إذا وقعت فی يد واحد خلت عنها أيدی الآخرين.و الجاه ملك القلوب،و إذا امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم،انصرف عن تعظيم الآخر،أو نقص عنه لا محاله،فيكون ذلك سببا للتحاسد.و أما إذا امتلأ قلبه من الابتهاج بمعرفه اللّه،لم يمنع ذلك من أن يمتلئ غيره به.

فلو ملك إنسان جميع ما فی الأرض،لم يبق بعده مال يملكه غيره لضيقه و انحصاره.و أما العلم فلا نهايه له،و مع ذلك لو ملك إنسان بعض العلوم لم يمنع ذلك من تملك غيره له.

فظهر أن الحسد إنما هو فی التوارد على مقصود مضيق عن الوفاء بالكل،فلا حسد بين العارفين و لا بين أهل العليين،لعدم ضيق و مزاحمه فی المعرفه و نعيم الجنه،و لذا قال اللّه سبحانه فيهم:

وَ نَزَعْنٰا مٰا فِی صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوٰاناً عَلیٰ سُرُرٍ

ص :۲۱۰

مُتَقٰابِلِینَ

(۱)

.

بل الحسد من صفات المسجونین فی سجن السجین.

فیا حبیبی،إن کنت مشفقا علی نفسک،طالبا لعماره رمسک،فاطلب نعمه لا مزاحمه فیها،و لذه لا مکدر لها.و ما هی إلا لذه معرفه اللّه و حبه و أنسه،و الانقطاع إلی جناب قدسه،و إن کنت لا تلتذ بذلک،و لا تشتاق إلیه،و تنحصر لذاتک بالأمور الحسیه و الوهمیه،فاعلم أن جوهر ذاتک معیوب،و عن عالم الأنوار محجوب،و عن قریب تحشر مع البهائم و الشیاطین،و تکون مغلولا معهم فی أسفل السافلین.و مثلک فی عدم درک هذه اللذه،مثل الصبی و العنین فی عدم درک لذه الوقاع.فکما أن هذه اللذه یختص بإدراکها رجال أصحاء،فکذلک لذه المعرفه یختص بإدراکها:

رِجٰالٌ لاٰ تُلْهِیهِمْ تِجٰارَهٌ وَ لاٰ بَیْعٌ عَنْ ذِکْرِ اللّٰهِ

(۲)

.

و لا یشتاق غیرهم إلیها،إذ الشوق بعد الذوق،فمن لم یذق لم یعرف،و من لم یعرف لم یشتق،و من لم یشتق لم یطلب،و من لم یطلب لم یدرک،و من لم یدرک کان مطرودا عن العلیین،ممنوعا عن مجاوره المقربین،محبوسا مع المحرومین فی أضیق درکات السجین.

وَ مَنْ یَعْشُ عَنْ ذِکْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَیِّضْ لَهُ شَیْطٰاناً فَهُوَ لَهُ قَرِینٌ

(۳)

.

۱- ۱) الحجر،الآیه:۴۷.

۲- ۲) النور،الآیه:۳۷.

۳- ۳) الزخرف،الآیه:۳۶.

فصل علاج الحسد

اشاره

لما علم أن الحسد من الأمراض المهلكه للنفوس،فاعلم أن أمراض النفوس لا تداوى إلا بالعلم و العمل.و العلم النافع لمرض الحسد أن تعرف أنه يضرك فى الدين و الدنيا،و لا يضر محسودك فيهما،بل ينتفع به فيهما.

و مهما عرفت ذلك عن بصيره و تحقيق،و لم تكن عدو نفسك لا صديق عدوك،فارقت الحسد.

و أما أنه يضر بدينك و يؤدى بك إلى عذاب الأبد و عقاب السرمد فلما علمت من الآيات و الأخبار الوارده فى ذمه و عقوبه صاحبه،و لما عرفت من كون الحاسد ساخطا لقضاء اللّه تعالى،و كارها لنعمه التى قسمها لعباده،و منكرا لعدله الذى أجراه فى ملكه.و مثل هذا السخط و الإنكار لإيجابه الضديه و العناد لخالق العباد،كاد أن يزيل أصل التوحيد و الإيمان فضلا عن الإضرار بهما.على أن الحسد يوجب الغش و العداوه بالمؤمن، و ترك نصيحته و موالاته و تعظيمه و مراعاته و مفارقه أنبياء اللّه و أوليائه فى حبهم الخير و النعمه له،و مشاركه الشيطان و أحزابه فى فرحهم بوقوع المصائب و البلايا عليه،و زوال النعم عنه.و هذه خبائث فى النفس، تأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.

و أما أنه يضرك فى الدنيا،لأنك تتألم و تتعذب به،و لا تزال فى تعب و غم و كد و هم،إذ نعم اللّه لا تنقطع عن عباده و لا عن أعدائك، فأنت تتعذب بكل نعمه تراها لهم،و تتألم بكل بليه تنصرف عنهم، فتبقى دائما مغموما محزونا،ضيق النفس منشعب القلب،فأنت باختيارك

تجر إلى نفسك ما ترید لأعدائک و یرید أعداؤک لک.و ما أعجب من العاقل أن یتعرض لسخط اللّه و مقته فی الآجل،و دوام الضرر و الألم فی العاجل فیهلک دینه و دنیاه من غیر جدوی و فائده.

و أما أنه لا یضر المحسود فی دینه و دنیاه فظاهر،لأن النعمه لا تزول عنه بحسدک.إذ ما قدره اللّه من النعم علی عباده لا بد أن یستمر إلی وقته و لا ینفع التدبیر و الحیله فی دفعه،لا مانع لما أعطاه و لا راد لما قضاه:

لِکُلِّ أَجَلٍ کِتٰابٌ . وَ کُلُّ شَیْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدٰارٍ (۱).

و لو کانت النعم تزول بالحسد،لم تبق علیک و علی کافه الخلق نعمه،لعدم خلوک و خلوهم عن الحسد،بل لم تبق نعمه الإیمان علی المؤمنین،إذ الکفار یحسدونهم،کما قال اللّه سبحانه:

وَدَّتْ طٰائِفَهٌ مِنْ أَهْلِ الْکِتٰابِ لَوْ یُضِلُّونَکُمْ وَ مٰا یُضِلُّونَ إِلاّٰ أَنْفُسَهُمْ وَ مٰا یَشْعُرُونَ

(۲)

.

و لو تصورت زوال النعمه عن محسودک بحسدک،و عدم زوالها عنک بحسد حاسدک،لکنت أجهل الناس و أشدهم غباوه.نعم،ربما صار حسدک منشأ لانتشار فضل المحسود،کما قیل:

و إذا أراد اللّه نشر فضیله

طویت،أتاح لها لسان حسود

فإذا لم تزل نعمته بحسدک،لم یضره فی الدنیا،و لا یکون علیه إثم فی الآخره.

و أما أنه ینفعه فی الدین،فلذلک ظاهر من حیث کونه مظلوما من

۱- ۱) الرعد،الآیه:۹،۴۰.

۲- ۲) آل عمران،الآیه:۶۹.

جهتک،(لا)سیما إذا أخرجک الحسد إلی ما لا ینبغی من القول و الفعل کالغیبه،و البهتان،و هتک ستره،و إفشاء سره،و القدح فیه،و ذکر مساویه.فتحتمل بهذه الهدایا التی تهدیها إلیه بعضا من أوزاره و عصیانه و تنقل شطرا من حسناتک إلی دیوانه،فیلقاک یوم القیامه مفلسا محروما عن الرحمه،کما کنت تلقاه فی الدنیا محروما عن النعمه.فأضفت له نعمه إلی نعمه،و لنفسک نقمه إلی نقمه.

و أما أنه ینفعه فی الدنیا،فهو أن أهم أغراض الناس مساءه الأعداء و سوء حالهم،و کونهم متألمین معذبین.و لا عذاب أشد مما أنت فیه من ألم الحسد.فقد فعلت بنفسک ما هو غایه مراد حسادک فی الدنیا.و إذا تأملت هذا،عرفت أن کل حاسد عدو نفسه،و صدیق عدوه.فمن تأمل فی ذلک،و تذکر ما یأتی من فوائد النصیحه و حب الخیر و النعمه للمسلمین،و لم یکن عدو نفسه،فارق الحسد البته.

و أما العمل النافع فیه،فهو أن یواظب علی آثار النصیحه التی هی ضده،بأن یصمم علی أن یکلف نفسه بنقیض ما یقتضیه الحسد من قول و فعل،فإن بعثه الحسد علی التکبر علیه،ألزم نفسه التواضع له،و إن بعثه علی غیبته و القدح فیه،کلف لسانه المدح و الثناء علیه،و إن بعثه علی الغش و الخرق بالنسبه إلیه،کلف نفسه بحسن البشر و اللین معه،و إن بعثه علی کف الإنعام عنه،ألزم نفسه زیادته.و مهما فعل ذلک عن تکلف و کره و داوم علیه،انقطعت عنه ماده الحسد علی التدریج.علی أن المحسود إذا عرف منه ذلک طاب قلبه و أحبه،و إذا ظهر حبه للحاسد زال حسده و أحبه أیضا،فتتولد بینهما الموافقه،و ترتفع عنهما ماده المحاسده و هذا هو المعالجه الکلیه لمطلق مرض الحسد.و العلاج النافع لکل نوع منه،أن یقمع سببه،من خبث النفس و حب الرئاسه و الکبر و عزه النفس

و شده الحرص و غير ذلك مما ذكر،و علاج كل واحد من هذه الأسباب يأتى فى محله.

تنبيه القدر الواجب فى نفى الحسد

اعلم أن مساواه حسن حال العدو و سوء حاله،و عدم وجدان التفرقه بينهما فى النفس،ليست مما تدخل تحت الاختيار.فالتكليف به تكليف بالمحال.فالواجب فى نفى الحسد و إزالته هو القدر الذى يمكن دفعه،و بيان ذلك-كما أشير إليه-أن الحسد:

(أولا)إما يبعث صاحبه على إظهاره بقول أو فعل،بحيث يعرف حسده من آثاره الاختياريه،و لا ريب فى كونه مذموما محرما،و كون صاحبه عاصيا آثما،لا لمجرد آثاره الظاهره التى هى الغيبه و البهتان مثلا، إذ هى أفعال صادره عن الحسد،محلها الجوارح،و ليست عين الحسد، إذ هو صفه للقلب لا صفه للفعل،و محله القلب دون الجوارح،قال اللّه سبحانه:

وَ لاٰ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حٰاجَةً مِمّٰا أُوتُوا

(۱)

.و قال:

وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمٰا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوٰاءً

(۲)

.و قال:

إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ

(۳)

.

۱- ۱) الحشر،الآیه:۹.

۲- ۲) النساء،الآیه:۸۸.

۳- ۳) آل عمران،الآیه:۱۲۰.

فلو كان الإثم على مجرد أفعال الجوارح،لم يكن أصل الحسد الذى هو صفه القلب معصيه،و الأمر ليس كذلك،فيكون عاصيا لنفس الحسد الذى فى قلبه أيضا،أعنى ارتياحه بزوال النعمه مع عدم كراهه ذلك من نفسه.و الإثم حقيقه على عدم كراهته و عدم مقته و قهره على نفسه لهذا الارتياح الذى يجده منها،لكونه اختياريا ممكن الزوال،لا على نفس الارتياح و الاهتزاز،لما أشير إليه من أنه طبيعى غير ممكن الدفع لكل أحد فهذا القسم من الحسد أشد أنواعه،لترتب معصيته على أصله،و أخرى على ما يصدر عنه من آثاره المذمومه.

(ثانيا)أولا- يبعثه على إظهاره بالآثار القوليه و الفعليه،بل يكف ظاهره عنها،إلا أنه بباطنه يحب زوال النعمه من دون كراهه فى نفسه لهذه الحاله.و لا- ريب فى كونه مذموما محرما أيضا،لأنه كسابقه بعينه و لا فرق إلا فى أنه لا تصدر منه الآثار الفعليه و القوليه الظاهره،فهو ليس بمظلمه بحسب الاستحلال منها،بل معصيه بينه و بين اللّه،لأن الاستحلال إنما هو من الأفعال الظاهره الصادره من الجوارح.

(ثالثا)أولا يبعثه على الآثار الذميمه الظاهره،و مع ذلك يلزم قلبه كراهه ما يترشح منه طبعا من حب زوال النعمه،حتى أنه يمقت نفسه و يقهرها على هذه الحاله التى رسخت فيها.و الظاهر عدم ترتب الإثم عليه إذ تكون كراهته التى من جهه العقل فى مقابله الميل من جهه الطبع،فقد أدى الواجب عليه.و أصل الميل الطبيعى لا- يدخل تحت الاختيار غالبا، إذ تغير الطبع بحيث يستوى عنده المحسن و المسىء،و عدم التفرقه بين ما يصل منهما إليه من النعمه و البليه،ليس شريعه لكل وارد.نعم من تنور قلبه بمعرفه ربه،و أشرقت نفسه باضواء حبه و أنسه،و صار مستغرقا بحب اللّه تعالى مثل الشكران الواله،و استشعر بالارتباط الخاص الذى

بين العله و المعلول،و الاتحاد الذى بين الخالق و المخلوق،و علم أنه أقوى النسب و الروابط،ثم تيقن بأن الموجودات بأسرها من رشحات وجوده، و الكائنات برمتها صادره عن فيضه وجوده،و أن الأعيان الممكنه متساويه فى ارتضاع لبان الوجود من ثدى واحده،و الحقائق الكونيه غير متفاوته فى شرب ماء الرحمه و الجود من مشرع الوحده الحقيقيه-فقد ينتهى أمره إلى ألا تلتفت نفسه إلى تفاصيل أحوال العباد،بل ينظر إلى الكل بعين واحده،و هى عين الرحمه،و يرى الكل عبادا للّه و أفعاله،و يراهم مسخرين له،فلا ينظر إلى شىء بعين السخط و المساءه،و إن ورد منه ما ورد من السوء و البليه،لأنه ينظر إليه من حيث هو حتى يظهر التفاوت بل من حيث انتسابه إليه سبحانه،و الكل فى الانتساب إليه سواء.

ثم من الناس من ذهب إلى أنه لا إثم على الحسد ما لم تظهر آثاره على الجوارح،و على هذا ينحصر الحسد المحرم فى القسم الأول.و احتج على ما ذهب إليه بما ذكرناه

من قوله-صلى اللّه عليه و آله-: «ثلاث لا ينفک المؤمن عنهن:الحسد...»،

و بقوله-صلى اللّه عليه و آله-:

ثلاث فى المؤمن له منهن مخرج،و مخرجه من الحسد ألا يبغى» و الصحيح أن تحمل أمثال هذه الأخبار على القسم الثالث،و هو ما يكون فيه ارتياح النفس بزوال النعمه طبعا مع كراهه له من جهه العقل و الدين،حتى تكون هذه الكراهه فى مقابله حب الطبع.إذ أخبار ذم الحسد تدل بظاهرها على أن كل حاسد آثم،و الحسد عباره عن صفه القلب لا عن الأفعال الظاهره.و على هذا المذهب،لا يكون إثم على صفه القلب،بل إنما يكون على مجرد الأفعال الظاهره على الجوارح.

فقد اتضح بما ذكر،أن الأحوال المتصوره لكل أحد بالنسبه إلى أعدائه ثلاثه:الأولى:أن يحب مساءتهم،و يظهر الفرح بمساءتهم بلسانه

ص :۲۱۷

و جوارحه،أو يظهر ما يؤذيهم قولا أو فعلا،و هـذا محظور محرم قطعا، و صاحبه عاص آثم جزما.الثانيه:أن يحب مساءتهم طبعا،و لكن يكره حبه لـذلك بعقله،و يمقت نفسه عليه،و لو كانت له حيله فى إزاله ذلك الميل لأزاله.و هذا معفو عنه وفاقا،و فاعله غير آثم إجماعا.الثـالثه:و هى مـا بين الأولـيين:أن يحسـد بالقلب من غير مقته لنفسه على حسـده،و من غير إنكار منه على قلبه،و لكن يحفظ جوارحه عن صدور آثار الحسد عنها،و هذا محل الخلاف.و قد عرفت ما هو الحق فيه.

وصل النصيحه

قـد عرفت أن ضـد الحقـد و الحسـد(النصـيحه)،و هى إراده بقـاء نعمه اللّه للمسـلمين،و كراهه وصول الشـر إليهم.و قـد تطلق فى الأخبار على إرشادهم إلى ما فيه مصلحتهم و غبطتهم،و هو لازم للمعنى الأول.

فينبغى أن نشير إلى فوائدها و ما ورد فى مدحها،تحريكا للطالبين على المواظبه عليها ليرتفع بها ضدها.

اعلـم أن من أحب الخير و النعمه للمسـلمين كـان شـريكا فى الخير، بمعنى أنه فى الثـواب كـالمنعم و فاعـل الخير.و قـد ثبت من الأخبار،أن من لـم يدرك درجه الأخيار بصالحات الأعمال،و لكنه أحبهم،يكون يوم القيامه محشورا معهم،

كما ورد: «إن المرء يحشر مع من أحب».

و قال أعرابى لرسول اللّه:«الرجل يحب القوم و لما يلحق بهم.فقال صلى اللّه عليه و آله:المرء مع من أحب»

و قال رجل بحضره النبى-بعد ما ذكرت الساعه-:«ما أعددت لها من كثير صلاه و لا صيام،إلا أنى أحب اللّه

و رسوله.فقال-صلى اللّه عليه و آله-أنت مع من أحببت»، قال الراوى:فما فرح المسلمون بعد إسلامهم كفرحهم يومئذ،إذ أكثر ثقتهم كانت بحب اللّه و بحب رسوله.

و روى: «أنه قيل له صلى اللّه عليه و آله:الرجل يحب المصلين و لا يصلى،و يحب الصوام و لا يصوم -حتى عد أشياء-فقال:هو مع من أحب». و بهذا المضمون وردت أخبار كثيره.

و الأخبار الوارده فى مدح خصوص النصيحه و ذم تركها،و فى ثواب ترك الحسد و عظم فوائده،أكثر من أن تحصى.

عن أبى عبد اللّه عليه السلام قال:«قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: إن أعظم الناس منزله عند اللّه يوم القيامه أمشاهم فى أرضه بالنصيحه لخلقه».

و عن أبى جعفر عليه السلام قال:«قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: لينصح الرجل منكم أخاه كنصيحته لنفسه».

و قال الباقر-عليه السلام-: «يجب للمؤمن على المؤمن النصيحه».

و قال الصادق عليه السلام: «يجب للمؤمن على المؤمن النصيحه له فى المشهد و المغيب».

و قال عليه السلام: «عليك بالنصح للّه فى خلقه،فلن تلقاه بعمل أفضل منه» ،و بمضمونها أخبار.

و عن أبى عبد اللّه عليه السلام قال:«قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: من سعى فى حاجه لأخيه فلم ينصحه،فقد خان اللّه و رسوله»

و قال الصادق-عليه السلام-: «من مشى فى حاجه أخيه،ثم لم يناصحه فيها،كان كمن خان اللّه و رسوله،و كان اللّه خصمه» (١).

و الأخبار الأخر بهذا المضمون أيضا كثيره.

و روى: «أن رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-شهد لرجل من

١- ١) صححنا الأحاديث فى النصيحه كلها على(الكافى):باب نصيحه المؤمن و باب من لم يناصح أخاه المؤمن.

من الأنصار بأنه من أهل الجنه»، و كان باعثه-بعد التفتيش-خلوه عن الغش و الحسد على خير أعطى أحدا من المسلمين.

و روى: «أن موسى-عليه السلام-لما تعجل إلى ربه،رأى فى ظل العرش رجلا، فغبطه بمكانه،و قال:إن هذا لكريم على ربه.فسأل ربه أن يخبر باسمه فلم يخبره باسمه،و قال:أحدثك عن عمله:كان لا يحسد الناس على ما آتاهم اللّه من فضله،و كان لا يعق والديه،و لا يمشى بالنميمه».

و غايه النصيحه،أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه،

قال رسول اللّه -صلى اللّه عليه و آله-: «المؤمن يحب للمؤمن ما يحب لنفسه».

و قال صلى اللّه عليه و آله: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

و قال صلى اللّه عليه و آله: «إن أحدكم مرآه أخيه،فإذا رأى به شيئا فليمط عنه هذا».

و منها:

اشاره

الإيذاء و الإهانه و الاحتقار

و لا ريب فى كون ذلك فى الغالب مترتبا على العداوه و الحسد، و إن ترتب بعض أفرادها فى بعض الأحيان على مجرد الطمع أو الحرص ليكون من رداءه القوه الشهويه،أو على مجرد الغضب و سوء الخلق و الكبر،و إن لم يكن حقد و حسد.و على أى تقدير،لا شبهه فى أن الإيذاء للمؤمن و احتقاره محرم فى الشريعه،موجب للهلاك الأبدى

قال اللّه سبحانه:

وَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنٰاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتٰاناً وَ إِثْماً مُبِيناً

(۱)

.

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: «من آذى مؤمنا فقد آذانى،و من آذانى فقد آذى اللّه،و من آذى اللّه فهو ملعون فى التوراه و الإنجيل و الزبور و الفرقان».

و فى خبر آخر: «فعليه لعنه اللّه و الملائكه و الناس أجمعين» (۲).

و قال صلى اللّه عليه و آله: «المسلم من سلم المسلمون من يده و لسانه».

و قال صلى اللّه عليه و آله: «لا يحل للمسلم أن يشير إلى أخيه بنظره تؤذيه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله- «أ لا أنبئكم بالمؤمن!من ائتمنه المؤمنون على أنفسهم و أموالهم.أ لا أنبئكم بالمسلم! من سلم المسلمون من لسانه و يده.و المؤمن حرام على المؤمن أن يظلمه أو يخذله أو يغتابه أو يدفعه دفعه».

و قال الصادق عليه السلام: «قال اللّه عز و جل:«ليأذن بحرب منى من آذى عبدى المؤمن».

و قال عليه السلام: «إذا كان يوم القيامه،نادى مناد:أين المؤذون لأوليائى؟ فيقوم قوم ليس على وجوههم لحم،فيقال:هؤلاء الذين آذوا المؤمنين و نصبوا لهم و عاندوهم و عنفوهم فى دينهم.ثم يؤمر بهم إلى جهنم».

و قال-عليه السلام-:«قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: قال اللّه تبارك و تعالى.من أهان لى وليا فقد ارصد لمحاربتى»

و قال-عليه السلام-: «إن اللّه تبارك و تعالى يقول:من أهان لى وليا فقد أرصد

۱- ۱) الأحزاب،الآيه:۵۸.

۲- ۲) صححنا الحديثين على(جامع الأخبار):الباب ۷،الفصل ۴.

لمحاربتی،و أنا أسرع شیء إلی نصره أولیائی».

و قال علیه السلام:

«قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: قال اللّه عز و جل:قد نابذنی من أذل عبدی المؤمن».

و قال علیه السلام: «من حقر مؤمنا مسکینا أو غیر مسکین،لم یزل اللّه عز و جل حاقرا له ماقتا،حتی یرجع عن محقرته إیاه» (۱). و فی معناها أخبار کثیره آخر.

و من عرف النسبه التی بین العله و المعلول،و الربط الخاص الذی بین الخالق و المخلوق،یعلم أن إیذاء العباد و إهانتهم یرجع فی الحقیقه إلی إیذاء اللّه و إهانته،و کفاه بذلک ذما.فیجب علی کل عاقل أن یکون دائما متذکرا لذم إیذاء المسلمین و احتقارهم،و لمدح ضدهما،من رفع الأذیه عنهم و إکرامهم-کما یأتی-،و یحافظ نفسه عن ارتکابهما،لئلا یفتضح فی الدنیا و یعذب فی الآخره.

وصل کفّ الأذی عن المسلمین

اشاره

لا ریب فی فضیله أضداد ما ذکر و فوائدها،من کفّ الأذی عن المؤمنین و المسلمین و إکرامهم و تعظیمهم.و الظواهر الوارده فی مدح دفع الضرر و کف الأذی عن الناس کثیره،

کقول النبی-صلی اللّه علیه و آله-:

«من رد عن قوم من المسلمین عادیه ماء أو نار وجبت له الجنه» (۲)

۱- ۱) صححنا الأحادیث هنا علی(أصول الکافی):باب من آذی المسلمین و احتقرهم و علی.(إحیاء العلوم):۲-۱۷۲،۱۷۱.

۲- ۲) صححناه علی(فروع الکافی):کتاب الجهاد،فی ملحق باب فضل الشهاده.و علی(أصوله):فی باب الاهتمام بأمور المسلمین.

و قوله-صلى اللّه عليه و آله-: «أفضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه و يده».

و قوله-صلى اللّه عليه و آله-فى حديث طويل أمر فيه بالفضائل: «...فإن لم تقدر فدع الناس من الشر،فإنها صدقه تصدقت بها على نفسك».

و قوله-صلى اللّه عليه و آله- «رأيت رجلا يتقلب فى الجنه فى شجره قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذى المسلمين».

و قال صلى اللّه عليه و آله: «من زحزح من طريق المسلمين شيئا يؤذيهم، كتب اللّه له به حسنه أوجب له بها الجنه» (۱).

و كذا الأخبار التى وردت فى مدح إكرام المؤمن و تعظيمه كثيره.

قال الصادق-عليه السلام-: «قال اللّه سبحانه:ليأمن غضبى من أكرم عبدى المؤمن».

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: «من أكرم أخاه المسلم بكلمه يلطفه بها،و فرج عنه كربته،لم يزل فى ظل اللّه الممدود،و عليه الرحمه ما كان فى ذلك».

و قال صلى اللّه عليه و آله «ما فى أمتى عبد ألطف أخاه فى اللّه بشىء من لطف،إلا أخدمه اللّه من خدم الجنه».

و قال صلى اللّه عليه و آله: «أيما مسلم خدم قوما من المسلمين إلا أعطاه اللّه مثل عددهم خداما فى الجنه».

و قال الصادق -عليه السلام-: «من أخذ من وجه أخيه المؤمن قذاه،كتب اللّه عز و جل له عشره حسنات،و من تبسم فى وجه أخيه كانت له حسنه»

و قال-عليه السلام-: «من قال لأخيه:مرحبا،كتب اللّه له مرحبا إلى يوم القيامه».

و قال عليه السلام: «من أتاه أخوه المؤمن فأكرمه، فإنما أكرم اللّه عز و جل».

و قال عليه السلام لإسحاق بن عمار:«أحسن يا إسحاق إلى أوليائى ما استطعت،فما أحسن مؤمن إلى مؤمن و لا أعانه

۱- ۱) صححنا هذه الأحاديث الأربعه الأخيره على(إحياء العلوم):۲-۱۷۱ ۱۷۲.

إلا خمش وجه إبليس و قرح قلبه» (۱).

ثم ینبغی تخصیص بعض طبقات الناس بزیاده التعظیم و الإکرام، کأهل العلم و الورع،لما ورد من الحث الأکید فی الأخبار علی إکرامهم و الإحسان إلیهم،و کذا ینبغی تخصیص ذی الشیبه المسلم بزیاده التوقیر و التکریم،و قد ورد ذلک فی الأخبار الکثیره،

قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: «من عرف فضل کبیر لسنه فوقره،آمنه اللّه من فزع یوم القیامه».

و قال الصادق-علیه السلام-: «إن من إجلال اللّه عز و جل إجلال الشیخ الکبیر».

و قال علیه السلام-: «لیس منا من لم یوقر کبیرنا و یرحم صغیرنا». و الأخبار فی هذا المضمون کثیره.

و کذا ینبغی تخصیص کریم القوم بزیاده الإکرام،

لقول النبی-صلی اللّه علیه و آله- «إذا أتاکم کریم قوم فأکرموه» (۲).

و کذا تخصیص الذریه العلویه بزیاده الإکرام و التعظیم.

قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: «حقت شفاعتی لمن أعان ذریتی بیده و لسانه و ماله».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «أربعه أنالهم شفیع یوم القیامه:

المکرم لذریتی،و القاضی لهم حوائجهم،و الساعی لهم فی أمورهم عند ما اضطروا إلیه،و المحب لهم بقلبه و لسانه» (۳).

و قال صلی اللّه علیه و آله «أکرموا أولادی،و حسنوا آدابی».

و قال صلی اللّه علیه و آله «أکرموا

۱- ۱) صححنا الأحادیث هنا علی(أصول الکافی):باب إلطاف المؤمن و إکرامه،و باب من آذی المسلمین و احتقرهم.

۲- ۲) صححنا هذه الأحادیث علی(أصول الکافی):باب أجلال الکبیر، و باب وجوب أجلال ذی الشیبه،و باب إکرام الکریم و علی(الوسائل):کتاب الحج،أبواب أحکام العشره،الباب ۶۷.

۳- ۳) تقدم هذان الحدیثان فی ص ۱۳۹ من هذا الجزء.

أولادى،الصالحون للّه و الصالحون لى». و الأخبار فى فضل السادات و ثواب من يكرمهم و يعينهم أكثر من أن تحصى.

و إضرار المسلم قريب من معنى إيذائه،و ربما كان الإضرار أخص منه،فما يدل على ذمه يدل على ذمه،

كقول النبى-صلى اللّه عليه و آله- «خصلتان ليس فوقهما شىء من الشر:الشرك باللّه تعالى،و الضر بعباد اللّه». و كذا ضده،أعنى إيصال النفع إليه،قريب من معنى ضده و أخص منه.فما يدل على مدحه يدل على مدحه.و لا ريب فى أن إيصال النفع إلى المؤمنين من شرائف الصفات و الأفعال.و الأخبار الوارده فى فضيلته كثيره،

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: «الخلق عيال اللّه،فأحب الخلق إلى اللّه من نفع عيال اللّه و أدخل على أهل بيته سرورا».

و سئل صلى اللّه عليه و آله:«من أحب الناس إلى اللّه؟قال:أنفع الناس للناس» (۱)

و قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: «خصلتان من الخير ليس فوقهما شىء من البر:الإيمان باللّه،و النفع لعباد اللّه».

تنبيه ذم الظلم بالمعنى الأخص

اعلم أن الظلم قد يراد به ما هو ضد العداله،و هو التعدى عن الوسط فى أى شىء كان،و هو جامع للرذائل بأسرها-كما أشير إليه- و هذا هو الظلم بالمعنى الأعم،و قد يطلق عليه الجور أيضا،و قد يراد به ما يرادف الإضرار و الإيذاء بالغير،و هو يتناول قتله و ضربه و شتمه و قذفه و غيبته

۱- ۱) هذان الحديثان صححناهما على(أصول الكافى):باب الاهتمام بأمور المسلمين.

و أخذ ماله قهرا و نهبا و غصبا و سرقه و غير ذلك من الأقوال و الأفعال المؤذيه.و هذا هو الظلم بالمعنى الأخص،و هو المراد إذا أطلق فى الآيات و الأخبار و فى عرف الناس.و باعثه إن كانت العداوه و الحسد،يكون من رذائل قوه الغضب،و إن كان الحرص و الطمع فى المال،يكون من رذائل قوه الشهوه.و هو أعظم المعاصى و أشدها عذابا باتفاق جميع الطوائف و يدل على ذمه-بعد ما ورد فى ذم كل واحد من الأمور المندرجه تحته كما يأتى بعضها-ما تكرر فى القرآن من اللعن على الظالمين،و كفاه ذما أنه تعالى قال فى مقام ذم الشرك:

إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ

(۱)

.و قال: إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النّاسَ وَ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (۲).و قال: وَ لا تَحْسَبَنَّ اللّهَ غافِلاً عَمّا يَعْمَلُ الظّالِمُونَ (۳).و قال: وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (۴).

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: «إن أهون الخلق على اللّه،من ولى أمر المسلمين فلم يعدل لهم».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-

۱- ۱) لقمان،الآيه:۱۳.

۲- ۲) الشورى،الآيه:۴۲.

۳- ۳) إبراهيم،الآيه:۴۲.

۴- ۴) الشعراء،الآيه:۲۲۷.

«جور ساعه فی حکم،أشد و أعظم عند اللّه من معاصی تسعین سنه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «اتقوا الظلم،فإنه ظلمات یوم القیامه»

و قال صلی اللّه علیه و آله: «من خاف القصاص،کف عن ظلم الناس»

و روی: «أنه تعالی أوحی إلی داود:قل للظالمین لا تذکرونی،فإن حقا علی أن أذکر من ذکرنی،و إن ذکری إیاهم أن ألعنهم».

و قال علی ابن الحسین-علیهما السلام لابنه أبی جعفر-علیه السلام-حین حضرته الوفاه :«یا بنی،إیاک و ظلم من لا یجد علیک ناصرا إلا اللّه».

و قال أبو جعفر-علیه السلام-: «ما من أحد یظلم بمظلمه إلا أخذه اللّه تعالی بها فی نفسه أو ماله».

و قال رجل له-علیه السلام-:«إنی کنت من الولاه،فهل لی من توبه؟فقال:لا!حتی تؤدی إلی کل ذی حق حقه».

و قال-علیه السلام-: «الظلم ثلاثه:ظلم یغفره اللّه تعالی، و ظلم لا یغفره اللّه تعالی،و ظلم لا یدعه اللّه.فأما الظلم الذی لا یغفره اللّه عز و جل فالشرک،و أما الظلم الذی یغفره اللّه عز و جل فظلم الرجل نفسه فیما بینه و بین اللّه عز و جل،و أما الظلم الذی لا یدعه فالمداینه بین العباد»

و قال الصادق-علیه السلام -فی قوله تعالی:

إِنَّ رَبَّکَ لَبِالْمِرْصٰادِ

(۱)

.

«قنطره علی الصراط،لا یجوزها عبد بمظلمه».

و قال علیه السلام «ما من مظلمه أشد من مظلمه لا یجد صاحبها علیها عونا إلا اللّه تعالی»

و قال: «من أکل مال أخیه ظلما،و لم یرده إلیه،أکل جذوه من النار یوم القیامه».

و قال-علیه السلام-: «إن اللّه عز و جل أوحی إلی نبی من أنبیائه فی مملکه جبار من الجبارین:أن ائت هذا الجبار،فقل

۱- ۱) الفجر،الآیه ۱۴.

له:إنی لم استعملک علی سفک الدماء و اتخاذ الأموال،و إنما استعملتک لتکف عنی أصوات المظلومین،فإنی لن أدع ظلامتهم و إن کانوا کفارا»

و قال علیه السلام: «أما إن المظلوم یأخذ من دین الظالم أکثر مما یأخذ الظالم من مال المظلوم...ثم قال:من یفعل الشر بالناس فلا ینکر الشر إذا فعل به.أما إنه یحصد ابن آدم ما یزرع.و لیس یحصد أحد من المر حلوا،و لا من الحلو مرا».

و قال علیه السلام: «من ظلم،سلط اللّه علیه من یظلمه،أو علی عقبه أو علی عقب عقبه»قال الراوی:«قلت هو یظلم،فیسلط اللّه علی عقبه أو علی عقب عقبه؟!قال:فإن اللّه تعالی یقول:

وَ لْیَخْشَ الَّذِینَ لَوْ تَرَکُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّیَّهً ضِعٰافاً خٰافُوا عَلَیْهِمْ فَلْیَتَّقُوا اللّٰهَ وَ لْیَقُولُوا قَوْلاً سَدِیداً

(۱)

.

و الظاهر أن مؤاخذه الأولاد بظلم آبائهم إنما هو فی الأولاد الذین کانوا راضین بفعل آبائهم،أو وصل إلیهم أثر ظلمهم،أی انتقل إلیهم منهم بعض أموال المظلومین. و قال بعض العلماء:الوجه فی ذلک:أن الدنیا دار مکافاه و انتقام،و إن کان بعض ذلک مما یؤخر إلی الآخره.

و فائده ذلک أما بالنسبه إلی الظالم فإنه یردعه عن الظلم إذا سمع،و أما بالنسبه إلی المظلوم فإنه یستبشر بنیل الانتقام فی الدنیا مع نیله ثواب الظلم الواقع علیه فی الآخره،فإنه ما ظفر أحد بخیر مما ظفر به المظلوم،لأنه یأخذ من دین الظالم أکثر مما أخذ الظالم من ماله،کما تقدم،و هذا مما

۱- ۱) صححنا أحادیث الباب علی(أصول الکافی):باب الظلم.و الآیه من الحدیث الأخیر:سوره النساء،الآیه:۸.

يصحح الانتقام من عقب الظلم أو عقب عقبه،فإنه و إن كان فى صوره الظلم،لأنه انتقام من غير أهله،مع أنه لا تزر وازره وزر أخرى،إلا أنه نعمه من اللّه عليه فى المعنى من جهه ثوابه فى الدارين،فإن ثواب المظلوم فى الآخره أكثر مما جرى عليه من الظلم فى الدنيا.

ثم إن معين الظالم،و الراضى بفعله،و الساعى له فى قضاء حوائجه و حصول مقاصده،كالظالم بعينه فى الإثم و العقوبه.

قال الصادق عليه السلام: «العالم بالظلم،و المعين له،و الراضى به،شركاء ثلاثتهم».

و قال عليه السلام: «من عذر ظالما بظلمه،سلط اللّه عليه من يظلمه، فإن دعا لم يستجب له،و لم يأجره اللّه على ظلامته».

و قال رسول اللّه -صلى اللّه عليه و آله-: «شر الناس المثلث؟»،قيل:و ما المثلث قال:«الذى يسعى بأخيه إلى السلطان،فيهلك نفسه،و يهلك أخاه، و يهلك السلطان».

و قال صلى اللّه عليه و آله-: «من مشى مع ظالم فقد أجرم».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «إذا كان يوم القيامه،نادى مناد:أين الظلمه و أعوان الظلمه و من لاق لهم دواه أو ربط لهم كيسا أو مدهم بمده قلم؟فاحشروهم معهم».

وصل العدل بالمعنى الأخص

ضد الظلم بالمعنى الأخص هو العدل بالمعنى الأخص،و هو الكف عنه،و رفعه،و الاستقامه،و إقامه كل أحد على حقه.و العدل بهذا المعنى هو المراد عند إطلاقه فى الآيات و الأخبار،و فضيلته أكثر من أن

تحصی.قال اللّه سبحانه:

إِنَّ اللّٰهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسٰانِ...

(۱)

.و قال:

إِنَّ اللّٰهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمٰانٰاتِ إِلىٰ أَهْلِهٰا وَ إِذٰا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النّٰاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ

(۲)

.

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: «عدل ساعه خیر من عباده سبعین سنه قیام لیلها و صیام نهارها»

و قال الصادق علیه السلام:

«من أصبح و لا یهم بظلم أحد،غفر له ما اجترم».

و قال علیه السلام «من أصبح لا ینوی ظلم أحد،غفر اللّه تعالی له ذنب ذلک الیوم،ما لم یسفک دما أو یأکل مال یتیم حراما»

و قال-علیه السلام-: «العدل أحلی من الماء یصیبه الظمآن.ما أوسع العدل إذا عدل فیه،و إن قل».

و قال علیه السلام: «العدل أحلی من الشهد،و ألین من الزبد،و أطیب ریحا من المسک».

و قال-علیه السلام-: «اتقوا اللّه و اعدلوا،فإنکم تعیبون علی قوم لا یعدلون» (۳).

و مما یدل علی فضیله العدل بهذا المعنی ما ورد فی ثواب رد المظالم.

قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: «درهم یرده العبد إلی الخصماء خیر له من عباده ألف سنه،و خیر له من عتق ألف رقبه،و خیر له من

۱- ۱) النحل،الآیه:۹۰.

۲- ۲) النساء،الآیه:۵۷.

۳- ۳) صححنا الأحادیث هنا علی(أصول الکافی):باب الظلم و باب الإنصاف و العدل.

ألف حجه و عمره».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «من رد درهما إلى الخصماء،أعتق اللّه رقبته من النار،و أعطاه بكل دانق ثواب نبى، و بكل درهم ثواب مدينه فى الجنه من دره حمراء».

و قال صلى اللّه عليه و آله «من رد أدنى شىء إلى الخصماء،جعل اللّه بينه و بين النار سترا كما بين السماء و الأرض،و يكون فى عداد الشهداء».

و قال صلى اللّه عليه و آله:

«من أرضى الخصماء من نفسه،وجبت له الجنه بغير حساب،و يكون فى الجنه رفيق إسماعيل بن إبراهيم».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-:

«إن فى الجنه مدائن من نور،و على المدائن أبواب من ذهب مكلله بالدر و الياقوت،و فى جوف المدائن قباب من مسك و زعفران،من نظر إلى تلك المدائن يتمنى أن تكون له مدينه منها».قالوا:يا نبى اللّه،لمن هذه المدائن؟قال:«للتائبين النادمين،المرضين الخصماء من أنفسهم.

فإن العبد إذا رد درهما إلى الخصماء،أكرمه اللّه كرامه سبعين شهيدا.

فإن درهما يرده العبد إلى الخصماء خير له من صيام النهار و قيام الليل.

و من رد درهما ناداه ملك من تحت العرش:استأنف العمل،فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «من مات غير تائب،زفرت جهنم فى وجهه ثلاث زفرات،فأولاها لا تبقى دمعه إلا جرت من عينيه،و الزفره الثانيه لا يبقى دم إلا خرج من منخريه، و الزفره الثالثه لا يبقى قيح إلا خرج من فمه.فرحم اللّه من تاب،ثم أرضى الخصماء،فمن فعل فأنا كفيله بالجنه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله- «لرد دانق من حرام يعدل عند اللّه سبعين ألف حجه مبروره» (۱).

۱- ۱) صححنا الأحاديث النبويه هذه كلها على(جامع الأخبار):الباب ۷ الفصل ۷ و لم نعثر لها على أثر فى الكتب المعتبره.

و منها:

اشاره

إخافه المؤمن

و إدخال الكرب فى قلبه.و هما شعبتان من الإيذاء و الإضرار، فيترتبان غالبا على العداوه و الحسد،و قد يترتبان على مجرد الغضب أو سوء الخلق أو الطمع،و هما من رذائل الأفعال،و الأخبار الوارده فى ذمهما كثيره،

كقول النبى-صلى اللّه عليه و آله-: «من نظر إلى مؤمن نظره ليخيفه بها،أخافه اللّه تعالى يوم لا ظل إلا ظله».

و قول الصادق عليه السلام: «من روع مؤمنا بسلطان ليصيبه منه مكروه فأصابه فهو مع فرعون و آل فرعون فى النار».

و قوله-عليه السلام-: «من أدخل السرور على مؤمن فقد أدخله على رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-و من أدخله على رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-فقد وصل ذلك إلى اللّه، و كذلك من أدخل عليه كربا» (۱). و الأخبار الوارده فى هذا المعنى كثيره

وصل إدخال السرور فى قلب المؤمن

و ضد ذلك إزاله الخوف عنه،و تفريج كربه.و إدخال السرور فى

ص :۲۳۲

۱- ۱) صححنا الأحاديث هنا على(أصول الكافى)باب إدخال السرور على للمؤمن،و باب من أخاف مؤمنا.

قلبه.و هی من أعظم شعب النصیحه،و لا حد للثواب المترتب علیها، کما نطقت به الأخبار.

قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: «من حمی مؤمنا من ظالم،بعث اللّه له ملکا یوم القیامه یحمی لحمه من نار جهنم».

و قال صلی اللّه علیه و آله: «من فرج عن مغموم أو أعان مظلوما، غفر اللّه له ثلاثا و سبعین مغفره».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «انصر أخاک ظالما أو مظلوما»،فقیل:کیف ینصره ظالما؟قال:«تمنعه من الظلم».

و قال الإمام أبو عبد اللّه الصادق-علیه السلام-: «من أغاث أخاه المؤمن اللهفان اللهثان عند جهده،فنفس کربته و أعانه علی نجاح حاجته،کتب اللّه تعالی له بذلک اثنتین و سبعین رحمه من اللّه،یعجل له منها واحده یصلح بها أمر معیشته،و یدخر له إحدی و سبعین رحمه لأفزاع یوم القیامه و أ هواله».

و قال-علیه السلام-: «من نفس عن مؤمن کربه،نفس اللّه عنه کرب الآخره،و خرج من قبره و هو ثلج الفؤاد»

و قال الرضا علیه السلام: «من فرج عن مؤمن،فرج اللّه قلبه یوم القیامه».

و قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: «من سر مؤمنا فقد سرنی،و من سرنی فقد سر اللّه».

و عن أبی عبد اللّه علیه السلام-قال:

«قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: إن أحب الأعمال إلی اللّه عز و جل إدخال السرور علی المؤمنین».

و قال الباقر-علیه السلام-:

«تبسم الرجل فی وجه أخیه حسنه،و صرفه القذی عنه حسنه،و ما عبد اللّه بشیء أحب إلی اللّه من إدخال السرور علی المؤمن».

و قال-علیه السلام- «إن فیما ناجی اللّه عز و جل به عبده موسی علیه السلام:قال:إن لی عبادا أبیحهم جنتی و أحکمهم فیها،قال:یا رب،و من هؤلاء الذین تبیحهم جنتک و تحکمهم فیها؟قال:من أدخل علی مؤمن سرورا...

ثم قال:إن مؤمنا کان فی مملکه جبار،فولع به،فهرب منه إلی دار

الشرک،فنزل برجل من أهل الشرک فأظله و أرفقه و أضافه،فلما حضره الموت،أوحی اللّه إلیه:و عزتی و جلالی!لو کان لک فی جنتی مسکن لأسکنتک فیها،و لکنها محرمه علی من مات مشرکا بی،و لکن یا نار هیدیه و لا تؤذیه،و یؤتی برزقه طرفی النهار»،قلت (۱):من الجنه؟ قال:«من حیثما شاء اللّه».و قال علیه:«لا یری أحدکم إذا أدخل علی مؤمن سرورا أنه علیه أدخله فقط،بل و اللّه علینا،بل و اللّه علی رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله!-.

عن أبان بن تغلب،قال: «سألت أبا عبد اللّه علیه السلام عن حق المؤمن علی المؤمن.فقال:حق المؤمن علی المؤمن أعظم من ذلک،لو حدثتکم لکفرتم.إن المؤمن إذا خرج من قبره خرج معه مثال من قبره یقول له:ابشر بالکرامه من اللّه و السرور فیقول له:بشرک اللّه بخیر.قال:ثم یمضی معه یبشره بمثل ما قال،و إذا مر بهول قال:لیس هذا لک،و إذا مر بخیر قال:هذا لک.فلا یزال معه،یؤمنه مما یخاف و یبشره بما یحب،حتی یقف معه بین یدی اللّه عز و جل.فإذا أمر به إلی الجنه،قال له المثال:ابشر فإن اللّه عز و جل قد أمر بک إلی الجنه.قال:فیقول:من أنت رحمک اللّه؟تبشرنی من حین خرجت من قبری،و آنستنی فی طریقی،و خبرتنی عن ربی!قال فیقول:أنا السرور الذی کنت تدخله علی إخوانک فی الدنیا،خلقت منه لأبشرک و أونس وحشتک».

و روی ابن سنان،قال: «کان رجل عند أبی عبد اللّه علیه السلام،فقرأ هذه الآیه:

وَ الَّذِینَ یُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِینَ وَ الْمُؤْمِنٰاتِ بِغَیْرِ مَا اکْتَسَبُوا

۱- ۱) القائل الراوی،و المجیب أبو جعفر-علیه السلام-.

فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتٰاناً وَ إِثْماً مُبِيناً

(۱)

.

فقال أبو عبد اللّه-علیه السلام-:فما ثواب من أدخل علیه السرور فقلت:جعلت فداک!عشر حسنات.قال:أی و اللّه و ألف ألف حسنه!» (۲).

و منها:

اشاره

ترک إعانه المسلمین

و عدم الاهتمام بأمورهم.فإن من یعادی غیره أو یحاسده یترک إعانته و لا یهتم بأموره،و ربما کان ذلک من نتائج الکساله بها،أو ضعف النفس أو البخل.و بالجمله:لا ریب فی کونه من رذائل الصفات،و دلیلا علی ضعف الإیمان.و ما ورد فی ذمه من الأخبار کثیر،

قال الباقر علیه السلام:

«من بخل بمعونه أخیه المسلم و القیام له فی حاجه،إلا ابتلی بالقیام بمعونه من یأثم علیه و لا یؤجر».

و قال الصادق-علیه السلام-: «أیما رجل من شیعتنا أتاه رجل من إخوانه،فاستعان به فی حاجه فلم یعنه،و هو یقدر،إلا ابتلاه اللّه تعالی بأن یقضی حوائج عده من أعدائنا،یعذبه اللّه علیها یوم القیامه».

و قال-علیه السلام-: «أیما مؤمن منع مؤمنا شیئا مما یحتاج إلیه و هو یقدر علیه من عنده أو من عند غیره،أقامه اللّه عز و جل یوم القیامه مسودا وجهه،مزرقه عیناه،مغلوله یداه إلی عنقه فیقال:هذا الخائن الذی خان اللّه و رسوله،ثم یؤمر به إلی النار»

و قال

۱- ۱) الأحزاب،الآیه:۵۸.

۲- ۲) صححنا الأحادیث کلها هنا علی(أصول الکافی):باب إدخال السرور علی المؤمن،باب تفریج کرب المؤمن.

-علیه السلام-: «من کانت له دار،فاحتاج مؤمن إلی سکناها، فمنعه إیاها،قال اللّه تعالی:یا ملائکتی،أبخل عبدی علی عبدی بسکنی الدنیا؟و عزتی و جلالی!لا یسکن جناتی أبدا».

و قال-علیه السلام-لنفر عنده: «ما لکم تستخفون بنا؟»،فقام إلیه رجل من أهل خراسان، فقال:معاذ لوجه اللّه أن نستخف بک أو بشیء من أمرک!فقال:

«إنک أحد من استخف بی»،فقال:معاذ لوجه اللّه أن استخف بک فقال له:«ویحک!أ لم تسمع فلانا،و نحن بقرب الجحفه،و هو یقول لک:احملنی قدر میل،فقد و اللّه أعییت.و اللّه ما رفعت به رأسا،لقد استخففت به.و من استخف بمؤمن فبنا استخف،و ضیع حرمه اللّه عز و جل (۱).

و قال علیه السلام: «من أتاه أخوه فی حاجه یقدر علی قضائها فلم یقضها له،سلط اللّه علیه شجاعا ینهش إبهامه فی قبره إلی یوم القیامه مغفورا له أو معذبا».

و قال أبو الحسن علیه السلام:

«من قصد إلیه رجل من إخوانه مستجیرا به فی بعض أحواله،فلم یجره بعد أن یقدر علیه،فقد قطع ولایه اللّه عز و جل».

و قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: «من أصبح لا یهتم بأمور المسلمین فلیس بمسلم».

و قال صلی اللّه علیه و آله: «من أصبح لا یهتم بأمور المسلمین فلیس منهم و من سمع رجلا ینادی یا للمسلمین فلم یجبه فلیس بمسلم» (۲).

۱- ۱) صححنا هذا الحدیث بالخصوص علی(الوسائل):کتاب الحج،باب تحریم الاستخفاف و هو یرویه عن(الکافی).
۲- ۲) صححنا الأحادیث هنا علی(أصول الکافی):باب من استعان أخوه به فلم یعنه،و باب قضاء حاجه المؤمن،و باب من منع مؤمنا شیئا من عنده،و باب الاهتمام بامور المسلمین.

وصل قضاء حوائج المسلمين

ضد هذه الرذيله:قضاء حوائج المسلمين و السعى فى إنجاح مقاصدهم و هو من أعظم أفراد النصيحه،و لا حد لمثوبته عند اللّه

قال رسول اللّه -صلى اللّه عليه و آله-: «من قضى لأخيه المؤمن حاجه،فكأنما عبد اللّه دهره» (۱)

و قال-صلى اللّه عليه و آله-: «من مشى فى حاجه أخيه ساعه من ليل أو نهار،قضاها أو لم يقضها،كان خيرا له من اعتكاف شهرين».

و قال أبو جعفر-عليه السلام-: «أوحى اللّه عز و جل إلى موسى عليه السلام:إن من عبادى من يتقرب إلى بالحسنه فأحكمه فى الجنه فقال موسى:يا رب،و ما تلك الحسنه؟قال يمشى مع أخيه المؤمن فى قضاء حاجته،قضيت أم لم تقض».

و قال-عليه السلام-: «من مشى فى حاجه أخيه المسلم،أظله اللّه بخمسه و سبعين ألف ملك،و لم يرفع قدما إلا كتب اللّه له حسنه،و حط عنه بها سيئه،و يرفع له بها درجه،فإذا فرغ من حاجته كتب اللّه عز و جل له بها أجر حاج و معتمر»

و قال-عليه السلام-: «إن المؤمن لترد عليه الحاجه لأخيه فلا تكون عنده فيهتم بها قلبه،فيدخله اللّه تبارك و تعالى بهمه الجنه».

و قال الصادق -عليه السلام-: «من قضى لأخيه المؤمن حاجه،قضى اللّه تعالى له يوم القيامه مائه ألف حاجه،من ذلك أولها الجنه،و من ذلك أن يدخل قرابته و معارفه و إخوانه الجنه،بعد أن لا يكونوا نصابا».

و قال-عليه السلام-: «إن اللّه تعالى خلق خلقا من خلقه،انتجبهم لقضاء حوائج

۱- ۱) صححناه على(الوسائل).كتاب الأمر بالمعروف،باب استحباب قضاء حاجه المؤمن،رواه عن(مجالس الطوسى).و لم نعثر على مصدر للنبوى الثانى.

فقراء شيعتنا،ليثيبهم على ذلك الجنه.فإن استطعت أن تكون منهم فكن»

و قال-عليه السلام-: «قضاء حاجه المؤمن خير من عتق ألف رقبه، و خير من حملان ألف فرس فى سبيل اللّه».

و قال-عليه السلام-:

«لقضاء حاجه امرئ مؤمن أحب إلى اللّه تعالى من عشرين حجه،كل حجه ينفق فيها صاحبها مائه ألف».

و قال-عليه السلام-: «من طاف بالبيت طوافا واحدا كتب اللّه له سته آلاف حسنه،و محى عنه سته آلاف سيئه، و رفع له سته آلاف درجه- و فى روايه:و قضى له سته آلاف حاجه-حتى إذا كان عند الملتزم،فتح له سبعه أبواب من الجنه»،قلت له:جعلت فداك!هذا الفضل كله فى الطواف؟قال:«نعم!و أخبرك بأفضل من ذلك:

قضاء حاجه المؤمن المسلم أفضل من طواف و طواف...حتى بلغ عشرا».

و قال-عليه السلام-: «تنافسوا فى المعروف لإخوانكم و كونوا من أهله،فإن للجنه بابا يقال له المعروف،لا يدخله إلا من اصطنع المعروف فى الحياه الدنيا،فإن العبد ليمشى فى حاجه أخيه المؤمن فيوكل اللّه عز و جل به ملكين،واحدا عن يمينه و آخر عن شماله، يستغفران له ربه،و يدعوان بقضاء حاجته»...ثم قال:«و اللّه لرسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-أسر بقضاء حاجه المؤمن إذا وصلت إليه من صاحب الحاجه».

و قال-عليه السلام-: «ما قضى مسلم لمسلم حاجه إلا ناداه اللّه تعالى:على ثوابك،و لا أرضى لك بدون الجنه».

و قال-عليه السلام-: «أيما مؤمن أتى أخاه فى حاجه فإنما ذلك رحمه من اللّه ساقها إليه و سببها له،فإن قضى حاجته كان قد قبل الرحمه بقبولها و إن رده عن حاجته و هو يقدر على قضائها فإنها رد عن نفسه رحمه من اللّه عز و جل،ساقها إليه و سببها له،و ذخر اللّه تلك الرحمه إلى يوم القيامه،حتى يكون المردود عن حاجته هو الحاكم فيها،إن شاء صرفها

إلى نفسه،و إن شاء صرفها إلى غيره»...ثم قال عليه السلام للراوى:

«فإذا كان يوم القيامه،و هو الحاكم فى رحمه من اللّه تعالى قد شرعت له،فإلى من ترى يصرفها؟»،لا أظن يصرفها عن نفسه،قال:

لا تظن!و لكن استيقن،فإنه لن يردها عن نفسه»

و قال-عليه السلام-:

«من مشى فى حاجه أخيه المؤمن يطلب بذلك ما عند اللّه حتى تقضى له، كتب اللّه عز و جل له بذلك مثل أجر حجه و عمره مبرورتين،و صوم شهرين من أشهر الحرم و اعتكافهما فى المسجد الحرام،و من مشى فيها بنيه و لم تقض،كتب اللّه له بذلك مثل حجه مبروره،فارغبوا فى الخير».

و قال عليه السلام: «لئن أمشى فى حاجه أخ لى مسلم،أحب إلى من أن أعتق ألف نسمه،و أحمل فى سبيل اللّه على ألف فرس مسرجه ملجمه»

و قال-عليه السلام-: «من سعى فى حاجه أخيه المسلم،و طلب وجه اللّه،كتب اللّه عز و جل له ألف ألف حسنه،يغفر فيها لأقاربه و جيرانه و إخوانه و معارفه،و من صنع إليه معروفا فى الدنيا،فإذا كان يوم القيامه قيل له:ادخل النار،فمن وجدته فيها صنع إليك معروفا فى الدنيا فأخرجه بإذن اللّه عز و جل،إلا أن يكون ناصبيا».

و قال أبو الحسن -عليه السلام-: «إن للّه عبادا فى الأرض يسعون فى حوائج الناس، هم الآمنون يوم القيامه.و من أدخل على مؤمن سرورا،فرح اللّه قلبه يوم القيامه» (1). و الأخبار الوارده بهذه المضامين كثيره،و ما ذكرناه كاف لتحريك الطالبين على قضاء حوائج المؤمنين.و مما يدل على مدحه و شرافته،ما ورد فى ثواب إطعام المؤمن و سقيه و كسوته،كما يأتى.

۱- ۱) صححنا الأحاديث-ابتداء من الحديث عن أبى جعفر عليه السلام- على(أصول الكافى):باب قضاء حاجه المؤمن،و باب السعى فى حاجه المؤمن.

و منها:

اشاره

التهاون و المداهنه

فی الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر.و هو ناش إما من ضعف النفس و صغرها،أو من الطمع المالی ممن یسامحه،فیکون من رذائل القوه الغضبیه من جانب التفریط،أو من رذائل القوه الشهویه من جانب الإفراط و هو من المهلکات التی یعم فسادها و ضرها،و یسری إلی معظم الناس أثرها و شرها.کیف و لو طوی بساط الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر اضمحلت الدیانه،و تعطلت النبوه،و عمت الفتره،و فشت الضلاله، و شاعت الجهاله،و ضاعت أحکام الدین،و اندرست آثار شریعه رب العالمین،و هلک العباد،و خرجت البلاد.و لذا تری و تسمع أن فی کل عصر نهض بإقامه هذه السنه بعض المؤیدین،من غیر أن تأخذهم فی اللّه لومه لائمین،من أقویاء العلماء المتکفلین لعلمها و إلقائها،و من سعداء الأمراء الساعین فی إجرائها و إمضائها،رغب الناس إلی ضروب الطاعات و الخیرات،و فتحت علیهم برکات الأرض و السماوات،و فی کل قرن لم یقم بإحیائها عالم عامل و لا سلطان عادل،استشری الفساد،و اتسع الخرق و خرجت البلاد،و استرسل الناس فی اتباع الشهوات و الهوی،و انمحت أعلام الهدایه و التقوی.

و لذا تری فی عصرنا-لما اندرس من هذا القطب الأعظم عمله و علمه و انمحت بالکلیه حقیقته و اسمه،و عز علی بسیط الأرض دین یحرس الشریعه و استولت علی القلوب مداهنه الخلیقه-أن الناس فی بیداء الضلاله حیاری

و فی أیدی جنود الأبالسه أساری،و لم یبق من الإسلام إلا اسمه و من الشرع إلا رسمه.

و لأجل ذلک ورد الذم الشدید فی الآیات و الأخبار علی ترک الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر و المداهنه فیهما،قال اللّه سبحانه:

لَوْ لاٰ یَنْهٰاهُمُ الرَّبّٰانِیُّونَ وَ الْأَحْبٰارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَ أَکْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مٰا کٰانُوا یَصْنَعُونَ

(۱)

.

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-: «ما من قوم عملوا بالمعاصی،و فیهم من یقدر أن ینکر علیهم فلم یفعل،إلا یوشک أن یعمهم اللّه بعذاب من عنده».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «إن اللّه تعالی لیبغض المؤمن الضعیف الذی لا دین له»،فقیل له:و ما المؤمن الذی لا دین له؟قال:«الذی لا ینهی عن المنکر».و قیل له-صلی اللّه علیه و آله-:«أ تهلک القریه و فیها الصالحون؟قال:نعم!قیل:بم یا رسول اللّه؟قال:بتهاونهم و سکوتهم عن معاصی اللّه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «لتأمرن بالمعروف و لتنهن عن المنکر،أو لیستعملن علیکم شرارکم،فیدعو خیارکم فلا یستجاب لهم» (۲).

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «إن اللّه تعالی لیسأل العبد:ما منعک إذ رأیت المنکر أن تنکر؟».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «ان اللّه لا یعذب الخاصه

۱- ۱) المائده،الآیه:۶۶.

۲- ۲) روی فی(فروع الکافی)-باب الأمر بالمعروف-هذا الحدیث عن أبی الحسن الرضا-علیه السلام-.و صححنا الحدیث الذی قبل الأخیر علی(فروع الکافی)فی الموضع المذکور أیضا.

بذنوب العامه،حتی یظهر المنکر بین أظهرهم،و هم قادرون علی أن ینکروه فلا ینکرونه».

و قال أمیر المؤمنین-علیه السلام-فی بعض خطبه: «إنما هلک من کان قبلکم،حیث عملوا بالمعاصی و لم ینههم الربانیون و الأحبار عن ذلک،و أنهم لما تمادوا فی المعاصی و لم ینههم الربانیون و الأحبار عن ذلک نزلت بهم العقوبات،فأمروا بالمعروف و نهوا عن المنکر...».

و قال علیه السلام: «من ترک إنکار المنکر بقلبه و یده و لسانه،فهو میت بین الأحیاء».

و قال-علیه السلام- «أمرنا رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-أن نلقی أهل المعاصی بوجوه مکفهره».

و قال-علیه السلام- «إن أول ما تغلبون علیه من الجهاد الجهاد بأیدیکم ثم بألسنتکم،ثم بقلوبکم فمن لم یعرف بقلبه معروفا و لم ینکر منکرا قلب فجعل أعلاه أسفله»

و قال الباقر-علیه السلام-: «أوحی اللّه عز و جل إلی شعیب النبی -علیه السلام-:إنی معذب من قومک مائه ألف:أربعین ألفا من شرارهم،و ستین ألفا من خیارهم.فقال-علیه السلام-:یا رب، هؤلاء الأشرار فما بال الأخیار؟فأوحی اللّه عز و جل إلیه:داهنوا أهل المعاصی،و لم یغضبوا لغضبی».

و قال الصادق-علیه السلام-: «ما قدست أمه لم یؤخذ لضعیفها من قویها بحقه غیر متعتع».

و قال-علیه السلام-: «ویل لقوم لا یدینون اللّه بالأمر بالمعروف و النهی عن المنکر»

و قال-علیه السلام-: «إن اللّه تعالی بعث ملکین إلی أهل مدینه لیقلبها علی أهلها،فلما انتهیا إلی المدینه وجدا رجلا یدعو اللّه و یتضرع إلیه، فقال أحد الملکین لصاحبه:أ ما تری هذا الداعی؟فقال:قد رأیته، و لکن أمضی ما أمر به ربی.فقال:لا،و لکن لا أحدث شیئا حتی أراجع ربی.فعاد إلی اللّه تبارک و تعالی،فقال:یا رب إنی انتهیت إلی

المدينه،فوجدت عبدك فلانا يدعوك و يتضرع إليك.فقال:امض ما أمرتك به،فإن ذا رجل لم يتمعر وجهه غيظا لى قط».

و قال -عليه السلام-لقوم من أصحابه: حق لى أن آخذ البرىء منكم بالسقيم و كيف لا يحق لى ذلك و أنتم يبلغكم عن الرجل منكم القبيح فلا تنكرون عليه و لا تهجرونه و لا تؤذونه حتى يتركه».

و قال-عليه السلام-: «لأحملن ذنوب سفهائكم على علمائكم...إلى أن قال:ما يمنعكم إذا بلغكم عن الرجل منكم ما تكرهون و ما يدخل علينا به الأذى،أن تأنوه فتؤنبوه و تعذلوه، و تقولوا له قولا بليغا!»،قيل له:إذن لا يقبلون منا،قال:«اهجروهم و اجتنبوا مجالستهم».

و فى بعض الأخبار النبويه: «إن أمتى إذا تهاونوا فى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر فليأذنوا بحرب من اللّه». و قد وردت أخبار بالمنع عن حضور مجالس المنكر إذا لم يمكنه دفعه و النهى عنه،و لو حضر نزلت عليه اللعنه.و على هذا لا يجوز دخول بيت الظلمه و الفسقه،و لا حضور المشاهد التى يشاهد فيها المنكر و لا يقدر على تغييره،إذ لا يجوز مشاهده المنكر من غير حاجه،اعتذارا بأنه عاجز.و لهذا اختار جماعه من السلف العزله،حذرا من مشاهده المنكر فى الأسواق و المجامع و الأعياد،مع عجزهم عن التغيير.

ثم إذا كان الأمر فى المداهنه فى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر بهذه المثابه،فيعلم أن الأمر بالمنكر و النهى عن المعروف كيف حاله.

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-: «كيف بكم إذا فسدت نساؤكم و فسق شبابكم و لم تأمروا بالمعروف و لم تنهوا عن المنكر؟»فقيل له-صلى اللّه عليه و آله-:و يكون ذلك يا رسول اللّه؟!قال:«نعم! كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر و نهيتم عن المعروف؟!»،فقيل له:

یا رسول اللّه،و یکون ذلک؟!قال:«نعم!و شر من ذلک!کیف بکم إذا رأیتم المعروف منکرا و المنکر معروفا؟!»،و فی روایه:

«و عند ذلک یبتلی الناس بفتنه،یصیر الحلیم فیها حیران» (۱).

و من تأمل فی الأخبار و الآثار،و اطلع علی التواریخ و السیر و قصص الأمم السالفه و القرون الماضیه،و ما حدثت لهم من العقوبات،و ضم ذلک إلی التجربه و المشاهده فی عصره،من ابتلاء الناس ببعض البلایا السماویه و الأرضیه،یعلم أن کل عقوبه سماویه و أرضیه،من الطاعون و الوباء، و القحط و الغلاء،و حبس المیاه و الأمطار،و تسلط الظالمین و الأشرار، و وقوع القتل و الغارات،و حدوث الصواعق و الزلازل،و أمثال ذلک، تکون مسبوقه بترک الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر بین الناس.

وصل السعی فی الأمر بالمعروف

اشاره

ضد المداهنه فی الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر،هی السعی فیهما و التشمیر لهما.و هو أعظم مراسم الدین،و المهم الذی بعث اللّه لأجله النبیین،و نصب من بعدهم الخلفاء و الأوصیاء،و جعل نوابهم أولی النفوس القدسیه من العلماء.بل هو القطب الذی تدور علیه أرحیه الملل و الأدیان و تطرق الاختلال فیه یؤدی إلی سقوطها عن الدوران.و لهذا ورد فی

---

۱ - ۱) صححنا الأحادیث هنا علی(فروع الکافی):باب الأمر بالمعروف و علی (الوسائل):کتاب الأمر بالمعروف و علی(المستدرک):۲-۳۶۰-۳۶۱ کتاب الأمر بالمعروف.

مدحه و الترغيب عليه مما لا يمكن إحصاؤه من الآيات و الأخبار،قال اللّه سبحانه:

وَ لْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ أُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ .

و قال: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنّاسِ،تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ (۱).و قال: فَلَمّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَ أَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذابٍ بَئِيسٍ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ (۲).و قال: لا خَيْرَ فِی كَثِيرٍ مِنْ نَجْواهُمْ،إِلاّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النّاسِ،وَ مَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً .و قال: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوّامِينَ بِالْقِسْطِ (۳).

و القيام بالقسط هو:الأمر بالمعروف و النهی عن المنكر.

و قال رسول اللّه-صلی اللّه عليه و آله-: «ما أعمال البر عند

ص: ۲۴۵

۱- ۱) آل عمران،الآيه:۱۱۰،۱۰۴.

۲- ۲) الأعراف،الآيه:۱۶۴.

۳- ۳) النساء،الآيه:۱۳۵،۱۱۳.

الجهاد فی سبیل اللّه إلا کنفثه فی بحر لجی،و ما جمیع أعمال البر و الجهاد فی سبیل اللّه عند الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر إلا کنفثه فی بحر لجی»

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «إیاکم و الجلوس علی الطرقات!»قالوا ما لنا بد،إنما هی مجالسنا نتحدث فیها،قال:«فإذا أبیتم إلا ذلک، فاعطوا الطریق حقه»،قالوا:و ما حق الطریق؟قال:«غض البصر و کف الأذی،و رد السلام،و الأمر بالمعروف،و النهی عن المنکر».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-: «ما بعث اللّه نبیا إلا-و له حواری، فیمکث النبی بین أظهرهم ما شاء اللّه،یعمل فیهم بکتاب اللّه و بأمره، حتی إذا قبض اللّه نبیه،مکث الحواریون یعملون بکتاب اللّه و بأمره و سنه نبیهم،فإذا انقرضوا،کان من بعدهم قوم یرکبون رءوس المنابر یقولون ما یعرفون و یعملون ما ینکرون.فإذا رأیتم ذلک،فحق علی کل مؤمن جهادهم بیده،فإن لم یستطع فبلسانه،فإن لم یستطع فبقلبه.و لیس وراء ذلک إسلام» (۱).

و قال أمیر المؤمنین-علیه السلام-: «إن من رأی عدوانا یعمل به و منکرا یدعی إلیه فأنکره بقلبه،فقد سلم و بریء و من أنکره بلسانه فقد أجر،و هو أفضل من صاحبه،و من أنکره بالسیف لتکون کلمه اللّه العلیا و کلمه الظالمین السفلی،فذلک الذی أصاب سبیل الهدی و قام علی الطریق،و نور فی قلبه الیقین» (۲).

و قال-علیه السلام- «فمنهم المنکر للمنکر بقلبه و لسانه و یده،فذلک المستکمل لخصال الخیر و منهم المنکر بلسانه و قلبه،التارک بیده،فذلک متمسک بخصلتین من

۱- ۱) صححنا هذه النبویات الثلاثه علی(إحیاء العلوم):۲-۲۷۲،۲۷۱.

۲- ۲) صححنا الحدیث علی(المستدرک):کتاب الأمر بالمعروف،الباب ۳ و علی(الوسائل):کتاب الأمر بالمعروف،الباب ۳.و کذا الحدیث بعده، صححناه علی(الوسائل)فی الموضع المذکور.

خصال الخیر و مضیع خصله.و منهم المنکر بقلبه،و التارک بیده و لسانه، فذلک الذی ضیع أشرف الخصلتین من الثلاث و تمسک بواحده.و منهم تارک لإنکار المنکر بلسانه و قلبه و یده،فذلک میت الأحیاء.و ما أعمال البر کلها و الجهاد فی سبیل اللّه عند الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر إلا کنفثه فی بحر لجی،و إن الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر لا یقربان من أجل و لا ینقصان من رزق،و أفضل من ذلک کلمه عدل عند إمام جائر»

و فی خبر جابر عن الباقر-علیه السلام-: «إن الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر سبیل الأنبیاء و منهاج الصلحاء،فریضه عظیمه،بها تقام الفرائض و تأمن المذاهب،و تحل المکاسب،و ترد المظالم،و تعمر الأرض و ینتصف من الأعداء،و یستقیم الأمر.فأنکروا بقلوبکم،و ألفظوا بألسنتکم،و صکوا بها جباههم،و لا تخافوا فی اللّه لومه لائم.فإن اتعظوا و إلی الحق رجعوا فلا سبیل علیهم:

إِنَّمَا السَّبِیلُ عَلَی الَّذِینَ یَظْلِمُونَ النّٰاسَ وَ یَبْغُونَ فِی الْأَرْضِ بِغَیْرِ الْحَقِّ أُولٰئِکَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِیمٌ

(۱)

.

هنالک فجاهدوهم بأبدانکم،و أبغضوهم بقلوبکم،غیر طالبین سلطانا و لا باغین مالا،و لا مریدین لظلم ظفرا،حتی یفیئوا إلی أمر اللّه و یمضوا علی طاعته» (۲).

۱- ۱) الشوری،الآیه:۴۲.

۲- ۲) صححنا الحدیث علی(فروع الکافی):کتاب الجهاد،باب الأمر بالمعروف.

فصل وجوب الأمر بالمعروف و شروطه

مقتضى الآيات و الأخبار المذكوره،وجوب الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر.و لا خلاف فيه أيضا،إنما الخلاف فى كون وجوبهما كفائيا أو عينيا.و الحق الأول،كما يأتى.

ثم الواجب إنما هو الأمر بالواجب و النهى عن الحرام.و أما الأمر بالمندوب و النهى عن المكروه فمندوب،و إنما يجب بشروط أربعه:

الأول-العلم بكونهما معروفا و منكرا،ليأمن من الغلط،فلا يجبان فى المتشابه،فمن علم بالقطع الوجوب أو الحرمه،و عدم جواز الاختلاف فيه من ضروره الدين أو المذهب أو الإجماع القطعى النظرى أو الكتاب و السنه أو من قول العلماء،فله أن يأمر و ينهى و يحتسب به على كل أحد و من لم يعلمها بالقطع،بل علمها بالظن الحاصل من الاجتهاد أو التقليد و جوز الاختلاف فيه،فليس له الأمر و النهى و الحسبه،إلا على من كان على هذا الاعتقاد من مجتهد أو مقلد،أو لزم عليه أن يكون هذا الاعتقاد و إن لم يكن عليه بالفعل للجهل،كالمقلد المطلق لمجتهد إذا لم يعلم بعض العقائد الاجتهاديه لمجتهده،فيتأتى لغيره إن يحتسب به عليه.و حاصل ما ذكر:أن القطعيات الوفاقيه تأتى لكل أحد أن يحتسب بها على كل أحد بعد علمها و غير القطعيات الجائز فيها الاختلاف و المرجح أحد طرفيها لاجتهاد لا يتأتى لمجتهدها و مقلده فيها الاحتساب،أى الأمر و النهى،إلا على من كان موافقا فى الاعتقاد أو يلزم أن يكون موافقا.

الثانى-تجويز التأثير.فلو علم أو غلب على ظنه أنه لا يؤثر فيه، لم يجب،لعدم الفائده.

الثالث-القدره و التمكن منه،و عدم تضمنه مفسده.فلو ظن توجه الضرر إليه أو إلى أحد من المسلمين بسببه سقط،إذ لا ضرر و لا ضرار فى الدين.

الرابع-أن يكون المأمور أو المنهى مصرا على الاستمرار.فلو ظهر منهما أماره الإقلاع سقط،للزوم العبث.

ثم هذه الشروط يختلف اشتراطها بسبب اختلاف درجات الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر،كما يأتى.و يدل على اشتراط الثلاثه الأول

ما روى: «أنه سئل مولانا الصادق-عليه السلام-:أن الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر أ واجب على الأمه جميعا؟فقال:لا.فقيل له:و لم؟ قال:إنما هو على القوى المطاع،العالم بالمعروف من المنكر،لا على الضعيف الذى لا يهتدى سبيلا إلى أى من أى يقول من الحق إلى الباطل.

و الدليل على ذلك من كتاب اللّه عز و جل،قوله:

وَ لْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

(۱)

.

فهذا خاص غير عام،كما قال اللّه عز و جل:

وَ مِنْ قَوْمِ مُوسىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَعْدِلُونَ

(۲)

.

و لم يقل على أمه موسى،و لا على كل قوم،و هم يومئذ أمم مختلفه و الأمه واحد فصاعدا،كما قال اللّه عز و جل: إِنَّ إِبْرٰاهِيمَ كٰانَ أُمَّةً قٰانِتاً لِلّٰهِ يقول مطيعا للّه عز و جل.و ليس على من يعلم ذلك فى هذه

۱- ۱) آل عمران،الآيه:۱۰۴.

۲- ۲) الأعراف،الآيه:۱۵۸.

الهدنه من حرج،إذا كان لا قوه له و لا عذر و لا طاقه».

قال مسعده «سمعت أبا عبد اللّه-عليه السلام- و سئل عن الحديث الذى جاء عن النبى صلى اللّه عليه و آله:(إن أفضل الجهاد كلمه عدل عند إمام جائر) ما معناه-قال:هذا على أن يأمره بعد معرفته،و هو مع ذلك يقبل منه و إلا فلا».و فى خبر آخر:«إنما يؤمر بالمعروف و ينهى عن المنكر مؤمن فيتعظ أو جاهل فيتعلم.فأما صاحب سوط أو سيف فلا».

و فى خبر آخر: «من تعرض لسلطان جائر و أصابته بليه،لم يؤجر عليها و لم يرزق الصبر عليها» (۱). و من الشرائط أن يظهر المنكر على المحتسب من غير تجسس،فلا يجب،بل لا يجوز التجسس،كفتح الباب المغلق، و وضع الأذن و الأنف لاحتباس الصوت و الريح،و طلب إرائه ما تحت الثوب و أمثال ذلك،لنص الكتاب و السنه.

فصل عدم اشتراط العداله فيه

لا تشترط فيه العداله و ائتمار الآمر بما يأمر به و انتهاء الناهى عما ينهى عنه،لإطلاق الأدله،و لأن الواجب على فاعل الحرام المشاهد فعله من غيره أمران:تركه و إنكاره،و لا يسقط بترك أحدهما وجوب الآخر، كيف و لو شرط ذلك لاقتضى عدم وجوب ذلك إلا على المعصوم،فينسد باب الحسبه بالكليه.

۱- ۱) صححنا الأحاديث على(فروع الكافى):باب الأمر بالمعروف،و باب إنكار المنكر بالقلب.اسقط المؤلف من الحديث الأول قسما فأكملناه.

و أما الإنكار فی قوله تعالی:

أَ تَأْمُرُونَ النّٰاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَکُمْ

(۱)

.و قوله تعالی: لِمَ تَقُولُونَ مٰا لاٰ تَفْعَلُونَ؟ کَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللّٰهِ أَنْ تَقُولُوا مٰا لاٰ تَفْعَلُونَ (۲).

و ما فی حدیث الأسری من قرض مقاریضهم بالنار،فانما هو علی عدم العمل بما یأمر به و یقوله،لا علی الأمر و القول.و کذلک ما روی:

«أن اللّه تعالی أوحی إلی عیسی:عظ نفسک،فان اتعظت فعظ الناس و إلا فاستحی منی» (۳).و قس علی ذلک جمیع ما ورد من هذا القبیل.

و ما قیل إن هدایه الغیر فرع الاهتداء،و تقویم الغیر فرع الاستقامه ففیه أن الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر تاره یکون بالوعظ و تاره بالقهر و من لم یکن مهتدیا مستقیما،تسقط عنه الحسبه بالوعظ،لعلم الناس بفسقه فلا یتضمن وعظه و کلامه فائده،و لا یؤثر فی العالم بفسقه،و لا یخرج ذلک وعظه و قوله عن الجواز،کما لا تخرج حسبته القهریه عن التأثیر و الفائده أیضا.إذ الفاسق إذا منع غیره قهرا عن الزنا و اللواط و شرب الخمر، و اراق الخمور،و کسر آلات الملاهی،حصل التأثیر و الفائده بلا شبهه

۱- ۱) البقره،الآیه:۴۴.

۲- ۲) الصف،الآیه:۲-۳.

۳- ۳) صححنا الأحادیث کلها علی(فروع الکافی):باب الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر.و علی(الوسائل):کتاب الأمر بالمعروف.و علی(المستدرک) ۲-۳۶۰،کتاب الامر بالمعروف و النهی عن المنکر.

و الحاصل:أن أحد نوعی الاحتساب-اعنی الوعظی-یتوقف تأثیره علی العداله،و أما نوعه الآخر-أعنی القهری-فلا یتوقف علیه مطلقا.

فان قیل:اذا أتی رجل امرأه إکراها،و هی مستوره الوجه، فکشف وجهها باختیارها،فما اشنع و أقبح أن ینهاها الرجل فی أثناء الزنا عن کشف وجهها،و یقول لها:أنت مکرهه فی الزنا و مختاره فی کشف الوجه لغیر المحرم،و ما أنا بمحرم لک،فاستری وجهک.

قلنا:القبح و الاستنکار إنما هو لأجل أنه ترک الاهم و اشتغل بما هو الاهون،کما إذا ترک المشتبه و أکل الحرام،أو ترک الغیبه و شهد بالزور لا لأن هذا النهی هو حرام فی نفسه،أو خرج عن الوجوب إلی الاباحه أو الکراهه.و لأن نهیه هذا خرج بفسقه عن التأثیر و الفائده،فالاستنکار علیه و تقبیح نهیه عن هذا من حیث إنه نزل نفسه مقام من یؤثر قوله، مع أنه لا یؤثر،کما تقدم آنفا.

ثم ما ذکرناه من عدم اشتراط العداله فی العمل بما یأمر به و ینهی عنه إنما هو فی آحاد الحسبه الصادره من أفراد الرعیه المطلعین علی المنکر.و أما من نصب نفسه لا صلاح الناس و نصحهم،و بیان الاحکام الإلهیه نیابه عن رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-و الأئمه المعصومین-علیهم السلام- فلا بد فیه من العداله و التقوی و العلم بالکتاب و السنه،و غیر ذلک من شرائط الاجتهاد.و علی هذا یحصل جواب آخر عن الآیات و الاخبار الوارده فی الإنکار علی الواعظ غیر المتعظ بتخصیصها به دون افراد الرعیه.و علیه یحمل قول الصادق-علیه السلام-فی(مصباح الشریعه) (۱):«من لم ینسلخ عن هواجسه،و لم یتخلص من آفات نفسه و شهواتها،و لم یهزم

۱- ۱) الباب ۶۴ و قد صححنا الحدیث علیه و علی(بحار الأنوار):۲۱-۱۱۴ باب الأمر المعروف.و علی(مستدرک الوسائل):۲-۳۶۳-۳۶۵.

الشیطان،و لم یدخل فی کنف اللّه و أمان عصمته،لا یصلح له الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر،لأنه إذا لم یکن بهذه الصفه،فکلما أظهر أمرا کان حجه علیه،و لا ینتفع الناس به.قال اللّه عز و جل:

أَ تَأْمُرُونَ النّٰاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَکُمْ

(۱)

.

و یقال له:یا خائن!أ تطالب خلقی بما خنت به نفسک و أرخیت عنه عنانک!». و کذا یحمل علیه قول الصادق-علیه السلام- (۲):

«صاحب الامر بالمعروف یحتاج إلی أن یکون عالما بالحلال و الحرام، فارغا من خاصه نفسه مما یأمرهم به و ینهاهم عنه،ناصحا للخلق،رحیما لهم،رفیقا بهم،داعیا لهم باللطف و حسن البیان،عارفا بتفاوت اخلاقهم لینزل کلا منزلته،بصیرا بمکر النفس و مکائد الشیطان،صابرا علی ما یلحقه لا یکافیهم بها و لا یشکو منهم،و لا یستعمل الحمیه و لا یغتلظ لنفسه، مجردا نیته للّه،مستعینا به و مبتغیا لوجهه،فان خالفوه و جفوه صبر،و إن وافقوه و قبلوا منه شکر،مفوضا أمره إلی اللّه،ناظرا إلی عیبه».

(تنبیه)اعلم أن المحتسب علیه-أعنی من یؤمر به أو ینهی عنه- و ان اشترط کونه عاقلا بالغا،إلا أن هذا الشرط إنما هو فی غالب الأوامر و النواهی،و بعضها لا یشترط فیه ذلک.إذ من رأی صبیا أو مجنونا یشرب الخمر،وجب علیه أن یمنعه و یریق خمره.و کذا إن رأی مجنونا یزنی بمجنونه أو بهیمه،فعلیه أن یمنعه منه،و لا یلزم منه أن یکون منع بهیمه عن افساد زرع انسان حسبه و نهیا عن منکر،إذ لا یصدق اسم المحتسب علیه و المنهی إلا علی من کان الفعل الممنوع عنه فی حقه منکرا و هو لا یکون الا الإنسان دون سائر الحیوانات.

۱- ۱) البقره،الآیه:۴۴.

۲- ۲) (مصباح الشریعه):الباب المتقدم.

فصل مراتب الأمر بالمعروف

اعلم أن للامر بالمعروف و النهى عن المنكر مراتب:

الأولى-الإنكار بالقلب:بأن يبغضه على ارتكاب المعصيه.و هذا مشروط بعلم الناهى و اصرار المنهى،و لا يشترط بالشرطين الأخيرين.

الثانيه-التعريف:بأن يعرف المرتكب للمنكر بأنه معصيه،فان بعض الناس قد يرتكب بعض المعاصى لجهلهم بأنه معصيه،و لو عرف كونه معصيه تركه.

الثالثه-إظهار الكراهه و الإعراض و المهاجره.

الرابعه-الإنكار باللسان:بالوعظ،و النصح،و التخويف، و الزجر،مرتبا الأيسر فالأيسر،الى أن يصل إلى التعنيف بالقول و التغليظ فى الكلام،كقوله:يا جاهل!يا أحمق!لا تخالف ربك!و ههنا شبكه عظيمه للشيطان،ربما يصطاد بها أكثر الوعاظ.فينبغى لكل عالم ناصح أن يراها بنور البصيره،و هى أن يحضره عند الوعظ و الإرشاد،و يلقى فى قلبه تعززه و شرافته بالعلم،و ذله من يعظه بالجهل و الخسه.فربما يقصد بالتعريف و الوعظ الاذلال و التجهيل،و إظهار شرف نفسه بالعلم،و هذه آفه عظيمه تتضمن كبرا و رياء.و ينبغى لكل واعظ دين ألا يغفل عن ذلك،و يعرف بنور بصيرته عيوب نفسه و قبح سريرته.و علامه براءه نفسه من هذه الآفه،أن يكون اتعاظ ذلك العاصى بوعظ غيره أو امتناعه من المعصيه بنفسه أحب إليه من اتعاظه بوعظه.

الخامسه-المنع بالقهر مباشره،ككسر آلات اللهو،و اراقه الخمر و استلاب الثوب المغصوب منه و رده إلى صاحبه،و أمثال ذلك.

السادسه-التهدید و التخویف:کقوله:دع عنک هذا،و إلا ضربتک أو کسرت رأسک!أو غیر ذلک مما یجوز له أن یفعل لو لم ینته عن معصیته.و لا یجوز أن یهدده بما لا یجوز فعله،کقوله:دع هذا و إلا أضرب عنقک!أو أضرب ولدک،أو استبین زوجتک،و أمثال ذلک.

السابعه-مباشره الضرب بالید و الرجل و غیر ذلک،من دون ان ینتهی إلی شهر سلاح و جراح.

الثامنه-الجرح بشهر بعض الأسلحه.و جوزه سیدنا المرتضی -رضی اللّه عنه-من أصحابنا و جماعه،و الباقون اشترطوا إذن الامام فی ذلک،إذ ربما لا یقدر علیه بنفسه،و یحتاج فیه إلی اعوان و أنصار یشهرون السلاح،و ربما یستمد الفاسق أیضا باعوانه،فیؤدی إلی المقاتله و المحاربه و حدوث فتنه عظیمه.

فصل معنی وجوبهما کفائیا

اذا اجتمعت الشرائط،و کان المطلع منفردا،تعین علیه.و إن کان ثمه غیره،و شرع أحدهما فی الأمر و النهی،فان ظن الآخر ان لمشارکته اثرا فی تعجیل ترتب الأثر و رسوخ الانزجار،وجب علیه أیضا،و إلا فلا.لأن الغرض وقوع المعروف و ارتفاع المنکر،فمتی حصلا بفعل واحد،کان السعی من الآخر عبثا.و هذا معنی کون وجوبهما کفائیا.

فصل ما ينبغى فى الآمر بالمعروف و الناهى عن المنكر

ينبغى لكل من الآمر بالمعروف و الناهى عن المنكر أن يكون حسن الخلق،صابرا حليما قويا فى نفسه،لئلا ينزعج،و لا يضطرب إذا قيل فى حقه ما لا يليق به.فان أكثر الناس اتباع الهوى،فإذا نهوا عما يميلون اليه شق ذلك عليهم،فربما اطلقوا ألسنتهم فى حق الناهى،و يقولون فيه ما لا يليق بشأنه،و ربما تجاوزوا إلى سوء الأدب قولا و فعلا بالمشافهه.

و أن يكون رفيقا بالناس،فان الوعظ بالرفق و الملاءمه أوقع و أشد تأثيرا فى قلوب أكثر الناس.

و أن يكون قاطعا للطمع عن الناس،فان الطامع من الناس فى أموالهم أو إطلاق ألسنتهم بالثناء عليه لا يقدر على الحسبه،و لذا نقل:«أن بعض المشايخ كان له سنور،و كان يأخذ من قصاب فى جواره كل يوم شيئا من القد لسنوره،فرأى على القصاب منكرا،فدخل الدار أولا،و اخرج السنور،ثم جاء و وعظ القصاب و شدد عليه القول،فقال القصاب لا يأكل سنورك شيئا بعد ذلك،فقال:ما احتسبت عليك إلا بعد إخراج السنور و قطع الطمع عنك!».

تتميم أنواع المنكرات

اعلم أن المنكرات إما محظوره أو مكروهه،و المألوفه منها فى العادات أكثر من أن تحصى.

فمنها-ما يكون غالبا فى المساجد:كاساءه الصلاه،و الاخلال ببعض أفعالها،و التأخير عن اوقاتها،و إدخال النجاسه فيها،و التكلم فيها بامور الدنيا و البيع و الشراء،و دخول الصبيان و المجانين فيها مع اشتغالهم باللهو و اللعب،و قراءه القرآن فيها باللحن أو الغناء،و دخول النسوان فيها مع ظن تطرق الريبه،و نظر الأجانب إليهن أو نظرهن إليهم،و دخول الجنب أو الحائض فيها،و تغنى المؤذنين بالأذان أو غيره مما يقرؤن، و تقديمهم الأذان على الوقت،و وعظ من لا ينبغى أن يتمكن من الموعظه كمن يكذب فى حديثه أو يفتى بالمسائل و ليس أهلا لها،أو يظهر من وعظه كونه مرائيا طالبا للجاه،و أمثال ذلك.فان كل ذلك من المنكرات بعضها محظوره و بعضها مكروهه،ينبغى لكل مطلع ان ينهى عنها.

و منها-ما يكون غالبا فى الأسواق:من الكذب فى المحاولات و المعاملات و إخفاء العيب،و الايمان الكاذبه،و المنازعه بالضرب و الشتم و الطعن و اللعن و أمثال ذلك،و التبخس فى الكيل و الميزان،و المعاملات الفاسده باقسامها على ما هو مقرر فى الفقهيات.

و منها-ما يكون فى الشوارع:كوضع الاساطين،و بناء الدكات متصله بالابنيه المملوكه،و تضيق الطرق على الماره بوضع الأطعمه و الاحطاب و ربط الدواب فيها،و سوق الدواب فيها و عليها الاشواك و النجاسات- اذا تأذى الناس منها و امكن العدول بها إلى موضع واسع،و إن لم يمكن فلا منع،اذ حاجه أهل البلد ربما تمس إلى ذلك-و تحميل الدواب ما لا يطيقها من الحمل،و ذبح القصاب على الطريق أو على باب دكانه بحيث تلوث الطريق بالدم،و طرح الكناسه على جواد الطريق،و رش الماء على الطرق بحيث يخشى منه الزلق و السقوط،و إرسال الماء من الميازيب المخرجه من الحائط إلى الطرق الضيقه،و غير ذلك.و قس على ذلك

منكرات الحمـات،و الخانـات،و الأـسواق،و مجـالس العـامه،و مجـامع القضـاه و مـدارس الفقهـاء،و رباطـات الصـوفيه،و دواوين السلاطين،و غيرها.

فـان أمثـال مـا ذكر من المنكرات يجب أن ينهى عنهـا،فلو قام بالاحتساب و النهى عنها أحـد سـقط الحرج على البواقى،و إلا عم الحرج أهل البلد جميعا.و أمثال ما ذكر إنما هو من المنكرات اليسيره الجزئيه.

و أمـا المنكرات العظيمه:من البـدعه فى الـدين،و القتـل،و الظلم، و الزنـا،و اللـواط،و شـرب الخمر،و أنواع الغنـاء،و النظر إلى غير المحـارم و أكـل الحرام،و الصـلاه فى الامـاكن المغصوبه،و الوضوء و الغسل من المياه المحرمه،و التصـرف فى أموال الأوقاف و غصـبها،و المعـامله مع الظـالمين و الجهـل فى الأـصول الاعتقاديه و الفروع الواجبه،و آفات اللسان،فلا يمكن حصـرها لكثرتها،لا سيما فى أمثال زماننا.فلو امكن لمؤمن دين أن يغير هـذه المنكرات كلا أو بعضا بالاحتساب،فليس له أن يقعـد فى بيته، بل يجب عليه الخروج للنهى و التعليم.بـل ينبغى لكـل مسـلم أن يبـدأ بنفسه فيصـلحها بالمواظبه على الطاعات و ترک المحرمات،ثم يعلم ذلک أهله و أقاربه ثم يتعدى بعد الفراغ منهم إلى جيرانه،ثم إلى أهل محلته،ثم أهل بلده، ثم أهل السواد المكتنف بلده،ثم إلى غيرهم،و هكذا الاقرب فالأقرب الى اقصى العالم.فان قام به الادنى سقط عن الابعد،و إلا لزم الحرج على كل قادر عليه،قريبا كان أو بعيـدا.و لا يسـقط الحرج ما دام يبقى على وجه الأرض جاهل يعرض عن فروض دينه و هو قادر على أن يسـعى إليه بنفسه أو بغيره فيعلمه فريضه.و هـذا شـغل شاغـل لمن يهمه أمر دينه يشـغله عن سـائر المشاغل.إلاـ أن إعراض النـاس عن أمـور دينهم فى عصرنا لم يبلغ حدا يقبل الإصلاح،الى ان تتعلق به مشيئه اللّه،فينهض بعض عباده السعداء الأقوياء،فيدفع هذه الوصمه،و يسد هذه الثلمه،و يتلافى هذه الفتره.

و منها:

اشاره

الهجره و التباعد

و لا ريب فى كونه من نتائج العداوه و الحقد،أو الحسد أو البخل فيكون من رذائل قوه الغضب أو الشهوه.و هو من ذمائم الأفعال.قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:«أيما مسلمين تهاجرا،فمكثا ثلاثا لا يصطلحان،إلا كانا خارجين من الإسلام،و لم يكن بينهما ولايه.فأيهما سبق الكلام لأخيه،كان السابق إلى الجنه يوم الحساب».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث..»و قال الصادق-عليه السلام-:«لا يفترق رجلان على الهجران،إلا استوجب أحدهما البراءه و اللعنه،و ربما استحق ذلك كلاهما»،فقال له معتب:

جعلنى اللّه فداك!هذا للظالم،فما بال المظلوم؟!قال:«لأنه لا يدعو أخاه إلى صلته،و لا يتعامس له عن كلامه.سمعت أبى-عليه السلام- يقول:اذا تنازع اثنان،فعاد أحدهما الآخر،فليرجع المظلوم إلى صاحبه حتى يقول لصاحبه:أى أخى،انا الظالم،حتى يقطع الهجران بينه و بين صاحبه،فان اللّه تبارك و تعالى حكم عدل،يأخذ للمظلوم من الظالم».

و قال عليه السلام:«لا يزال ابليس فرحا ما اهتجر المسلمان،فإذا التقيا اصطكت ركبتاه و تخلعت أوصاله،و نادى:يا ويله!ما لقى من الثبور» و قال الباقر عليه السلام:«إن الشيطان يغرى بين المؤمنين ما لم يرجع أحدهم عن دينه،فإذا فعلوا ذلك استلقى على قفاه و تمدد،ثم قال:

فزت.فرحم اللّه امرأ الف بين وليين لنا.يا معشر المؤمنين،تآلفوا

و تعاطفوا» (۱).و الأخبار الوارده فی ذم الهجره و التباعد کثیره.

فیجب علی کل طالب لنجاه الآخره أن یتأمل فی أمثال هـذه الأخبار ثم یتـذکر ثواب ضـد ذلک و فوائـده،أعنی التآلف و التزاور بین الاخوان بنفسه،فیحافظ نفسه من حصول الانقطاع و التباعد مع أحد اخوانه، و لو حصل ذلک کلف نفسه المبادره إلی زیارته و تألفه،حتی یغلب علی الشیطان و نفسه الاماره،و یفوز بما یرجوه المتقون من عظیم الأجر و جزیل الثواب.

فصل التزاور و التآلف

قد أشیر إلی أن ضد التباعد و الهجران هو التزاور و التآلف،و هو من ثمرات النصـیحه و المحبه،و ثوابه أکثر من أن یحصـی.عن أبی جعفر -علیه السـلام-قـال:«قـال رسول اللّه-صـلی اللّه علیه و آله-:حـدثنی جبرئیل-علیه السـلام-:أن اللّه عز و جل أهبط إلی الأـرض ملکا،فاقبل ذلک الملک یمشـی حتی وقع إلی باب علیه رجل یسـتأذن علی رب الـدار، فقال له الملک:ما حاجتک إلی رب هـذه الـدار؟قـال:أخ لی مسـلم زرته فی اللّه تبـارک و تعالی.فقـال له الملـک:مـا جـاء بـک إلاـ ذاک؟فقـال:مـا جـاء بی إلا ذاک.قال:فانی رسول اللّه إلیک،و هو یقرئک السـلام،و یقول وجبت لک الجنه.و قال الملک:إن اللّه عز و جل یقول:أیما مسـلم زار مسـلما فلیس إیـاه زار،بـل إیـای زار،و ثوابه علی الجنه» .و قـال أمیر المؤمنین-علیه السـلام-:«لقاء الاخوان مغنم جسـیم،و إن قلوا».

۱- ۱) صححنا الاخبار کلها علی(الکافی):باب الهجران.

و قال أبو جعفر الباقر عليه السلام:«إن للّه عز و جل جنه لا يدخلها إلا ثلاثه:رجل حكم على نفسه بالحق،و رجل زار أخاه المؤمن فى اللّه و رجل آثر أخاه المؤمن فى اللّه».و قال-عليه السلام-:«إن المؤمن ليخرج إلى أخيه يزوره،فيوكل اللّه عز و جل به ملكا،فيضع جناحا فى الأرض و جناحا فى السماء يظله،فإذا دخل إلى منزله،ناداه الجبار تبارك و تعالى:أيها العبد المعظم لحقى،المتبع لآثار نبيى،حق على إعظامك،سلنى اعطك،ادعنى اجبك،اسكت ابتدئك.فإذا انصرف شيعه الملك يظله بجناحه حتى يدخل إلى منزله،ثم يناديه تبارك و تعالى:

أيها العبد المعظم لحقى،حق على إكرامك،قد أوجبت لك جنتى، و شفعتك فى عبادى». و قال-عليه السلام-:«أيما مؤمن خرج إلى أخيه يزوره عارفا بحقه و كتب اللّه له بكل خطوه حسنه،و محيت عنه سيئه،و رفعت له درجه،فإذا طرق الباب فتحت له ابواب السماء، فإذا التقيا و تصافحا و تعانقا،أقبل اللّه عليهما بوجهه،ثم باهى بهما الملائكه فيقول:انظروا إلى عبدى تزاورا و تحابا فى،حق على ألا أعذبهما بالنار بعد ذا الموقف.فإذا انصرف شيعه ملائكه عدد نفسه و خطاه و كلامه، يحفظونه عن بلاء الدنيا و بوائق الآخره إلى مثل تلك الليله من قابل،فان مات فيما بينهما اعفى من الحساب،و ان كان المزور يعرف من حق الزائر ما عرفه الزائر من حق المزور كان له مثل أجره».

و قال الصادق-عليه السلام-:«من زار أخاه للّه لا لغيره، التماس موعد اللّه و تنجز ما عند اللّه،و كل اللّه به سبعين الف ملك ينادونه ألا طبت و طابت لك الجنه!».و قال-عليه السلام-:«من زار أخاه فى اللّه،قال اللّه عز و جل:إياى زرت،و ثوابك على،و لست أرضى لك ثوابا دون الجنه،و قال-عليه السلام-:«من زار أخاه

فی اللّه فی مرض أو صحه،لا یأتیه خداعا و لا استبدالا،و کل اللّه به سبعین الف ملک،ینادون فی قفاه:أن طبت و طابت لک الجنه!فانتم زوار اللّه،و أنتم وفد الرحمن،حتی یأتی منزله»،فقال له بشیر:جعلت فداک!فان کان المکان بعیدا؟قال:«نعم یا بشیر!و إن کان المکان مسیره سنه،فان اللّه جواد،و الملائکه کثیر،یشیعونه حتی یرجع إلی منزله».و قال-علیه السلام-:«من زار أخاه فی اللّه تعالی و للّه، جاء یوم القیامه یخطر بین قباطی من نور (۱)،لا یمر بشیء الا أضاء له حتی یقف بین یدی اللّه عز و جل،فیقول اللّه له:مرحبا!و إذا قال مرحبا،اجزل اللّه عز و جل له العطیه».و قال-علیه السلام-:«لزیاره مؤمن فی اللّه خیر من عتق عشر رقاب مؤمنات،و من أعتق رقبه مؤمنه وقی بکل عضو عضوا من النار،حتی أن الفرج بقی الفرج».و قال -علیه السلام-لأبی خدیجه:«کم بینک و بین البصره؟»قال:فی الماء خمس إذا طابت الریح،و علی الظهر ثمان و نحو ذلک،فقال:

«ما أقرب هذا،تزاوروا و تعاهدوا بعضکم بعضا،فانه لا بد یوم القیامه یأتی کل انسان بشاهد شهد له علی دینه».و قال:«إن المسلم إذا رأی أخاه،کان حیاه لدینه إذا ذکر اللّه»و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«مثل الأخوین إذا التقیا مثل الیدین تغسل إحداهما الأخری، ما لقی المؤمنان قط إلا أفاد اللّه أحدهما من صاحبه خیرا».

و الأخبار الوارده بهذه المضامین کثیره.و السر فی هذا الترغیب الشدید علی تزاور المؤمنین و ملاقاتهم،کونه دافعا للحسد و العداوه،جالبا للتألیف و المحبه.و هو أعظم ما یصلح به أمر دنیاهم و عقباهم.و لذا ورد

۱- ۱) القبط-بالکسر-:أهل مصر الاصلیون و إلیهم تنسب الثیاب البیض القبطیه. و الجمع(قباطی).

الثناء و المـدح فی الآیات و الأخبار علی نفس الألفه و انقطاع الوحشه،لا سیما اذا کانت الرابطه هی التقوی و الـدین.و ورد الذم فی التفرقه و التوحش، قال اللّه سبحانه فی مقام الامتنان علی المؤمنین بنعمه الألفه:

لَوْ أَنْفَقْتَ مٰا فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً مٰا أَلَّفْتَ بَیْنَ قُلُوبِهِمْ وَ لٰکِنَّ اللّٰهَ أَلَّفَ بَیْنَهُمْ

(۱)

.و قال: فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوٰاناً :أی بنعمه الألفه.و قال سبحانه: وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّٰهِ جَمِیعاً وَ لاٰ تَفَرَّقُوا (۲).

و قـال رسول اللّه-صـلی اللّه علیه و آله-:«المؤمن إلف مألوف و لا خیر فی من لا یألف و لا یؤلف».و هـذا هو السر فی الترغیب علی التسلیم و المصافحه و المعانقه.قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:

«أولی النـاس بـاللّه و برسوله من بـدأ بالسـلام».و قـال أمیر المؤمنین-علیه السـلام-:«لا تغضـبوا و لا تقبضوا،افشوا السـلام،و اطیبوا الکلام، و صـلوا باللیـل و النـاس نیام،تـدخلوا الجنه بسـلام». و قال الباقر-علیه السـلام-:«إن اللّه یحب إفشاء السـلام».و قال-علیه السلام-:

«من التواضع أن تسلم علی من لقیت». و قـال الصـادق-علیه السـلام- «تصافحوا،فانها تـذهب بالسـخیمه».و قال:«مصافحه المؤمن أفضل من مصافحه الملائکه».و قال الباقر علیه السلام:«إن المؤمنین إذا

ص:۲۶۳

۱- ۱) الانفال،الآیه:۶۳.

۲- ۲) آل عمران،الآیه:۱۰۳.

التقيا فتصافحا.ادخل اللّه تعالى يده بين أيديهما،و أقبل بوجهه على أشدهما حبا لصاحبه.فإذا أقبل اللّه تعالى بوجهه عليهما،تحاتت عنهما الذنوب كما تتحاتت الورق من الشجر».و قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله:«اذا لقى أحدكم أخاه فليسلم و ليصافحه،فان اللّه تعالى أكرم بذلك الملائكه فاصنعوا صنع الملائكه».و قال الصادق-عليه السلام-:«إن المؤمنين اذا اعتنقا غمرتهما الرحمه،فإذا التزما لا يريد ان بذلك إلا وجه اللّه و لا يريد ان غرضا من اغراض الدنيا،قيل لهما:مغفورا لكما فاستأنفا، فإذا اقبلا على الماء،قالت الملائكه بعضها لبعض:تنحوا عنهما،فان لهما سرا و قد ستر اللّه عليهما» (۱)

و منها:

اشاره

قطع الرحم

و هو إيذاء ذوى اللحمه و القرابه،أو عدم مواساتهم بما ناله من الرفاهيه و الثروه و الخيرات الدنيويه،مع احتياجهم إليه.و باعثه إما العداوه أو البخل و الخسه،فهو من رذائل القوه الغضبيه أو الشهويه،و لا ريب فى كونه من أعم المهلكات المفسده للدنيا و الدين،قال اللّه سبحانه.

وَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثاقِهِ وَ يَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولئِكَ

ص:۲۶۴

۱- ۱) صححنا الأحاديث كلها على(الكافى):باب زياره الإخوان،و باب المصافحه،و باب المعانقه و على(سفينه البحار):۱-۵۶۷.

لَهُمُ اللَّعْنَهُ وَ لَهُمْ سُوءُ الدّٰارِ

(۱)

.

و قـال رسـول اللّه-صـلی اللّه علیه و آله-:«أبغض الأعمـال إلی اللّه الشـرک بـاللّه،ثم قطیعه الرحم،ثم الأـمر بـالمنکر و النهی عن المعروف» و قـال-صـلی اللّه علیه و آله-:«لاـ تقطع رحمک و إن قطعتک».و قال -صـلی اللّه علیه و آله-:«لا تقطع رحمک و إن قطعتک».و قال تعالی:

«أنا الرحمن،و هذه الرحم شـققت لها اسـما من اسـمی،فمن وصلها وصلته و من قطعها قطعته».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«حافتا الصـراط یوم القیـامه الرحم و الأمـانه،فإذا مر الوصول للرحم المؤدی للامانه نفـذ الی الجنه،و إذا مر الخائن للامانه القطوع للرحم لم ینفعهمـا معه عمل (۲)و تکفـأ به الصـراط فی النـار».و قال أمیر المؤمنین-علیه السـلام-فی خطبه «أعوذ باللّه من الـذنوب التی تعجل الفناء»،فقام إلیه عبـد اللّه بن الکوی الیشـکری،فقال:یا أمیر المؤمنین،أو تکون ذنوب تعجل الفناء؟فقال «نعم،ویلک !قطیعه الرحم.إن أهـل البیت لیجتمعون و یتواسون و هم فجره فیرزقهم اللّه،و إن أهل البیت لیتفرقون و یقطع بعضـهم بعضا فیحرمهم اللّه و هم اتقیاء». و قال-علیه السلام-:«إذا قطعوا الأرحام جعلت الأموال فی أیدی الأشرار».و قال الباقر علیه السلام-:«فی کتاب علی-صلوات اللّه علیه-:ثلاـث خصال لا یموت صاحبهن ابـدا حتی یری و بالهن:البغی،و قطیعه الرحم،و الیمین الکاذبه یبارز اللّه بها.و إن اعجل الطاعات ثوابا لصله الرحم.و ان القوم لیکونون فجارا فیتواصلون

۱- ۱) الرعد الآیه ۲۷.

۲- ۲) قال فی(الوافی):لم ینفعهما معه عمل،أی لم ینفع الخائن و لا القطوع مع الخیانه أو القطع عمل و فی نسخه من(الکافی):لم ینفعه معهما.

فتنمى أموالهم و يثرون.و إن اليمين الكاذبه و قطيعه الرحم لتذران الديار بلاقع من أهلها.و تنقل الرحم،و إن نقل الرحم انقطاع النسل».و قال -عليه السلام-:«اتقوا الحالقه (۱)،فانها تميت الرجال»،قيل:

و ما الحالقه؟قال:«قطيعه الرحم».و جاء رجل إليه،فشكى أقاربه فقال له:«اكظم و افعل»،فقال:انهم يفعلون و يفعلون،فقال:

«أ تريد أن تكون مثلهم فلا ينظر اللّه إليكم؟» (۲). و كتب أمير المؤمنين -عليه السلام-الى بعض عماله:«مروا الأقارب أن يتزاوروا و لا يتجاوروا» (۳)،و ذلك لأن التجاور يورث التزاحم على الحقوق،و ذلك ربما يورث التحاسد و التباغض و قطيعه الرحم،كما هو مشاهد فى أكثر أبناء عصرنا،و ليس الخبر كالمعاينه،و إذا لم يتجاوروا و تزاحمت (۴)ديارهم كان أقرب إلى التحابب،كما قيل بالفارسيه:«دورى و دوستى» (۵).

وصل ضد قطيعه الرحم:صله الرحم

اشاره

و هو تشريك ذوى اللحمه و القرابات بما ناله من المال و الجاه و سائر

ص: ۲۶۶

۱- ۱) قال فى(مجمع البحرين)-ماده حلق-:«و فى الحديث:اتقوا الحالقه قال بعض الشارحين:الحالقه هى الخصله التى من شأنها ان تحلق،أى تهلك و تستأصل الدين كما يستأصل الموسى الشعر».

۲- ۲) صححنا الأحاديث كلها على(أصول الكافى):باب قطيعه الرحم،و باب صله الرحم.

۳- ۳) لم نعثر على مصدر لهذا الحديث.

۴- ۴) كذا فى النسخ،و الظاهر ان الصحيح«و تباعدت».

۵- ۵) يعنى:التباعد معه التحابب.

خیرات الدنیا،و هو أعظم القربات و أفضل الطاعات،قال اللّه سبحانه:

وَ اعْبُدُوا اللّهَ وَ لا تُشْرِکُوا بِهِ شَیْئاً وَ بِالْوالِدَیْنِ إِحْساناً وَ بِذِی الْقُرْبی وَ الْیَتامی...

(۱)

.و قال: وَ اتَّقُوا اللّهَ الَّذِی تَسائَلُونَ بِهِ وَ الْأَرْحامَ إِنَّ اللّهَ کانَ عَلَیْکُمْ رَقِیباً (۲).و قال:

اَلَّذِینَ یَصِلُونَ ما أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَنْ یُوصَلَ وَ یَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَ یَخافُونَ سُوءَ الْحِسابِ -الی قوله- أُولئِکَ لَهُمْ عُقْبَی الدّارِ (۳).

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«اوصی الشاهد من أمتی و الغائب،و من فی أصلاب الرجال و ارحام النساء،الی یوم القیامه:أن یصل الرحم و إن کانت منه علی مسیره سنه،فان ذلک من الدین».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«إن اعجل الخیر ثوابا صله الرحم».

و قال:«من سره النساء فی الأجل،و الزیاده فی الرزق،فلیصل رحمه» و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«إن القوم لیکونون فجره و لا یکونون برره،فیصلون أرحامهم،فتنمی أعمالهم و تطول أعمارهم،فکیف إذا کانوا أبرارا برره».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«الصدقه بعشره» و القرض بثمانیه عشر،و صله الاخوان بعشرین،و صله الرحم بأربعه و عشرین»

۱- ۱) النساء،الآیه:۳۶.

۲- ۲) النساء،الآیه:۱.

۳- ۳) الرعد الآیه ۲۲،۲۱.

و قیل له-صلی اللّٰه علیه و آله-:«أی الناس أفضل؟فقال:اتقاهم للّٰه،و أوصلهم للرحم،و آمرهم بالمعروف،و انهاهم عن المنکر».

و قال-صلی اللّٰه علیه و آله-:«إن أهل البیت لیکونون فجارا،تنمی أموالهم و یکثر عددهم إذا وصلوا ارحامهم»و قال-صلی اللّٰه علیه و آله- «أفضل الفضائل:أن تصل من قطعک،و تعطی من حرمک،و تعفو عمن ظلمک». و قال-صلی اللّٰه علیه و آله-:«من سره أن یمد اللّٰه فی عمره،و أن یبسط فی رزقه،فلیصل رحمه،فان الرحم لها لسان یوم القیامه ذلق،تقول:یا رب،صل من وصلنی،و اقطع من قطعنی.

فالرجل لیری بسبیل خیر حتی إذا أتته الرحم التی قطعها،فتهوی به إلی أسفل قعر فی النار».

و قال أمیر المؤمنین-علیه السلام-:«صلوا أرحامکم و لو بالتسلیم یقول اللّٰه تعالی: وَ اتَّقُوا اللّٰهَ الَّذِی تَسٰائَلُونَ بِهِ وَ الْأَرْحٰامَ،إِنَّ اللّٰهَ کٰانَ عَلَیْکُمْ رَقِیباً ». و قال الباقر-علیه السلام-:«إن الرحم متعلقه یوم القیامه بالعرش،تقول:اللهم صل من وصلنی و اقطع من قطعنی».

هذا تمثیل للمعقول بالمحسوس،و إثبات لحق الرحم علی أبلغ وجه،و تعلقها بالعرش کنایه عن مطالبه حقها بمشهد من اللّٰه.و قال علیه السلام:«صله الأرحام تحسن الخلق،و تسمح الکف،و تطیب النفس،و تزید فی الرزق و تنسئ فی الأجل».و قال:«صله الأرحام تزکی الأعمال،و تنمی الأموال،و تدفع البلوی،و تیسر الحساب،و تنسئ فی الأجل». و قال الصادق علیه السلام:«صله الرحم و البر لیهونان الحساب و یعصمان من الذنوب،فصلوا ارحامکم و بروا باخوانکم،و لو بحسن السلام و رد الجواب» و قال-علیه السلام-:«صله الرحم تهون الحساب یوم القیامه،و هی منسأه فی العمر،و تقی مصارع السوء».و قال-علیه السلام-:«صله

الرحم و حسن الجوار يعمران الديار و يزيدان فی الأعمار».و قال-علیه السلام-:«ما نعلم شیئا یزید فی العمر إلا صله الرحم،حتی أن الرجل یکون أجله ثلاث سنین،فیکون وصولا للرحم،فیزید اللّه فی عمره ثلاثین سنه،فیجعلها ثلاثا و ثلاثین سنه.و یکون أجله ثلاثا و ثلاثین سنه فیکون قاطعا للرحم،فینقصه اللّه تعالی ثلاثین سنه،و یجعل أجله ثلاث سنین» (۱).و الأخبار الوارده فی فضیله صله الرحم و عظم مثوباته أکثر من أن تحصی،و ما ذکرناه کاف لتنبیه الغافل.

تنبیه المراد بالرحم

المراد بالرحم الذی یحرم قطعه و تجب صلته،و لو وهب له شیء لا یجوز الرجوع عنه،هو مطلق القریب المعروف بالنسب،و إن بعدت النسبه و جاز النکاح.و المراد بقطعه أن یؤذیه بالقول أو الفعل،أو کان له شده احتیاج إلی ما یقدر علیه زیاده علی قدر حاجته،من سکنی و ملبوس و مأکول فیمنعه،أو أمکنه أن یدفع عنه ظلم ظالم و لم یفعله،أو هاجره غیظا و حقدا من دون أن یعوده إذا مرض،أو یزوره إذا قدم من سفر و أمثال ذلک.فان جمیع ذلک و أمثالها قطع للرحم.و اضدادها من دفع الأذیه،و مواساته بماله،و زیارته،و اعانته باللسان و الید و الرجل و الجاه و غیر ذلک:صله.

ص: ۲۶۹

۱- ۱) صححنا الأخبار هنا کلها علی(أصول الکافی):باب صله الرحم. و علی(سفینه البحار):۱-۵۱۴.

ثم الظاهر تحقق الواسطه بين القطع و الصله،إذ كل إحسان،و لو كان مما لا يحتاج إليه قريبه و هو محتاج إليه،يسمى صله،و عدمه لا يسمى قطعا.

و منها:

اشاره

عقوق الوالدين

و هو أشد أنواع قطيعه الرحم،إذ أخص الأرحام و أمسها ما كان بالولاده،فيتضاعف تأكد الحق فيهما،فهو كقطيعه الرحم،إما يكون ناشئا من الحقد و الغيظ،أو من البخل و حب الدنيا،فيكون من رذائل إحدى قوتى الغضب و الشهوه.ثم جميع ما يدل على ذم قطيعه الرحم يدل على ذم العقوق،و لكونه أشد أنواع القطيعه و أفظعها،وردت فى خصوص ذمه آيات و أخبار أخر كثيره،كقوله تعالى:

وَ قَضىٰ رَبُّکَ أَلاّٰ تَعْبُدُوا إِلاّٰ إِيّٰاهُ وَ بِالْوٰالِدَيْنِ إِحْسٰاناً، إِمّٰا يَبْلُغَنَّ عِنْدَکَ الْکِبَرَ أَحَدُهُمٰا أَوْ کِلاٰهُمٰا فَلاٰ تَقُلْ لَهُمٰا أُفٍّ وَ لاٰ تَنْهَرْهُمٰا وَ قُلْ لَهُمٰا قَوْلاً کَرِيماً

(١)

.

و قول رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:«كن بارا و اقصر على الجنه،و إن كنت عاقا فاقصر على النار». و عن أبى جعفر-عليه السلام- قال:«قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فى كلام له:إياكم و عقوق

١- ١) الاسراء،الآيه:٢٣.

الوالـدين،فـان ريـح الجنه توجـد من مسـيره الف عام،و لا يجـدها عاق، و لا قاطع رحـم،و لا شـيخ زان،و لا جار إزاره خيلاء.إنما الكبريـاء للّه رب العـالمين».و قوله صـلى اللّه عليه و آله:«من أصـبح مسـخطا لابويه،أصـبح له بابان مفتوحان إلى النار».و عن أبى جعفر-عليه السـلام- قال:«إن أبى-عليه السـلام-نظر إلى رجل و معه ابنه يمشى و الابن متكئ على ذراع الأب،فما كلمه أبى مقتا له حتى فـارق الـدنيا».و قـال الصـادق عليه السـلام:«من نظر إلى أبويه نظر مـاقت،و همـا ظالمـان له لم يقبـل اللّه له صـلاه».و قال الصـادق-عليه السـلام-:«إذا كـان يوم القيامه،كشف غطاء من أغطيه الجنه،فوجـد ريحها من كانت له روح من مسـيره خمسـمائه عام،إلا صنفا واحدا»،فقيل له:من هم؟قال:

«العاق لوالديه».و قال-عليه السـلام-:«لو علم اللّه شـيئا هو أدنى من اف لنهى عنه،و هو أدنى العقوق.و من العقوق أن ينظر الرجل إلى والديه فيحد النظر إليهما» (۱)و سـئل الكاظم عليه السلام عن الرجل يقول لبعض ولده:بأبى أنت و أمى!أو بأبوى أنت!أ ترى بذلك بأسا؟ فقال:«إن كان أبواه حيين فأرى ذلك عقوقا،و ان كانا قد ماتا فلا بأس».

و الأخبار فى ذم العقوق أكثر من تحصـى،و ورد فى بعض الأخبار القدسـيه:«بعزتى و جلالى و ارتفاع مكانى!لو أن العاق لوالديه يعمـل باعمـال الأنبياء جميعـا لم أقبلهـا منه».و روى أيضـا:«أن أول مـا كتب اللّه فى اللوح المحفوظ:إنى أنا اللّه لا إله إلا أنا،من رضى عنه والده فانا منه راض،و من سخط عليه والداه فأنا عليه ساخط».و قد ورد

---

۱ - ۱) صـحafنا الأحـاديث كلها على(أصـول الكـافى):بـاب العقـوق،و على (مسـتدرك الوسائـل):۲-۶۳۱ كتـاب النكـاح.و على(الوسائل):كتاب النكاح.

عن رسول اللّه انه قال:«كل المسلمين يرونى يوم القيامه،إلا عاق الوالدين،و شارب الخمر،و من سمع اسمى و لم يصل على».و قد ثبت من الأخبار و التجربه،أن دعاء الوالد على ولده لا يرد و يستجاب البته.

و دلت الأخبار على أن من لا ترضى عنه أمه تشتد عليه سكرات الموت و عذاب القبر.و كفى للعقوق ذما أنه ورد فى الإسرائيليات:«أنه تعالى أوحى إلى موسى:أن من بر والديه و عقنى كتبته برا،و من برنى و عق والديه كتبته عاقا».

وصل بر الوالدين

ضد العقوق(بر الوالدين)و الإحسان إليهما،و هو أفضل القربات و أشرف السعادات.و لذلك ورد ما ورد من الحث عليه،و الترغيب إليه قال اللّه سبحانه:

وَ اخْفِضْ لَهُمٰا جَنٰاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَهِ وَ قُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمٰا كَمٰا رَبَّيٰانِی صَغِیراً

(۱)

.و قال: وَ اعْبُدُوا اللّٰهَ وَ لاٰ تُشْرِكُوا بِهِ شَیْئاً وَ بِالْوٰالِدَیْنِ إِحْسٰاناً (۲).

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:بر الوالدين أفضل

۱- ۱) بنى أسرائيل،الآيه:۲۴.

۲- ۲) النساء،الآيه:۳۶.

من الصلاه و الصوم و الحج و العمره و الجهاد فی سبیل اللّه».و قال صلی علیه و آله:«من أصبح مرضیا لابویه،أصبح له بابان مفتوحان إلی الجنه».و عن أبی عبد اللّه علیه السلام قال:«إن رجلا أتی إلی النبی -صلی اللّه علیه و آله-فقال:یا رسول اللّه أوصنی.فقال:لا تشرک باللّه شیئا و إن حرقت بالنار و عذبت إلا و قلبک مطمئن بالایمان،و والدیک فأطعهما و برهما حیین کانا أو میتین و إن أمراک،أن تخرج من أهلک فافعل فان ذلک من الایمان». و عن أبی عبد اللّه علیه السلام قال:«جاء رجل و سأل النبی صلی اللّه علیه و آله عن الوالدین.فقال:ابرر أمک، ابرر أمک ابرر أمک ابرر أباک ابرر أباک ابرر أباک و بدأ بالام قبل الأب».و عن أبی عبد اللّه-علیه السلام-قال:«جاء رجل إلی النبی صلی اللّه علیه و آله فقال:یا رسول اللّه،من أبر؟قال:امک.قال ثم من؟قال:امک.قال:ثم من؟قال:امک.قال:ثم من؟ قال:أباک»و أتاه رجل آخر و قال:«إنی رجل شاب نشیط،و أحب الجهاد،ولی والده تکره ذلک.فقال له النبی-صلی اللّه علیه و آله- ارجع فکن مع والدتک،فو الذی بعثنی بالحق!لأنسها بک لیله خیر من جهاد فی سبیل اللّه سنه». و قال أبو عبد اللّه علیه السلام:«ان رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-أتته اخت له من الرضاعه،فلما نظر الیها سربها،و بسط ملحفته لها،فاجلسها علیها،ثم أقبل یحدثها و یضحک فی وجهها،ثم قامت فذهبت و جاء أخوها،فلم یصنع به ما صنع بها، فقیل له:یا رسول اللّه،صنعت باخته ما لم تصنع به و هو رجل،فقال:

لأنها کانت أبر بوالدیها منه».

و قیل للصادق-علیه السلام-:«أی الأعمال أفضل؟قال:الصلاه لوقتها،و بر الوالدین،و الجهاد فی سبیل اللّه».و قال له علیه السلام

رجل:«إن أبى قد كبر جدا و ضعف،فنحن نحمله إذا أراد الحاجه فقال:إن استطعت أن تلى ذلك منه فافعل،و لقمه بيدك،فانه جنه لك غدا».و قال له عليه السلام رجل:«إن لى أبوين مخالفين.فقال برهما كما تبر المسلمين ممن يتولانا».و قال رجل للرضا-عليه السلام- «أدعو لوالدى إذا كانا لا يعرفان الحق؟قال:ادع لهما و تصدق عنهما، و ان كانا حيين لا يعرفان الحق فدارهما،فان رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-قال:إن اللّه بعثنى بالرحمه لا- بالعقوق».و قد وردت أخبار أخر فى الأمر بالبر و الإحسان إلى الوالدين،و إن كانا على خلاف الحق و قال-عليه السلام-:«ما يمنع الرجل منكم أن يبر والديه حيين و ميتين و يصلى عنهما،و يتصدق عنهما،و يحج عنهما،و يصوم عنهما،فيكون الذى صنع لهما و له مثل ذلك،فيزيده اللّه عز و جل ببره و صلاته خيرا كثيرا» (۱).

و الأخبار فى ثواب بر الوالدين غير محصوره.فينبغى لكل مؤمن أن يكون شديد الاهتمام فى تكريمهما و تعظيمهما و احترامهما،و لا يقصر فى خدمتهما،و يحسن صحبتهما،و ألا يتركهما حتى يسألاه شيئا مما يحتاجان إليه بل يبادر إلى الإعطاء قبل أن يفتقرا إلى السؤال،كما ورد فى الأخبار، و إن أضجراه فلا يقل لهما أف،و ان ضرباه لا يعبس وجهه،و قال:غفر اللّه لكما،و لا يملأ- عينيه من النظر إليهما إلا- برحمه ورقه،و لا- يرفع صوته فوق صوتهما،و لا يده فوق ايديهما،و لا يتقدم قدامهما،بل مهما أمكن

ص: ۲۷۴

۱- ۱) صححنا الأحاديث كلها على(أصول الكافى):باب بر الوالدين و على (الوسائل):كتاب النكاح ابواب احكام العشره،باب وجوب بر الوالدين، و باب وجوب بر الوالدين برين كانا او فاجرين،و باب جمله من حقوق الوالدين و على(المستدرك)۲-۶۲۸ كتاب النكاح.

له لا يجلس عندهما،و كلما بالغ فى التذلل و التخضع كان أجره أزيد و ثوابه أعظم.

و بالجمله:اطاعتهما واجبه و طلب رضاهما حتم،فليس للولد أن يرتكب شيئا من المباحات و المستحبات بدون إذنهما،و لذا أفتى العلماء بأنه لا تجوز المسافره فى طلب العلم إلا باذنهما،إلا إذا كان فى طلب علم الفرائض من الصلاه و الصوم و أصول العقائد،و لم يكن فى بلده من يعلمه،و لو كان فى بلده من يعلمه لم تجز المسافره.و قد روى:«أن رجلا هاجر من اليمن إلى رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-و أراد الجهاد،فقال له ارجع إلى أبويك فاستأذنهما،فان إذنا فجاهد،و إلا فبرهما ما استطعت، فان ذلك خير مما كلف به بعد التوحيد»و جاء آخر إليه للجهاد،فقال «أ لك والده؟»قال:نعم!قال:«فالزمها،فان الجنه تحت قدمها» و جاء آخر،و طلب البيعه على الهجره إلى الجهاد،و قال:ما جئتك حتى أبكيت والدىّ.قال:«ارجع إليهما،فأضحكهما كما أبكيتهما».و لو وقعت بين الوالدين مخالفه،بحيث توقف رضى أحدهما على سخط الآخر فينبغى أن يجتهد فى الإصلاح بينهما بأى طريق امكن،و لو بالعرض إلى فقيه البلد حتى يطلبهما و يعظهما و يقيمهما على الوفاق،لئلا ينكسر خاطر أحدهما منه.

و اعلم أن حق كبير الأخوه على صغيرهم عظيم،فينبغى محافظته.

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:«حق كبير الأخوه على صغيرهم كحق الوالد على ولده».

ص :۲۷۵

تذنیب حق الجوار

اشاره

حق الجوار قریب من حق الرحم،إذ الجوار یقتضـی حقا وراء ما تقتضیه اخوه الإسلام،فیستحق الجار المسلم ما یستحقه کل مسلم و زیـاده فمن قصـر فی حقه عـداوه أو بخلاـ فهو آثم.قـال رسـول اللّه-صـلی اللّه علیه و آله-:«الجیران ثلاـثه:فمنهم من له ثلاـثه حقوق:حق الجوار و حق الإسـلام،و حق القرابه.و منهم من له حقان:حق الإسلام، و حق الجوار.و منهم من له حق واحد:الکافر له حق الجوار».فـانظر کیف اثبت للکـافر حق الجوار.و قال-صـلی اللّه علیه و آله-:«أحسن مجاوره من جاورک تکن مؤمنا».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«من کـان یؤمن بـاللّه و الیوم الآـخر،فلا یؤذ جاره».و قال صـلی اللّه علیه و آله:«لا إیمان لمن لم یأمن جاره بوائقه».و قیـل له-صـلی اللّه علیه و آله-:«فلانه تصوم النهار و تقوم اللیل و تتصـدق،و تؤذی جارها بلسانها.فقال صـلی اللّه علیه و آله:لا خیر فیها،هی من أهل النار».

و عن علی علیه السـلام:«إن رسول اللّه-صـلی اللّه علیه و آله-کتب بین المهـاجرین و الأنصـار و من لحق بهم من أهـل یثرب:أن الجـار کـالنفس غیر مضـار و لاـ آثم،و حرمه الجـار علی الجـار کحرمه أمه»و قال الصادق علیه السـلام-:«حسن الجوار زیاده فی الأعمـار و عمـاره فی الـدیار».و قال-علیه السـلام-:«لیس منا من لم یحسن مجاوره من جاوره».و قال-علیه السـلام-:«قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:ما آمن بی من بات شبعانا و جاره جائع».و قال:«إن یعقوب علیه السلام

لما ذهب عنه بنيامين،نادى:يا رب أ ما ترحمنى،اذهبت عينى و أذهبت ابنى؟فأوحى اللّه تبارك و تعالى إليه:لو كنت امتهما لأحييتهما لك،اجمع بينك و بينهما،و لكن تذكر الشاه التى ذبحتها و شويتها و أكلت،و فلان إلى جانبك صائم لم تنله منها شيئا».و فى روايه أخرى:«فكان بعد ذلك يعقوب ينادى مناديه كل غداه و مساء من منزله على فرسخ:ألا من أراد الغداء أو العشاء فليأت إلى يعقوب!» (۱).و فى بعض الأخبار (۲):«أن الجار الفقير يتعلق بجاره الغنى يوم القيامه،و يقول:سل يا رب هذا لم منعنى معروفه و سد بابه دونى؟».

تتميم حدود الجوار و حقه

معرفه الجوار موكوله إلى العرف،فأى دار يطلق عليها الجار عرفا يلزم مراعاه حقوق أهلها.و المستفاد من بعض الأخبار:أن كل أربعين دارا من كل واحد من الجوانب الأربعه جيران.ثم لا ينحصر حق الجار فى مجرد كف الأذى،اذ ذلك يستحقه كل أحد،بل لا بد من الرفق و إهداء الخير و المعروف،و تشريكه فيما يملكه و يحتاج إليه من المطاعم،كما ظهر من بعض الأخبار المتقدمه.و ينبغى أن يبدأه بالسلام،و لا يطيل

---

۱ - ۱) صححنا الأحاديث هنا على(أصول الكافى):باب حسن الجوار و على (المستدرك):۲-۷۸ و ۷۹ و على(الوسائل):كتاب الحج،ابواب احكام العشره،الباب ۸۵-۸۸.

۲- ۲) هذا كلام ذكره فى(احياء العلوم):۲-۱۸۹ بعد قوله:«إذ يقال».

معه الکلام،و لا یکثر عن حاله السؤال،و یعوده فی المرض،و یعزیه فی المصیبه،و یقوم معه فی العزاء،و یهنئه فی الفرح،و یصفح عن زلاته، و یستر ما اطلع علیه من عوراته،و لا یضایقه فی وضع الجذع علی جداره و لا فی صب الماء فی میزابه،و لا فی مطرح التراب فی فنائه،و لا فی المرور عن طریقه،و لا یمنعه ما یحتاج إلیه من الماعون،و یغض بصره عن حرمه،و لا یغفل عن ملاحظه داره عند غیبته،و یتلطف لأولاده فی کلمته،و یرشده إلی ما یصلحه من أمر دینه و دنیاه،و إن استعان به فی أمر أعانه،و إن استقرضه أقرضه،و لا یستطیل علیه بالبناء فیحجب عنه الریح إلا باذنه،و إذا اشتری شیئا من لذائذ المطاعم و ظرفها فلیهد له،و إن لم یفعل فلیدخلها بیته سرا،و لا یخرج بها أولاده حتی یطلع علیها بعض أولاد جاره،فیشتهیه و ینکسر لذلک خاطره.

و منها:

اشاره

طلب العثرات

و تجسس العیوب و العورات و إظهارها.و لا ریب فی کونه من نتائج العداوه و الحسد،و ربما حدث فی القوه الشهویه رداءه توجب الاهتزاز و الانبساط،من ظهور عیب بعض المسلمین،و إن لم یکن عداوه و حقدا کما قیل:

و عین الرضا عن کل عیب کلیله

و لکن عین السخط تبدی المساویا

و من تصفح الآیات و الأخبار،یعلم أن من یتبع عیوب المسلمین

ص:۲۷۸

و یظهرهما بین الناس اسوأ الناس و اخبثهم،قال اللّه تعالی:

وَ لاٰ تَجَسَّسُوا

(۱)

.و قال: إِنَّ الَّذِینَ یُحِبُّونَ أَنْ تَشِیعَ الْفٰاحِشَهُ فِی الَّذِینَ آمَنُوا لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِیمٌ (۲).

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«من أذاع فاحشه کان کمبتدئها،و من عیر مؤمنا بشیء،لم یمت حتی یرتکبه».و قال صلی اللّه علیه و آله:«کل أمتی معافی،إلا المجاهرین»،و المجاهره أن یعمل الرجل سوأ فیخبر به.و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«من استمع خبر قوم و هم له کارهون،صبت فی أذنیه الآنک یوم القیامه».و عن أبی جعفر-علیه السلام-قال:«قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله یا معشر من أسلم بلسانه و لم یسلم بقلبه!لا تتبعوا عثرات المسلمین،فانه من یتبع عثرات المسلمین یتبع اللّه عثراته،و من تتبع اللّه عثراته یفضحه».

و قال الباقر علیه السلام-:«من أقرب ما یکون العبد إلی الکفر ان یؤاخی الرجل الرجل علی الدین،فیحصی علیه زلاته لیعیره بها یوما ما».و قال الصادق-علیه السلام-:«من أنب مؤمنا أنبه اللّه عز و جل فی الدنیا و الآخره». و قیل للصادق-علیه السلام-:«شیء یقوله الناس،عوره المؤمن علی المؤمن حرام؟فقال:لیس حیث تذهب،إنما عوره المؤمن أن یراه یتکلم بکلام یعاب علیه فیحفظه علیه لیعیره به یوما إذا غضب» و قال الباقر-علیه السلام-:«قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله إن أسرع الخیر ثوابا البر،و أسرع الشر عقوبه البغی،و کفی بالمرء عیبا

ص: ۲۷۹

۱- ۱) الحجرات،الآیه:۱۲.

۲- ۲) النور،الآیه:۱۹.

أن يبصر من الناس ما يعمى عنه،و أن يعير الناس بما لا يستطيع تركه، و أن يؤذى جليسه بما لا يعنيه» (۱).و الأخبار الوارده بأمثال هذه المضامين كثيره.

وصل ستر العيوب

ضد كشف العيوب:سترها و اخفاؤها،و هو من أعظم شعب النصيحه و لا حد لثوابه،كما يستفاد من الأخبار الكثيره.قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله:«من ستر على مسلم ستره اللّه فى الدنيا و الآخره».و قال صلى اللّه عليه و آله:«لا يستر عبد عيب عبد إلا ستره اللّه يوم القيامه» و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«لا يرى امرؤ من أخيه عوره فيسترها عليه،إلا دخل الجنه». و كفى بستر العيوب فضلا أنه من أوصاف اللّه سبحانه،و من شده اعتنائه بستر الفواحش اناط ثبوت الزنا-و هو افحشها- بما لا يمكن اتفاقه إلا نادرا،و هو مشاهده أربعه عدول كالميل فى المكحله فانظر إلى أنه تعالى كيف أسبل الستر على العصاه من خلقه فى الدنيا، بتضييق الطرق المؤديه إلى كشفه.و لا تظنن أنك تحرم هذا الستر يوم تبلى السرائر،فقد ورد فى الحديث:«أن اللّه تعالى إذا ستر على عبد عورته فى الدنيا فهو أكرم من يكشفها فى الآخره،و إن كشفها فى الدنيا فهو

---

۱ - ۱) صححنا الأحاديث كلها على(أصول الكافى):باب من طلب عثرات المؤمنين و عوراتهم و على(الوسائل):ابواب احكام العشره،الباب ۱۵۰.و على (المستدرك):۲-۱۰۴.و على(البحار):۴ مج ۱۵-۱۷۵،باب تتبع عيوب الناس و افشائها.

أكرم من أن يكشفها أخرى».و ورد أيضا:«أنه يؤتى يوم القيامه بعبد يبكى،فيقول اللّه سبحانه له:لم تبكى؟فيقول:أبكى على ما سينكشف عنى من عوراتى و عيوبى عند الناس و الملائكه.فيقول اللّه:عبدى ما افتضحتك فى الدنيا بكشف عيوبك و فواحشك،و أنت تعصينى و تضحك!فكيف أفضحك اليوم بكشفها و أنت تعصينى و تبكى!». و فى خبر آخر:«أن رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-يطلب يوم القيامه من اللّه سبحانه ألا يحاسب أمته بحضره من الملائكه و الرسل و سائر الأمم،لئلا تظهر عيوبهم عندهم،بل يحاسبهم بحيث لا يطلع على معاصيهم غيره سبحانه،و سواه -صلى اللّه عليه و آله-،فيقول اللّه سبحانه:يا حبيبى،أنا أرأف بعبادى منك،فإذا كرهت كشف عيوبهم عند غيرك،فأنا أكره كشفها عندك أيضا،فاحاسبهم وحدى بحيث لا يطلع على عثراتهم غيرى».

فإذا كانت عنايه اللّه سبحانه فى ستر عيوب العباد بهذه المثابه،فأنى لك أيها المسكين المبتلى بأنواع العيوب و المعاصى،تسعى فى كشف عيوب عباد اللّه،مع أنك مثلهم فى الاتصاف بأنواع العيوب و العثرات!و تأمل أنه لو أظهر أحد بعض فواحشك عند الناس كيف يكون حالك،فقس عليه حال غيرك ممن تكشف أنت بعض فواحشه.و قد ثبت و وضح من الأخبار و التجربه:أن من يفضح يفتضح،فيا حبيبى،ترحم على نفسك و تأس بربك،فاسبل الستر على عيوب غيرك.

و منها:

اشاره

إفشاء السر

و إذاعته.و هو أعم من كشف العيب.إذ السر قد يكون عيبا و قد لا يكون بعيب،و لكن فى افشائه إيذاء و إهانه بحق الأصدقاء أو غيرهم

من المسلمين،و هو من رذائل قوه الغضب إن كان منشأه العداوه،و من رذائل قوه الشهوه إن كان منشأه تصور نفع مالى،أو مجرد اهتزاز النفس بذلك لخباثتها،و هو مذموم منهى عنه. قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله-:«إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت،فهى أمانه».و قال -صلى اللّه عليه و آله-:«الحديث بينكم أمانه».و ورد:«أن من الخيانه أن تحدث بسر أخيك».و قال عبد اللّه بن سنان للصادق-عليه السلام-:«عوره المؤمن على المؤمن حرام؟فقال:نعم!قلت:

يعنى سفلته؟قال:ليس حيث تذهب،إنما هو إذاعه سره» (۱).

فصل كتمان السر

اشاره

ضد إفشاء السر:كتمانه،و هو من الأفعال المحموده،و قد أمر به فى الأخبار.قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:«طوبى لعبد نومه، عرفه اللّه و لم يعرفه الناس،أولئك مصابيح الهدى و ينابيع العلم،تتجلى عنهم كل فتنه مظلمه،ليسوا بالمذاييع البذر،و لا الجفاه المرائين».و قال أمير المؤمنين-عليه السّلام-:«طوبى لعبد نومه،لا يؤبه له، يعرف الناس و لا يعرفه الناس،يعرفه اللّه منه برضوان،أولئك مصابيح الهدى،تنجلى عنهم كل فتنه،و يفتح لهم باب كل رحمه،ليسوا بالبذر المذاييع،و لا الجفاه المرائين».و قال أمير المؤمنين-عليه السّلام- «قولوا الخير تعرفوا به،و اعملوا الخير تكونوا من أهله،و لا تكونوا عجلا مذاييع.فان خياركم الذين إذا نظر إليهم ذكر اللّه،و شراركم المشاؤن

۱- ۱) صحجنا الأحاديث على البحار:۴-۱۷۵ مج ۱۵،باب تتبع عيوب الناس.

بالنمیمه،المفرقون بین الأحبه،المبتغون للبراء المعایب» (۱).

تنبیه النمیمه

النمیمه تطلق فی الأکثر علی أن ینم قول الغیر إلی المقول فیه،کأن یقال:فلان تکلم فیک بکذا و کذا،أو فعل فیک کذا و کذا.و علی هذا تکون نوعا خاصا من إفشاء السر و هتک الستر،و هو الذی یتضمن فسادا أو سعایه.و قد تطلق علی ما لا یختص بالمقول فیه،بل علی کشف ما یکره کشفه،سواء کره المنقول عنه أو المنقول إلیه أو کرهه ثالث، و سواء کان الکشف بالقول أو الکتابه أو بالرمز و الایماء،و سواء کان المنقول من الأعمال أو من الأقوال،و سواء کان ذلک عیبا و نقصانا علی المنقول عنه أو لم یکن.و علی هذا یکون مساویه الافشاء السر و هتک الستر و حینئذ فکل ما یری من أحوال الناس و لم یرضوا بافشائه،فإذاعته نمیمه فاللازم علی کل مسلم أن یسکت عما یطلع علیه من أحوال غیره،إلا إذا کان فی حکایته نفع لمسلم أو دفع لمعصیه.کما إذا رأی أحدا یتناول مال غیره،فعلیه أن یشهد به مراعاه لحق المشهود له،و أما إذا رآه یخفی ما لا لنفسه،فحکایته نمیمه و إفشاء للسر.

ثم الباعث علی النیمه یکون غالبا إراده السوء بالمحکی عنه،فیکون داخلا تحت الإیذاء،و ربما کان باعثه إظهار المحبه للمحکی له،أو التفریح بالحدیث،أو الخوض فی الفضول.و علی أی تقدیر،لا ریب فی أن

۱- ۱) صححنا الأحادیث کلها علی(البحار):ج ۴ مج ۱۵:باب فضل کتمان السر و علی(أصول الکافی):باب کتمان السر،و باب الروایه علی المؤمن.

النمیمه أرذل الافعال القبیحه و اشنعها.و ما ورد فی ذمها من الآیات و الأخبار لا یحصی کثره،قال اللّه سبحانه:

هَمّٰازٍ مَشّٰاءٍ بِنَمِیمٍ. مَنّٰاعٍ لِلْخَیْرِ مُعْتَدٍ أَثِیمٍ. عُتُلٍّ بَعْدَ ذٰلِکَ زَنِیمٍ

(۱)

.

و الزنیم:هو ولد الزنا.فیستفاد من الآیه:أن کل من یمشی بالنمیمه فهو ولد الزنا.و قال سبحانه:

وَیْلٌ لِکُلِّ هُمَزَهٍ لُمَزَهٍ

(۲)

.أی النمام المغتاب.

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«لا یدخل الجنه نمام» و فی خبر آخر:«لا یدخل الجنه قتات»:أی النمام.و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«احبکم إلی اللّه أحسنکم أخلاقا،الموطئون اکنافا،الذین یألفون و یؤلفون،و إن أبغضکم إلی اللّه المشاؤن بالنمیمه،المفرقون بین الأحبه،الملتمسون للبراء العثرات» (۳).و قال-صلی اللّه علیه و آله- «ألا انبئکم بشرارکم؟قالوا:بلی یا رسول اللّه،قال:المشاؤن بالنمیمه، المفرقون بین الأحبه،الباغون للبراء المعایب» (۴).و قال صلی اللّه علیه

۱- ۱) القلم،الآیه:۱۱-۱۳.

۲- ۲) الهمزه،الآیه:۱.

۳- ۳) صححنا الحدیث علی(المستدرک):۱۱۱ کتاب الحج.

۴- ۴) صححنا الحدیث علی الوسائل:کتاب الحج،ابواب احکام العشره، الباب ۱۶۴.و علی(المستدرک):۱۱۰ کتاب الحج.و علی(أصول الکافی): باب النمیمه.

و آله: «من أشار على مسلم كلمه ليشينه بها فى الدنيا بغير حق،شانه اللّه فى النار يوم القيامه».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«أيما رجل أشاع على رجل كلمه و هو منها برىء ليشينه بها فى الدنيا،كان حقا على اللّه أن يدينه بها يوم القيامه فى النار».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:

«إن اللّه لما خلق الجنه قال لها:تكلمى،قالت:سعد من دخلنى.

قال الجبار جل جلاله:و عزتى و جلالى!لا يسكن فيك ثمانيه نفر من الناس لا يسكنك مدمن خمر،و لا مصر على الزنا،و لا قتات-و هو النمام-، و لا ديوث،و لا شرطى،و لا مخنث،و لا قاطع رحم،و لا الذى يقول على عهد اللّه أن أفعل كذا و كذا ثم لم يف به». و قال الباقر-عليه السلام-:«الجنه محرمه على المغتابين المشائين بالنميمه».و قال-عليه السلام-:«يحشر العبد يوم القيامه و ما ندا دما (۱)،فيدفع إليه شبه المحجمه أو فوق ذلك،فيقال له:هذا سهمك من دم فلان،فيقول:

يا رب،انك لتعلم أنك قبضتنى و ما سفكت دما،فيقول:بلى،سمعت من فلان روايه كذا و كذا فرويتها عليه،فنقلت حتى صارت إلى فلان الجبار فقتله عليها،و هذا سهمك من دمه».و قال الصادق-عليه السلام-:

«من روى على مؤمن روايه يريد بها شينه و هدم مروته ليسقط من أعين

۱- ۱) قال فى مجمع البحرين-ماده(ندا)-:«فلان ماندا دما و لا قتل قتلا:أى ما سفك دما».و قد كتبت كلمه(ندا)فى جميع ما وجدناه من الكتب بالالف،و عسى أن تكون بالياء هكذا(ندى)كرضى.و احتمل فى الوافى أن تكون(ندى)بتشديد الدال،و ذكر احتمالات كثيره،فراجعه و قد روى فى (الوسائل)-كتاب الحج،ابواب احكام العشره،الباب ۱۶۳-مثل هذا الحديث عن(الشيخ الطوسى)،و قد جاء فيه:«و ما ادمى دما».أما الحديث المذكور هنا،فقد صححناه على(أصول الكافى)باب الاذاعه.

الناس،أخرجه اللّه تعالی من ولایته إلی ولایته إلی ولایه الشیطان،و لا یقبله الشیطان» (۱). و روی:«انه أصاب بنی أسرائیل قحط،فاستسقی موسی مرات،فما أجیب.فأوحی اللّه تعالی إلیه:إنی لا استجیب لک و لمن معک و فیکم نمام قد أصر علی النمیمه.فقال موسی:یا رب،من هو حتی نخرجه من بیننا؟فقال:یا موسی،انهاکم عن النمیمه و أکون نماما؟!فتابوا باجمعهم،فسقوا»و روی:«أن ثلث عذاب القبر من النمیمه».

و من عرف حقیقه النمیمه،یعلم أن النمام شر الناس و اخبثهم،کیف و هو لا ینفک من الکذب،و الغیبه،و الغدر،و الخیانه،و الغل،و الحسد و النفاق،و الإفساد بین الناس،و الخدیعه.و قد قال اللّه سبحانه:

وَ یَقْطَعُونَ مٰا أَمَرَ اللّٰهُ بِهِ أَنْ یُوصَلَ وَ یُفْسِدُونَ فِی الْأَرْضِ

(۲)

.

و النمام یسعی فی قطع ما أمر اللّه به أن یوصل و یفسد فی الأرض.

و قال اللّه:

إِنَّمَا السَّبِیلُ عَلَی الَّذِینَ یَظْلِمُونَ النّٰاسَ وَ یَبْغُونَ فِی الْأَرْضِ بِغَیْرِ الْحَقِّ

(۳)

.و النمام منهم.

۱- ۱) صححنا الحدیث علی(الوسائل):کتاب الحج،أبواب احکام العشره الباب ۱۵۷.و علی(أصول الکافی):باب الروایه علی المؤمن.

۲- ۲) البقره،الآیه:۲۷.

۳- ۳) الشوری،الآیه:۴۰.

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:«لا يدخل الجنه قاطع»:

أى قاطع بين الناس،و النمام قاطع بينهم.و قال صلى اللّه عليه و آله:

«شر الناس من اتقاه الناس لشره».و النمام منهم،و النمام أعظم شرا من كل أحد.

نقل:أن رجلا باع عبدا،فقال للمشترى:ما فيه عيب إلا النميمه قال رضيت.فاشتراه،فمكث الغلام أياما،ثم قال لزوجه مولاه:إن زوجك لا يحبك،و هو يريد أن يتسرى عليك،و انا اسحره لك فى شعره فقالت:كيف اقدر على أخذ شعره؟فقال:اذا نام فخذى الموسى و احلقى من قفاه عند نومه شعرات.ثم قال للزوج:إن امرأتك اتخذت خليلا و تريد أن تقتلك،فتناوم لها حتى تعرف.فتناوم فجاءته المرأه بالموسى،فظن أنها تقتله،فقام و قتلها،فجاء أهلها و قتلوا الزوج، فوقع القتال بين القبيلتين،و طال الأمر بينهم.

ثم يلزم على من تحمل إليه النميمه ألا يصدق النمام،لأنه فاسق، و الفاسق مردود الشهاده بقوله تعالى:

إِنْ جٰاءَكُمْ فٰاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا

(۱)

.

و ان ينهاه عن ذلك،و ينصحه و يقبح له فعله،لقوله تعالى:

وَ أْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَ انْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ

(۲)

.

و ان يبغضه فى اللّه،لكونه مبغوضا عنده تعالى،و ألا يظن بأخيه سوأ بمجرد قوله،لقوله تعالى:

۱- ۱) الحجرات،الآيه:۶.

۲- ۲) لقمان،الآيه:۱۷.

اِجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ

(۱)

.

و ألا يحمل عمله على التجسس و البحث لتحقيق ما حكى له،لقوله تعالى:«و لا تجسسوا».و ألا يرضى لنفسه ما نهى عنه النمام،فلا يحكى نميمته،فيقول:فلان قد حكى كذا و كذا،فيكون به نماما و مغتابا.

و روى محمد بن فضيل عن الكاظم-عليه السلام-:«أنه قال له -عليه السلام-:جعلت فداك!الرجل من اخوانى يبلغنى عنه الشىء الذى اكرهه،فاسأله عنه فينكر ذلك،و قد أخبرنى عنه قوم ثقات.فقال لى:يا محمد،كذب سمعك و بصرك عن أخيك،فان شهد عندك خمسون قسامه،فقال لك قولا،فصدقه و كذبهم،و لا تذيعن عليه شيئا تشينه به و تهدم مروته،فتكون من الذين قال اللّه:

إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ (۲).

و قد روى عن أمير المؤمنين-عليه السلام-:«أن رجلا أتاه يسعى إليه برجل،فقال:يا هذا،نحن نسأل عمن قلت،فان كنت صادقا مقتناك،و إن كنت كاذبا عاقبناك،و إن شئت أن نقيلك أقلناك قال:اقلنى يا أمير المؤمنين».و نقل:«أن رجلا زار بعض الحكماء و أخبره بخبر عن غيره،فقال:قد أبطأت عنى الزياره،و بغضت إلى أخى،و شغلت قلبى الفارغ،و اتهمت نفسك الأمينه».

۱- ۱) الحجرات،الآيه:۱۲.

۲- ۲) صححنا الحديث على(الوسائل):كتاب الحج،ابواب احكام العشره الباب ۱۵۷.و الآيه من سوره النور:۱۹.

تتمه السعایه

السعایه هی النمیمه،بشرط کون المحکی له من یخاف جانبه،کالسلاطین و الأمراء و الحکماء و الرؤساء و أمثالهم،فهی أشد أنواع النمیمه إثما و معصیه و هی أیضا تکون من العداوه و من حب المال و طمعه،فتکون من رداءه القوتین و خباثتهما.قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«الساعی بالناس إلی الناس لغیر رشده».یعنی لیس ولد حلال.و ذکرت السعاه عند بعض الأکابر،فقال:ما ظنک بقوم یحمد الصدق من کل طبقه إلا منهم!

و منها:

اشاره

الافساد بین الناس

و هو فی الأکثر یحصل بالنمیمه،و إن لم یوجب کل نمیمه افسادا.

و لا ریب فی کونه من المهلکات المؤدیه إلی النار،قال اللّه سبحانه:

اَلَّذِینَ یَنْقُضُونَ عَهْدَ اللّٰهِ مِنْ بَعْدِ مِیثٰاقِهِ وَ یَقْطَعُونَ مٰا أَمَرَ اللّٰهُ بِهِ أَنْ یُوصَلَ وَ یُفْسِدُونَ فِی الْأَرْضِ أُولٰئِکَ هُمُ الْخٰاسِرُونَ

(۱)

.

و قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله:«إن فساد ذات البین هی الحالقه».

ص: ۲۸۹

۱- ۱) البقره،الآیه:۲۷.

وصل الإصلاح

و ضده:الإصلاح بين الناس،و هو أعظم أفراد النصيحه،و لا غايه لمثوبته عند اللّه.قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:«أفضل الصدقه إصلاح ذات البين».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:اتقوا اللّه و اصلحوا ذات بينكم،فان اللّه تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامه».

و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«كل الكذب مكتوب،إلا أن يكذب الرجل فى الحرب،فان الحرب خدعه،أو يكذب بين اثنين ليصلح بينهما»...و قال الصادق-عليه السلام-:«صدقه يحبها اللّه تعالى:إصلاح بين الناس إذا تفاسدوا،و تقارب بينهم إذا تباعدوا».

و قال-عليه السلام-للمفضل:«إذا رأيت بين اثنين من شيعتنا منازعه فافتدها من مالى».و قال-عليه السلام-لابن عمار:«ابلغ عنى كذا و كذا فى أشياء أمر بها.فقال له ابن عمار:فابلغهم عنك،و أقول عنى ما قلت لى و غير الذى قلت؟قال:نعم!إن المصلح ليس بكذاب».

و قال-عليه السلام-:«المصلح ليس بكذاب» (۱):يعنى إذا تكلم بما لا يطابق الواقع فيما يتوقف عليه الإصلاح لم يعد كلامه كذبا.و هذا يدل على وجوب الإصلاح بين الناس،لأن ترك الكذب واجب،و لا يسقط الواجب إلا بواجب آكد منه.

۱- ۱) صححنا الأحاديث عن الصادق-عليه السلام-على(أصول الكافى): باب الإصلاح بين الناس و صححنا النبويات على(كنز العمال):۲-۱۲۸،۱۴.

و منها:

الشماته

و هو إظهار أن ما حدث بغيره من البليه و المصيبه إنما هو من سوء فعله و اساءته،و الغالب صدوره عن العداوه أو الحسد.و علامته أن يكون مع فرح و مسره،و ربما صدر عن رداءه القوه الشهويه،بأن يهتز به و يميل إليه،مع جهله بمواقع القضاء و القدر،و إن لم يكن معه حقد و حسد.و التجربه و الأخبار شاهدان على أن كل من شمت بمسلم فى مصيبه لم يخرج من الدنيا حتى يبتلى بمثلها و يشمت به غيره فيها. قال الصادق -عليه السلام-:«لا تبدى الشماته لأخيك،فيرحمه اللّه و يحلها بك».

و قال-عليه السلام-:«من شمت بمصيبه نزلت بأخيه لم يخرج من الدنيا حتى يفتتن» (۱)على أن كل بليه و مصيبه ترد على مسلم يمكن أن تكون كفاره لذنوبه باعثار لرفع درجاته و اعلاء مرتبته فى دار الآخره.

و الدليل على ذلك:أن أعظم البلايا و المصائب موكله بالأنبياء،ثم بالأولياء،ثم بالأمثل فالأمثل فى درجات الاعتلاء.و لا ريب فى أن ورود المصائب و المحن عليهم ليس من سوء فعلهم و إساءتهم. فينبغى لكل عاقل أن يتأمل(أولا)أن الشماته بمسلم بمصيبه لا ينفك فى الدنيا من ابتلائه بمثلها،(و ثانيا)أنها إيذاء لأخيه المسلم،فلا ينفك عن العذاب فى الآخره (و ثالثا)ان نزول هذه المصيبه به لا يدل على سوء حاله عند اللّه،بل الأرجح دلالته على حسن حاله و تقربه عند اللّه سبحانه.فليحافظ على نفسه عن إبداء الشمانه لأحد من المسلمين،و يخوف من يراه من الشامتين عن عقوبه العاجل و عذاب الآجل.

۱- ۱) صححنا الحديثين على(أصول الكافى):باب الشماته.

و منها:

اشاره

المراء و الجدال و الخصومه

اعلم ان المراء طعن فی کلام الغیر لإظهار خلل فیه،من غیر غرض سوی تحقیره و اهانته،و إظهار تفوقه و کیاسته.و الجدال:مراء یتعلق بإظهار المسائل الاعتقادیه و تقریرها.و الخصومه:لجاج فی الکلام لاستیفاء مال أو حق و مقصود،و هذه تکون تاره ابتداء و تاره اعتراضا،و المراء لا یکون إلا اعتراضا علی کلام سبق،فالمراء داخل تحت الإیذاء،و یکون ناشئا من العداوه أو الحسد.و أما الجدال و الخصومه،فربما صدرا من من أحدهما أیضا،و ربما لم یصدرا منه.

و حینئذ،فالجدال إن کان بالحق-أی تعلق باثبات إحدی العقائد الحقه-و کان الغرض منه الإرشاد و الهدایه،و لم یکن الخصم لدودا عنودا فهو الجدال بالأحسن،و لیس مذموما،بل ممدوح معدود من الثبات فی الایمان الذی هو من نتائج قوه المعرفه و کبر النفس،قال اللّه سبحانه:

وَ لاٰ تُجٰادِلُوا أَهْلَ الْکِتٰابِ إِلاّٰ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ

(۱)

.

و إن لم یکن بالحق،فهو مذموم اقتضته العصبیه أو حب الغلبه أو الطمع،فیکون من رذائل القوه الغضبیه أو الشهویه،و ربما أورث شکوکا و شبهات تضعف العقیده الحقه،و لذا نهی اللّه سبحانه عنه و ذم علیه،فقال:

وَ مِنَ النّٰاسِ مَنْ یُجٰادِلُ فِی اللّٰهِ بِغَیْرِ عِلْمٍ وَ لاٰ هُدیً وَ لاٰ

۱- ۱) العنکبوت،الآیه:۴۶.

كِتٰابٍ مُنِيرٍ

(۱)

.و قال: وَ إِذٰا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيٰاتِنٰا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتّٰى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ (۲).

و الخصومه أيضا إن كانت بحق،أى كانت مما يتوقف عليه استيفاء مال أو حق ثابت،فهى ممدوحه معدوده من فضائل القوه الشهويه،و إن كانت بباطل،أى تعلقت بما يدعيه كذبا أو بلا علم و يقين،فهى مذمومه معدوده من رذائلها.فالخصومه المذمومه تتناول المخاصمه فيما يعلم قطعا عدم استحقاقه،و فيما لا علم له بالاستحقاق،كخصومه وكيل القاضى، فانه قبل أن يعرف الحق فى أى جانب،يتوكل فى الخصومه من أى جانب كان،و يخاصم من غير علم و ايقان،فمثله خبّاط العثرات و ركاب الشبهات،يضر بالمسلمين بلا غرض،و يتحمل أوزار الغير بلا عوض، فهو أخسر الناس اعمالا و اعظمهم فى الآخره أوزارا و نكالا و تتناول أيضا مخاصمه من يطلب حقه و لكنه لا يقتصر على قدر الحاجه،بل يظهر اللدد و العناد فى الخصومه قصدا للتسلط و الإيذاء،و من يمزج بخصومته كلمه مؤذيه لا يحتاج إليها فى إظهار الحق و بيان الحجه،و من يحمله على الخصومه محض العناد بقهر الخصم و كسره مع استحقاره لذلك القدر من المال،و ربما صرح بأن قصدى العناد و الغلبه عليه و كسر عرضه،و إذا أخذت منه هذا المال رميته،و لا أبالى،فمثله غرضه اللدد و اللجاج.

فتنحصر الخصومه الجائزه بمخاصمه المظلوم الذى يطلب حقه و ينصر حجته بطريق الشرع من غير قصد عناد و إيذاء،مع الاقتصار على قدر

۱- ۱) الحج،الآيه:۸.

۲- ۲) الانعام،الآيه:۶۸.

الحاجه فی الخصومه من دون أن یتکلم بالزائد و لا بکلمات مؤذیه،ففعله لیس بحرام و إن کان الأولی ترکه ما وجد إلیه سبیلا،إذ ضبط اللسان فی الخصومه علی حد الاعتدال متعذر أو متعسر،لأنها توغر الصدر،و تهیج الغضب،و إذا هاج الغضب ذهب المتنازع فیه من البین،و اشتد الحقد بین المتخاصمین حتی یحزن کل واحد بمسره صاحبه و یفرح بمساءته.

فالخصومه مبدأ کل شر،فینبغی ألا یفتح بابها إلا عند الضروره علی قدر الضروره،و لا یتعدی عن الواجب،إذ أقل درجاتها تشوش الخاطر، حتی أنه فی الصلاه لیشتغل بمخاصمه الخصم،و یتضمن الطعن و الاعتراض أی التجهل و التکذیب،إذ من یخاصم غیره إما یجهله أو یکذبه،فیکون آتیا بسوء الکلام،و یفوت به ضده،اعنی طیب الکلام،مع ما ورد فیه من الثواب.و کذا الحال فی المراء و الجدال.

و بالجمله:المراء و الجدال و الخصومه،سوی ما استثنی،من ذمائم الأفعال و مبادئ أکثر الشرور و الفتن،و لذا ورد بها الذم الشدید فی الأخبار قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«من جادل فی خصومه بغیر علم،لم یزل فی سخط حتی ینزع».و قال-صلی اللّه علیه و آله- «إن أبغض الرجال إلی اللّه الأبد الخصم».و قال-صلی اللّه علیه و آله- «ما أتانی جبرئیل قط إلا وعظنی،فآخر قوله لی:إیاک و مشاده الناس فانها تکشف العوره و تذهب بالعز».و قال أمیر المؤمنین علیه السلام:

«إیاکم و المراء و الخصومه،فانهما یمرضان القلوب علی الاخوان،و ینبت علیهما النفاق».و قال علی بن الحسین-علیهما السلام-:«ویل أمه فاسقا من لا یزال مماریا!ویل أمه فاجرا من لا یزال مخاصما!ویل أمه آثما من کثر کلامه فی غیر ذات اللّه!».و قال الصادق-علیه السلام- «لا تمارین حلیما و لا سفیها،فان الحلیم یغلبک و السفیه یؤذیک».و قال

«إيـاك و المشـاده،فانها تورث المعرّه و تظهر العوره».و قال عليه السـلام «إياكم و الخصومه،فانها تشـغل القلب،و تورث النفاق،و تكسب الضغائن» (۱)فمن تأمل فى ما يـدل على ذمها و سوء عاقبتها عقلا و نقلا -فمع عـدم ترتب فائده عليها،و تذكر ما ورد فى مدح تركها و فوائد ضدها،اعنى طيب الكلام-يسهل عليه ان يتركها و لا يحوم حولها.

تذنيب علاج المراء

طريـق المعـالجه فى إزاله المراء و الجـدال و الخصومه:أن يعلم انهـا توجب التبـاغض و المبـاينه،و تزيـل الألـفه و المحبه،و تقطع الالتيـام و الوحـده و لا ريب فى أن قوام النظام الأصـلح بالالتيام و الوحـده،كما اقتضـته العنايه الإلهيه و الحكمه الازليه،و المباينه الراجعه إلى الكـثره ينافيهمـا،و لاـ ينبغى للعاقـل أن يرتكـب مـا يضـاد فعـل اللّه و حكمتـه.و هـذا هـو العلاـج العلمى، و أما العملى،فليواظب على ضده هذه الثلاثه،أعنى طيب الكلام،و يكلف نفسه عليه،حتى يصير ملكه له و ترتفع اضدادها عنه بالمره.

ص: ۲۹۵

۱- ۱) صـحـحنا الأحـاديث على(الكافى):باب المراء و الخصومه.و على (الوسائل):كتاب الحج،ابواب احكام العشـره،الباب ۱۳۵ و ۱۳۶.و على (احياء العلوم):۲-۱۰۲.

وصل طیب الکلام

قد أشیر إلی أن ضد الرذائل الثلاث:طیب الکلام،و ما ورد فی مدحه و فی ثواب ترکها أکثر من أن یحصی.قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله:«ثلاث من لقی اللّه تعالی بهن دخل الجنه من أی باب شاء:

من حسن خلقه،و خشی اللّه فی المغیب و المحضر،و ترک المراء و إن کان محقا».و قال صلی اللّه علیه و آله:«یمکنکم من الجنه طیب الکلام و إطعام الطعام».و قال صلی اللّه علیه و آله:«إن فی الجنه لغرفا یری ظاهرها من باطنها و باطنها من ظاهرها،أعدها اللّه لمن اطعم الطعام و أطاب الکلام».و قال صلی اللّه علیه و آله:«الکلمه الطیبه صدقه».و روی «أن عیسی-علیه السلام-مر به خنزیر.فقال:مر بسلامه.فقیل له:یا روح اللّه،تقول هذا للخنزیر!فقال:اکره أن اعود لسانی الشر» و قال بعض الحکماء:«الکلام اللین یغسل الضغائن المستکنّه فی الجوارح»

و منها:

السخریه و الاستهزاء

و هو محاکاه أقوال الناس أو أفعالهم أو صفاتهم و خلقهم،قولا و فعلا،أو ایماء و إشاره،علی وجه یضحک منه.و هو لا ینفک عن الإیذاء و التحقیر و التنبیه علی العیوب و النقائص.و إن لم یکن ذلک بحضره المستهزأ به،فیتضمن الغیبه أیضا.و باعثه إما العداوه أو التکبر و استصغار المستهزأ به،فیکون من رذائل القوه الغضبیه،أو قصد ضحک الأغنیاء

و تنشيط قلوبهم،طمعا فی بعض أوساخهم الملوثه،و أخذ النبذ من حطامهم المحرمه،و لا ريب فی انه صفه من لا حظّ له فی الدين،و شيمه اراذل احزاب الشياطين،لأنهم يظهرون أكاذيب الأقوال و يرتكبون أعاجيب الأفعال،يخلعون قلائد الحريه عن الرقاب،و يهتكون استار الحياء بمرأی من أولی الألباب،يبتغون عيوب المؤمنين و عوراتهم،و يظهرون نقائص المسلمين و عثراتهم،يقلدون أفعال الأخيار علی وجه يضحک الاشرار، و يحاكون صفات الأبرار علی أفضح الوجوه فی الانظار.و لا ريب فی أن المرتكب لهذه الأفعال بعيد عن الإنسانيه بمراحل،و مستوجب لعقوبه العاجل و عذاب الآجل،و لا يخلو ساعه عن الصغار و الهوان،و لا وقع له فی قلوب أهل الايمان،و كفاه ذما انه جعل تلک المعاصی الخبيثه وسيله لتحصيل المال أو الواقع فی قلوب أبناء الدنيا،و يلزمه عدم اعتقاده بأن اللّه سبحانه هو المتكفل لأرزاق العباد.

و الطريق فی دفعه-بعد التأمل فی سوء عاقبته،و وخامه خاتمته، و فيما يلزمه من الذله و الهوان فی الدنيا-أن يبادر إلی إزاله العداوه و التكبر إن كان باعثه ذلک،و إن كان باعثه تنشيط قلوب أهل الدنيا طمعا فی مالهم،فليعلم أن لكل نفس ما قدر لها من الأموال و الأرزاق،و يصل إليها من اللّه سبحانه البته،فان من يتق اللّه و يتوكل عليه يجعل له مخرجا و يرزقه من حيث لا يحتسب،و يكون فی الآخره سعيدا،و ان أغواه الشيطان و حثه علی تحصيلها من المداخل الخبيثه،لم يصل إليه أكثر مما قدر له،و كان فی الآخره شقيا.

و ليعلم أيضا أن المتوكل علی اللّه و المتصف بالحريه،لا يبدل التوكل و الحريه بهذه الأفعال لأجل الوصول إلی بعض خبائث الأموال،فليعاتب نفسه و يزجرها بالمواعظ و النصائح،و يتذكر ما ورد فی الشريعه من ذم

المستهزئين و تعذيبهم يوم القيامه بصوره الاستهزاء،قال اللّه جل شأنه:

لاٰ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ

(۱)

.

و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«إن المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنه،فيقال:هلم هلم!فيجىء بكربه و غمه،فإذا أتى اغلق دونه ثم يفتح له باب آخر،فيقال:هلم هلم!فيجىء بكربه و غمه،فإذا أتى أغلق دونه.فما يزال كذلك،حتى يفتح له الباب،فيقال له:هلم هلم فما يأتيه».و قال ابن عباس فى قوله تعالى:

يٰا وَيْلَتَنٰا مٰا لِهٰذَا الْكِتٰابِ لاٰ يُغٰادِرُ صَغِيرَةً وَ لاٰ كَبِيرَةً إِلاّٰ أَحْصٰاهٰا

(۲)

.

«الصغيره:التبسم بالاستهزاء بالمؤمن،و الكبيره:القهقهه بذلک» و فيه إشاره إلى أن الضحک على الناس من الجرائم العظيمه.

ثم جميع ما ذكر إنما هو فى حق من يؤذى الناس و يهينهم باستهزائه و سخريته،و أما من جعل نفسه سسخره و يسر بأن يهزل و يسخر به،و إن كان هو ظالما لنفسه خارجا عن شعار المؤمنين،حيث أهان نفسه و أذلها، إلا أن سخريه الغير به من جمله المزاح،و يأتى ما يذم منه و ما يحمد،و إنما المحرم منه ما يؤدى إلى ايذائه و تحقيره:بأن يضحک على كلامه إذا يخبط

۱- ۱) الحجرات،الآيه:۱۱.

۲- ۲) الكهف،الآيه:۵۰.

و لـم ينتظـم،أو على أفعـاله إذا كـانت مشـوشه،أو على صـورته و خلقتـه إذا كـان قصـيرا أو طويلاـ أو ناقصـا بعيـب من العيوب.فالضحك على جمله ذلك داخل فى السخريه المنهى عنها.

و طريق علاجه-بعد تـذكر ما تقـدم-أن اسـتهزاءه يوجب خزى نفسه يوم القيامه عنـد اللّه و عنـد الملائكه و النبيين و عند الناس أجمعين،فلو تفكر فى حسـرته و حيائه و خجله و خزيه يوم يحمل سيئات من استهزأ به و يساق إلى النار،لأدهشه ذلك عن إخزاء غيره،و لو عرف حقيقه حـاله يوم القيـامه،لكان الأولى له أن يضـحك على نفسه تاره و يبكى عليها أخرى، لأنه باسـتهزائه به عند بعض أراذل النـاس عرض نفسه لأـن يأخـذ بيـده ذلـك الغير يوم القيـامه على ملأـ من النـاس و يسوقه تحت السـياط،كمـا يساق الحمـار، الى النـار مستهزئا بـه،مسرورا بخزيـه و تمكين اللّه تعـالى إيـاه على الانتقـام منه.فمن تأمـل فى ذلـك،و لم يكن عـدوا لنفسه،اجتنب عن السخريه و الاستهزاء كل الاجتناب.

و منها:

اشاره

المزاح

و أصله مذموم منهى عنه،و سببه إما خفه فى النفس،فيكون من رذائل القوه الغضبيه،أو ميل النفس و شهوتها إليه،أو تطييب خاطر بعض أهـل الـدنيا طمعـا فى مـالهم،فيكون من رذائل القوه الشـهويه.و سـبب الـذم فيه.أنه يسـقط المهابه و الوقار،و ربمـا أدى إلى التبـاغض و الوحشه و الضـغينه، و ربمـا انجر إلى الهزل و الاسـتهزاء،و أدخـل صـاحبه فى جمله المسـتهزأ بهـم، و ربمـا صار باعثا لظهور العداوه-كما قيل-و ربما جرّ إلى اللعب،

قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله:«لا تمار أخاک و لا تمازحه»،و قال بعض الأکابر لابنه:«یا بنی،لا تمازح الشریف فیحقد علیک،و لا الدنیء فیجترئ علیک»،و قال آخر:«إیاکم و الممازحه،فانها تورث الضغینه و تجر إلی القطیعه». و قال آخر:«المزاح مسلبه للبهاء،و مقطعه للاصدقاء» و قیل:«لکل شیء بذر،و بذر العداوه المزاح».و من مفاسد المزاح:

أنه سبب للضحک،و هو منهی عنه.قال اللّه تعالی:

فَلْیَضْحَکُوا قَلِیلاً وَ لْیَبْکُوا کَثِیراً

(۱)

.

و قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله:«إن الرجل لیتکلم بالکلمه فیضحک بها جلساءه،یهوی بها أبعد من الثریا»،و قال:«لو تعلمون ما أعلم لبکیتم کثیرا و لضحکتم قلیلا»،و هو یدل علی أن الضحک علامه الغفله عن الآخره،و قال بعض:«من کثر ضحکه قلت هیبته،و من مزح استخف به،و من أکثر من شیء عرف به،و من کثر کلامه کثر سقطه،و من کثر سقطه قلّ حیاؤه،و من قل حیاؤه قل ورعه،و من قل ورعه مات قلبه». و خاطب عارف نفسه و قال:«أ تضحک و لعل أکفانک قد خرجت من عند القصار؟!»و قال رجل لأخیه:یا أخی، هل أتاک أنک وارد النار؟قال:نعم!قال:و هل أتاک أنک خارج منها؟فقال:لا،قال:ففیم الضحک؟فما رئی بعد ذلک ضاحکا حتی مات».و نظر بعضهم إلی قوم یضحکون فی یوم الفطر،فقال:«إن کان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا فعل الشاکرین،و إن کان لم یغفر لهم فما هذا فعل الخائفین».

ثم المذموم من الضحک هو القهقهه،و التبسم الذی ینکشف فیه

۱- ۱) التوبه،الآیه:۸۳.

السن و لا يسمع الصوت ليس مذموما،بل محمود لفعل النبى صلى اللّه عليه و آله (۱).

تذنيب المذموم من المزاح

الحق أن المذموم من المزاح هو الإفراط فيه و المداومه عليه،أو ما يؤدى إلى الكذب و الغيبه و أمثالهما،و يخرج صاحبه عن الحق.و أما القليل الذى يوجب انبساط خاطر و طيبه قلب،و لا يتضمن إيذاء و لا كذبا و لا باطلا،فليس مذموما،لقول رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله:«إنى لأمزح و لا أقول إلا حقا».و لما روى:«أنهم قالوا له صلى اللّه عليه و آله:يا رسول اللّه،انك تداعبنا!فقال:إنى و إن داعبتكم،فلا أقول إلا حقا».و لما روت العامه:«أنه صلى اللّه عليه و آله كان كثير التبسم، و كان أفكه الناس»و ورد:«أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله كسا ذات يوم واحده من نسائه ثوبا واسعا،و قال لها:البسيه و أحمدى،و جرى منه ذيلا كذيل العروس».و قال صلى اللّه عليه و آله:«لا تدخل الجنه عجوز.فبكت العجوز.فقال:إنك لست يومئذ بعجوز»و جاءت امرأه اليه،و قالت:«إن زوجى يدعوك.فقال صلى اللّه عليه و آله:زوجك هو الذى بعينه بياض؟قالت:و اللّه ما بعينه بياض؟فقال:بلى،إن بعينه بياضا.فقالت:لا و اللّه؟فقال:ما من أحد إلا بعينه بياض».

۱- ۱) راجع أخبار المزاح و الضحك و التبسم:كتاب(الوسائل):الباب ۸۰-۸۴ من أبواب أحكام العشره،و الظاهر ان المؤلف لم يرجع إلى أخبارنا التى فيها غنى عن النقل عن أناس مجهولين.

و أراد به البياض المحيط بالحدقه.و جاءته امرأه أخرى،و قالت:«احملني يا رسول اللّه على بعير،فقال:بل نحملك على ابن البعير.فقالت:

ما أصنع به،انه لا يحملني،فقال صلى اللّه عليه و آله:هل من بعير إلا و هو ابن بعير؟».و كان صلى اللّه عليه و آله يدلع لسانه للحسين عليه السلام فيرى لسانه فيهش له،و قال لصهيب-و به رمد و هو يأكل التمر-:

«أتأكل التمر و أنت أرمد؟فقال:إنما آكل بالشق الآخر.فتبسم رسول اللّه حتى بدت نواجذه».و روى:«أن خوات ابن جبير كان جالسا إلى نسوه من بني كعب بطريق مكه،و كان ذلك قبل اسلامه.فطلع عليه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله-فقال له:مالك مع النسوه؟قال:يفتلن ضفيرا لجمل لي شرود.فمضى رسول اللّه لحاجته ثم عاد،فقال:يا أبا عبد اللّه أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد؟قال:فسكت و استحييت،و كنت بعد ذلك استخفي منه حياء،حتى أسلمت و قدمت المدينه،فاطلع علي يوما و أنا أصلي في المسجد،فجلس إلي،فطولت الصلاه،فقال:لا تطول فاني انتظرك،فلما فرغت قال:يا أبا عبد اللّه،أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد؟قلت:و الذي بعثك بالحق نبيا؟ما شرد منذ أسلمت!فقال:اللّه أكبر اللّه أكبر،اللهم اهد أبا عبد اللّه.فحسن اسلامه».و كان نعيمان الأنصاري،رجلا مزّاحا،فإذا دخل المدينه شيء نفيس من اللباس أو المطاعم اشترى منه،و جاء به إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و يقول:

هذا أهديته لك.فإذا جاء صاحبه يطالبه بثمنه،جاء به إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله،و قال:يا رسول اللّه،أعطه ثمن متاعه،فيقول له النبي-صلى اللّه عليه و آله-:«أ و لم تهده لنا؟»فيقول:لم يكن عندي و اللّه ثمنه،و أحببت أن تأكل منه،فيتبسم رسول اللّه و يأمر لصاحبه بثمنه و أمثال هذه المطايبات مرويه عن رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-و عن الأئمه

-علیهم السلام-و أكثرها منقوله مع النسوان و الصبيان،و كان ذلك معالجه لضعف قلوبهم،من غير ميل إلى هزل و لا كذب و لا باطل،و كان صدور ذلك عنهم أحيانا و على الندره،و مثلهم كانوا يقدرون على المزاح مع عدم خروجهم عن الحق و الاعتدال،و أما غيرهم فإذا فتح باب المزاح فربما وقع في الإفراط و الباطل.فالأولى لأمثالنا تركه مطلقا.

و منها:

اشاره

الغيبه

و هى أن يذكر الغير بما يكرهه لو بلغه.سواء كان ذلك ينقص فى بدنه أو فى أخلاقه أو فى أقواله،أو فى أفعاله المتعلقه بدينه أو دنياه،بل و إن كان بنقص فى ثوبه أو داره أو دابته.

و الدليل على هذا التعميم-بعد إجماع الأمه على أن من ذكر غيره بما يكره إذا سمعه فهو مغتاب-ما روى عن رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله- أنه قال:«هل تدرى ما الغيبه؟»قالوا:اللّه و رسوله أعلم.قال:

«ذكرك أخاك بما يكره»،قيل له:أ رأيت ان كان فى أخى ما أقول؟ قال:«إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته،و إن لم يكن فيه فقد بهته».

و ما روى:«انه ذكر رجل عنده،فقالوا:ما أعجزه!فقال-صلى اللّه عليه و آله-:اغتبتم أخاكم،قالوا:يا رسول اللّه،قلنا ما فيه.قال:إن قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه».و ما روى عن عائشه قالت:«دخلت علينا امرأه،فلما ولت،أومأت بيدى انها قصيره،فقال صلى اللّه عليه و آله:

اغتبتيها».و ما روى انها قالت:«إنى قلت لامرأه مره و أنا عند النبى -صلى اللّه عليه و آله-:إن هذه لطويله الذيل.فقال لى:الفظى الفظى! فلفظت مضغه لحم».و قد روى:«ان أحد الشيخين قال للاخر:إن

فلانا لنؤم،ثم طلبا أدما من رسول اللّه ليأكلا به الخبز.فقال:صلى اللّه عليه و آله-:قد ائتدمتما.فقالا:ما نعلمه،فقال:بلى!إنكما أكلتما من لحم صاحبكما».

و أما ما روى عن الصادق عليه السلام انه قال:«صفه الغيبه أن تذكر أحدا بما ليس هو عند اللّه بعيب و يذم ما يحمده أهل العلم فيه.و أما الخوض فى ذكر الغائب بما هو عند اللّه مذموم و صاحبه فيه ملوم،فليس بغيبه،و إن كره صاحبه إذا سمع به و كنت أنت معافى عنه و خاليا منه.

و تكون فى ذلك مبينا للحق من الباطل ببيان اللّه و رسوله،و لكن على شرط ألا يكون للقائل بذلك مراد غير بيان الحق و الباطل فى دين اللّه عز و جل، و أما إذا أراد به نقص المذكور بغير ذلك المعنى،فهو مأخوذ بفساد مراده و ان كان صوابا» (۱)فهو مخصوص بما إذا لم يكن صاحبه عالما بقبحه، أو كان ساترا على نفسه كارها لظهوره.و يدل على ذلك ما روى عنه عليه السلام أيضا،أنه سئل عن الغيبه،فقال:«هو أن تقول لأخيك فى دينه ما لم يفعل،و ثبت عليه أمرا قد ستره اللّه عليه لم يقم فيه حد».

و قال عليه السلام:«الغيبه أن تقول فى أخيك ما ستره اللّه عليه،و أما الأمر الظاهر فيه،مثل الحده و العجله،فلا».و قال الكاظم عليه السلام «من ذكر رجلا من خلفه بما هو فيه مما عرفه الناس،لم يغتبه،و من ذكره من خلفه بما هو فيه مما لا يعرفه الناس،اغتابه،و من ذكره بما ليس فيه فقد بهته» (۲).و يأتى ان المجاهر بمعصيته غير ساتر لها،لا غيبه له فيها.

۱- ۱) صححنا الحديث على(مصباح الشريعه):الباب ۴۹.و قد تقدم الشك فى صحه(مصباح الشريعه)فى الجزء الأول.
۲- ۲) صححنا الأحاديث الثلاثه على(الوسائل):كتاب الحج،أبواب احكام العشره،الباب ۱۵۴،و على(أصول الكافى):باب الغيبه و البهت.و على(البحار)۴ مج ۱۵-۱۸۴ باب الغيبه،و قال فى الموضع المذكور عن الحديث الأول:«الغيبه هو أن تقول»:الضمير للغيبه،و تذكيره بتأويل الاغتياب أو باعتبار الخبر.

و الحاصل:ان الإجماع و الأخبار متطابقان على أن حقيقه الغيبه هو أن يذكر الغير بما يكرهه إذا سمعه،سواء كان ذلك بنقص فى نفسه أو بدنه.

أو فى دينه أو دنياه،أو فيما يتعلق به من الأشياء،و ربما قيل إنه لا غيبه فيما يتعلق بالدين،لأنه ذم من ذمه اللّه و رسوله،فذكره بالمعاصى و ذمه جائز.و أيد ذلك بما روى:«أنه ذكر عند رسول اللّه امرأه و كثره صومها و صلاتها و لكنها تؤذى جيرانها.فقال:هى فى النار».و ذكرت امرأه أخرى بأنها بخيله،فقال:«فما خيرها إذن؟».و لا ريب فى بطلان هذا القول:لما عرفت من عموم الأدله.و ما ورد من ذم الأشخاص المعينه فى كلام اللّه و كلام حججه إنما هو لتعريف الأحكام و تبيينها،و سؤال الأصحاب عنهم و ذكرهم بالمعاصى،إنما كان لحاجتهم إلى معرفه الأحكام لا للذم و إظهار العيب،و لذا لم يكن ذلك إلا فى مجلس الرسول-صلى اللّه عليه و آله.أو الأئمه-عليهم السلام-.

فصل لا تنحصر الغيبه باللسان

اعلم أن الغيبه لا تنحصر باللسان،بل كل ما يفهم نقصان الغير،و يعرف ما يكرهه فهو غيبه،سواء كان بالقول أو الفعل،أو التصريح أو التعريض أو بالاشاره و الإيماء،أو بالغمز و الرمز،أو بالكتابه و الحركه،و لا ريب فى أن الذكر باللسان غيبه محرمه.لتفهيمه الغير نقصان أخيك و تعريفه بما يكرهه،لا لكون المفهم و المعرف لسانا،فكل ما كان مفهما و معرفا فهو مثله.

ص :٣٠۵

فالغيبه تتحقق بإظهار النقص بالفعل و المحاكاه،كمشيه الأعرج،بل هو أشد من الغيبه باللسان،لأنه أعظم فى التصوير و التفهيم منه،و بالإيماء و الإشاره،و قد روى:«أنه دخلت امرأه على عائشه،فلما ولت،أومأت بيدها أنها قصيره.فقال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-قد اغتبتها».

و بالكتابه،إذ القلم أحد اللسانين،و بالتعريض،كأن يقول:الحمد للّه الذى لم يبتلنا بالدخول على الظلمه،و التبذل فى طلب الجاه و المال، أو يقول:«نعوذ باللّه من قله الحياء،و نسأله أن يعصمنا منه،معرضا فى كل ذلك بمن ارتكب ذلك،فيذكره بصيغه الدعاء،و ربما قدم مدح من يريد غيبته،ثم اتبعه بإظهار عيبه،كأن يقول:لقد كان فلان حسن الحال،و لكنه ابتلى بما ابتلى به كلنا من سوء الحال،و هو جمع بين الرياء و الغيبه،و مدح نفسه بالتشبه بالصلحاء فى ذم أنفسهم.

و من المغتابين المنافقين من يظهر فى مقام غيبه مسلم الاغتمام و الحزن من سوء حاله،كأن يقول:لقد ساءنى ما جرى على صديقنا فلان من الاهانه و الاستخفاف،أو ارتكابه معصيه كذا،فنسأل اللّه أن يجعله مكرما أو يصلح حاله،أو يقول:قد ابتلى ذلك المسكين بآفه عظيمه،تاب اللّه علينا و عليه.و هو كاذب فى ادعائه الحزن و الكآبه،و فى إظهار الدعاء،إذ لو اغتم لأغتم بإظهار ما يكرهه أيضا،و لو قصد الدعاء لأخفاه فى خلواته، فاظهار الحزن و الدعاء ناش عن خبث سريرته،و هو يظن أنه ناش عن صفاء طويته،هكذا يلعب الشيطان بمن ليس له قوه البصيره بمكائد اللعين و تلبيساته،فيسخر بهم و يضحك عليهم،و يحبط أعمالهم بمكائده،و هم يحسبون انهم يحسنون صنعا.و ربما ذكر بعض المغتابين عيب مسلم و لم يتنبه له بعض الحاضرين،فيقول اسماعا له و اعلاما لما يقوله:«سبحان اللّه ما أعجب هذه!»حتى يتوجه إليه و يعلم ما يريد،فيستعمل اسم اللّه آله لتحقيق خبثه.

ص:٣٠۶

ثم المستمع للغيبه أحد المغتابين،كما ورد به الخبر (۱).و قد دل ذلک أیضا ما تقدم من حدیث الشیخین،و ما روی:«أنه صلی اللّه علیه و آله لما رجم ما عزا فی الزنا،قال رجل لآخر:هذا أقعص کما یقعص الکلب.

فمر النبی صلی اللّه علیه و آله معهما بجیفه،فقال:انهشا من هذه الجیفه، فقالا:یا رسول اللّه ننهش جیفه!فقال:ما أصبتما من أخیکما أنتن من هذه».فجمع بینهما،مع ان أحدهما کان قائلا و الآخر مستمعا.

و هو إما لا یسر باستماعها،إلا أنه لا ینکرها باللسان و لا یکرهها بالقلب،أو یسر و یفرح باستماعها،إلا أن النفاق و التزهد حملاه علی عدم التصدیق،و ربما منع منها ریاء و تزهدا،مع کونه مشتهیا لها بقلبه،و ربما توصل بالحیل المرغبه للمغتاب فی زیاده الغیبه.مع التباس الأمر علیه بأنه یشتهیها،مثل أن یظهر التعجب و یقول:عجبت منه ما علمت أنه کذلک و ما عرفته إلی الآن إلا بالخیر،و کنت أحسب فیه غیر هذا عافانا اللّه من بلائه.فان ذلک تصدیق للمغتاب،و باعث لزیاده نشاطه فی الغیبه،فکأنه یستخرج منه الغیبه بهذا الطریق.

و الحاصل أن المستمع لا یخرج عن اثم الغیبه إلا بأن ینکر بلسانه، أو یقطع الکلام بکلام آخر،أو یقوم من المجلس،و إن لم یقدر علی شیء من ذلک،فلینکر بقلبه،و إن قال بلسانه:اسکت،و هو یشتهیه بقلبه فذلک نفاق،و لا یخرجه من الإثم ما لم یکرهه بقلبه.و مع عدم الخوف لا یکفی أن یشیر بالید أو حاجبه أو جبینه،أی اسکت،إذ ذلک استحقار للمذکور،مع أنه ینبغی أن یعظمه فیذب عنه صریحا.قال

---

۱ - ۱) إشاره إلی ما رواه الشیخ أبو الفتوح الرازی فی تفسیره،عن رسول اللّه -صلی اللّه علیه و آله-أنه قال:«المستمع أحد المغتابین».و إلی قول أمیر المؤمنین -علیه السلام-«السامع للغیبه أحد المغتابین».(بحار الأنوار):۴ مج ۱۵-۱۷۹.

النبی صلی اللّه علیه و آله:«من أذل عنده مؤمن و هو یقدر علی أن ینتصر له فلم ینصره،أذله اللّه یوم القیامه علی رءوس الخلائق».و قال «من رد عن عرض أخیه بالغیب،کان حقا علی اللّه ان یرد عن عرضه یوم القیامه».و قال صلی اللّه علیه و آله:«من ذب عن عرض أخیه بالغیب،کان حقا علی اللّه أن یعتقه من النار».و قال صلی اللّه علیه و آله-:«من رد عن عرض أخیه،کان له حجابا من النار».و قال -صلی اللّه علیه و آله-:«ما من رجل ذکر عنده اخوه المسلم،و هو یستطیع نصره و لم بکلمه و لم ینصره،إلا أذله اللّه عز و جل فی الدنیا و الآخره.و من ذکر عنده اخوه المسلم فنصره،نصره اللّه فی الدنیا و الآخره».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«من حمی عرض أخیه المسلم فی الدنیا،بعث اللّه له ملکا یحمیه یوم القیامه من النار».و قال -صلی اللّه علیه و آله-:«من تطول علی أخیه فی غیبته،سمعها عنه فی مجلس فردها،رد اللّه عنه الف الف باب من الشر فی الدنیا و الآخره و ان لم یردها و هو قادر علی ردها،کان علیه کوزر من اغتابه سبعین مره» و قال الباقر علیه السلام«من اغتیب عنده اخوه المؤمن فنصره و اعانه، نصره اللّه فی الدنیا و الآخره،و من لم ینصره و لم یدفع عنه و هو یقدر علی نصرته و عونه،إلا خفضه اللّه فی الدنیا و الآخره».و بهذه المضامین أخبار کثیره اخر.

فصل بواعث الغیبه

اعلم ان باعث الغیبه-غالبا-إما الغضب أو الحقد أو الحسد،

فيكون من نتائجها،و من رذائل قوه الغضب،و له بواعث أخر:

الأول-السخريه و الاستهزاء:فان ذلك كما يجرى فى الحضور يجرى فى الغيبه أيضا،و قد عرفت ان منشأهما ما ذا؟.

الثانى-اللعب و الهزل و المطايبه:فيذكر غيره بما يضحك الناس عليه على سبيل التعجب و المحاكاه.و يأتى ان باعث الهزل و المزاح ما ذا،و انه متعلق بالقوه الشهويه.

الثالث-إرادته الافتخار و المباهاه:بأن يرفع نفسه بتنقيص غيره، فيقول:فلان لا يعلم شيئا.و غرضه أن يثبت فى ضمن ذلك فضل نفسه و أنه أفضل منه.و ظاهر أن منشأ ذلك التكبر أو الحسد،فيكون أيضا من رذائل القوه الغضبيه.

الرابع-أن ينسب إلى شىء من القبائح،فيريد أن يتبرأ منه بذكر الذى فعله،و كان اللازم عليه أن يبرئ نفسه منه،و لا يتعرض للغير الذى فعله،و قد يذكر غيره بأنه كان مشاركا له فى الفعل،ليتمهد بذلك عذر نفسه فى فعله،و ربما كان منشأ ذلك صغر النفس و خبثها.

الخامس-مرافقه الاقران و مساعدتهم على الكلام،حذرا عن تنفرهم و استثقالهم إياه لولاه،فيساعدهم على إظهار عيوب المسلمين و ذكر مساويهم،ظنا منه أنه مجامله فى الصحبه،فيهلك معهم.و باعث ذلك أيضا صغر النفس و ضعفها.

السادس-أن يستشعر من رجل أنه سيذكر مساويه،أو يقبح حاله عند محتشم،أو يشهد عليه بشهاده،فيبادره قبل ذلك بإظهار عداوته، أو تقبيح حاله،ليسقط أثر كلامه و شهادته.و ربما ذكره بما هو فيه قطعا،بحيث ثبت ذلك عند السامعين ليكذب عليه بعده،فيروج كذبه بالصدق الأول و يستشهد به و يقول:ليس الكذب من عادتى،فانى أخبرتكم قبل ذلك

من أحواله كذا و كذا،فكان كما قلت،فهذا أيضا صدق كسابقه.

و هذا أيضا منشأه الجبن و ضعف النفس.

السابع-الرحمه،و هو أن يحزن و يغتم بسبب ما ابتلى به غيره، فيقول:المسكين فلان قد غمنى ما ارتكبه من القبح،أو ما حدث به من الاهانه و الاستخفاف!فيكون صادقا فى اغتمامه،إلا انه لما ذكر اسمه و اظهر عيبه صار مغتابا،و قد كان له الاغتمام بدون ذكر اسمه و عيبه ممكنا فاوقعه الشيطان فيه ليبطل ثواب حزنه و رحمته.

الثامن-التعجب من صدور المنكر و الغضب للّه عليه،بأن يرى منكرا من انسان أو سمعه،فيقول عند جماعه:ما اعجب من فلان أن يتعارف مثل هذا المنكر!أو يغضب منه،فيظهر غضبه و اسمه و منكره، فانه وإن كان صادقا فى تعجبه من المنكر و غضبه عليه،لكن كان اللازم ان يتعجب منه و يغضب عليه،و لكنه لا يظهر اسمه عند من لم يطلع على ما صدر منه المنكر،بل يظهر غضبه عليه بالنهى عن المنكر و الأمر بالمعروف من غير أن يظهره لغيره،فلما أوقعه الشيطان فى ذكره بالسوء صار مغتابا و بطل ثواب تعجبه و غضبه،و صار آثما من حيث لا يدرى.

و هذه الثلاثه الأخيره مما يغمض دركها،لأن أكثر الناس يظنون أن الرحمه و التعجب و الغضب إذا كان للّه كان عذرا فى ذكر الاسم، و هو خطأ محض،إذ المرخص فى الغيبه حاجات مخصوصه لا مندوحه فيها عن ذكر الاسم دون غيرها، و قد روى:«أن رجلا مر على قوم فى عصر النبى-صلى اللّه عليه و آله-،فلما جاوزهم،قال رجل منهم:إنى أبغض هذا الرجل للّه،فقال القوم:و اللّه لبئس ما قلت!و إنا نخبره بذلك،فاخبروه به،فاتى الرجل رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله- و حكى له ما قال،و سأله أن يدعوه.فدعاه،و سأله عما قال فى حقه

فقال:نعم!قد قلت ذلک.فقال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:

و لم تبغضه؟فقال:أنا جاره و أنا به خبیر،و اللّه ما رأیته یصلی صلاه قط إلا هذه المکتوبه!فقال:یا رسول اللّه،فاسأله هل رآنی أخرتها عن وقتها أو أسأت الوضوء لها و الرکوع و السجود؟فسأله،فقال:لا فقال:و اللّه ما رأیته یصوم شهرا قط إلا هذا الشهر الذی یصومه کل بر و فاجر!قال:فاسأله یا رسول اللّه هل رآنی افطرت فیه أو نقصت من حقه شیئا؟فسأله،فقال:لا!فقال:و اللّه ما رأیته یعطی سائلا قط و لا مسکینا،و لا رأیته ینفق من ماله شیئا فی سبیل الخیر إلا هذه الزکاه التی یؤدیها البر و الفاجر!قال:فاسأله هل رآنی نقصت منها شیئا أو ما کست فیها طالبها الذی یسألها؟فسأله فقال:لا!فقال رسول اللّه -صلی اللّه علیه و آله-للرجل:قم،فلعله خیر منک».و لا ریب فی أن إنکار القوم علیه بعد قوله أبغضه للّه یفید عدم جواز إظهار المنکر الصادر من شخص لغیره،و إن کان فی مقام الغضب و البغض للّه.

فصل ذم الغیبه

لما علمت حقیقه الغیبه و بواعثها،فأعلم أنها أعظم المهلکات و أشد المعاصی،و قد نص اللّه سبحانه علی ذمها فی کتابه،و شبه صاحبها بآکل لحم المیته،فقال: وَ لاٰ تَجَسَّسُوا وَ لاٰ یَغْتَبْ بَعْضُکُمْ بَعْضاً،أَ یُحِبُّ أَحَدُکُمْ

أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ

(۱)

.و قال: لاٰ يُحِبُّ اللّٰهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاّٰ مَنْ ظُلِمَ وَ كٰانَ اللّٰهُ سَمِيعاً عَلِيماً (۲).و قال: مٰا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاّٰ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (۳).

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«المسلم علی المسلم حرام دمه و ماله و عرضه».و الغیبه تتناول العرض.و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«إیاکم و الغیبه،فان الغیبه أشد من الزنا،فان الرجل قد یزنی و یتوب فیتوب اللّه علیه،و إن صاحب الغیبه لا یغفر له حتی یغفر له صاحبه».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«مررت لیله أسری بی علی قوم یخمشون وجوهم باظافیرهم،فقلت:یا جبرئیل،من هؤلاء؟قال الذین یغتابون الناس،و یقعون فی اعراضهم». و خطب-صلی اللّه علیه و آله یوما حتی أسمع العواتق فی بیوتها،فقال:«یا معشر من آمن بلسانه و لم یؤمن بقلبه!لا تغتابوا المسلمین،و لا تتبعوا عوراتهم،فان من تتبع عوره أخیه یتتبع اللّه عورته حتی یفضحه فی جوف بیته».و خطب صلی اللّه علیه و آله یوما فذکر الربا و عظم شأنه،فقال:«إن الدرهم یصیبه الرجل من الربا أعظم عند اللّه فی الخطیئه من ست و ثلاثین زنیه یزنیها الرجل،و إن أربی الربا عرض الرجل المسلم».و مر-صلی اللّه علیه و آله-علی قبرین یعذب صاحباهما،فقال:«إنهما لیعذبان فی کبیره،

۱- ۱) الحجرات،الآیه:۱۲.

۲- ۲) النساء،الآیه:۱۴۷.

۳- ۳) ق،الآیه:۱۸.

أما أحدهما فكان يغتاب الناس،و اما الآخر فكان لا يستبرى من بوله» و دعا بجريده رطبه أو جريدتين فكسرهما،ثم أمر بكل كسره فغرست على قبره،و قال:«أما إنه يهون من عذابهما ما كانتا رطبتين»و روى «أنه-صلى اللّه عليه و آله-أمر الناس بصوم يوم،و قال:لا يفطرن أحد حتى آذن له.فصام الناس،حتى إذا أمسوا،جعل الرجل يجیء فيقول:يا رسول اللّه،ظلت صائما فاذن لى لأفطر،فيأذن له،و الرجل و الرجل،حتى جاء رجل،فقال:يا رسول اللّه،فتاتان من أهلى ظلتا صائمتين،و انهما تستحيان أن تأتياك،فأذن لهما لتفطرا.فاعرض عنه ثم عاوده فاعرض عنه.ثم عاوده،فقال:انهما لم تصوما،و كيف صام من ظل هذا اليوم يأكل لحوم الناس،أذهب فمرهما إن كانتا صائمتين أن تستقيئا.فرجع إليهما،فاخبرهما،فاستقاءتا،فقاءت كل واحده منهما حلقه من دم.فرجع إلى النبى صلى اللّه عليه و آله فاخبره،فقال:و الذى نفس محمد بيده!لو بقيتا فى بطنيهما لاكلتهما النار».و أوحى اللّه تعالى الى موسى عليه السلام:«من مات تائبا من الغيبه فهو آخر من يدخل الجنه،و من مات مصرا عليها فهو اول من يدخل النار».و قال صلى اللّه عليه و آله:«من مشى فى غيبه أخيه و كشف عورته كانت أول خطوه خطاها و ضعها فى جهنم،فكشف اللّه عورته على رءوس الخلائق.

و من اغتاب مسلما،بطل صومه و نقض وضوءه،فان مات و هو كذلك مات و هو مستحل لما حرم اللّه».و قال صلى اللّه عليه و آله:«الغيبه أسرع فى دين الرجل المسلم من الاكله فى جوفه» (۱).و قال-صلى اللّه

۱- ۱) الروايه مذكوره فى(البحار):۴ مج ۱۵-۱۷۷.قال فى الموضع المذكور:«بيان:الاكله-كفرحه-داء فى العضو يأتكل منه،و قد يقرأ بمد الهمزه على وزن فاعله،أى العله التى تأكل اللحم.و الأول أوفق باللغه.و قيل الاكله-بالضم-اللقمه،و كلاهما محتملان إلى أن ذكر الجوف يؤيد الأول و إراده الإضافه و الاذهاب يؤيد الثانى و الأول أقرب و أصوب،و تشبيه الغيبه بأكل اللقمه أنسب،لأن اللّه سبحانه شبهها بأكل اللحم».

علیه و آله-:«الجلوس فی المسجد انتظارا للصلاه عباده،ما لم یحدث»، فقیل:یا رسول اللّه،و ما الحدث؟قال:«الاغتیاب».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«من اغتاب مسلما أو مسلمه لم یقبل اللّه صلاته و لا صیامه أربعین یوما و لیله،إلا أن یغفر له صاحبه».و قال-صلی اللّه علیه و آله:«من اغتاب مسلما فی شهر رمضان لم یؤجر علی صیامه»و قال -صلی اللّه علیه و آله-:«من اغتاب مؤمنا بما فیه،لم یجمع اللّه بینهما فی الجنه أبدا،و من اغتاب مؤمنا بما لیس فیه،انقطعت العصمه بینهما، و کان المغتاب فی النار خالدا فیها و بئس المصیر».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«کذب من زعم أنه ولد من حلال و هو یأکل لحوم الناس بالغیبه.فاجتنب الغیبه فانها إدام کلاب النار».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«ما عمر مجلس بالغیبه إلا خرب بالدین،فنزهوا أسماعکم من من استماع الغیبه،فان القائل و المستمع لها شریکان فی الإثم».و قال -صلی اللّه علیه و آله-:«ما النار فی التبن بأسرع من الغیبه فی حسنه العبد» (۱) و قال الصادق علیه السلام:«من قال فی مؤمن ما رأته عیناه و سمعته أذناه،فهو من الذین قال اللّه عز و جل: إِنَّ الَّذِینَ یُحِبُّونَ أَنْ تَشِیعَ الْفاحِشَهُ فِی الَّذِینَ آمَنُوا لَهُمْ عَذابٌ أَلِیمٌ ».و قال علیه السلام:

«من روی علی مؤمن روایه یرید بها شینه و هدم مروته لیسقط من أعین

ص:۳۱۴

---

۱ - ۱) صححنا الأحادیث هنا علی(الوسائل):کتاب الحج،ابواب احکام العشره،الباب ۱۵۲.و علی(البحار):۴ مج ۱۵-۱۷۷.و علی(المستدرک): ۲-۱۰۶ و علی(احیاء العلوم):۳-۱۲۳.

الناس،اخرجه اللّه من ولايته إلى ولايه الشيطان،فلا يقبله الشيطان».

و قال عليه السلام:«من اغتاب أخاه المؤمن من غير تره بينهما فهو شرك شيطان» (۱).و قال عليه السلام:«الغيبه حرام على كل مسلم،و انها لتأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب».

و الأخبار الوارده فى ذم الغيبه مما لا يكاد يمكن حصرها،و ما ذكرناه كاف لايقاظ الطالبين.و العقل أيضا حاكم بأنها أخبث الرذائل،و قد كان السلف لا يرون العباده فى الصوم و الصلاه،بل فى الكف عن اعراض الناس،لأنه كان عندهم أفضل الأعمال،و يرون خلافه صفه المنافقين، و يعتقدون أن الوصول إلى المراتب العاليه فى الجنه يتوقف على ترك الغيبه، لما ورد عن رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-أنه قال:«من حسنت صلاته و كثرت عياله،و قل ماله،و لم يغتب المسلمين،كان معى فى الجنه كهاتين» و ما أقبح بالرجل المسلم أن يغفل عن عيوب نفسه،و يتجسس على عيوب اخوانه،و يظهرها بين الناس،فما باله يبصر القذى فى عين أخيه،و لا يبصر الجذع فى عين نفسه.

فيا حبيبى،اذا أردت أن تذكر عيوب غيرك،فاذكر عيوبك،و تيقن بأنك لن تصيب حقيقه الايمان،حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك،و حتى تبدأ باصلاح ذلك العيب.و إذا كان شغلك إصلاح عيوب نفسك،كان شغلك فى خاصه نفسك،و لم تكن لك فرصه للاشتغال بغيرك،و حينئذ كنت من أحب العباد إلى اللّه،لقول النبى-صلى اللّه عليه و آله-:«طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس!».و اعلم أن عجز غيرك فى الاجتناب عن ذلك العيب و صعوبه ازالته عليه كعجزك عن الاجتناب عنه إن كان ذلك

---

۱ - ۱) صححنا الأحاديث الثلاثه على(الوسائل)فى الموضع المتقدم.و على (أصول الكافى)باب الغيبه و البهت.و على(المستدرك).

العیب فعلا اختیاریا،و إن کان أمرا خلقیا،فالذم له ذم للخالق تعالی.

فإن من ذم صنعه فقد ذم صانعها.قیل لبعض الحکماء:یا قبیح الوجه! فقال:«ما کان خلق وجهی إلی فاحسنه».و لو فرض براءتک عن جمیع العیوب،فلتشکر اللّه،و لا تلوث نفسک بأعظم العیوب.إذا أکل لحوم المیتات أشد العیوب و أقبحها،مع انک لو ظننت خلوّک عن جمیع العیوب لکنت أجهل الناس،و لا عیب أعظم من مثل هذا الجهل.

ثم ینبغی أن یعلم المغتاب ان الغیبه تحبط حسناته و تزید فی سیئاته.لما ثبت من الأخبار الکثیره:ان الغیبه تنقل حسنات المغتاب یوم القیامه إلی من اغتابه،و ان لم تکن له حسنه نقل إلیه من سیئاته.قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«یؤتی أحدکم یوم القیامه،فیوقف بین یدی اللّه تعالی و یدفع إلیه کتابه،فلا یری حسناته،فیقول:إلهی لیس هذا کتابی، فإنی لا أری فیه طاعتی،فیقول له:إن ربک لا یضل و لا ینسی،ذهب عملک باغتیاب الناس.ثم یؤتی بآخر و یدفع إلیه کتابه،فیری فیه طاعات کثیره،فیقول:إلهی ما هذا کتابی،فإنی ما عملت هذه الطاعات،فیقول له:إن فلانا اغتابک فدفعت حسناته إلیک».و فی معناه أخبار اخر.

و لا ریب فی أن العبد یدخل النار بأن تترجح کفه سیئاته،و ربما تنقل إلیه سیئه واحده مما اغتاب به مسلما،فیحصل به الرجحان و یدخل لأجله النار.

و أقل ما فی الباب أن ینقص من ثواب صالحات أعماله،و ذلک بعد المخاصمه و المطالبه و السؤال و الجواب و المناقشه فی الحساب.و روی عن بعضهم:

«أن رجلا-قیل له:ان فلانا قد اغتابک،فبعث إلیه طبقا من الرطب، و قال:بلغنی أنک قد أهدیت الی من حسناتک،فأردت أن أکافیک علیها فاعذرنی،فانی لا أقدر أن أکافیک علی التمام».

و الحاصل:أن العاقل ینبغی أن یتأمل فی أن من یغتابه ان کان

صدیقا و محبا له،فاظهار عیوبه و عثراته بعید عن المروه و الإنصاف،و ان کان عدوا له،فتحمل خطایاه و معاصیه و نقل حسناته إلی دیوانه غایه الحماقه و الجهل.

فصل علاج الغیبه

الطریق فی علاج الغیبه و ترکها،أن یتذکر أولا ما تقدم من مفاسدها الأخرویه،ثم یتذکر مفاسدها فی الدنیا،فإنه قد تصل الغیبه إلی من اغتیب،فتصیر منشأ لعداوته أو لزیاده عداوته،فیتعرض لایذاء المغتاب و اهانته،و ربما انجر الأمر بینهما إلی ما لا یمکن تدارکه من الضرب و القتل و أمثال ذلک.ثم یتذکر فوائد أضدادها-کما نشیر إلیها-و بعد ذلک فلیراقب لسانه،و یقدم التروی فی کل کلام یرید أن یتکلم به،فان تضمن غیبه سکت عنه،و کلف نفسه ذلک علی الاستمرار،حتی یرتفع عن نفسه المیل الجلی و الخفی إلی الغیبه.

و العمده فی العلاج أن یقطع أسبابها المذکوره،و قد تقدم علاج الغضب و الحقد و الحسد و الاستهزاء و السخریه،و یأتی طریق العلاج فی الهزل و المطایبه و الافتخار و المباهاه.و أما تنزیه النفس بنسبه ما نسب إلیه من الجنایه إلی الغیر،فمعالجته أن یعلم أن التعرض لمقت الخالق أشد من التعرض لمقت المخلوق،و من اغتاب تعرض لمقت اللّه و سخطه قطعا،و لا یدری أنه یتخلص من سخط الناس أم لا،فیحصل بعمله ذم اللّه و سخطه تقدیرا،و ینتظر دفع ذم الناس نسیئه،و هذا غایه الجهل و الخذلان.

و أما تعرضه لمشارکه الغیر فی الفعل تمهیدا لعذر نفسه،کأن یقول إنی أکلت الحرام،لأن فلانا أیضا أکل،و قبلت مال السلطان،لأن فلانا

أيضا قبل،مع أنه أعلم منى،فلا ريب فى أنه جهل و سفه،لأنه اعتذر بالاقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به.فان من خالف اللّه لا يقتدى به كائنا من كان،فلو دخل غيره النار و هو يقدر على عدم الدخول فهل يقتدى به فى الدخول،و لو دخل عد سفيا أحمق،ففعله معصيه،و عذره غيبه و غباوه،فجمع بين المعصيتين و الحماقه،و مثله كمثل الشاه،اذا نظرت الى العنز تردى نفسها من الجبل فهى أيضا تردى نفسها،و لو كان لها لسان ناطق و اعتذرت عن فعلها بأن العنز اكيس منى و قد اهلكت نفسها فكذلك فعلت أنا،لكان هذا المغتاب المعتذر يضحك عليها،مع أن حاله مثل حالها و لا يضحك على نفسه.

و العجب أن بعض الأشقياء من العوام،لما صارت قلوبهم عش الشيطان و صرفوا أعمارهم فى المعاصى،و اشتغلت ذممهم بمظالم الناس بحيث لا يرجى لهم الخلاص،مالت نفوسهم الخبيثه إلى ألا يكون معاد و حساب و حشر و عقاب،و لما وجد ذلك الميل منهم اللعين،خرج من الكمين، و وسوس فى صدورهم بأنواع الشكوك و الشبهات،حتى ضعف بها عقائدهم أو افسدها،و دعاهم فى مقام الاعتذار عن أعمالهم الخبيثه ألا يصرحوا بما ارتكز فى قلوبهم و يشتهونه،خوفا من القتل و أجراء أحكام الكفار عليهم و لم يدعهم أيضا تلبيسهم و تزويرهم و غلبه الشيطنه عليهم أن يعترفوا بالنقص و سوء الحال فحملهم الشيطان باغوائه على أن يعتذروا من سوء فعالهم بأن بعض العلماء يفعلون ما نفعل و لا يجتنبون عن مثل أعمالنا،من طلب الرئاسه و أخذ الأموال المحرمه،و لم يدروا أن هذا القول ناش من جهلهم و خباثتهم.

إذ تقول لهم:إن فعل هذا البعض إن صار منشأ لزوال ايمانكم بالمعاد و الحساب،فأنتم كافرون،و باعث أعمالكم الخبيثه هو الكفر و عدم الاذعان بأحوال النشأه الآخره.و إن لم يصر منشأ له،بل ايمانكم ثابت،

فاللازم علیکم العمل بمقتضاه،من غیر تزلزل بعمل الغیر کائنا من کان.

فما الحجه فی عمل هذا البعض،مع اعتقادکم بأنه علی باطل؟!.

و أیضا لو کان باعث أعمالکم الخبیثه فعل العلماء،فلم اقتدیتم بهذا البعض مع عدم کونه من علماء الآخره و عدم اطلاعه علی حقیقه العلم؟ و لو کنتم صادقین فیما تنسبون إلیه،فهو المتأکل بعلمه،و انما حصل نبذا من علوم الدنیا لیتوسل بها إلی حطامها،و لا یعد مثله عند أولی الألباب عالما،بل هو متشبه بالعلماء.و لم ما اقتدیتم بعلماء الآخره المتخلفین بشراشرهم عن الدنیا و حطامها؟و إنکار وجود مثلهم،و القدح فی الکل مع کثرتهم فی أقطار الأرض غایه اللجاج و العناد.و لو سلمنا منکم ذلک،فلم ما اقتدیتم بطوائف الأنبیاء و الأوصیاء،مع أنهم أعلم الناس باتفاق الکل،و حقیقه العلم لیس إلا عندهم؟فان أنکروا أعلمیتهم و عصمتهم من المعاصی، و احتملوا کونهم أمثالا لهم،ظهر ما فی بواطنهم من الکفر الخفی.

و أما موافقه الاقران،فعلاجه أن یتذکر ان اللّه یسخط علیه و یبغضه اذا اختار رضا المخلوقین علی رضاه،و کیف یرضی المؤمن ان یترک رضا ربه لرضا بعض أراذل الناس؟و هل هذا إلا کونه تعالی أهون عنده منهم؟ و هو ینافی الایمان.

و أما استشعاره من رجل انه یقبح عند محتشم حاله أو یشهد علیه بشهاده فیبادره بالغیبه اسقاطا لأثر کلامه،فعلاجه أن یعلم: (أولا)ان مجرد الاستشعار لا یستلزم الوقوع،فلعله لا یقبح حاله و لا یشهد علیه،فالمواخذه بمحض التوهم تنافی الدیانه و الایمان. و(ثانیا)ان اقتضاء قوله سقوط أثر کلام من اغتابه فی حقه مجرد توهم،و التعرض لمقت اللّه یقینا بمجرد توهم ترتب فائده دنیویه علیه محض الجهل و الحماقه، و(ثالثا)أن تأدی فعل الغیر-أعنی تقبیح حاله عند محتشم مع فرض وقوعه-الی اضراره فی حیز

الشک،إذ ربما لم یقبله المحتشم،و ربما لم تقبل شهادته شرعا،فتقبیح حاله و تحمل معاصیه بدون الجزم بصیرورته سببا لایذائه محض الجهل و الخذلان.

و أما الرحمه له علی اثمه و التعجب منه و الغضب للّه علیه،و إن کان کل منها حسنا،الا أنه إذا لم تکن معه غیبه،و أما إذا کانت معه غیبه أحبط أجره و بقی اثمها،فالعلاج ان یتأمل باعث الرحمه و التعجب و الغضب هو الایمان و حمایه الدین،و إذا کان معها غیبه أضرت بالدین و الایمان، و لیس شیء من الأمور الثلاث ملزوما للغیبه لإمکان تحققه بدونها،فمقتضی الایمان و حمایه الدین أن یترحم و یتعجب و یغضب للّه،مع ترک الغیبه و إظهار الإثم و العیب،لیکون مأجورا غیر آثم.

فصل مسوغات الغیبه

لما عرفت ان الغیبه ذکر الغیر بما یکرهه لو سمعه،فاعلم ان ذلک انما یحرم إذا قصد به هتک عرضه،و التفکه به،أو اضحاک الناس منه.و اما اذا کان ذلک لغرض صحیح لا یمکن التوصل إلیه إلا به.فلا یحرم، و الأغراض الصحیحه المرخصه له أمور.

الأول-النظلم عند من له رتبه الحکم و احقاق الحقوق،کالقضاه و المفتین و السلاطین،فان نسبه الظلم و السوء إلی الغیر عندهم لاستیفاء الحق جائز،لقول النبی صلی اللّه علیه و آله:«لصاحب الحق مقال»،و قوله صلی اللّه علیه و آله«لیّ الواجد یحل عرضه و عقوبته»و عدم إنکاره صلی اللّه علیه و آله علی قول هند بحضرته:إن أبا سفیان رجل شحیح لا یعطینی ما یکفینی إیای و ولدی،أ فآخذ من غیر علمه؟و قوله-صلی اللّه علیه و آله-

لها:«خذی ما یکفیک و ولدک بالمعروف».

الثانی-الاستعانه علی رفع المنکر و رد المعاصی إلی الصلاح،و انما یستباح بها ذکر مساءته بالقصد الصحیح لا بدونه.

الثالث-نصح المستشیر فی التزویج،و ایداع الأمانه،و امثالهما.

کذلک جرح الشاهد و المفتی و القاضی إذا سئل عنهم،فله ان یذکر ما یعرفه من عدم العداله و الأهلیه للافتاء و القضاء،بشرط صحه القصد و إراده الهدایه و عدم باعث حسد أو تلبیس من الشیطان،و کذلک توقی المسلمین من الشر و الضرر أو سرایه الفسق و البدعه،فإن من رأی عالما أو غیره من المؤمنین یتردد إلی ذی شر أو فاسق أو مبتدع،و خاف أن یتضرر و یتعدی إلیه الفسق و البدعه بمصاحبته.یجوز له أن یکشف له ما یعرفه من شره و فسقه و بدعته.بشرط کون الباعث مجرد خوف وصول الشر و الفساد أو سرایه الفسق و البدعه إلیه. قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«أ ترعوون عن ذکر الفاجر حتی لا یعرفه الناس؟اذکروه بما فیه یحذره الناس».

و من جمله ما یدخل فی تحذیر المسلمین و توقیهم من الشر و الضرر،إظهار عیب یعلمه فی مبیع،و إن کرهه البایع،حفظا للمشتری من الضرر.مثل أن یشتری عبدا،و قد عرفه بالسرقه أو الفسق أو عیب آخر،أو فرسا،و قد عرفه بکونه مال الغیر،فله أن یظهر ذلک،لاستلزام سکوته ضررا علی المشتری.

الرابع-رد من ادعی نسبا لیس له.

الخامس-القدح فی مقاله أو دعوی باطله فی الدین.

السابع-ضروره التعریف،فانه إذا کان أحد معروفا بلقب یعرب عن عیب،و توقف تعریفه علیه،و لم یکن اثم فی ذکره،بشرط عدم إمکان التعریف بعباره أخری،لفعل الرواه و العلماء فی الاعصار و الامصار

فانهم یقولون:روی الأعمش و الأعرج و غیر ذلک،لأن الغالب صیرورته بحیث لا یکرهه صاحبه.

الثامن-کون المقول فیه مستحقا للاستخفاف،لتظاهره و تجاهره بفسق،کالظلم و الزنا و شرب الخمر و غیر ذلک،بشرط عدم التعدی عما یتظاهر به،اذ لو ذکره بغیر ما یتظاهر به لکان اثما،و أما إذا ذکر منه مجرد ما یتجاهر به فلا اثم علیه،اذ صاحبه لا یستنکف من ذکره،و ربما یتفاخر به و یقصد إظهاره.و مع قطع النظر عن ذلک،فالأخبار داله علیه، کما تقدم جمله منها. و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«من القی جلباب الحیاء من وجهه فلا غیبه له».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:

«لیس لفاسق غیبه».

و الظاهر أن ذکر ما یتجاهر به من العیوب لیس غیبه،لا شرعا و لا لغه،لا انه غیبه استثنی جوازها شرعا،قال الجوهری:«الغیبه أن یتکلم خلف انسان مستور بما یغمه لو سمعه،فان کان صدقا سمی غیبه و إن کان کذبا سمی بهتانا».

هذا و قد صرح جماعه بجواز الغیبه فی موضعین آخرین:أحدهما:

أن یکون اثنان أو أکثر مطلعین علی عیب رجل،فیقع تحاکیه بینهم من غیر أن یظهروه لغیرهم ممن لم یطلع علیه،و فی بعض الأخبار المتقدمه دلاله علی جوازه،کما لا یخفی.و ثانیهما:أن یکون متعلقها-اعنی المقول فیه-غیر محصور،کأن یقال:«قال قوم کذا،أو أهل البلد الفلانی کذا».و مثله إذا قال:«بعض الناس یقول أو یفعل کذا،أو من مر بنا الیوم شأنه کذا»،اذا لم یتعین البعض و المار عند المخاطب،و لو انتقل إلی شخص معین لقیام بعض القرائن،کانت غیبه محرمه،و کذا لو قال:«بعض من قدم من السفر،أو بعض من یدعی العلم»،إن

كان معه قرينه يفهم عين الشخص فهو غيبه و إلا فلا.و كذا ذكر مصنف فى كتابه فاضلا معينا،و تهجين كلامه بلا اقتران شىء من الاعذار المحوجه الى ذكره غيبه،و أما لو ذكره بدون تعيينه،كأن يقول:«و من الفضلاء من صدر عنه فى المقام هفوه أو عثره»،فليس غيبه. ثم السر فى اشتراط الغيبه بكونه تعريضا لشخص معين،و عدم كون التعرض بالمبهم و غير المحصور غيبه،عدم حصول الكراهه مع الإبهام و عدم الانحصار،كما لا يخفى.و ربما كان فى بعض الأخبار أيضا اشعار به،و قد كان رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-اذا كره من انسان شيئا يقول:«ما بال أقوام يفعلون كذا و كذا»من دون تعيين للفاعل.

تذنيب كفاره الغيبه

كفاره الغيبه-بعد التوبه و الندم للخروج عن حق اللّه-أن يخرج من حق من اغتابه.و طريق الخروج من حقه،إن كان ميتا أو غائبا لم يمكن الوصول إليه،أن يكثر له من الاستغفار و الدعاء،ليحسب ذلك يوم القيامه من حسناته و يقابل بها سيئه الغيبه،و إن حيا يمكن الوصول اليه و لم تبلغ إليه الغيبه،و كان فى بلوغها إليه مظنه العداوه و الفتنه،فليكثر له أيضا من الدعاء و الاستغفار،من دون ان يخبره بها،و إن بلغت إليه أو لم تبلغه،و لم يكن فى بلوغها ظن الفتنه و العداوه،فليستحله متعذرا متأسفا مبالغا فى الثناء عليه و التودد إليه،و ليواظب على ذلك حتى يطيب قلبه و يحله فان لم يطب قلبه من ذلك و لم يحله،كان اعتذاره و تودده حسنه يقابل بها سيئه الغيبه فى القيامه.

و الدليل على هذا التفصيل قول الصادق عليه السلام:«و إن اغتبت فبلغ المغتاب،فاستحل منه،فان لم تبلغه لم تلحقه،فاستغفر اللّه» (۱)و ذلك لأن فى الاستحلال مع عدم البلوغ إليه إثاره للفتنه و جلب الضغائن و فى حكم من لم يبلغه من لم يقدر على الوصول إليه بموت أو غيبه،و على هذا فقول النبى-صلى اللّه عليه و آله-:«كفاره من اغتبته أن تستغفر له»،محمول على صوره عدم إمكان الوصول إليه،أو إمكانه مع إيجاب الاعلام و الاستحلال لإثاره الفتنه و العداوه.و قوله-صلى اللّه عليه و آله-:

«من كانت لأخيه عنده مظلمه فى عرض أو مال،فليتحللها منه من قبل أن يأتى يوم ليس هناك دينار و لا درهم،إنما يؤخذ من حسناته، فان لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته»، محمول على صوره البلوغ،مع عدم إيجاب الاعلام و الاستحلال فتنه و عداوه.

تتميم البهتان

قد ظهر مما تقدم أن البهتان أن تقول فى مسلم ما يكرهه و لم يكن فيه،فان كان ذلك فى غيبته كان كذبا و غيبه،و إن كان بحضوره كان أشد أنواع الكذب.و على اى تقدير،فهو أشد إثما من الغيبه و الكذب قال اللّه سبحانه:

وَ مَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدِ

ص:۳۲۴

۱- ۱) هذا جزء من الحديث المتقدم عن مصباح(الشريعه):۲۸۹،الباب ۴۹ فصححناه عليه.

اِحْتَمَلَ بُهْتَاناً وَ إِثْماً مُبِيناً

(۱)

.

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«من بهت مؤمنا أو مؤمنه،أو قال فیه ما لیس فیه،أقامه اللّه علی تل من نار،حتی یخرج مما قاله فیه».و قال الصادق علیه السلام:«من بهت مؤمنا أو مؤمنه بما لیس فیه،بعثه اللّه عز و جل فی طینه خبال،حتی یخرج مما قال» قلت:و ما طینه خبال؟قال:«صدید یخرج من فروج المومسات» (۲) ثم ما ورد فی ذم اللسان و کونه شر الأعضاء و منبع أکثر المعاصی-کما یأتی فی موضعه-یدل علی ذم الغیبه و البهتان،کما یدل علی ذم جمیع آفات اللسان مما تقدم:من الفحش،و اللعن،و الطعن،و السخریه،و غیر ذلک،و ما یأتی:من الکذب،و المزاح،و الخوض فی الباطل.و فضول الکلام،و غیر ذلک.

وصل المدح و مواضع حسنه و قبحه

الغیبه لما کانت راجعه إلی الذم،فضدها المدح و دفع الذم،و البهتان لما کان کذبا،فضده الصدق.و کما أن لکل واحده من آفات اللسان مما مر و مما یأتی ضدا خاصا،فکذلک لجمیعها ضد واحد عام هو الصمت -کما أشیر إلیه فیما سبق أیضا و ضد البهتان-أعنی الصدق-یأتی فی

۱- ۱) النساء،الآیه:۱۱۱.

۲- ۲) صححنا الأحادیث کلها علی(أصول الکافی):باب الغیبه و البهتان. و علی(الوسائل):کتاب الحج،باب تحریم البهتان فی المؤمن.و علی(المستدرک): ۱۰۷،کتاب الحج،باب تحریم البهتان للمؤمن.

مقام بیان الکـذب.و أما الضد العام لکل،فقد یأتی فی موضـعه مع ما یدل بعمومه علی ذم جمیع آفات اللسان،فهنا نشـیر إلی بیان المدح و ما یحمد منه،حتی یکون ضدا لها و فضیله للقوه الغضبیه أو الشهویه،و ما یذم منه حتی یکون رذیله لاحدهما،فنقول:

لا ریب فی أن مـدح المؤمن فی غیبته و حضوره ممـدوح منـدوب إلیه لکونه ادخالا للسـرور علیه،و قـد علم مدحه و ثوابه،و لما ورد من أن رسـول اللّه-صـلی اللّه علیه و آله-أثنی علی أصـحابه،و أنه قـال لجمـاعه -لمـا اثنوا علی بعض الموتی-:«وجبت لکم الجنه،و أنتم شـهداء اللّه فی الأـرض» و لمـا ورد من«أن لبنی آدم جلسـاء من الملاـئکه،فـإذا ذکر أحـد أخـاه المسـلم بخیر،قالت الملائکه:و لک مثله،و إذا ذکره بسوء،قالت الملائکه:

یا ابن آدم المسـتور عورته،اربع علی نفسک!و أحمـد اللّه إذ ستر عورتک» و لکنه لیس راجحا مندوبا علی الإطلاق،بل إذا سـلم من آفـاته،و هی أن یکون صـدقا لاـ یفرط المـادح فیه،بحیث ینتهی إلی الکـذب،و ألاـ یکون المـادح فیه مرائیا منافقا،بأن یکون غرضه إظهار الحب مع عدم کونه محبا فی الواقع سواء کان صادقا فیما ینسبه إلیه من المدح أم لا،و ألا یمدح الظالم و الفاسق و إن کان صادقا فیما یقول فی حقه،لأنه یفرح بمدحه و إدخال الفرح علی الظالم أو الفاسق غیر جائز،قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله:«إن اللّه لیغضب إذا مـدح الفاسق».فالظالم الفاسق ینبغی أن یـذم لیغتم،و لا یمدح لیفرح،و ألا یقول ما لا یتحققه و لا سبیل له الی الاطلاع علیه.

و هـذه الآـفه إنمـا تتطرق فی المـدح بالأوصاف المطلقه و الخفیه،کقولک إنه تقی ورع زاهـد خیر،أو قولک:إنه عـدل رضـی،و أمثال ذلک،

لتوقف الصدق فی ذلک علی قیام الأدله و الخبره الباطنه،و تحققهما فی غایه الندره.فالغالب أن المدح بامثال ذلک یکون من غیر تحقق و تثبت، و ألا یحدث فی الممدوح کبرا أو اعجابا یوجبان هلاکه،و لا رضی عن نفسه یوجب فتوره عن العمل،إذ من أطلقت الألسنه بالثناء علیه یرضی عن نفسه،و یظن أنه قد أدرک،و هذا یوجب فتوره عن العمل،إذ المتشمر له إنما هو من یری نفسه مقصرا،و لذلک قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:لرجل مدح بحضرته رجلا آخر:«ویحک!قطعت عنق صاحبک،لو سمعها ما أفلح»و قال-صلی اللّه علیه و آله-:

«اذا مدحت أخاک فی وجهه،فکأنما أمررت علی حلقه الموسی»و قال أیضا لمن مدح رجلا:«عقرت الرجل عقرک اللّه!».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«لو مشی رجل إلی رجل بسکین مرهف،کان خیرا له من أن یثنی علیه فی وجهه».

و السر فی هذه الأخبار:أن المدح یوجب الفتور عن العمل،أو الکبر أو العجب،و هو مهلک،کقطع العنق و العقر و إمرار الموسی أو السکین علی الحلق،فان سلم المدح عن الآفات المذکوره المتعلقه بالمادح و الممدوح کان ممدوحا،و إلا کان مذموما.و بذلک یحصل الجمع بین ما ورد فی مدحه-کما تقدم-و ما ورد فی ذمه.

فاللازم علی المادح أن یحترز عما تقدم من الآفات المتعلقه به،و علی الممدوح أن یحترز من آفه الکبر و العجب و الفتور و الریاء،بأن یعرف نفسه و یتذکر خطر الخاتمه،و لا یغفل عن دقائق الریاء،و یظهر کراهه المدح،و إلیه الإشاره بقوله-صلی اللّه علیه و آله-:«احثوا التراب فی وجوه المداحین». و بالجمله:اللازم علی الممدوح ألا یتفاوت حاله بالمدح،و هذا فرع معرفه نفسه،و تذکر ما لا یعرفه المادح من عثراته

و ینبغی أن یظهر أنه لیس کما عرفوه،قال بعض الصالحین لما اثنی علیه «اللهم إن هؤلاء لا یعرفونی و أنت تعرفنی».و قال أمیر المؤمنین علیه السلام لما أثنی علیه:«اللهم اغفر لی ما لا یعلمون،و لا تؤاخذنی بما یقولون،و اجعلنی خیرا مما یظنون».

ثم الظاهر عدم المؤاخذه و الإثم بالانبساط و الارتیاح بالمدح،لکون النفوس مجبوله علی الفرح و السرور بنسبه الکمال إلیها،و لکن بشرط أن یکره من نفسه ذلک الارتیاح،و یقهر نفسه و یعاتبها علی ذلک،و یجتهد فی إزاله ذلک عنها،إذ مقتضی العقل الفرح بوجود الکمال فیه لا بنسبته الیه،فما ینسب إلیه منه إن کان موجودا فیه،فینبغی أن یکون فرحه به لا بنسبته إلیه،إذ الانبساط بتصریح رجل بأنک صاحب هذا الکمال حمق و سفه.و إن لم یکن موجودا فیه،فاللازم أن یحزن و یغضب،لکونه استهزاء لا مدحا. و الحاصل:أن العاقل ینبغی ألا یسر بمدح الغیر و لا یحزن بذمه،إذ من ملک یاقوته شریفه حمراء أی ضرر علیه إذا قال رجل إنها خرزه،و إذا ملک خرزه أی فائده له إذا قال انها یاقوته.

و منها:

اشاره

الکذب

و هو إما فی القول،أی الإخبار عن الأشیاء علی خلاف ما هی علیه و صدوره إما عن العداوه أو الحسد أو الغضب،فیکون من رذائل قوه الغضب،أو من حب المال و الطمع،أو الاعتیاد الحاصل من مخالطه أهل الکذب،فیکون من رذائل قوه الشهوه.

أو فی النیه و الاراده،و هو عدم تمحیضها بالله،بألا یکون الله

سبحانه بانفراده باعث طاعاته و حركاته،بل يمازجه شىء من حظوظ النفس.و هذا يرجع إلى الرياء،و يأتى كونه من رذائل أىّ قوه.

و إما فى العزم،أى الجزم على الخير،و ذلك بأن يعزم على شىء من الخيرات و القربات،و يكون فى عزمه نوع ميل و ضعف و تردد يضاد الصدق فى العزيمه،و هذا أيضا من رداءه قوه الشهوه.

و إما فى الوفاء بالعزم،فان النفس قد تسخو بالعزم فى الحال، لعدم مشقه فى الوعد،فإذا حقت الحقائق،و حصل التمكن،و هاجت الشهوات،انحلت العزيمه،و لم يتفق الوفاء بالعزم،و هذا أيضا من رذائل قوه الشهوه و من أنواع الشره.

و إما فى الأعمال،و هو ان تدل أعماله الظاهره على أمر فى باطنه لا يتصف هو به،أى لا يكون باطنه مثل ظاهره و لا خيرا منه.و هذا غير الرياء،لأن المرائى هو الذى يقصد غير اللّه تعالى فى أعماله،و رب واقف على هيئه الخشوع فى صلاته ليس يقصد به مشاهده غيره سبحانه و لكن قلبه غافل عن اللّه و عن الصلاه،فمن نظر إلى ما يصدر عن ظاهره من الخشوع و الاستكانه،يظن انه بشراشره منقطع إلى جناب ربه،و حذف ما سواه عن صحيفه قلبه،و هو بكليته عنه تعالى غافل،و إلى أمره من أمور الدنيا متوجه.و كذلك قد يمشى الرجل على هيئه الطمأنينه و الوقار،بحيث من يراه يجزم بأنه صاحب السكينه و الوقار،مع ان باطنه ليس موصوفا بذلك.فمثل ذلك كاذب فى عمله،و ان لم يكن مرائيا ملتفتا إلى الخلق، و لا نجاه من هذا الكذب إلا باستواء السريره و العلانيه،أو كون الباطن أحسن من الظاهر.و هذا القسم من الكذب ربما كان من رذائل قوه الشهوه،و ربما كان من رذائل قوه الغضب،و ربما كان من رداءه القوه المدركه،بأن كان باعثه مجرد الوساوس.

و أما فی مقامات الـدین،کالکذب فی الخوف و الرجاء،و الزهد و التقوی،و الحب و التعظیم،و التوکل و التسـلیم،و غیر ذلک من الفضائل الخلقیه،فان لها مبادئ یطلق الاسم بظهورها،ثم لها حقائق و لوازم و غایات و الصادق المحقق من نال حقائقها و لوازمها و غایاتهـا،فمن لم یبلغهـا کـان کاذبـا فیها.مثلاـ الخوف من اللّه تعـالی له مبـدأ هو الایمـان به سـبحانه و حقیقه هو تـألم الباطن و احتراقه،و لوازم و آثار هی اصفرار اللون و ارتعاد الفرائض و تکدر العیش و تقسم الفکر و غیر ذلک،و غایات هی الاجتناب عن المعاصـی و السـیئات و المـواظبه علی الطاعـات و العبـادات،فمن آمن بـاللّه تعـالی صـدق علیه کـونه خائفـا منه خوفـا یطلق علیه الاـسم،إلاـ أنه إن لم تکن معه حرقه القلب و تکـدر العیش و التشـمر للعمـل کـان خوفـا کاذبـا، و إن کـان معه ذلک کان خوفا صادقـا،أی بالغـا درجه الحقیقه ،قـال أمیر المؤمنین-صـلوات اللّه علیه و آله-:«إیاکم و الکـذب،فان کل راج طالب،و کل خائف هارب» (۱):أی لاـ تکـذبوا فی ادعـائکم الرجـاء و الخوف من اللّه،و ذلک لأن کل راجع طالب لما یرجو،ساع فی أسـبابه،و أنتم لسـتم کذلک،و کل خائف هارب مما یخاف منه،مجتنب مما یقربه منه،و أنتم لستم کذلک،و هذا مثل قوله علیه السلام فی نهج البلاغه:«کـذب و اللّه العظیم ما باله لا یتبین رجاءه فی عمله!و کل من رجا عرف رجاؤه إلا رجاء اللّه، فانه مـدخول،و کل خوف محقق إلا خوف اللّه فانه معلول...» (۲).

۱- ۱) صححنا الروایه علی(أصول الکافی):باب الکذب،و علی(البحار) ۳ مج ۱۵-۳۹،باب الکذب.

۲- ۲) هذا الکلام مروی فی(الوافی):۳-۴۰۹ باب الکذب.و فی(البحار) ۳ مج ۱۵-۳۵.و هو مروی عن(نهج البلاغه)کما صرح به العلامه المجلسی. -قدس سره-فی الموضع المذکور.

ثم الکذب فی کل مقام لما کان راجعا إلی عدمه،فیکون رذیله متعلقه بالقوه التی فی هذا المقام فضیله متعلقه بها.و بما ذکر یظهر:أن من له مبدأ الایمان،اعنی الإقرار بالشهادتین،و کان فاقدا لحقیقته، اعنی الیقین القطعی بالمبدإ و المعاد،أو للوازمه و غایاته،اعنی الخوف الصادق منه تعالی و التعظیم الحقیقی له سبحانه و الاهتمام البالغ فی امتثال أوامره و نواهیه،کان کاذبا فی دعوی الایمان.

فصل ذم الکذب

الکذب أقبح الذنوب و أفحشها،و أخبث العیوب و أشنعها،قال اللّه سبحانه:

إِنَّمٰا يَفْتَرِي اَلْكَذِبَ اَلَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ

(۱)

.

فَأَعْقَبَهُمْ نِفٰاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمٰا أَخْلَفُوا اَللّٰهَ مٰا وَعَدُوهُ وَ بِمٰا كٰانُوا يَكْذِبُونَ

(۲)

.

و قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«إیاکم و الکذب،فان الکذب یهدی إلی الفجور،و الفجور یهدی إلی النار».و قال صلی اللّه علیه و آله:«المؤمن إذا کذب من غیر عذر لعنه سبعون الف ملک، و خرج من قلبه نتن حتی یبلغ العرش،فیلعنه حمله العرش،و کتب اللّه

۱- ۱) النحل،الآیه:۱۰۵.

۲- ۲) التوبه،الآیه:۷۸.

عليه بتلك الكذبه سبعين زنيه،أ هونها كمن زنى مع أمه» (۱).و سئل صلى اللّه عليه و آله-:«يكون المؤمن جبانا؟قال:نعم!قيل:و يكون بخيلا؟قال:نعم!قيل و يكون كذابا؟قال:لا!»و قال صلى اللّه عليه و آله:«كبرت خيانه أن تحدث أخاك حديثا هو لك به مصدق و أنت له به كاذب».و قال صلى اللّه عليه و آله:«الكذب ينقص الرزق».و قال صلى اللّه عليه و آله:«ويل للذى يحدث فيكذب ليضحك به القوم!ويل له ويل له!».و قال صلى اللّه عليه و آله:

«رأيت كأن رجلا جاءنى،فقال لى:قم،فقمت معه،فإذا أنا برجلين أحدهما قائم و الآخر جالس،و بيد القائم كلوب من حديد يلقمه فى شدق الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله،ثم يجذبه فيلقمه الجانب الآخر فيمده، فإذا مده رجع الآخر كما كان،فقلت للذى أقامنى:ما هذا؟فقال:

هذا رجل كذاب،يعذب فى قبره إلى يوم القيامه».و قال صلى اللّه عليه و آله:«ألا أخبركم باكبر الكبائر:الإشراك باللّه،و عقوق الوالدين، و قول الزور»:أى الكذب.و قال صلى اللّه عليه و آله-:«إن العبد ليكذب الكذبه فيتباعد الملك منه مسيره ميل من نتن ما جاء به». و قال صلى اللّه عليه و آله:«إن للشيطان كحلا و لعوقا و نشوقا.فاما لعوقه فالكذب،و أما نشوقه فالغضب،و أما كحله فالنوم» (۲).و قال روح اللّه لأصحابه:«من كثر كذبه ذهب بهاؤه»،و قال أمير المؤمنين عليه

۱- ۱) صححنا هذين الحديثين على(جامع الأخبار):الباب ۱۲ الفصل ۷.

۲- ۲) مثل مضمون هذه الروايه ورد فى(الوسائل)فى الموضع الآتى الباب ۱۳۸ و فى(المستدرك)فى الموضع الآتى و فى(سفينه البحار):۲:۴۷۳،و فيه اختلاف عما فى نسخ(جامع السعادات)،فان الموجود بهذه الكتب بهذا النص:«ان لا بليس كحلا و لعوقا و سعوطا،فكحله النعاس،و لعوقه الكذب،و سعوطه الكبر».

السلام: «لا يجد العبد طعم الايمان حتى يترک الكذب،هزله وجده».

و قال عليه السلام:«أعظم الخطايا عند اللّه اللسان و الكذب،و شر الندامه ندامه يوم القيامه».و قال على بن الحسين-عليهما السلام-:«اتقوا الكذب الصغير منه و الكبير فى كل جد و هزل،فان الرجل إذا كذب فى الصغير اجترأ على الكبير».و قال أبو جعفر عليه السلام:«إن اللّه عز و جل جعل للشر أقفالا،و جعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب،و الكذب شر من الشراب».و قال عليه السلام:«الكذب هو خراب الايمان» و قال عليه السلام:«إن أول من يكذب الكذاب اللّه عز و جل،ثم الملكان اللذان معه،ثم هو يعلم أنه كاذب».و قال الامام الزكى العسكرى عليه السلام:«جعلت الخبائث كلها فى بيت،و جعل مفتاحها الكذب» و الأخبار الوارده فى ذم الكذب أكثر من أن تحصى.و أشد أنواع الكذب إثما و معصيه الكذب على اللّه و على رسوله و على الأئمه،و كفاه ذما أنه يبطل الصوم،و يوجب القضاء و الكفاره على الاقوى.قال الصادق عليه السلام:«إن الكذبه لتفطر الصائم»،قال الراوى:و أينا لا يكون ذلک منه،قال:«ليس حيث ذهبت،إنما الكذب على اللّه تعالى و على رسوله و على الأئمه-عليهم السلام-».و قال عليه السلام:«الكذب على اللّه و على رسوله و على الأوصياء-عليهم السلام-من الكبائر».و ذكر عنده عليه السلام الحائک،و كونه ملعونا،فقال:«إنما ذلک الذى يحوک الكذب على اللّه و على رسوله».و قال الباقر عليه السلام:«لا تكذب علينا كذبه،فتسلب الحنيفيه» (۱).

۱- ۱) صححنا أكثر الأحاديث هنا على(الوسائل):الباب ۱۳۸-۱۴۰ من ابواب أحكام العشره،و على(المستدرک):۲-۱۰۰-۱۰۲ و على(أصول الكافى) باب الكذب،و على(البحار):۳ مج ۱۵-۳۵،باب الكذب.

فصل مسوغات الكذب

الكذب حرام،لما فيه من الضرر على المخاطب أو على غيره،أو لايجابه اعتقاد المخاطب خلاف الواقع،فيصير سببا لجهله.و هذا القسم مع كونه أهون الدرجات و أقلها إثما،محرم أيضا،إذ إلقاء خلاف الواقع على الغير و سببيه جهله غير جائز،إلا أنه إذا كان مما يتوقف عليه تحصيل مصلحه مهمه،و لم يمكن التوصل إليها بالصدق،زالت حرمته و ارتفع اثمه فان كانت المصلحه مما يجب تحصيلها،كانقاذ مسلم من القتل و الاسر او حفظ عرضه او ماله المحترم،كان الكذب فيه واجبا.و ان كانت راجحه غير بالغه حد الوجوب،فالكذب لتحصيلها مباح أو راجح مثلها كالاصلاح بين الناس و الغلبه على العدو فى الحرب،و تطييب خاطر امرأته و استرضائها و قد وردت الأخبار المتكثره بجواز الكذب إذا توقف عليه تحصيل هذه المقاصد الثلاثه،كما روى:«ان رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-لم يرخص فى شىء من الكذب إلا فى ثلاث:الرجل يقول القول يريد به الإصلاح،و الرجل يقول القول فى الحرب،و الرجل يحدث امرأته و المرأه تحدث زوجها»،و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:

«كل الكذب يكتب على ابن آدم،إلا رجل كذب بين رجلين يصلح بينهما».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:كل الكذب مكتوب كذبا لا محاله إلا أن يكذب الرجل فى الحرب،فان الحرب خدعه،أو يكون بين رجلين شحناء فيصلح بينهما،أو يحدث امرأته يرضيها».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«لا كذب على المصلح».و قال الصادق-عليه السلام-

«کل کذب مسئول عنه صاحبه یوما،إلا کذبا فی ثلاثه:رجل کاید فی حروبه،فهو موضوع عنه.أو رجل اصلح بین اثنین یلقی هذا بغیر ما یلقی به هذا،یرید بذلک الإصلاح ما بینهما.أو رجل وعد أهله شیئا و هو لا یرید أن یتم لهم».و قال-علیه السلام-:«الکلام ثلاثه:

صدق و کذب،و إصلاح بین الناس»،قیل له:ما الإصلاح بین الناس قال:«تسمع فی الرجل کلاما یبلغه فیخبث نفسه،فتلقاه و تقول:قد سمعت من فلان فیک من الخیر کذا و کذا،خلاف ما سمعت منه» (۱)و قد تقدمت اخبار اخر فی هذا المعنی.

و هذه الأخبار و إن اختصت بالمقاصد الثلاثه،إلا أن غیرها من المقاصد الضروریه التی فوقها أو مثلها فی المصلحه یلحقها من باب الأولویه أو اتحاد الطریق.و الأخبار التی وردت فی ذم هتک السر و کشف العیوب و الفواحش تفید وجوب القول بعدم الاطلاع،و إن کان مطلعا مع کونه کذبا،فلا اثم علی أحد بصدور الکذب عنه إذا کان وسیله إلی شیء من المقاصد الصحیحه الضروریه له أو لغیره من المسلمین،فان أخذه ظالم و سأله عن ماله فله أن ینکر،و إن أخذه سلطان و سأله عن فاحشه ارتکبها بینه و بین اللّه فله أن ینکر،و إن سئل عما یعلمه عن عیب أخیه أو سره فله أن ینکره،و لو وقع بین اثنین فساد فله أن یکذب،توسلا إلی الإصلاح بینهما و کذا یجوز له للاصلاح بین الضرات من نسائه أن یظهر لکل واحده أنها أحب إلیه،و إن کانت امرأته لا تطیعه إلا بوعد ما لا یقدر علیه،یجوز أن یعدها فی الحال تطییبا لقلبها،و إن لم یکن صادقا

---

۱ - ۱) صححنا هذه الأخبار علی(أصول الکافی):باب الکذب.و(الوسائل): کتاب الحج،الباب ۱۴۱ من ابواب العشره،و(کنز العمال):۲-۱۲۸.و (احیاء العلوم):۳-۱۱۹.

فی وعده.و یلحق بالنساء الصبیان،فان الصبی إذا لم یرغب فیما یؤمر به من الکتابه و غیرها إلا بوعد أو وعید و تخویف،کان ذلک جائزا، و إن لم یکن فی نیته الوفاء به.و کذا لو تکدر منه انسان،و کان لا یطیب قلبه إلا بالاعتذار إلیه،بانکار ذنب و إظهار زیاده تودد،کان ذلک جائزا و إن لم یکن صدقا.

و الحاصل:أن الکذب لدفع ضرر أو شر أو فساد جائز،بشرط صحه القصد.و قد ورد:ان الکذب المباح یکتب و یحاسب علیه لتصحیح قصده،فان کان قصده صحیحا یعفی،و إلا یؤاخذ به.فینبغی ان یجهد فی تصحیح قصده،و ان یحترز عنه ما لم یضطر إلیه،و یقتصر فیه علی حد الواجب،و لا یتعدی إلی ما یستغنی عنه.

و لا ریب فی أن ما یجب و یضطر إلیه هو الکذب لأمور فی فواتها محذور و اضرار،و لیس کل الکذب لزیاده المال و الجاه و غیره ذلک مما یستغنی عنه،فانه محرم قطعا،إذ فواته لا یوجب ضررا و فسادا و اعداما للموجود بل إنما یوجب فوت حظ من حظوظ النفس.و کذلک فتوی العالم بما لا یحققه و فتوی من لیس له اهلیه الافتاء،إظهارا للفضل أو طلبا للجاه و المال،بل هو أشد أنواع الکذب إثما و حرمه،لأنه مع کونه کذبا لا یستغنی عنه،کذب علی اللّه و علی رسوله.

فالکذب إذا کان وسیله إلی ما یستغنی عنه حرام مطلقا،و إذا کان وسیله إلی ما لا یستغنی عنه ینبغی أن یوازن (۱)محذور الکذب مع محذور

۱- ۱) لم یثبت لهذه الموازنه علی عمومها دلیل من الشرع،و کل ما ثبت منه تلک المواضع المذکوره آنفا،التی جاز فیها الکذب،و هی:الإصلاح و الحرب و الزوجه،و فی الحصر بالمواضع الثلاثه فی الروایات المتقدمه دلیل علی عدم جواز الکذب فی غیرها،لا سیما مثل قوله-علیه السلام-:«کل کذب مسئول عنه صاحبه یوما،إلا کذبا فی ثلاثه...»و لکن ثبت استثناء بعض المواضع،کدفع الظلم، فلا یتعداها.

الصدق،فيترک أشدهما وقعا فی نظر الشرع.و بیان ذلک:أن الکذب فی نفسه محذور،و الصدق فی المواضع المذکوره یوجب محذورا،فینبغی أن یقابل أحد المحذورین بالآخر،و یوازنا بالمیزان القسط،فان کان محذور الکذب أهون من محذور الصدق فله الکذب،و ان کان محذور الصدق أهون وجب الصدق،و قد یتقابل المحذوران بحیث یتردد فیهما،و حینئذ فالمیل إلی الصدق أولی،إذ الکذب أصله الحرمه،و إنما یباح بضروره أو حاجه مهمه،و إذا شک فی کون الحاجه مهمه،لزم الرجوع إلی أصل التحریم.

تنبیه التوریه و المبالغه

کل موضع یجوز فیه الکذب،إن أمکن عدم التصریح به و العدول الی التعریض و التوریه،کان الأولی ذلک.و ما قیل:إن فی المعاریض لمندوحه عن الکذب،و إن فیها ما یغنی الرجل عن الکذب،لیس المراد به أنه یجوز التعریض بدون حاجه و اضطرار،إذ التعریض بالکذب یقوم مقام التصریح به،لأن المحذور من الکذب تفهیم الشیء علی خلاف ما هو علیه فی نفسه،و هذا موجود فی الکذب بالمعاریض.فالمراد أن التعریض یجوز إذا اضطر الإنسان إلی الکذب،و مست الحاجه إلیه،و اقتضته المصلحه فی بعض الأحوال فی تأدیب النساء و الصبیان و من یجری مجراهم

و فی الحذر عن الظلمه و الاشرار فی قتال الأعداء.فمن اضطر إلی الکذب فی شیء من ذلک فهو جائز له،لأن نطقه فیه إنما هو علی مقتضی الحق و الدین،فهو فی الحقیقه صادق،و إن کان کلامه مفهما غیر ما هو علیه لصدق نیته و صحه قصده و إرادته الخیر و الصلاح،فمثل هذا النطق لا یکون خارجا عن حقیقه الصدق،إذ الصدق لیس مقصودا لذاته،بل للدلاله علی الحق،فلا ینظر إلی قالبه و صورته،بل إلی معناه و حقیقته.نعم، ینبغی له فی هذه المواضع أن یعدل إلی المعاریض ما وجد إلیه سبیلا یصدق اللفظ حینئذ أیضا و إن کان متشارکا مع التصریح فی تفهیم الشیء علی خلاف ما هو علیه فی الواقع.و قد کان رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله- اذا توجه إلی سفر و راه بغیره،لئلا ینتهی الخبر إلی الأعداء فیقصدونه.

و مما یدل علی جواز التعریض مع صحه النیه،ما روی فی الاحتجاج «أنه سئل الصادق-علیه السلام-عن قول اللّه تعالی فی قصه إبراهیم -علیه السلام-:

قٰالَ بَلْ فَعَلَهُ کَبِیرُهُمْ هٰذٰا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ کٰانُوا یَنْطِقُونَ

(۱)

.

قال:ما فعله کبیرهم و ما کذب إبراهیم.قیل:و کیف ذلک؟ فقال:إنما قال إبراهیم فاسألوهم إن کانوا ینطقون،أی إن نطقوا فکبیرهم فعل،و إن لم ینطقوا فلم یفعل کبیرهم شیئا،فما نطقوا و ما کذب إبراهیم-علیه السلام-و سئل عن قوله تعالی:

أَیَّتُهَا الْعِیرُ إِنَّکُمْ لَسٰارِقُونَ (۲).

۱- ۱) الأنبیاء،الآیه:۶۳.

۲- ۲) یوسف،الآیه:۷۰.

قال:انهم سرقوا يوسف من أبيه،ألا ترى أنه قال لهم حين قالوا:ما ذا تفقدون؟قالوا:نفقد صواع الملک،و لم يقولوا:سرقتم صواع الملک،انما سرقوا يوسف من أبيه».«و سئل عن قول إبراهيم:

فَنَظَرَ نَظْرَةً فِی النُّجُومِ. فَقالَ إِنِّی سَقِیمٌ

(۱)

.

قال:ما كان إبراهيم سقيما،و ما كذب،انما عنى سقيما فى دينه، اى مرتادا».

و طريق التعريض و التوريه:أن يخبر المتكلم المخاطب بلفظ ذى احتمالين أحدهما غير مطابق للواقع و اظهر فى المقام،فيحمله المخاطب عليه،و ثانيهما مطابق له يريده المتكلم،كما ظهر من خبر الاحتجاج.و من أمثلته:أنه اذا طلبک ظالم و أنت فى دارک و لا تريد الخروج إليه،أن تقول لأحد أن يضع اصبعه فى موضع و يقول:ليس ههنا.و إذا بلغ عنک شیء إلى رجل،و أردت تطييب قلبه من غير أن تكذب،تقول له:ان اللّه ليعلم ما قلت من ذلک من شیء،على أن يكون لفظه(ما)عندک للابهام، و عند المستمع للنفى.و قد ظهر مما ذكر:أن كل تعريض لغرض باطل كالتصريح فى عدم الجواز،لأن فيه تقريرا للغير على ظن كاذب.نعم قد تباح المعاريض لغرض خفيف،كتطييب قلب الغير بالمزاح،كقول النبى-صلى اللّه عليه و آله-:«لا تدخل الجنه عجوز»و«فى عين زوجک بياض»و«نحملک على ولد بعير»...و قس عليه أمثال ذلک و من الكذب الذى يجوز و لا يوجب الفسق،ما جرت به العاده فى المبالغه،كقولک:قلت لک كذا مائه مره،و طلبتک مائه مره.و أمثال ذلک لأنه لا يراد بذلک تفهيم المرات بعددها،بل تفهيم المبالغه.فان لم

۱- ۱) الصافات،الآيه:۸۸،۸۹.

يكن طلبه إلا مره واحده كان كاذبا،و ان طلبه مرات لا يعتاد مثلها فى الكثره فلا يأثم،و ان لم تبلغ مائه.

و من الكذب الذى لا اثم عليه ما يكون فى أنواع المجاز و الاستعارات و التشبيهات،إذ الغرض تفهيم نوع من المناسبه و المبالغه،لا دعوى الحقيقه و المساواه من جميع الجهات.

و من الكذب الذى جرت العاده به،و يتساهل فيه،قول الرجل اذا قيل له:كل الطعام:(لا اشتهيه)،مع كونه مشتهيا له.و هذا منهى عنه كما تدل عليه بعض الاخبار،إلا إذا كان فيه غرض صحيح، و ما جرت العاده به قول الرجل:(اللّه يعلم)فيما لا يعلمه،و هو أشد أنواع الكذب،قال عيسى-عليه السلام-:«إن من أعظم الذنوب عند اللّه ان يقول العبد:ان اللّه يعلم لما لا يعلم».و من الكذب الذى عظم ذنبه و يتساهل فيه،الكذب فى حكايه المنام،قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-«إن من أعظم الفريه ان يدعى الرجل إلى غير أبيه، أو يرى عينيه فى المنام ما لم ير،أو يقول على ما لم أقل».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«من كذب فى حلم،كلف يوم القيامه أن يعقد بين شعرتين».

تذنيب شهاده الزور،اليمين الكاذب،خلف الوعد

من أنواع الكذب و افحشها:شهاده الزور،و اليمين الكاذب، و خلف الوعد.

و یدل علی ذم الأول قوله تعالی فی صفه المؤمنین:

وَ الَّذِینَ لاٰ یَشْهَدُونَ الزُّورَ وَ إِذٰا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا کِرٰاماً

(۱)

.

و قول النبی-صلی اللّه علیه و آله-:«شاهد الزور کعابد الوثن» و علی ذم الثانی قول النبی-صلی اللّه علیه و آله-:«التجار هم الفجار!»فقیل:یا رسول اللّه،أ لیس اللّه قد أحل البیع؟فقال:

«نعم!و لکنهم یحلفون فیأثمون،و یحدثون فیکذبون»و قوله-صلی اللّه علیه و آله-:«ثلاث نفر لا یکلمهم اللّه یوم القیامه و لا ینظر إلیهم و لا یزکیهم:المنان بعطیته،و المنفق سلعته بالحلف الفاجر،و المسبل إزاره» و قوله-صلی اللّه علیه و آله-:«ما حلف حالف باللّه فادخل فیها جناح بعوضه،إلا کانت نکته فی قلبه إلی یوم القیامه»، و قوله-صلی اللّه علیه و آله-:«ثلاث یشنأهم اللّه:التاجر او البایع الحلاف،و الفقیر المختال،و البخیل المنان».

و علی ذم الثالث قول النبی-صلی اللّه علیه و آله-:«من کان یؤمن باللّه و بالیوم الآخر فلیف إذا وعد».و قول الصادق-علیه السلام- «عده المؤمن أخاه نذر لا کفاره له،فمن اخلف فبخلف اللّه تعالی بدأ و لمقته تعرض،و ذلک قوله تعالی:

یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مٰا لاٰ تَفْعَلُونَ. کَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللّٰهِ أَنْ تَقُولُوا مٰا لاٰ تَفْعَلُونَ

(۲)

.

۱- ۱) الفرقان،الآیه:۷۲.

۲- ۲) الصف،الآیه:۲-۳.

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:«أربع من كن فيه كان منافقا و من كانت فيه خله منهن كانت فيه خله من النفاق،حتى يدعها:اذا حدث كذب،و إذا وعد اخلف،و إذا خاصم فجر».

فمن وعد و كان عند الوعد عازما على ألا يفى،أو كان عازما على الوفاء و تركه بدون عذر،فهو منافق.و أما إن عن له عذر من الوفاء،لم يكن منافقا و آثما.و ان جرى عليه ما هو صوره النفاق،فالأولى أن يحترز عن صوره النفاق أيضا كما يحترز عن حقيقته،و ذلك بألا يجزم فى الوعد، بل يعلقه على المشيه و مثلها.

ايقاظ علاج الكذب

طريق معالجه الكذب:أولا-أن يتأمل فى ما ورد فى ذمه من الآيات و الاخبار،ليعلم أنه لو لم يتركه لادركه الهلاك الابدى.ثم يتذكر أن كل كاذب ساقط عن القلوب فى الدنيا و لا يعتنى أحد بقوله،و كثيرا ما يفتضح عند الناس بظهور كذبه.و من أسباب افتضاحه أن اللّه سبحانه يسلط عليه النسيان،حتى أنه لو قال شيئا ينسى أنه قاله،فيقول خلاف ما قاله،فيفتضح،و إلى ذلك أشار الصادق-عليه السلام-بقوله:«إن مما أعان اللّه به على الكذابين النسيان».ثم يتأمل فى الآيات و الاخبار الوارده فى مدح ضده،أعنى الصدق كما يأتى،و بعد ذلك ان لم يكن عدوا لنفسه،فليقدم التروى فى كل كلام يريد أن يتكلم به،فان كان كذبا يتركه و ليجتنب مجالسه الفساق و أهل الكذب،و يجالس الصلحاء و أهل الصدق.

ص :۳۴۲

وصل الصدق و مدحه

ضد الكذب الصدق.و هو أشرف الصفات المرضيه،و رئيس الفضائل النفسيه،و ما ورد فى مدحه و عظم فائدته من الآيات و الأخبار مما لا يمكن احصاؤه،قال اللّه سبحانه:

رِجٰالٌ صَدَقُوا مٰا عٰاهَدُوا اللّٰهَ عَلَيْهِ

(١)

.و قال:

اِتَّقُوا اللّٰهَ وَ كُونُوا مَعَ الصّٰادِقِينَ

(٢)

.و قال: اَلصّٰابِرِينَ وَ الصّٰادِقِينَ وَ الْقٰانِتِينَ وَ الْمُنْفِقِينَ وَ الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحٰارِ (٣)و قال سبحانه: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتٰابُوا -الى قوله- أُولٰئِكَ هُمُ الصّٰادِقُونَ (۴).و قال عز و جل: وَ لٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ .

ثم قال: وَ الصّٰابِرِينَ فِي الْبَأْسٰاءِ وَ الضَّرّٰاءِ وَ حِينَ الْبَأْسِ أُولٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا (۵).

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:«تقبلوا الى بست أتقبل

ص:٣۴٣

١- ١) الأحزاب،الآيه ٢٣.

٢- ٢) التوبه،الآيه ١٢٠.

٣- ٣) آل عمران ١٧.

۴- ۴) الحجرات،الآيه ١۵.

۵- ۵) البقره الآيه ١٧٧.

لکم بالجنه:اذا حدث أحدکم فلا یکذب،و إذا وعد فلا یخلف،و إذا ائتمن فلا یخن و غضوا أبصارکم،و کفوا أیدیکم،و احفظوا فروجکم» و عن الصادقین-علیهما السلام-:«ان الرجل لیصدق حتی یکتبه اللّه صدیقا». و عن الصادق علیه السلام قال:«کونوا دعاه الناس بالخیر بغیر ألسنتکم،لیروا منکم الاجتهاد و الصدق و الورع».و عنه علیه السلام «من صدق لسانه زکی عمله،و من حسنت نیته زید فی رزقه،و من حسن بره بأهل بیته مد له فی عمره».و عنه علیه السلام قال:«لا تنظروا الی طول رکوع الرجل و سجوده،فان ذلک شیء اعتاده،و لو ترکه لاستوحش لذلک،و لکن انظروا إلی صدق حدیثه و أداء أمانته».و قال علیه السلام لبعض أصحابه:«انظر إلی ما بلغ به علی-علیه السلام-عند رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-فالزمه،فان علیا-علیه السلام-انما بلغ ما بلغ به عند رسول اللّه بصدق الحدیث و أداء الأمانه».و عنه-علیه السلام-قال:«إن اللّه لم یبعث نبیا إلا بصدق الحدیث و أداء الأمانه الی البر و الفاجر» (۱) و قال-علیه السلام-:«أربع من کن فیه کمل ایمانه و لو کان ما بین قرنه إلی قدمه ذنوب لم ینقصه ذلک-قال-هی الصدق،و أداء الأمانه،و الحیاء،و حسن الخلق».و قد وردت بهذه المضامین اخبار کثیره اخر. و من أنواع الصدق فی الشهاده،و هو ضد شهاده الزور و الصدق فی الیمین،و هو ضد الکذب فیه،و الوفاء بالعهد و هو ضد خلف الوعد،و هذا القسم من الصدق،اعنی الوفاء بالعهد،

---

۱ – ۱) صححنا اغلب الأحادیث علی(أصول الکافی):باب الصدق و أداء الأمانه.و علی(الوسائل):کتاب الحج،باب وجوب الصدق و علی(المستدرک) ۲-۸۴-۸۹.

أفضل أنواع الصدق القولى و أحبها،و لذا اثنى اللّه تعالى على نبيه إسماعيل به،و قال:

إِنَّهُ كٰانَ صٰادِقَ الْوَعْدِ وَ كٰانَ رَسُولاً نَبِيًّا

(۱)

.

قيل:انه واعد إنسانا فى موضع فلم يرجع إليه،فبقى اثنين و عشرين يوما فى انتظاره.و روى:«أنه بايع رجل رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-و وعده أن يأتيه فى مكانه ذلك،فنسى وعده فى يومه و غده، و أتاه فى اليوم الثالث و هو فى مكانه»و قال رسول اللّه:«العده دين» و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«الوأى-أى الوعد-مثل الدين أو أفضل».

تكميل أقسام الصدق

اشاره

الصدق كالكذب له أنواع سته:

الأول-الصدق فى القول،

و هو الاخبار عن الأشياء على ما هى عليه،و كمال هذا النوع بترك المعاريض من دون ضروره،حذرا من تفهيم الخلاف و كسب القلب صوره كاذبه،و رعايه معناه فى الفاظه التى يناجى بها اللّه سبحانه،فمن قال:«وجهت وجهى للذى فطر السماوات و الأرض»و فى قلبه سواه،أو قال:«إياك نعبد»و هو يعبد الدنيا بتقيد قلبه بها،إذ كل من تقيد قلبه بشىء فهو عبد له،كما دلت عليه الاخبار،فهو كاذب.

الثانى-الصدق فى النيه و الاراده،

و يرجع ذلك إلى الإخلاص،

۱- ۱) مريم،الآيه ۵۴.

و هو تمحیض النیه و تخلیصها للّه،بألا یکون له باعث فی طاعاته،بل فی جمیع حرکاته و سکناته،إلا اللّه.فالشوب یبطله و یکذب صاحبه.

الثالث-الصدق فی العزم،

أی الجزم علی الخیر:فان الإنسان قد یقدم العزم علی العمل،و یقول فی نفسه:إن رزقنی اللّه کذا تصدقت منه کذا،و إن خلصنی اللّه من تلک البلیه فعلت کذا.فان کان فی باطنه جازما علی هذا العزم،مصمما علی العمل بمقتضاه،فعزمه صادق،و إن کان فی عزمه نوع میل و ضعف و تردد،کان عزمه کاذبا،إذ التردد فی العزیمه یضاد الصدق فیها،و کان الصدق هنا بمعنی القوه و التمامیه، کما یقال:لفلان شهوه صادقه،أی قوه تامه،أو شهوه کاذبه،أی ناقصه ضعیفه.

الرابع-الصدق فی الوفاء بالعزم:

فان النفس قد تسخو بالعزم فی الحال،إذ لا مشقه فی الوعد،فإذا حان حین العمل بمقتضاه،هاجت الشهوات و تعارضت مع باعث الدین،و ربما غلبته بحیث انحلت العزیمه و لم یتفق الوفاء بمتعلق الوعد،و هذا یضاد الصدق فیه،و لذلک قال اللّه سبحانه:

رِجٰالٌ صَدَقُوا مٰا عٰاهَدُوا اللّٰهَ عَلَیْهِ

(۱)

.

الخامس-الصدق فی الاعمال:

و هو تطابق الباطن و الظاهر و استواء السریره و العلانیه،أو کون الباطن خیرا من الظاهر،بألا تدل أعماله الظاهره علی أمر فی باطنه لا یتصف هو به،لا بأن یترک الاعمال،بل بأن یستجر الباطن إلی تصدیق الظاهر.و هذا أعلی مراتب الإخلاص، لإمکان تحقق نوع من الإخلاص بما دون ذلک،و هو أن یخالف الباطن

۱- ۱) الأحزاب،الآیه ۲۳.

الظاهر من دون قصد،فان ذلك ليس رياء فلا يمتنع صدق اسم الإخلاص عليه.

توضيح ذلك:أن الرياء هو أن تقصد غير اللّه سبحانه فى الاعمال و قد تصدر عن انسان اعمال ظاهره تدل على أنه صاحب فضيله باطنه، من التوجه إلى اللّه و الانس به،أو السكينه و الوقار،أو التسليم و الرضا و غير ذلك،مع أنه فاقد لها،لحصول الغلبه المانعه عن تحققها،أو اتفاق صدور الاعمال الظاهره بهذه الهيئه من دون أن يقصد بها مشاهده غيره سبحانه،فهذا غير صادق فى عمله،كاذب فى دلاله الظاهر على الباطن و إن لم يكن مرائيا و لا ملتفتا إلى الخلق،فاذن مخالفه الظاهر للباطن ان كانت من قصد سميت رياء،و يفوت بها الإخلاص،و ان كانت من غير قصد سميت كذبا و يفوت بها الصدق،و ربما لم يفت بها بعض مراتب الإخلاص.و هذا النوع من الصدق-اعنى مساواه السر و العلانيه أو كونه خيرا منها-أعز من الانواع السابقه عليه،و لذلك كرر طلبه من اللّه سيد الرسل-صلى اللّه عليه و آله-فى دعواته بقوله:«اللهم اجعل سريرتى خيرا من علانيتى،و اجعل علانيتى صالحه» و ورد:«أنه إذا ساوت سريره المؤمن علانيته،باهى اللّه به الملائكه،يقول:هذا عبدى حقا!».و كان بعض الأكابر يقول:«من يدلنى على بكاء بالليل بسام بالنهار؟».و لنعم ما قيل:

اذا السر و الاعلان فى المؤمن استوى

فقد عز فى الدارين و استوجب الثنا

و ان خالف الاعلان سرا فما له على سعيه فضل سوى الكد و العنا

كما خالص الدينار فى السوق نافق و مغشوشه المردود لا يقتضى المنى

و من جمله هذا الصدق:موافقه القول و الفعل،فلا يقول ما لا يفعل و لا يأمر بما لا يعمل.فمن وعظ و لم يتعظ فى نفسه كان كاذبا.و من

هنا قال أمير المؤمنين-عليه السلام-:«انى و اللّه ما احثكم على طاعه إلا و اسبقكم إليها،و لا انهاكم عن معصيه إلا و أتناهى قبلكم عنها».

السادس-الصدق فى مقامات الدين:

من الصبر،و الشكر،و التوكل و الحب،و الرجاء،و الخوف،و الزهد،و التعظيم،و الرضا،و التسليم، و غير ذلك.و هو أعلى درجات الصدق و أعزها،فمن اتصف بحقائق هذه المقامات و لوازمها و آثارها و غاياتها فهو الصديق الحق،و من كان له فيها مجرد ما يطلق عليه الاسم دون اتصافه بحقائقها و آثارها و غاياتها فهو كاذب فيها.أما ترى أن من خاف سلطانا أو غيره كيف يصفر لونه و يتعذر عليه أكله و نومه و يتنغص عليه عيشه و يتفرق عليه فكره و ترتعد فرائصه و تتزلزل اركانه و جوانبه؟و قد ينزح عن وطنه و يفترق عن أهله و ولده،فيستبدل بالأنس الوحشه،و بالراحه التعب و المشقه،فيعترض للاخطار و يختار مشقه الاسفار،كل ذلك من دركك المحذور.فمثل هذا الخوف هو الخوف الصادق المحقق.ثم إن من يدعى الخوف من اللّه أو من النار و لا يظهر عليه شيء من ذلك عند إراده المعصيه و صدورها عنه،فخوفه خوف كاذب،قال النبى-صلى اللّه عليه و آله-:«لم أر مثل النار نام هاربها،و لم ار مثل الجنه نام طالبها».

ثم لا غايه لهذه المقدمات حتى يمكن لأحد أن ينال غايتها،بل لكل عبد منها حظ بحسب حاله و مرتبته،فمعرفه اللّه و تعظيمه و الخوف منه غير متناهيه،فلذلك لما رأى النبى-صلى اللّه عليه و آله-جبرئيل على صورته الاصليه،خر مغشيا عليه،و قال-بعد عودته إلى صورته الأولى و افاقته- «ما ظننت أحدا من خلق اللّه هكذا!قال له:فكيف لو رأيت أسرافيل إن العرش على كاهله،و ان رجليه قد مرقتا تخوم الأرضين السفلى،و أنه ليتصاغر من عظمه اللّه حتى يصير كالوصع!»:أى كالعصفور الصغير

و قـال-صـلى اللّه عليه و آله-:«مررت ليله أسـرى بى-أنـا و جبرئيـل- بالملإ الأعلى كالحلس البالى من خشـيه اللّه»:اى كالكساء الذى يلقى على ظهر البعير.

فـانظر إلى اعـاظم الملائكه و النـبين،كيـف تصـير حـالهم من شـده الخشـيه و التعظيم،و هـذا انمـا هو لقوه معرفتهم بعظمه اللّه و جلاله،و فوق ما لم يدركوه من عظمته و قدرته مراتب غير متناهيه.فاختلاف الناس فى مراتب الخوف و التعظيم و الحب و الانس إنما هو بحسب اختلافهم فى معرفه اللّه، و ليس يمكن أن يوجد من بلغ غايتها،فاختلاف الناس إنما هو فى القدر الذى يمكن أن يبلغ إليه،و البلوغ إليه فى الجميع أيضا نادر،فالصادق فى جميع المقامات عزيز جدا.

و من علامـات هـذا الصـدق:كتمان المصائب و الطاعات جميعا،و كراهه اطلاع الخلق عليها.و قـد روى:«ان اللّه تعالى أوحى إلى موسـى-عليه السـلام-:إنى إذا أحببت عبـدا ابتليته ببلايا لا تقوى لها الجبال،لأنظر كيف صـدقه،فان وجـدته صابرا اتخـذته وليا و حبيبا،و ان وجدته جزوعا يشكونى إلى خلقى خذلته و لم أبال».و قال الصادق-عليه السلام-:

«اذا أردت أن تعلم أ صادق أنت أم كاذب،فانظر فى صدق معناك و عقد دعواك،و عيرهما بقسـطاس من اللّه عز و جل كأنك فى القيامه،قال عز و جل:

وَ الْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ

(۱)

.

فإذا اعتـدل معنـاك بغور دعواك ثبت لـك الصـدق.و أدنى حـد الصـدق ألاـ يخـالف اللسـان القلب و لاـ القلب اللسان،و مثل الصادق الموصوف بما

۱- ۱) الأعراف،الآيه:۷.

ذکرنا کمثل النازع لروحه،إن لم ینزع فما ذا یصنع» (۱).

تنبیه اللسان أضر الجوارح

اعلم أن أکثر ما تقدم من الرذائل المذکوره فی هذا المقام:من الکذب و الغیبه،و البهتان،و الشماته،و السخریه،و المزاح و غیرها،و فی المقام الثالث-اعنی التکلم بما لا یعنی و الفضول و الخوض فی الباطل-من آفات اللسان و هو اضر الجوارح بالإنسان،و أعظمها إهلاکا له،و آفاته أکثر من آفات سائر الأعضاء،و هی و ان کانت من المعاصی الظاهره، إلا أنها تؤدی إلی مساوئ الأخلاق و الملکات.إذ الأخلاق انما ترسخ فی النفس بتکریر الأعمال،و الاعمال انما تصدر من القلب بتوسط الجوارح،و کل جارحه تصلح لأن تصدر منها الأعمال الحسنه الجالبه للأخلاق الجمیله، و أن تصدر منها الاعمال القبیحه المورثه للأخلاق السیئه،فلا بد من مراعاه القلب و الجوارح معا بصرفهما إلی الخیرات و منعهما من الشرور.و عمده ما تصدر منه الذمائم الظاهره المؤدیه إلی الرذائل الباطنیه هو اللسان،و هو أعظم آفه للشیطان فی استغواء نوع الإنسان،فمراقبته أهم،و محافظته أوجب و ألزم.و السر فیه-کما قیل-:أنه من نعم اللّه العظیمه،و لطائف صنعه الغریبه،فانه و إن کان صغیرا جرمه،عظیم طاعته و جرمه،إذ لا یتبین الایمان و الکفر إلا بشهادته،و لا یهتدی إلی شیء من أمور النشأتین إلا بدلالته،و ما من موجود او معدوم إلا و هو یتناوله و یتعرض له باثبات

ص: ۳۵۰

۱- ۱) هذا الحدیث فی(مصباح الشریعه):الباب ۷۵ فصححناه علیه.

أو نفی،اذ کل ما یتناوله العلم یعبر عنه اللسان اما بحق أو باطل،و لا شیء إلا و العلم یتناوله.

و هذه خاصیه لا توجد فی سائر الأعضاء،اذ العین لا تصل إلی غیر الالوان و الصور،و الاذن لا تصل إلی غیر الأصوات،و الید لا تصل إلی غیر الأجسام،و کذا سائر الأعضاء،و اللسان رحب المیدان وسیع الجولان لیس له مرد،و لا لمجاله منتهی و لا حد،فله فی الخیر مجال رحب،و فی الشر ذیل سحب،فمن أطلق عذبه اللسان و اهمله مرخی العنان سلک به الشیطان فی کل میدان،و أوقعه فی أودیه الضلاله و الخذلان،و ساقه اللّه شفا جرف هار،الی أن یضطره إلی الهلاک و البوار،و لذلک قال سید الرسل-صلی اللّه علیه و آله-:«هل یکب الناس علی مناخرهم فی النار إلا حصائد ألسنتهم؟» (۱).فلا ینجی من شر اللسان الا أن یقید بلجام الشرع،و لا یطلق الا فیما ینفع فی الدنیا و الآخره،و یکف عن کل ما یخشی غائلته فی العاجله و الآجله،و علم ما یحمد إطلاق اللسان فیه او یذم غامض عزیز،و العمل بمقتضاه علی من عرفه ثقیل عسیر،و هو اعصی الأعضاء علی الإنسان،اذ لا تعب فی تحریکه و لا مؤنه فی إطلاقه فلا یجوز التساهل فی الاحتراز عن آفاته و غوائله،و فی الحذر عن مصائده و حبائله.

و الآیات و الأخبار الوارده فی ذمه و فی کثره آفاته و فی الأمر بمحافظته و التحذیر عنه کثیره،و هی بعمومها تدل علی ذم جمیع آفاته مما مر و مما یأتی.قال اللّه سبحانه:

مٰا یَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاّٰ لَدَیْهِ رَقِیبٌ عَتِیدٌ

(۲)

.

۱- ۱) رواه فی«أصول الکافی»:باب الصمت و حفظ اللسان،فصححناه علیه.

۲- ۲) ق،الآیه:۱۸.

و قال: لاّٰ خَيْرَ فِی كَثِيرٍ مِنْ نَجْوٰاهُمْ،إِلاّٰ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاٰحٍ بَيْنَ النّٰاسِ (۱).

و قال رسول اللّه-صلی اللّه عليه و آله-:«من يتكفل لی بما بين لحييه و رجليه،اتكفل له بالجنه».و قال-صلی اللّه عليه و آله-:

«من وقی شر قبقبه و ذبذبه و لقلقه،فقد وقی» (۲):و القبقب:البطن و الذبذب الفرج،و اللقلق:اللسان.و قيل له-صلی اللّه عليه و آله-:

«ما النجاه؟قال:املك عليك لسانك».و قال-صلی اللّه عليه و آله-:

«أكبر ما يدخل الناس النار الاجوفان:الفم،و الفرج»،و المراد بالفم اللسان.و قال-صلی اللّه عليه و آله-:«و هل يكب الناس علی مناخرهم فی النار إلا حصائد ألسنتهم؟».و قال له رجل:«ما أخوف ما يخاف علی؟فاخذ بلسانه،و قال:هذا».و قال-صلی اللّه عليه و آله- «لا يستقيم ايمان عبد حتی يستقيم قلبه،و لا يستقيم قلبه حتی يستقيم لسانه» و قال-صلی اللّه عليه و آله-:«اذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تكفر اللسان،فتقول:اتق اللّه فينا،فانما نحن بك،فان استقمت استقمنا،و إن اعوججت اعوججنا» (۳).«و قال له رجل:اوصنی! فقال-صلی اللّه عليه و آله-:أعبد اللّه كأنك تراه وعد نفسك فی الموتی و ان شئت أنبأتك بما هو أملك لك من هذا كله-و أشار بيده إلی لسانه» و قال-صلی اللّه عليه و آله-:«ان اللّه عند لسان كل قائل،فليتق

۱- ۱) النساء،الآيه:۱۱۳.

۲- ۲) تقدم هذا الحديث فی ۲-۴.

۳- ۳) صححنا الحديث علی(كنز العمال):۲-۱۱۱.

اللّه امرؤ على ما يقول».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«من لم يحسب كلامه من عمله،كثرت خطاياه و حضر عذابه».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«يعذب اللّه اللسان بعذاب لا يعذبه به شيئا من الجوارح.فيقول أى رب!اعذبتنى بعذاب لم تعذب به شيئا من الجوارح.فيقال له:

خرجت منك كلمه بلغت مشارق الأرض و مغاربها،فسفك بها الدم الحرام،و انتهب بها المال الحرام،و انتهك بها الفرج الحرام.و عزتى و جلالى!لأعذبنك بعذاب لا أعذب به شيئا من جوارحك!».و قال -صلى اللّه عليه و آله-:ان كان فى شىء شوم ففى اللسان». و قال أمير المؤمنين-عليه السّلام-لرجل يتكلم بفضول الكلام:«يا هذا! إنك نملى على حافظيك كتابا إلى ربك،فتكلم بما يعنيك،و دع ما لا يعنيك» (۱)و قال أمير المؤمنين عليه السلام:«المرء مخبوء تحت لسانه، فزن كلامك،و اعرضه على العقل و المعرفه،فان كان للّه و فى اللّه فتكلم و ان كان غير ذلك فالسكوت خير منه،و ليس على الجوارح عباده اخف مؤنه و أفضل منزله و أعظم قدرا عند اللّه كلام فيه رضى اللّه عز و جل و لوجهه و نشر آلائه و نعمائه فى عباده،ألا أن اللّه لم يجعل فيما بينه و بين رسله معنى يكشف ما أسر إليهم من مكنونات علمه و مخزونات وحيه غير الكلام،و كذلك بين الرسل و الأمم،فثبت بهذا أنه أفضل الوسائل (و الكلف و العباده) (۲).و كذلك لا معصيه أثقل على العبد و أسرع عقوبه عند اللّه و أشدها ملامه و اعجلها سآمه عند الخلق منه،و اللسان

۱- ۱) صححنا الأحاديث الأربعه على(أصول الكافى):باب الصمت و حفظ اللسان.و على(الوافى):۲-۳۴۰ و على(البحار)۳ مج ۱۵-۱۸۹،۱۸۸، باب السكوت و الصمت.

۲- ۲) و فى نسخ(جامع السعادات):«و الطف العباده».

ترجمان الضمير و صاحب خبر القلب،و به ينكشف ما فى سر الباطن،و عليه يحاسب الخلق يوم القيامه،و الكلام خمر يسكر العقول ما كان منه لغير اللّه و ليس شىء أحق بطول السجن من اللسان» (۱)و قال السجاد-عليه السلام-:«إن لسان ابن آدم يشرف فى كل يوم على جوارحه كل صباح فيقول:كيف اصبحتم؟فيقولون بخير ان تركتنا!و يقولون:اللّه اللّه فينا!و يناشدونه و يقولون:انما نثاب و نعاقب بك».و قال الصادق عليه السلام:«ما من يوم إلا-و كل عضو من اعضاء الجسد يكفر اللسان يقول:نشدتك اللّه أن نعذب فيك!» (۲).

تتميم الصمت

لما علمت كون اللسان شر الأعضاء و كثره آفاته و ذمه،فاعلم أنه لا نجاه من خطره إلا بالصمت،و قد أشير فيما سبق:أن الصمت ضد لجميع آفات اللسان،و بالمواظبه عليه تزول كلها،و هو من فضائل قوه الغضب أو الشهوه،و فضيلته عظيمه و فوائده جسيمه،فان فيه جمع الهم و دوام الوقار،و الفراغ للعباده و الفكر و الذكر،و للسلامه من تبعات القول فى الدنيا و من حسناته فى الآخره.و لذا مدحه الشرع و حث عليه،قال

ص:۳۵۴

۱- ۱) صححنا الحديث على(مصباح الشريعه):الباب ۴۶.

۲- ۲) الحديثان الأخيران مرويان فى(الكافى):باب الصمت.قال فى(الوافى) ۲-۳۴۰:«يكفر اللسان:أى يذل و يخضع.و التكفير:هو ان ينحنى الإنسان و يطأطئ رأسه قريبا من الركوع».

رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«من صمت نجا».و قال:

«الصمت حکم،و قلیل فاعله».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«من کف لسانه ستر اللّه عورته».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:ألا أخبرکم بأیسر العباده و أ هونها علی البدن:الصمت و حسن الخلق».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«من کان یؤمن باللّه و الیوم الآخر فلیقل خیرا أو لیسکت».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«رحم اللّه عبدا تکلم خیرا فغنم،أو سکت عن سوء فسلم».و جاء إلیه-صلی اللّه علیه و آله-أعرابی و قال:«دلنی علی عمل یدخلنی الجنه.قال:اطعم الجائع واسق الظمان،و أمر بالمعروف،و انه عن المنکر،فان لم تطق، فکف لسانک إلا من خیر».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«اخزن لسانک إلا من خیر،فانک بذلک تغلب الشیطان»و قال-صلی اللّه علیه و آله- «اذا رأیتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه،فانه یلقن الحکمه».و قال -صلی اللّه علیه و آله-:«الناس ثلاثه:غانم،و سالم،و شاحب، فالغانم:الذی یذکر اللّه،و السالم:الساکت،و الشاحب:الذی یخوض فی الباطل».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«إن لسان المؤمن وراء قلبه،فإذا أراد أن یتکلم بشیء تدبره بقلبه،ثم أمضاه بلسانه.و ان لسان المنافق امام قلبه،فإذا هم بشیء امضاه بلسانه و لم یتدبره بقلبه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«أمسک لسانک،فانها صدقه تصدق بها علی نفسک».ثم قال:«و لا یعرف عبد حقیقه الایمان حتی یخزن من لسانه».و قال-صلی اللّه علیه و آله-لرجل أتاه:«ألا أدلک علی امر یدخلک اللّه به الجنه؟قال:بلی یا رسول اللّه!قال:أنل مما أنالک اللّه!قال:فان کنت احوج ممن انیله؟قال:فانصر المظلوم.

قال:فان کنت أضعف ممن أنصره،قال:فاصنع للاخرق-یعنی

أشر عليه-.قال:فان كنت اخرق ممن أصنع له.قال:فاصمت لسانک إلا من خير،أما يسرک أن تكون فيک خصله من هذه الخصال تجرک إلى الجنه؟».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«نجاه المؤمن حفظ لسانه».و جاء رجل إليه-صلى اللّه عليه و آله-فقال:«يا رسول اللّه أوصنى!قال:احفظ لسانک.قال:يا رسول اللّه اوصنى!قال احفظ لسانک.قال:يا رسول اللّه اوصنى!قال:احفظ لسانک.ويحک و هل يکب الناس على مناخرهم فى النار إلا حصائد ألسنتهم؟».

و قيل لعيسى بن مريم-عليه السلام-:«دلنا على عمل ندخل به الجنه.قال:لا تنطقوا أبدا.قالوا:لا نستطيع ذلک.قال:فلا تنطقوا إلا بخير».و قال-عليه السّلام-أيضا:«العباده عشره اجزاء،تسعه منها فى الصمت،و جزء فى الفرار عن الناس».و قال:«لا تكثروا الكلام فى غير ذكر اللّه،فان الذين يكثرون الكلام فى غير ذكر اللّه قاسيه قلوبهم و لكن لا يعلمون».و قال لقمان لابنه:«يا بنى،إن كنت زعمت أن الكلام من فضه،فان السكوت من ذهب».

و قال أبو جعفر الباقر-عليه السلام:«كان أبو ذر يقول:

يا مبتغى العلم،إن هذا اللسان مفتاح خير و مفتاح شر،فاختم على لسانک كما تختم على ذهبک و ورقک».و قال-عليه السلام-:«إنما شيعتنا الخرس».و قال الصادق-عليه السلام-لمولى له يقال له(سالم)-بعد أن وضع يده على شفتيه-:«يا سالم،احفظ لسانک تسلم،و لا تحمل الناس على رقابنا».و قال-عليه السلام-:«فى حكمه آل داود:

على العاقل أن يكون عارفا بزمانه،مقبلا على شأنه،حافظا للسانه».

و قال-عليه السلام-:«لا يزال العبد المؤمن يكتب محسنا ما دام ساكتا فإذا تكلم كتب محسنا أو مسيئا».و قال-عليه السلام-:«النوم راحه

للجسد،و النطق راحه للروح،و السكوت راحه للعقل».و قال-عليه السّلام- «الصمت كنز وافر،و زين الحليم،و ستر الجاهل».و قال أبو الحسن الرضا-عليه السلام-:«احفظ لسانك تعز،و لا تمكن الناس من قيادك فتذل رقبتك».و قال-عليه السلام-:«من علامات الفقه:

الحلم،و العلم،و الصمت،ان الصمت باب من أبواب الحكمه،إن الصمت يكسب المحبه،انه دليل على كل خير».و قال-عليه السّلام-:«كان الرجل من بنى أسرائيل إذا أراد العباده صمت قبل ذلك بعشر سنين» (۱)و فى(مصباح الشريعه)عن مولانا الصادق-عليه السلام-قال:

«الصمت شعار المحققين بحقائق ما سبق و جف القلم به،و هو مفتاح كل راحه من الدنيا و الآخره،و فيه رضا الرب،و تخفيف الحساب و الصون من الخطايا و الزلل و قد جعله اللّه سترا على الجاهل و زينا للعالم،و معه عزل الهوى،و رياضه النفس،و حلاوه العباده،و زوال قسوه القلب،و العفاف و المروه و الظرف.فاغلق باب لسانك عما لك منه بد،لا سيما إذا لم تجد أهلا للكلام و المساعد فى المذاكره للّه و فى اللّه،و كان ربيع بن خيثم يضع قرطاسا بين يديه،فيكتب كل ما يتكلم به ثم يحاسب نفسه عشيه،ماله و ما عليه،و يقول:آه آه!نجا الصامتون و بقينا.و كان بعض أصحاب رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-يضع الحصاه فى فمه،فإذا أراد أن يتكلم بما علم أنه للّه و فى اللّه و لوجه اللّه أخرجها.و ان كثيرا من الصحابه

۱- ۱) صححنا الأحاديث هنا على(أصول الكافى):باب الصمت،و على (الوسائل)كتاب الحج،الباب ۱۱۷ من احكام العشره.و على(المستدرك)۲ - ۸۸،۸۹.و على(سفينه البحار):۲-۵۱،۵۰.و على(البحار)۲ مج ۱۵ - ۱۸۹ باب السكوت و الصمت.و على(احياء العلوم):۳-۹۳-۹۵.و على (كنز العمال):۲-۷۲ و ۱۱۱.

-رضوان اللّه عليهم-كانوا يتنفسون تنفس الغرقى،و يتكلمون شبه المرضى و انما سبب هلاك الخلق و نجاتهم الكلام و الصمت.فطوبى لمن رزق معرفه عيب الكلام و هوائه،و علم الصمت و فوئده!فان ذلك من أخلاق الأنبياء و شعار الاصفياء.و من علم قدر الكلام أحسن صحبه الصمت و من أشرف على ما فى لطائف الصمت و اؤتمن على خزائنه كان كلامه و صمته كله عباده و لا يطلع على عبادته هذه إلا الملك الجبار» (۱).

و قد ظهر من هذه الاخبار:أن الصمت مع سهولته أنفع للانسان من كل عمل،و كيف لا يكون كذلك،و خطر اللسان الذى هو أعظم الاخطار و آفاته التى هى أشد المهلكات لا ينسد إلا به؟و الكلام و ان كان فى بعضه فوائد و عوائد،إلا أن الامتياز بين الممدوح و المذموم منه مشكل و مع الامتياز فالاقتصار على مجرد الممدوح عند إطلاق اللسان أشكل، و حينئذ فالصمت عما لا جزم بتضمنه للخير و الثواب من الكلام أولى و انفع و قد نقل:«أن أربعه من أذكياء الملوك-ملك الهند،و ملك الصين،و كسرى،و قيصر-تلاقوا فى وقت،فاجتمعوا على ذم الكلام و مدح الصمت فقال أحدهم:أنا أندم على ما قلت و لا أندم على ما لم أقل و قال الآخر:إنى إذا تكلمت بالكلمه ملكتنى و لم أملكها،و إذا لم أتكلم بها ملكتها و لم تملكنى.و قال الثالث:عجبت للمتكلم،ان رجعت عليه كلمته ضرته،و ان لم ترجع لم تنفعه.و قال الرابع:أنا على رد ما لم أقل أقدر منى على رد ما قلت».

۱- ۱) مصباح الشريعه:الباب ۲۷.

و منها:

اشاره

حب الجاه و الشهره

و المراد بالشهره:انتشار الصیت،و معنی الجاه:ملک القلوب و تسخیرها بالتعظیم و الاطاعه و الانقیاد له.و بعباره أخری:قیام المنزله فی قلوب الناس،و انما تصیر القلوب مملوکه مسخره للشخص،باشتمالها علی اعتقاد اتصافه بکمال حقیقی،او بما یظنه کمالا،من علم و عباده، أو ورع و زهاده،أو قوه و شجاعه،أو بذل و سخاوه،أو سلطنه و ولایه أو منصب و ریاسه،أو غنی و مال،او حسن و جمال،أو غیر ذلک مما یعتقده الناس کمالا-و تسخیر القلوب و انقیادها علی قدر اعتقادها،و بحسب درجه ذلک الکمال عندها،فبقدر ما یعتقد أرباب القلوب تذعن له قلوبهم و بقدر إذعانها تکون قدرته علیهم،و بقدر قدرته یکون فرحه و حبه للجاه.ثم تلک القلوب تعبث أربابها علی المدح و الثناء،فان المعتقد للکمال لا یسکت عن ذکر ما یعتقده فیثنی علیه،و علی الخدمه و الإعانه، فانه لا یبخل ببذل نفسه فی طاعته بقدر اعتقاده،و علی الإیثار و ترک المنازعه و التعظیم و التوقیر و الابتداء بالسلام و تسلیم الصدر فی المحافل و التقدیم فی جمیع المقاصد.

(تنبیه):حب الجاه و الشهره إن کان من حیث ایجابهما الغلبه و الاستیلاء حتی ترجع حقیقه إلی حبهما و کان طالبهما طالبا لهما،فهو من رذائل قوه الغضب،و ان کان من حیث التوصل بهما إلی قضاء الشهوات و حظوظ النفس البهیمیه،فهو من رذائل قوه الشهوه،و ان کان من الحیثیتین فهو من رذائلهما بالاشتراک،بمعنی مدخلیه کل منهما فی حدوث خصوص هذه الصفه.و الأصل اشتراک القوتین فی حدوث حب الجاه

و الشهره-کما ذکرناه فی جمله ما یتعلق بهما معا-بخلاف حب المال،فان الغالب أن حبه من حیث التوصل به إلی قضاء حظوظ القوه الشهویه، و کونه لمجرد الاستیلاء علیه بالمالکیه و التمکن علی التصرف فیه نادر،و لذا ذکرناه فیما یتعلق بقوه الشهوه.

فصل ذم حب الجاه و الشهره

اعلم أن حب الجاه و الشهره من المهلکات العظیمه،و طالبهما طالب الآفات الدنیویه و الأخرویه،و من اشتهر اسمه و انتشر صیته لا یکاد أن تسلم دنیاه و عقباه،إلا من شهره اللّه لنشر دینه من غیر تکلف طلب للشهره منه.و لذا ورد فی ذمهما ما لا یمکن احصاؤه من الآیات و الاخبار:قال اللّه سبحانه:

تِلْکَ الدّارُ الْآخِرَهُ نَجْعَلُها لِلَّذِینَ لا یُرِیدُونَ عُلُوًّا فِی الْأَرْضِ وَ لا فَساداً

(۱)

.و قال: مَنْ کانَ یُرِیدُ الْحَیاهَ الدُّنْیا وَ زِینَتَها نُوَفِّ إِلَیْهِمْ أَعْمالَهُمْ فِیها وَ هُمْ فِیها لا یُبْخَسُونَ أُولئِکَ الَّذِینَ لَیْسَ لَهُمْ فِی الْآخِرَهِ إِلاَّ النّارُ وَ حَبِطَ ما صَنَعُوا فِیها وَ باطِلٌ ما کانُوا یَعْمَلُونَ (۲).

۱- ۱) القصص،الآیه:۸۳.

۲- ۲) هود،الآیه:۱۵-۱۶.

و هذا بعمومه متناول لحب الجاه،لأنه أعظم لذه من لذات الحياه الدنيا و أكبر زينه من زينتها.

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:«حب الجاه و المال ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:

«ما ذئبان ضاريان أرسلا فى زريبه غنم باكثر فسادا من حب الجاه و المال فى دين الرجل المسلم».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«حسب امرئ من الشر إلا من عصمه اللّه أن يشير الناس إليه بالاصابع». و قال أمير المؤمنين -عليه السلام-:«تبذل و لا تشتهر،و لا ترفع شخصك لتذكر،و تعلم و اكتم،و اصمت تسلم،تسر الأبرار و تغيظ الفجار».و قال الباقر-عليه السلام-.«لا تطلبن الرياسه و لا تكن ذنبا،و لا تأكل الناس بنا فيفقرك اللّه».و قال الصادق-عليه السلام-:«إياكم و هؤلاء الرؤساء الذين يترأسون،فو اللّه ما خفقت النعال خلف رجل إلا هلك و أهلك!».

و قال-عليه السلام-:«ملعون من ترأس،ملعون من هم بها،ملعون من حدث بها نفسه!»و قال-عليه السلام-:«من أراد الرياسه هلك».و قال-عليه السلام-:«أ ترى لا اعرف خياركم من شراركم بلى و اللّه!إن شراركم من أحب أن يوطأ عقبه،أنه لا بد من كذاب أو عاجز الرأى» (۱).

و الأخبار بهذه المضامين كثيره،و لكثره آفاتها لا يزال أكابر العلماء و أعاظم الاتقياء يفرون منهما فرار الرجل من الحيه السوداء،حتى أن بعضهم اذا جلس إليه أكثر من ثلاثه قام من مجلسه،و بعضهم يبكى لأجل أن اسمه بلغ المسجد الجامع،و بعضهم إذا تبعه أناس من عقبه التفت إليهم

۱- ۱) الأحاديث الخمسه الأخيره صححناها على(أصول الكافى):باب طلب الرياسه.و(الوسائل):كتاب الجهاد،الباب ۴۹ من ابواب جهاد النفس.

و قال:«على م تتبعونى،فو اللّه لو تعلمون ما اغلق عليه بابى ما تبعنى منكم رجلان».و بعضهم يقول:«لا اعرف رجلا أحب أن يعرف إلا ذهب دينه و افتضح».و آخر يقول:«لا يجد حلاوه الآخره رجل يحب أن يعرفه الناس».و آخر يقول:«و اللّه ما صدق اللّه عبد إلا سره ألا يشعر بمكانه».

و من فساد حب الجاه:أن من غلب على قلبه حب الجاه،صار مقصور الهم على مراعاه الخلق،مشغوفا بالتودد إليهم و المراءاه لأجلهم، و لا يزال فى أقواله و أفعاله متلفتا إلى ما يعظم منزلته عندهم،و ذلک بذر النفاق و أصل الفساد،و يجر لا محاله إلى التساهل فى العبادات و المراآه بها و إلى اقتحام المحظورات للتوصل بها إلى اقتناص القلوب،و لذلک شبه رسول اللّه حب الشرف و المال و افسادهما للدين بذئبين ضاربين،و قال:

«إنه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل»،إذ النفاق هو مخالفه الظاهر للباطن بالقول و الفعل،و كل من طلب المنزله فى قلوب الناس يضطر إلى النفاق معهم،و إلى التظاهر بخصال حميده هو خال عنها،و ذلک عين النفاق.

فصل الجاه أحب من المال

إن الملک القلوب ترجيح على ملک المال بوجوه:

الأول-أن المال معرض التلف و الزوال،لأنه يغصب و يسرق و تطمع فيه الملوک و الظلمه،و يحتاج فيه إلى الحفظ و الحراسه،و تتطرق اليه أخطار كثيره.و أما القلوب إذا ملکت،فهى من هذه الآفات محفوظه

نعم انما يزول ملك القلوب بتغيير اعتقادها فيما صدقت به من الكمال الحقيقى أو الوهمى.

الثانى-ان التوصل بالجاه إلى المال أيسر من التوصل بالمال إلى الجاه فالعالم أو الزاهد الذى تقرر له جاه فى القلوب،لو قصد اكتساب المال تيسر له بسهوله،لأن أموال أرباب القلوب مسخره للقلوب،و مبذوله لمن أذعنت له بالانقياد و اعتقدت فيه أوصاف الكمال،و أما الخسيس العارى عن الكمال إذا ظفر بكثره من المال و لم يكن له جاه يحفظ به ماله و أراد أن يتوصل به إلى الجاه،لم يتيسر له.

الثالث-أن ملك القلوب يسرى و ينمو و يتزايد من غير حاجه إلى تعب و مشقه،اذ القلوب إذا أذعنت بشخص و اعتقدت انصافه بعلم أو عمل أو غيره،أفصحت الالسنه بما فيها لا محاله،فيصف ما يعتقده لغيره و هو أيضا يذعن به و يصفه لآخر،فلا يزال يستطار فى الاقطار،و يسرى من واحد إلى واحد،الى أن يجتمع معظم القلوب على التعظيم و القبول.و أما المال،فمن ملك شيئا منه فلا يقدر على استنمائه إلا بتعب و مقاساه.و لهذه الوجوه تستحقر الأموال فى مقابله عظم الجاه و انتشار الصيت و انطلاق الالسنه بالمدح و الثناء.

فصل لا بد للانسان من جاه

كما أنه لا بد من أدنى مال لضروره المطعم و الملبس و المسكن و مثله ليس بمذموم،فكذلك لا بد من أدنى جاه لضروره المعيشه مع الخلق، إذ الإنسان كما لا يستغنى عن طعام يتناوله فيجوز أن يحب الطعام و المال

الذی یباع به الطعام فکذلک لا یستغنی عن خادم بخدمه و رفیق یعینه و سلطان یحرسه و یدفع عنه ظلم الأشرار،فحبه لأن یکون له فی قلب خادمه من المنزله ما یدعوه إلی الخدمه و فی قلب رفیقه من المحل ما یحسن به مرافقته، و فی قلب السلطان من المحل ما یدفع به الشر عنه،لیس بمذموم.إذ الجاه کالمال وسیله إلی الأغراض،فلا فرق بینهما،إلا أن هذا یقضی إلی ألا یکون المال و الجاه محبوبین باعیانهما بل من حیث التوصل بهما إلی غیرهما و لا ریب فی أن کل ما یراد به التوصل إلی محبوب فالمحبوب هو المقصود المتوسل إلیه دون الوسیله.

و مثل هذا الحب مثل حب الإنسان أن یکون فی داره بیت الخلاء لقضاء حاجته،و لو استغنی عن قضاء الحاجه و لم یضطر إلیه،کره اشتمال داره علی بیت الخلاء،و مثل أن یحب زوجته لیدفع بها فضله الشهوه، و لو کفی مؤنه الشهوه لأحب مهاجرتها،و إذا کان حبهما لضروره البدن و المعیشه لا لذاتهما،لم یکن مذموما،و المذموم أن یحبهما لذاتهما.و فیما یجاوز ضروره البدن کحب زوجته لذاتها حب العشاق حتی لو کفی مؤنه الشهوه لبقی مستصحبا لحبها.

ثم حبهما باعیانهما و ان کان مذموما مرجوحا،لکنه لا یوصف صاحبه بالفسق و العصیان ما لم یحمله الحب علی مباشره معصیه،و ما لم یتوصل إلی اکتسابهما بکذب و خداع و تلبیس،کأن یظهر للناس قولا أو فعلا اعتقدوا لأجله اتصافه بوصف لیس فیه،مثل العلم و الورع أو علو النسب،و بذلک یطلب قیام المنزله فی قلوبهم،و ما لم یتوصل إلی اکتسابهما بعباده،إذ التوصل إلی المال و الجاه بالعباده جنایه علی الدین و هو حرام،و إلیه یرجع معنی الریاء المحظور،کما یأتی.

و أما طلبهما بصفه هو متصف بها،فهو مباح غیر مذموم،و ذلک

كقول يوسف-عليه السلام-:

اِجْعَلْنِی عَلیٰ خَزائِنِ الْأَرْضِ إِنِّی حَفِیظٌ عَلِیمٌ

(۱)

.

حیث طلب المنزله فی قلب الملک بکونه حفظا علیما،و کان صادقا فی قوله.و کذا طلبهما باخفاء عیب من عیوبه و معصیه من معاصیه،حتی لا یعلمه فلا تزول به منزلته فی قلبه،مباح غیر مذموم،إذ حفظ الستر علی القبائح جائز،بل لا یجوز هتک الستر و إظهار القبیح،و هذا لیس فیه کذب و تلبیس بل هو سد لطریق العلم بما لا فائده للعلم به،کالذی یخفی عن السلطان أنه یشرب الخمر و لا یلقی إلیه أنه ورع،فان قوله إنه ورع تلبیس،و عدم اقراره بالشرب لا یوجب اعتقاد الورع،بل یمنع العلم بالشرب،و هو جائز شرعا و عقلا.

فصل دفع اشکال فی حب المال و الجاه

إن قیل:الوجه فی حبهما بالعرض و فی حب قدر ما یضطر إلیهما فی المعیشه و ضروره البدن ظاهر،فما الوجه فی حبهما باعیانهما و فی حب الزائد عن قدر الضروره منهما؟کحب جمع المال،و کنز الکنوز،و ادخار الذخائر،و استکثار الخزائن وراء جمیع الحاجات،و حب اتساع الجاه و انتشار الصیت إلی اقاصی البلاد التی یعلم قطعا أنه قط لا یطؤها و لا یشاهد أهلها لیعظموه و یعینوه علی غرض من اغراضه،فانه مع ذلک یلتذ به غایه الالتذاذ و یسر به غایه السرور،حتی لا یجد فی نفسه لذه أقوی منه، و یراه فوق جمیع لذاته و ابتهاجاته.

۱- ۱) یوسف،الآیه:۵۵.

قلنا:الوجه فی ذلک أمران:

الأول-دفع ألم الخوف الناشیء من سوء الظن و طول الأمل.

فان الإنسان و إن کان له من المال ما یکفیه فی الحال،إلا أنه لطول أمله قد یخطر بباله أن المال الذی فیه کفایته ربما یتلف فیحتاج إلی غیره،فإذا خطر ذلک بباله،هاج الخوف فی قلبه،و لا یزول ألم الخوف إلا بالأمن الحاصل من وجود مال آخر یفزع إلیه إن أصابت هذا المال آفه،فهو أبدا لحبه للحیاه و شفقته علی نفسه یقدر طول الحیاه و هجوم الحاجات، و یقدر إمکان تطرق الآفات إلی الأموال و یستشعر الخوف من ذلک،فیطلب ما یدفع خوفه،و هو کثره المال،حتی ان أصیب بطائفه من ماله یفزع الی الأخری.و هذا خوف لا موقف له عند مقدار مخصوص من المال، و لذلک لم یکن لمیله موقف إلی أن یملک جمیع ما فی الدنیا،و لذلک قال -صلی اللّه علیه و آله-:«منهومان لا یشبعان:منهوم العلم،و منهوم المال»و مثل هذه العله تطرد فی حب قیام المنزله و الجاه فی قلوب الاباعد عن وطنه و بلده،فانه لا یخلو عن تقدیر سبب یزعجه عن الوطن،أو یزعج أولئک عن أوطانهم إلی وطنهم إلی وطنه،و یحتاج إلی الاستعانه بهم و مهما کان ذلک ممکنا،کان للنفس لذه و سرور بقیام المنزله فی قلوبهم،لما فیه من الأمن من هذا الخوف.

الثانی-أن الإنسان مرکب من أصول مختلفه:هی القوه الشهویه، و القوه السبعیه،و القوه الشیطانیه،و الروح الذی هو أمر ربانی،و لذلک له میل إلی صفات بهیمیه،کالأکل و الوقاع،و إلی صفات سبعیه،کالقتل و الإیذاء،و إلی صفات شیطانیه،کالمکر و الخدیعه و الاغواء،و إلی صفات ربوبیه،کالعلم و القدره و الکبر و العز و الفخر و الاستعلاء.فهو لما فیه من الأمر الربانی یحب الربوبیه بالطبع،و معنی الربوبیه التوحد بالکمال،و التفرد

بالوجود علی سبیل الاستقلال،و الاستیلاء علی جمیع الاشیاء بالغلبه،و استناد الکل إلیه بالصدور منه و المعلولیه.

و بالجمله:مقتضی الربوبیه التفرد بالوجود و الکمال و رجوع کل وجود و کمال إلیه،إذ هو التام فوق التمام،و لا یتحقق ذلک إلا بالتفرد بالوجود و الکمال و القدره و الاستیلاء علی جمیع ما عداه.إذ المشارکه فی الوجود نقص لا محاله،فکمال الشمس فی أنها موجوده وحدها.فلو کانت معها شمس أخری کان ذلک نقصانا فی حقها،إذ لم تکن متفرده بکمال معنی الشمسیه فإذا کان معنی الربوبیه هو التفرد بالوجود و الکمال،و کل انسان کان فیه أمر ربانی،فالتفرد بالوجود و الکمال محبوب له بالطبع،و ضده -اعنی العبودیه-قهر علی نفسه،لأنه علم أن المتفرد بالوجود و الکمال هو اللّه تعالی،اذ لیس معه موجود سواه،فان ما سواه أثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته،بل هو قائم به،و لیس له معیه بالوجود بالنسبه الیه تعالی،إذ المعیه توجب المساواه فی الرتبه،و هی نقصان فی الکمال إذ الکامل الحقیقی من لا نظیر له فی الوجود،و الکمال بوجه من الوجوه و ان کان لغیره وجود و کمال بعد کونه صادرا منه معلولا له،إذ تحقق الموجودات و ذوات الممکنات لا یوجب نقصانا فی ذاته سبحانه بعد استنادها جمیعها إلیه،و کونها أضعف منه بمراتب غیر متناهیه فی الوجود و الکمال شده و قوه،فکما ان اشراق نور الشمس فی أقطار الآفاق لیس نقصانا فی الشمس،بل هو من جمله کمالها،و انما نقصانها بوجود شمس أخری مساویه لها فی الرتبه مستغنیه عنها،فکذلک وجود کل ما فی العالم إذا کان من اشراق نور القدره الإلهیه تابعا لها،لم یکن ذلک نقصانا فی الواجب سبحانه،بل کان کمالا له.

و لما علم ذلک،و تیقن بأن التفرد بالوجود و الکمال و الاستیلاء التام

على جميع الأشياء لا يليق به،لأنه عبد مملوك مقهور تحت القدره الإلهيه، عرف أنه عاجز عن درك منتهى الكمال الذى هو التفرد بالوجود و الاستيلاء أى كون وجود غيره منه.إلا أنه لم تسقط شهوته للكمال،بل هو محب له ملتذ به لذاته لا لمعنى آخر وراء الكمال،و طالب لتحصيل ما يتمكن منه.فمطلق الكمال محبوب عنده،إلا أن طلبه إنما يتعلق بالكمال الممكن فى حقه و من الكمال الممكن فى حقه أن يحصل له نوع استيلاء على كل الموجودات،فكان ذلك محبوبا عنده و مطلوبا له.و لما كانت الموجودات منقسمه إلى ما لا تحصى و لكن لا تستولى عليه قدره الخلق بالتصرف،كالأفلاك و الكواكب و ملكوت السماوات و نفوس الملائكه و الجن و الشياطين و الجبال و البحار و غير ذلك،و إلى ما يقبل التغير و تستولى عليه قدره العباد،كالأرض و أجزائها و ما عليها من المعادن و النبات و الحيوان،و من جملتها قلوب الآدميين و نفوسهم لكونها قابله للتغيير و التأثير مثل أجسادهم و اجساد سائر الحيوانات-فلم يكن للانسان أن يتصور إمكان استيلائه على الكل بالتصرف فيه،فلم يتعرض لطلب ذلك،بل أحب فى كل منها نوع الاستيلاء الذى يمكن فى حقه و الاستيلاء الذى يمكنه فى حقه بالنظر إلى القسمين الأولين هو الإحاطه عليه بالعلم و الاطلاع على أسراره،لأن ذلك نوع استيلاء.

اذ المحاط به تحت القدره،و العالم كالمستولى عليه.و لذلك أحب الإنسان ان يعرف الواجب تعالى و الملائكه و الأفلاك و الكواكب و عائب الملك و الملكوت،لأن ذلك نوع استيلاء،و الاستيلاء نوع كمال.

و أما القسم الثالث،فيمكنه أن يستولى عليه بالتصرف فيه كيف يريد فيقدر على الأراضى و الاملاك بأن يتصرف فيها بالحيازه و الضبط و الزرع و الغرس،و على الأجساد الأرضيه الحيوانيه و النباتيه و الجماديه بالركوب و الضبط و الحمل و الرفع و الوضع و التسليم و المنع،و على نفوس الآدميين

و قلوبهم بأن تكون مسخره متصرفه تحت اشارته و إرادته و صيرورتها محبه له باعتقاد الكمال فيه.و لكون هذا النوع من الاستيلاء نوع كمال،أحب الإنسان هذا الاستيلاء على الأموال و القلوب،و إن كان لا يحتاج إليهما فى ملبسه و مطعمه و فى شهوات نفسه،و لذلك طلب استرقاق العبيد و استعباد الأحرار و لو بالقهر و الغلبه.و قد ظهر مما ذكر:أن محبوب النفس بذاتها هو الكمال بالعلم و القدره،و المال و الجاه محبوب لكونه من أسباب القدره و لما كانت المعلومات و المقدورات غير متناهيه،فلا يكاد أن تقف النفس الى حد من العلم و القدره،و لهما درجات غير متناهيه،فسرور كل نفس و لذتها بقدر الدرجه التى تدركها.

فصل الكمال الحقيقى فى العلم و القدره لا المال و الجاه

لما عرفت أن المحبوب عند الإنسان هو العلم و القدره و المال و الجاه لكونها كمالا-فاعلم أنه اشتبه الأمر عليه باغواء الشيطان،حيث التبس عليه الكمال الحقيقى بالوهمى،و تيقن بكون جميع ذلك كمالا و أحبه.إذ التحقيق أن بعضها كمال حقيقى و بعضها كمال وهمى لا أصل له،و السعى فى طلبه جهل و خسران و تضييع وقت و خذلان.

بيان ذلك:أنه لا ريب فى عدم كون المال و الجاه كمالا-لأن القدره و الاستيلاء على أعيان الأموال بوجوه التصرف و على القلوب و الأبدان بالتسخير و الانقياد ينقطع بالموت،فمن ظن ذلك كمالا فقد جهل.فالخلق كلهم فى غمره هذا الجهل،فانهم يظنون أن القدره على الأجساد بقهر الحشمه،و على أعيان الأموال بسعه الغنى،و على تعظيم القلوب بسعه الجاه

کمال،و لما اعتقدوا کون ذلک کمالا أحبوه،و لما احبوه طلبوه،و لما طلبوه شغلوا به و تهالکوا علیه،فنسوا الکمال الحقیقی الذی یوجب القرب من اللّه،اعنی العلم و الحریه کما یأتی.فهؤلاء هم الذین اشتروا الحیاه الدنیا بالآخره،فلا یخفف عنهم العذاب و لا هم ینصرون،و هم الذین لم یفهموا قوله تعالی:

اَلْمٰالُ وَ الْبَنُونَ زِینَهُ الْحَیٰاهِ الدُّنْیٰا،وَ الْبٰاقِیٰاتُ الصّٰالِحٰاتُ خَیْرٌ عِنْدَ رَبِّکَ ثَوٰاباً

(۱)

.

فالعلم و الحریه و فضائل الأخلاق هی الباقیات الصالحات التی تبقی کمالا للنفس بعد خراب البدن،و المال و الجاه هو الذی ینقضی علی القرب و هو کما مثله اللّه تعالی،حیث قال:

إِنَّمٰا مَثَلُ الْحَیٰاهِ الدُّنْیٰا کَمٰاءٍ أَنْزَلْنٰاهُ مِنَ السَّمٰاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبٰاتُ الْأَرْضِ...

(۲)

.

و کل ما تذروه ریاح الموت فهو زهره الحیاه الدنیا،و کل ما لا یقطعه الموت فهو من الباقیات الصالحات.

فقد ظهر أن کمال القدره بالمال و الجاه کمال وهمی لا أصل له، و أن من قصر الوقت علی طلبه و ظنه مقصودا فهو جاهل،إلا قدر البلغه منها إلی الکمال الحقیقی.

و أما العلم،فلا ریب فی کون ما هو حقیقه العلم کمالا حقیقیا،إذ

۱- ۱) الکهف،الآیه:۴۷.

۲- ۲) یونس،الآیه:۲۴.

الكمال الحقیقی هو الـذی یقرب من یتصف به من اللّه و یبقی کمالا للنفس بعد الموت.و لا شک فی أن العلم باللّه و بصـفاته و أفعاله و حکمته فی ملکوت السماوات و الأرض و ترتیب الدنیا و الآخره و ما یتعلق به هو المقرب للعبد الی اللّه،إذ هو علم ثابت لا یقبل التغییر و الانقلاب،اذ معلوماته أزلیه أبدیه و لیس لها تغییر و انقلاب،حتی یتغیر العلم بتغیرها مثل التغیرات التی یتغیر العلم بها بتغیرها و انقلابها،کالعلم بکون زید فی الدار.

فهو علم ثـابت أزلاـ و أبـدا من دون تغیر و اختلاـف،کـالعلم بجواز الجـائزات و وجوب الواجبات و اسـتحاله المسـتحیلات.فهذا العلم-اعنی معرفه اللّه و معرفه صـفاته و أفعـاله-هـو الکمـال الحقیقی الـذی یبقی بعـد الموت و ینطوی فیه العلم بالنظـام الجملی الأصـلح و جمیع المعـارف المحیطه بـالموجودات و حقائق الأشـیاء،اذ الموجودات کلها من أفعاله،فمن عرفها من حیث هی فعل اللّـه و مـن حیـث ارتباطهـا بالقـدره و الاـراده و الحکمه، کـانت هـذه المعرفه من تکمله معرفه اللّه الـتی تبقی کمالاـ للنفس بعد الموت، و تکون نورا للعـارفین بعـد الموت یسـعی بین أیـدیهم و أیمـانهم:«یقولون ربنا أتمم لنا نورنا»،و هی رأس ما یوصل إلی کشف مـا لم ینکشف فی الـدنیا،کمـا أن من معه سـراج خفی،فـانه یجوز أن یصـیر ذلـک سـببا لزیاده النور بسـراج آخر یقتبس منه،فیکمل النور بذلک النور الخفی علی سبیل الاسـتتمام،و من لیس معه أصل السـراج لا مطمع له فی ذلک.فمن لیس له أصـل معرفه اللّه لم یکن له مطمع فی هـذا النور،بـل هو فی«ظلمـات فی بحر لجی،یغشـاه موج من فوقه موج من فوقه سـحاب،ظلمـات بعضها فوق بعض».

و ما عدا هذه المعرفه من المعارف،إما لا فائده فیه أصـلا،کمعرفه الشعر و أنساب العرب و مثلها،أوله منفعه فی معرفه اللّه،کمعرفه لغه

العرب و التفسير و الفقه و الاخبار،و معرفه طريق تزكيه النفس التى تفيد استعدادا لقبول الهدايه إلى معرفه اللّه،كما قال تعالى:

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها

(۱)

و قال: وَ الَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا (۲).

فهو من حيث إنه وسيله إلى معرفه اللّه و إلى تحصيل الحريه مما لا بد منه بالعرض.

ثم إن المعرفه التى هى كمال حقيقى للانسان ليس كمال العلم و غايته، إذ لا يتصور كمال العلم و نهايته إلا للواجب تعالى،إذ كمال العلم انما يتحقق بامور ثلاثه:

الأول-أن يحيط بكل المعلومات،و لا يتحقق ذلك فى علم البشر.

إذ ما أوتى من العلم إلا قليلا،بل العلم الذى يحيط بجميع المعلومات هو علم اللّه تعالى،و علم العبد انما يتحقق ببعض المعلومات،و كلما كانت معلوماته أكثر كان علمه أقرب إلى علم اللّه تعالى.

الثانى-ان يتعلق بالمعلوم على ما هو به،و يكون المعلوم منكشفا واضحا فى غايه الانكشاف و الوضوح،بحيث لا يقبل انكشافا أتم منه.

و هذا أيضا غير ممكن التحقيق فى حق الإنسان،إذ علمه لا يخلو عن كدره و إبهام،بل الكشف التام الذى هو غايه الظهور و الانجلاء مختص بعلم اللّه تعالى،إذ معلوماته مكشوفه بأتم أنواع الكشف على ما هى عليها،و علم العبد له ببعض مراتب الانكشاف،فكلما كان اجلى و أوضح و أتقن و اوفق للمعلوم فى تفاصيل صفاته،كان أقرب إلى علم اللّه.

۱- ۱) الشمس،الآيه:۹.

۲- ۲) العنكبوت،الآيه:۶۹.

الثالث-أن یکون باقیا أبد الآباد،بحیث لا یتغیر و لا یزول.

و هذا أیضا مختص بعلم اللّه تعالی،اذ علمه تعالی باق لا یتصور أن یختلف و یتغیر و یزول،و علم الإنسان یتغیر و یزول،فکلما کان علمه بمعلومات لا تقبل التغیر و الانقلاب،کان أقرب إلی علم اللّه تعالی.

هذا،و من الکمالات للانسان:التحلی بفضائل الأخلاق و الصفات لا یجابها صفاء النفس المؤدی إلی البهجه الدائمیه و الحریه،أعنی الخلاص من أسر الشهوات و غموم الدنیا و الاستیلاء علیها بالقهر،تشبها بالملائکه الذین لا تستغرقهم الشهوه و لا یستهویهم الغضب،إذ رفع آثار الشهوه و الغضب من النفس کمال حقیقی،لأنه من صفات الملائکه.و من صفات الکمال للّه سبحانه عدم تطرق التغییر و التأثیر علی حریم کبریائه،فمن کان عن التغیر و التأثر بالعوارض أبعد کان إلی اللّه أقرب.

و أما القدره،فقد قال بعض العلماء:«أما القدره فلیس فیها کمال حقیقی للعبد،إذ القدره الحقیقیه للّه،و ما یحدث من الأشیاء عقیب إراده العبد و قدرته و حرکته،فهی حادثه باحداث اللّه تعالی.نعم،له کمال من جهه القدره بالإضافه إلی الحال،و هی وسیله إلی کمال العلم،کسلامه أطرافه و قوه یده للبطش،و رجله للمشی،و حواسه للادراک،فان هذه القوی آله للوصول به إلی حقیقه کمال العلم،و قد یحتاج فی استیفاء هذه القوی إلی القدره بالمال و الجاه للتوصل به إلی المطعم و الملبس،و ذلک إلی قدر معلوم،فان لم یستعمله للوصول به إلی معرفه اللّه فلا خیر فیه البته إلا من حیث اللذه الحالیه التی تنقضی علی القرب،و لا طریق للعبد إلی اکتساب کمال القدره الباقیه بعد موته،إذ قدرته علی کل شیء من الأرضیات کالمال و الأبدان و النفوس،تنقطع بالموت».

و أنت خبیر بأن تحقق نوع قدره للعباد مما لا ریب فیه،و إن کانت

أسبابها و أصلها من اللّه سبحانه،إلا أن القدره على الأمور الدنيويه الفانيه كالمال و الأشخاص و غير ذلك،ليست كمالا حقيقيا،لزوالها بالموت.نعم الحق ثبوت القدره النفسيه للعبد-اعنى تأثير نفسه فى الغير من الكائنات تأثيرا روحانيا معنويا،كما هو ظاهر من تأثير بعض النفوس فى الإنسان و الحيوان و النبات و الجماد بأنواع التأثيرات،و مثل هذه القدره تبقى للنفوس بعد الموت و لذا ترى أن من يستغيث ببعض النفوس الكامله من الأموات يرى منها عجائب التأثيرات و الاستفاضات،فما ذكره بعض العلماء من عدم بقاء قدره للنفوس بعد الموت محل النظر.

و قد ظهر بما ذكر:أن الكمال الحقيقى للانسان هو العلم الحقيقى و فضائل الأخلاق و الحريه و القدره.

فصل علاج حب الجاه

اعلم ان علاج حب الجاه مركب من علم و عمل.و علاجه العلمى:

أن يعلم أن السبب الذى لأجله أحب الجاه-و هو كمال القدره على اشخاص الناس و على قلوبهم ان صفا و سلم-فآخره الموت،فليس هو من الباقيات الصالحات بل لو سجد له كل من على وجه الأرض إلى خمسين سنه او أكثر لا بد بالأخره من موت الساجد و المسجود له،و يكون حاله كحال من مات قبله من ذوى الجاه مع المتواضعين له.و لا ينبغى للعاقل أن يترك بمثل ذلك الدين الذى هو الحياه الأبديه التى لا انقطاع لها.و من فهم الكمال الحقيقى و الكمال الوهمى-كما سبق-صغر الجاه فى عينه،إلا أن ذلك انما يصغر فى عين من ينظر إلى الآخره كأنه يشاهدها و يستحقر

العاجله و يكون الموت كالحاصل عنده،و أبصار أكثر الخلق ضعيفه مقصوره على العاجله لا يمتد نورها إلى مشاهده العواقب،كما قال اللّه تعالى:

بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيٰاةَ الدُّنْيٰا وَ الْآخِرَةُ خَيْرٌ وَ أَبْقىٰ

(۱)

.

و قال: كَلاّٰ بَلْ تُحِبُّونَ الْعٰاجِلَةَ وَ تَذَرُونَ الْآخِرَةَ (۲).

فمن هذه مرتبته،فينبغى ان يعالج قلبه من حب الجاه بمعرفه الآفات العاجله،و هو يتفكر فى الأخطار التى يستهدف لها أرباب الجاه فى الدنيا فان كل ذى جاه محسود مقصود بالإيذاء،و خائف على الدوام على جاهه و لا يزال فى الاضطراب و الخوف من أن يتغير منزلته فى القلوب.مع أن قلوب الناس أشد تغيرا و انقلابا من القدر فى غليانه،و هى مردده بين الإقبال و الاعراض،فكلما يبنى على قلوب الخلق يضاهى ما يبنى على أمواج البحر فانه لا ثبات له.و الاشتغال بمراعاه القلوب و حفظ الجاه و دفع كيد الحساد و منع أذى الأعداء اشتغال عن اللّه و تعرض لمقته فى العاجل و الآجل كل ذلك غموم عاجله مكدره للذه الجاه،فلا يبقى فى الدنيا أيضا مرجوها بمخوفها،فضلا عما يفوت فى الآخره.فبهذا ينبغى أن تعالج البصيره الضعيفه و أما من نفذت بصيرته و قوى ايمانه فلا التفات له إلى الدنيا.

فهذا هو العلاج العلمى.

و أما العلاج العملى فاسقاط الجاه عن قلوب الخلق بالأنس بضد الجاه الذى هو الخمول و يقنع بالقبول من الخالق،و أقوى العلاج لقطع الجاه الاعتزال عن الناس و الهجره إلى مواضع الخمول،لا مجرد الاعتزال فى بيته فى البلده التى هو فيها مشهور،لأن المعتزل فى بيته فى البلده التى هو فيها

۱- ۱) الأعلى،الآيه:۱۶-۱۷.

۲- ۲) القيامه،الآيه:۲۰-۲۱.

مشهور عند أهلها لا يخلو بسبب عزلته عن حب المنزله التى تترسخ له فى القلوب،فربما يظن أنه ليس محبا لذلك الجاه و هو مغرور،و انما سكنت نفسه لأنها ظفرت بمقصودها،و لو تغير الناس عما اعتقدوا فيه و دموه أو نسبوه إلى امر غير لائق،ربما جزعت نفسه و تألمت و توصلت إلى الاعتذار من ذلك و اماطه ذلك الغبار عن قلوبهم،و ربما يحتاج فى إزاله ذلك عن قلوبهم إلى كذب و تلبيس و لا يبالى به،و به يتبين انه بعد محب للجاه و المنزله،و لا يمكنه ألا يحب المنزله فى قلوب الناس ما دام يطمع فى الناس و لا يقطع الطمع عن الناس إلا بالقناعه.فمن قنع استغنى عن الناس، و إذا استغنى لم يشتغل قلبه بالناس و لم يكن لقيام منزلته فى القلوب وزن عنده،بل من لم يطمع فى الناس و كان من أهل المعرفه،كان الناس عنده كالبهائم،فكيف يكون طالبا لقيام منزلته فى قلوبهم؟.

و الحاصل:أن الغالب و الباعث على قيام المنزله فى قلوب الناس هو الطمع منهم،و لذا ترى انك لا تطلب قيام منزلتك فى قلوب من فى أقصى لمشرق أو المغرب،لعدم طمع لك فيهم،ثم ينبغى أن يستعين على المعالجه بالأخبار الوارده فى ذم الجاه-كما مر-و فى مدح الخمول،كما يأتى.

فصل حب الخمول

ضد حب الجاه و الشهره حب الخمول،و هو شعبه من الزهد،كما أن حب الجاه شعبه من حب الدنيا.فحب الدنيا و الزهد ضدان.

ثم الخمول من صفات المؤمنين و خصال الموقنين،و قد كانت طوائف العرفاء المتوحدين و من يماثلهم من سلفنا الصالحين محبين له طالبين إياه، و كل من عرف اللّه و أحبه و انس به،كان محبا للخمول متوحشا من الجاه

و انتشار الصیت،کما تنادی به کتب السیر و التواریخ.و قد وردت بمدحه أخبار کثیره،کقول رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«إن الیسیر من الریاء شرک،و ان اللّه یحب الاتقیاء الأخفیاء،الذین إذا غابوا لم یفقدوا و إذا حضروا لم یعرفوا،قلوبهم مصابیح الهدی،یتحول من کل غبراء مظلمه».و قوله-صلی اللّه علیه و آله-:«رب ذی طمرین لا یؤبه له لو أقسم علی اللّه لأبره،لو قال:اللهم أسألک الجنه!لأعطاه الجنه و لم یعطه من الدنیا شیئا».و قوله-صلی اللّه علیه و آله-:«ألا أدلکم علی أهل الجنه؟کل ضعیف مستضعف،لو اقسم علی اللّه لأبره».

و قوله-صلی اللّه علیه و آله-:«إن أهل الجنه کل اشعث أغبر ذی طمرین لا یؤبه له،الذین إذا استأذنوا علی الأمراء لم یؤذن لهم،و إذا خطبوا النساء لم ینکحوا،و إذا قالوا لم ینصت لهم.حوائج أحدهم تتخلخل فی صدره،لو قسم نوره یوم القیامه علی الناس لوسعهم».و قوله -صلی اللّه علیه و آله-:«إن من أمتی من لو أتی أحدکم یسأله دینارا لم یعطه إیاه،أو یسأله درهما لم یعطه إیاه و لو سأل اللّه تعالی الجنه لأعطاها إیاه،و لو سأله الدنیا لم یعطها إیاه،و ما منعها إیاه لهوانه علیه»و قوله -صلی اللّه علیه و آله-:«قال اللّه عز و جل:ان من أغبط أولیائی عندی رجلا حفیف الحال،ذا حظ من صلاه،أحسن عباده ربه بالغیب و کان غامضا فی الناس،جعل رزقه کفافا فصبر علیه،عجلت منیته فقل تراثه و قل بواکیه» (1).و ورد:«أن اللّه تعالی یقول فی مقام الامتنان علی بعض عبیده:ألم أنعم علیک؟ألم استرک؟ألم أحمل ذکرک».

و قال بعض خیار الصحابه:«کونوا ینابیع العلم،مصابیح الهدی،احلاس البیوت،سرج اللیل،جدد القلوب،خلقان الثیاب.تعرفون فی أهل

۱- ۱) تقدم الحدیث فی ۲-۵۹،و ذکرنا فی التعلیقه تفسیر معنی(حفیف).

السماء،و تخفون فى أهل الأرض».و من اطلع على أحوال أكابر الدين و السلف الصالحين من ايثارهم الخمول و الذل على الجاه و الشهوه و الغلبه، ثم فى ما ورد فى مدحهما من الأخبار،تيقن بأنهما من أوصاف المؤمنين، و لا بد للمؤمن من الاتصاف بهما،و لذا ورد:«أن المؤمن لا يخلو عن ذله او عله أو قله».

و منها:

اشاره

حب المدح

و كراهه الذم.و هما من نتائج حب الجاه،و من المهلكات العظيمه إذ كل محب للمدح و الثناء خائف من الذم،يجعل أفعاله و حركاته على ما يوافق رضا الناس،رجاء للمدح و خوفا من الذم.فيختار رضا المخلوق على رضا الخالق،فيرتكب المحظورات و يترك الواجبات،و يتهاون فى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر،و يتعدى عن الإنصاف و الحق،و كل ذلك من المهلكات،و ليس للمؤمن أن يحوم حولها،بل المؤمن من لم يؤثر قط رضا المخلوق على رضا الخالق،و لا تأخذه فى اللّه لومه لائم.و لعظم فساد حب المدح و بغض الذم ورد فى ذمهما ما ورد فى الأخبار،قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:«إنما هلك الناس باتباع الهوى و حب الثناء».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«رأس التواضع أن تكره أن تذكر بالبر و التقوى».و قال-صلى اللّه عليه و آله-لرجل اثنى على آخر بحضرته:«لو كان صاحبك حاضرا فرضى بالذى قلت فمات على ذلك،دخل النار».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:لما مدح آخر:

«ويحك!قطعت ظهره!و لو سمعك ما أفلح إلى يوم القيامه».و قال

ص :۳۷۸

-صلى اللّه عليه و آله-:«ألا-لا-تمادحوا!و إذا رأيتم المداحين فاحثوا فى وجوههم التراب».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«ويل للصائم! و ويل للقائم!و ويل لصاحب التصوف!إلا من...فقيل:يا رسول اللّه إلا من؟فقال:إلا من تنزهت نفسه عن الدنيا،و أبغض المدحه و استحب المذمه».

فصل مراتب حب المدح و كراهه الذم

اعلم أن لحب المدح و كراهه الذم مرتبتين:أولاهما:أن يفرح بالمدح و يشكر المادح،و يغضب من الذم و يحقد على الذام،و يكافيه او يحب مكافاته.و هذا حال أكثر الخلق،و لا حد لاتمها.و اخراهما:أن يفرح باطنه و يرتاح للمادح،و لكن يحفظ ظاهره من إظهار السرور، و يتبغض فى الباطن على الذام،و لكن يمسك لسانه و جوارحه عن مكافاته و هذه و ان كانت نقصانا،إلا أنها بالنظر إلى الأولى كمال.

و باعتبار آخر،لحب المدح درجات:

الأولى-أن يتمنى المدح و انتشار الصيت بحيث يتوصل إلى نيلهما بكل ممكن،حتى يرائى بالعبادات و لا-يبالى بمفارقه المحظورات،لاستماله قلوب الناس و استنطاق ألسنتهم بالمدح.و هذا من الهالكين.

الثانيه-أن يريد ذلك و بطلبه بالمباحات لا بالعبادات و ارتكاب المحظورات،و هذا على شفا جرف الهلاك.اذ حدود الكلام و الأعمال التى يستميل بها القلوب لا يمكنه أن يضبطها،فيوشك أن يقع فيما لا يحل له ليتوصل به إلى نيل المدح.فهو قريب من الهالكين.

الثالثه-ألا يريد المدح و لا يسعى لطلبه،و لكن إذا مدح سر و ارتاح،من غير وجدان كراهه فى نفسه لهذا السرور و الارتياح،و هذا أيضا نقصان،و إن كان أقل اثما بالإضافه إلى ما قبله.

الرابعه-أن يسر و يرتاح،و لكن كره هذا السرور و الارتياح، و كلف قلبه كراهه المدح و بغضه،و هو فى مقام المجاهده،و لعل اللّه يسامحه اذا بذل جهده.و مع ذلك لم يقدر على ربط نفسه على كراهه المدح دائما.

فصل أسباب حب المدح

حب المدح و الثناء له أسباب:

الأول-شعور النفس بكمالها،فان الكمال لما كان محبوبا فمهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت و اهتزت و تلذذت،و المدح يشعر نفس الممدوح بكمالها،فان كان ما به المدح و صفا مشكوكا فيه صادر عن خبير بصير لا يجازف فى القول،كالوصف بكمال العلم و الورع و بالحسن المطلق، فاللذه فيه عظيمه لأن الإنسان ربما كان شاكا فى كمال علمه و كمال حسنه و يكون شائقا لزوال هذا الشك،فإذا ذكره غيره،(لا)سيما إذا كان من أهل البصيره،أورث ذلك طمأنينه و ثقه بوجود ذلك الكمال،فعظمت لذته،و لو كان صادرا ممن لا بصيره له،كانت لذته أقل لقله الاطمئنان بقوله.و إن كان ما به المدح وصفا جليا،كاعتدال القامه و بياض اللون كانت لذته فى غايه القله،لأن ثناءه لا يورث ما ليس له من الطمأنينه و الثقه إلا أنه لا يخلو عن لذه ما،إذ النفس قد تغفل عنه فتخلو عن لذته، فتنبهها عليه بالمدح يورث لذه ما.و لضد هذه العله ببغض الذم أيضا،

لأنه یشعر بنقصان فی نفسه،و النقصان ضد الکمال.

الثانی-ان المدح یدل علی أن قلب المادح ملک الممدوح،و انه مرید له معتقد فیه و مسخر تحت مشیته،و ملک القلوب محبوب،و الشعور بحصوله لذیذ،و لذلک تعظم اللذه مهما صدرت ممن تتسع قدرته و ینتفع باقتناص قلبه کالملوک و الأکابر،و لضد هذه العله یکره الذم و یتألم القلب به.

الثالث-أن المدح سبب اصطیاد قلب کل من یسمعه،لا سیما إذا کان المادح ممن یعتنی بقوله،و هذا یختص بمدح یقع علی الملأ.

الرابع-أن المدح یدل علی حشمه الممدوح و اضطرار المادح إلی إطلاق اللسان بالثناء علیه طوعا أو قهرا،و الحشمه محبوبه لما فیها من الغلبه و القدره،فشعور النفس بها یورث لذه،و هذه اللذه تحصل و ان علم الممدوح ان المادح لا یعتقد بما یقوله،اذ ما یطلبه یحصل منه،و لضد هذه العله یبغض الذم أیضا.

و هذه الأسباب قد تجتمع فی مدح واحد فیعظم به الالتذاذ،و قد تفترق فینتقص و یندفع استشعار الکمال،بأن یعلم الممدوح أن المادح غیر صادق فی مدحه،فان کان یعلم أن المادح لیس یعتقد ما یقوله بطلت اللذه الثانیه أیضا،و هو استیلاءه علی قلبه،و بقیت لذه الاستیلاء بالحشمه علی اضطرار لسانه إلی النطق بالمدح.

فصل علاج المدح و کراهه الذم

اذا علم أن حب المدح و کراهه الذم من المهلکات،فیجب أن یبادر الی العلاج.

ص:۳۸۱

و علاج الأول:أن یلاحظ أسبابه،و یعلم أن شیئا منها لا یصلح حقیقه لأن یکون سببا له.أما استشعار الکمال بالمدح،فلأن المادح ان صدق فلیکن الفرح من فضل اللّه حیث أعطاه هذه الصفات،و إن کذب فینبغی أن یغمه ذلک و لا یفرح به لأنه استهزاء به،مع أن الفرح مطلقا فی صوره الصدق من السفاهه،اذ الوصف الذی مدح به إن کان مما لا یستحق الفرح به،کالثروه و الجاه و غیرهما من المطالب الدنیویه،فالفرح به من قله العقل،لأنها کمالات و همیه لا أصل لها،و ان کان مما یستحق الفرح به کالعلم و الورع،فالفرح إنما هو لکونه مقربا إلی اللّه،و هذا فرع حسن الخاتمه و هو غیر معلوم.ففی الخوف من خطر الخاتمه شغل شاغل من الفرح بکل شیء.و أما دلاله المدح علی تسخیر قلب المادح و کونه سببا لتسخیر قلب من یسمعه،فحب ذلک یرجع إلی حب الجاه و المنزله فی القلوب،و قد سبق طریق معالجته.و أما دلالته علی الحشمه، فانها لیست إلا قدره عارضه ناقصه لإثبات لها،و العاقل لا یفرح بمثلها.

و أما علاج الثانی:-اعنی کراهه الذم-فیعلم بالمقایسه علی علاج حب المدح.و القول الوجیز فیه:ان من یذمک إن کان صادقا و قصده النصح و الإرشاد،فلا ینبغی أن تبغضه و تغضب علیه،بل ینبغی أن تفرح و تجتهد فی إزاله الصفه المذمومه عن نفسک،و ما أقبح بالمؤمن أن یغضب علی من یحسن إلیه و یرید هدایته.و ان کان قصده الإیذاء و التعنت،فلا ینبغی لک أیضا أن تبغضه و تکره ذلک،لأنه أرشدک إلی عیبک إن کنت جاهلا به،و ذکرک إیاه إن کنت غافلا عنه،و قبحه فی عینک إن کنت متذکرا له،و علی التقادیر قد استفدت منه ما تنتفع به،و ینبغی لک أن تغتنمه و تبادر إلی إزاله عیبک.و إن کان کاذبا مفتریا علیک بما أنت منه بریء،فینبغی لک أیضا ألا تکره ذلک و لا تشتغل بذمه،لأنک و إن

خلوت من ذلک العیب،إلاـ أنک لاـ تخلو من عیوب اخر مساویه له و افحش منها،فاشکر اللّه تعالی علی أنه سترها و لم یطلع أحدا علیها،و دفعها بذکر ما أنت منه بریء،مع أنه کفاره لبقیه مساویک.و من ذمک أهدی إلیک حسناته و جنی علی دینه،حتی سقط من عین اللّه و أهلک نفسه بافترائه علیک،فما بالک تحزن بحط ذنوبک و إهداء الحسنات إلیک؟و لم تغضب علیه،مع أن اللّه سبحانه غضب علیه و أبعده من رحمته؟فان ذلک کاف لانتقامک منه.

وصل ضد حب المدح

ضد حب المدح و کراهه الذم:إما کراهه المدح و حب الذم، أو مساواتهما عنده بحیث لا تسره المدحه و لا تغمه المذمه.و قد تقدم بعض الأخبار الداله علی ذم من لم یتصف بالحاله الأولی.و هی و إن کانت نادره الوجود،إذ ما أقل علی بسیط الأرض-(لا)سیما فی هذه الاعصار- من تستوی عنده المدحه و المذمه،فضلا عمن یکره المدح و یسر بالذم، إلا أن تحصیلها ممکن إذ کل من عرف أن المدح مضر بدینه و قاصم لظهره فلا بد أن یکرهه و یبغض المادح،لو کان عاقلا مشفقا علی نفسه.و کذا من عرف أن الذام له یرشده إلی عیوبه و یهدی إلیه بعض حسناته،لا بد أن یحبه و یسر بذمه.

و أما الحاله الثانیه،فهی أولی درجات الکمال،و من لم یتصف بها فهو ناقص.فالاتصاف بها لازم علی کل مؤمن.و ربما ظن بعض الناس اتصافه بها،مع کونه فاقدا لها.فمن ظن ذلک من نفسه،فلا بد أن

یمتحن نفسه بعلاماتها،حتی یظهر له صدق ظنه و کذبه،و علاماته:ألا یکون سعیه و نشاطه فی قضاء حوائج المادح أکثر منهما فی قضاء حوائج الذام،و ألا یتفاوت همه و حزنه لأجل موتهما و ابتلائهما بمصیبه،و ألا تکون ذله المادح أخف فی قلبه و عینه من ذله الذام،و ألا یکون جلوس الذام عنده اثقل و لا قیامه أهون من جلوس المادح و قیامه.و بالجمله:أن یستویا عنده من کل وجه.فمن وجد نفسه استواءهما فی جمیع الجهات، فهو ممن یتساوی عنده المدح و الذم.

و منها:

اشاره

الریاء

و هو طلب المنزله فی قلوب الناس بخصال الخیر أو ما یدل علیها من الآثار.فهو من أصناف الجاه،إذ هو طلب المنزله فی القلوب بأی عمل اتفق،و الریاء طلب المنزله بادائه خصال الخیر أو ما یدل علی الخیر ثم خصال الخیر یشمل أعمال البر بأسرها،و هی أعم من العادات إن خصت العباده بمثل الصلاه و الصوم و الحج و الصدقه و أمثال ذلک و مساوقه لها إن أرید بالعباده کل فعل یقصد به التقرب و یترتب علیه الثواب إذ علی هذا کل عمل من أعمال الخیر،سواء کان من الواجبات أو المندوبات او المباحات فی الأصل إذا قصد به القربه کان طاعه و عباده، و ان لم یقصد به ذلک لم یکن عباده و لا عمل خیر،و لو کان مثل الصلاه.و ربما خص الریاء عاده بطلب المنزله فی القلوب بالعباده بالمعنی الأخص.

و المراد بالآثار الداله علی الخیریه هی کل فعل لیس فی ذاته برا

و خیرا،و إنما یستدل به علی الخیریه.

و هی إما متعلقه بالبدن،کاظهار النحول و الصفار لیستدل بهما علی قله الأکل أو الصوم و سهر اللیل،و یوهم بذلک شده الاجتهاد و عظم الحزن علی امر الدین و غلبه الخوف من اللّه و من أهوال الآخره،و کخفض الصوت لیستدل به علی ان وقار الشرع قد خفض صوته...و قس علیها غیرها من الأمور المتعلقه بالبدن،الداله علی الخیریه قصدا إلی تحصیل المنزله فی قلوب الناس،و کل ذلک یضر بالدین و ینافی الورع و الیقین،و لذا قال عیسی-علیه السلام-:«اذا صام أحدکم،فلیدهن رأسه،و یرجل شعره،و یکحل عینیه»،خوفا من نزع الشیطان بالریاء.ثم هذه مراءاه أهل الدین بالبدن،و أما أهل الدنیا فیراؤن فی البدن بإظهار السمن و صفاء اللون و نظافه البدن و حسن الوجه و أمثال ذلک.

أو متعلقه بالزی و الهیئه کحلق الشارب و إطراق الرأس فی المشی، و الهدوء فی الحرکه،و إبقاء أثر السجود فی الجبهه،و لبس الصوف أو الثوب الخشن أو الابیض و تعظیم العمامه و لبس الطیلسان و الدراعه،و أمثال ذلک مما یدل علی العلم و التقوی او الانخلاع عن الدنیا.

و المراءون من أهل الدین بالزی و اللباس علی طبقات:منهم من یری طلب المنزله بالثیاب الخشه،و منهم من یری بالثیاب الفاخره،و منهم من یری بالوسخه،و منهم من یراه بالنظیفه،و للناس فیما یعشقون مذاهب و أما أهل الدنیا فلا ریب فی أنهم یراؤن فی اللباس بلبس الثیاب النفیسه و رکوب المراکب الرفیعه و أمثال ذلک.

أو متعلقه بالقول و الحرکات کاظهار الغضب و الاسف علی المنکرات و مقارفه الناس للمعاصی،لیستدل بها علی حمایته للدین و شده اهتمامه علی الامر بالمعروف و النهی عن المنکر،مع ان قلبه لم یکن متأثرا عن ذلک،

و كارخاء الجفون و تنكيس الرأس عند الكلام و إظهار الهدوء و السكون فى المشى،ليستدل بذلك على وقاره،و ربما أسرع المرائى فى المشى إلى حاجه فإذا اطلع عليه واحد رجع إلى الوقار خوفا من أن ينسب إلى عدم الوقار فإذا غاب الرجل عاد إلى عجلته.

أو متعلقه بغير ذلك كمن يتكلف ان يكثر الزائرون له و الواردون عليه(لا)سيما من العلماء و العباد و الأمراء ليقال إن أهل الدين و العظماء يتبركون بزيارته.

فصل ذم الرياء

الرياء من الكبائر الموبقه و المعاصى المهلكه و قد تعاضدت الآيات و الأخبار على ذمه،قال سبحانه:

فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ اَلَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاٰتِهِمْ سٰاهُونَ اَلَّذِينَ هُمْ يُرٰاؤُنَ وَ يَمْنَعُونَ الْمٰاعُونَ

(۱)

و قال سبحانه: فَمَنْ كٰانَ يَرْجُوا لِقٰاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صٰالِحاً وَ لاٰ يُشْرِكْ بِعِبٰادَهِ رَبِّهِ أَحَداً (۲).و قال سبحانه: يُرٰاؤُنَ النّٰاسَ وَ لاٰ يَذْكُرُونَ اللّٰهَ إِلاّٰ قَلِيلاً (۳).و قال: كَالَّذِی يُنْفِقُ مٰالَهُ رِئٰاءَ النّٰاسِ (۴).

۱- ۱) الماعون،الآيه:۴-۷.

۲- ۲) الكهف،الآيه:۱۱۰.

۳- ۳) النساء الآيه:۱۴۲.

۴- ۴) البقره،الآيه:۲۶۴.

و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-:«إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»قالوا:و ما الشرك الأصغر؟قال:«الرياء،يقول اللّه عز و جل يوم القيامه للمرائين إذا جازى العباد باعمالهم:اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤن لهم فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء».و قال -صلى اللّه عليه و آله-:«استعيذوا باللّه من جب الحزن»قيل:و ما هو يا رسول اللّه؟قال:«واد فى جهنم أعد للقراء المرائين».و قال -صلى اللّه عليه و آله-:«يقول اللّه تعالى:من عمل لى عملا أشرك فيه غيرى فهو له كله،و أنا منه برىء،و أنا أغنى الأغنياء عن الشرك» و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«لا يقبل اللّه تعالى عملا فيه مثقال ذره من رياء».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«إن أدنى الرياء الشرك» و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«إن المرائى ينادى عليه يوم القيامه يا فاجر يا غادر يا مرائى ضل عملك و حبط أجرك اذهب فخذ أجرك ممن كنت تعمل له».و كان-صلى اللّه عليه و آله-يبكى،فقيل له:ما يبكيك؟قال «إنى تخوفت على أمتى الشرك أما انهم لا يعبدون صنما و لا شمسا و لا قمرا و لا حجرا و لكنهم يراؤن باعمالهم».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:

«سيأتى على الناس زمان تخبث فيه سرائرهم و تحسن فيه علانيتهم طمعا فى الدنيا لا يريدون به ما عند ربهم،يكون دينهم رياء لا يخالطهم خوف يعمهم اللّه بعقاب فيدعونه دعاء الغريق فلا يستجيب لهم»و قال:«إن الملك ليصعد بعمل العبد مبتهجا به فإذا صعد بحسناته يقول اللّه عز و جل:

اجعلوها فى سجين إنه ليس إياى أراد به» (۱) و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«ان الحفظه تصعد بعمل العبد إلى السماء السابعه من صوم و صلاه.

۱- ۱) صححنا الحديث و كذا ما قبله على(أصول الكافى).باب الرياء و باقى الأحاديث النبويه على(احياء العلوم)ج ۳ ص ۲۵۴.

و تفقه و اجتهاد و ورع،لها دوی کدوی الرعد و ضوء کضوء الشمس معه ثلاثه آلاف ملک،فیجاوزون به إلی السماء السابعه،فیقول لهم الملک الموکل بها قفوا و اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا به جوارحه، اقفلوا به علی قلبه،إنی أحجب عن ربی کل عمل لم یرد به وجه ربی، إنه أراد بعمله غیر اللّه،إنه أراد رفعه عند الفقهاء و ذکرا عند العلماء و صیتا فی المدائن،أمرنی أن لا أدع عمله یجاوزنی إلی غیری،و کل عمل لم یکن للّه خالصا فهو ریاء،و لا یقبل اللّه عمل المرائی،قال-صلی اللّه علیه و آله-:و تصعد الحفظه بعمل العبد من صلاه و زکاه و صیام و حج و عمره و خلق حسن و صمت و ذکر اللّه تعالی و تشیعه ملائکه السماوات حتی یقطع الحجب کلها إلی اللّه فیقفون به بین یدیه و یشهدون له بالعمل الصالح المخلص للّه،قال:فیقول اللّه تعالی لهم أنتم الحفظه علی عمل عبدی و أنا الرقیب علی نفسه،انه لم یردنی بهذا العمل و أراد به غیری فعلیه لعنتی فتقول الملائکه کلهم علیه لعنتک و لعنتنا،و تقول السماوات کلها علیه لعنه اللّه و لعنتنا،و تلعنه السماوات السبع و من فیهن».

و قال أمیر المؤمنین-علیه السلام-:«اخشوا اللّه خشیه لیست بتعذیر (1)و اعملوا بغیر ریاء و لا سمعه فانه من عمل لغیر اللّه و کله اللّه الی عمله یوم القیامه»و قال الباقر-علیه السلام-:«الابقاء علی العمل أشد من العمل»قیل:و ما الا بقاء علی العمل؟قال:«یصل الرجل بصله و ینفق نفقه للّه وحده لا شریک له فکتب له سرا ثم یذکرها فتمحی فتکتب له علانیه ثم یذکرها فتمحی فتکتب له ریاء».و قال الصادق-علیه السلام-:

«قال اللّه تعالی انا خیر شریک فمن عمل لی و لغیری فهو لمن عمل له

1- 1) قال فی الوافی فی باب الریاء 3-400:بیان(بتعذیر)-بحذف المضاف- ای ذات تعذیر،و هو بالعین المهمله و الذال المعجمه بمعنی التقصیر.

غیری».و قال-علیه السلام-:«قال اللّه تعالی:أنا أغنی الأغنیاء عن الشریک فمن أشرک معی غیری فی عمل لم أقبله إلا ما کان لی خالصا» و قال-علیه السلام-:«کل ریاء شرک،إنه من عمل للناس کان ثوابه علی الناس،و من عمل للّه کان ثوابه علی اللّه».و عن أبی عبد اللّه -علیه السلام-فی قول اللّه عز و جل:

فَمَنْ کٰانَ یَرْجُوا لِقٰاءَ رَبِّهِ فَلْیَعْمَلْ عَمَلاً صٰالِحاً وَ لاٰ یُشْرِکْ بِعِبٰادَهِ رَبِّهِ أَحَداً .

قال:«الرجل یعمل شیئا من الثواب لا یطلب به وجه اللّه إنما یطلب تزکیه الناس،یشتهی أن یسمع به الناس فهذا الذی أشرک بعباده ربه» ثم قال:«ما من عبد أسر خیرا فذهبت الأیام أبدا حتی یظهر اللّه له خیرا،و ما من عبد یسر شرا فذهبت الأیام حتی یظهر اللّه له شرا».

و قال-علیه السلام-:ما یصنع أحدکم أن یظهر حسنا و یسر سیئا أ لیس یرجع إلی نفسه فیعلم أن ذلک لیس کذلک و اللّه عز و جل یقول:«بل الإنسان علی نفسه بصیره».ان السریره إذا صحت قویت العلانیه.و قال -علیه السلام-:«من أراد اللّه بالقلیل من عمله اظهر اللّه له أکثر مما أراده به و من أراده الناس بالکثیر من عمله فی تعب من بدنه و سهر من لیله أبی اللّه إلا أن یقلله فی عین من سمعه».و قال-علیه السلام-لعباد البصری:«ویلک یا عباد!إیاک و الریاء فانه من عمل لغیر اللّه و کله اللّه الی من عمل له».و قال-علیه السلام-:«اجعلوا أمرکم هذا للّه و لا تجعلوه للناس فانه ما کان للّه فهو للّه و ما کان للناس فهو لا یصعد الی اللّه». و قال الرضا-علیه السلام-لمحمد بن عرفه:«ویحک یا بن

عرفه اعملوا لغير رياء و لا سمعه فانه من عمل لغير اللّه وكلّه اللّه إلى ما عمل ويحك ما عمل أحد عملا إلا أراده اللّه به إن خيرا فخيرا و إن شرا فشرا» (۱).

و كفى للرياء ذما انه يوجب الاستحقار للّه و جعله أهون من عباده الضعفاء الذين لا يقدرون نفعا و لا ضرا،اذ من قصد بعباده اللّه عبدا من عبيده فلا ريب فى أن ذلك لأجل ظنه بأن هذا العبد أقدر على تحصيل أغراضه من اللّه و أنه أولى بالتقرب إليه منه تعالى و أى استحقار بمالك الملوك أشد من ذلك.

فصل أقسام الرياء

الرياء إما فى العبادات أو فى غيرها(و الأول)حرام مطلقا و صاحبه ممقوت عند اللّه و هو يبطل أصل العباده و لأن الأعمال بالنيات،و المرائى بالعباده لم يقصد امتثال أمر اللّه بل قصد ادراك مال أو جاه أو غرض آخر من الأغراض فلا يكون ممتثلا لأمر اللّه خارجا عن عهده التكليف، ثم مع بطلان عبادته و عدم خروجه عن عهده التكليف يكون له اثم على حده لأجل الرياء،كما دلت عليه الآيات و الأخبار،فيكون أسوأ حالا ـ ممن ترك العباده رأسا،كيف لا ـ و المرائى بالعباده جمع بين الاستهزاء باللّه و التلبيس و المكر لأنه خيل إلى الناس أنه مطيع للّه من أهل الدين و ليس كذلك.

و أما الرياء بغير العبادات،فقد يكون مذموما،و قد يكون مباحا،

ص:۳۹۰

---

۱ – ۱) صححنا الأحاديث عن آل البيت عليهم السلام(على أصول الكافى)باب الرياء و على(البحار)مج ۳:۱۵-۴۳.و على(الوسائل)-ج ۱،الباب ۱۲،۱۱ ۱۴ من أبواب مقدمه العبادات-.

و قـد يكون مستحبا،و قـد يكون واجبا،إذ يجب على المؤمن صيانه عرضه و ألا يفعل ما يعاب عليه،فلا يليق بـذوى المروات أن يرتكبوا الأمور الخسيسه بانفسهم عند مشاهده الناس و ان جاز لهم ذلك فى الخلوه،و من زين نفسه باللباس او غيره فى أعين الناس حذرا من لومهم و استثقالهم أو استقذارهم إياه كان ذلك مباحا له،إذ الحذر من ألم الذم غير مذموم إلا أن ذلك يختلف باختلاف الازمنه و البلاد و الأشخاص من العباد،فربما كان بعض أقسام الرياء بغير العبادات مذموما بالنظر إلى وقت او شخص أو بلد غير مذموم بالنظر إلى آخر.روى:«ان رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله و سلم-أراد يوما أن يخرج على أصحابه،فكان ينظر فى حب من الماء و يسوى عمامته و شعره،فقيل له:أو تفعل ذلك يا رسول اللّه؟ فقال:نعم،إن اللّه تعالى يحب من العبد أن يتزين لإخوانه إذا خرج اليهم».و قال أمير المؤمنين-عليه السلام-:«يتزين أحدكم لأخيه المسلم كما يتزين للغريب الذى يحب أن يراه فى أحسن الهيئه»،و قال الصادق -عليه السلام-:«الثوب النقى يكبت العدو».و روى:«أنه -عليه السلام-نظر إلى رجل من أهل المدينه قد اشترى لعياله شيئا و هو يحمله،فلما رآه الرجل استحى منه،فقال-عليه السلام-:اشتريته لعيالك و حملته إليهم،أما و اللّه لو لا أهل المدينه لا حببت أن اشترى لعيالى الشىء ثم احمله إليهم» (۱)أراد-عليه السلام-لو لا مخافه ان يعيبوه على ذلك لفعل مثل فعله،إلا أنه لما كان فى زمان يعاب عليه بمثله لم يجز له أن يرتكبه،و لما لم يكن ذلك مما يعاب عليه فى زمن أمير المؤمنين -عليه السلام-كان يرتكبه و كان ذلك منقبه له و تعليما.فظهر أن ارتكاب

---

۱ - ۱) تقدم هذا الحديث فى ۱-۳۵۸،و الأحاديث الثلاثه الأخيره صححناها على(الوسائل)-كتاب الصلاه،ابواب احكام الملابس،الباب ۴-۶.

بعض الأمور و عدم ارتكاب بعض الافعال قد يكون رياء محبوبا و قد يكون رياء مذموما.

فصل تأثير الرياء على العباده

اشاره

الرياء إما أن يكون مجردا عن قصد القربه و الثواب بحيث لو لاه و الفرد صاحبه لترك العمل و هو أشد درجات الرياء و اعظمها اثما،أو يكون مع قصدهما فان كان قصدا ضعيفا مرجوحا بحيث لو كان خاليا عن قصد الرياء لم يبعثاه على العمل،و لو كان قصد الرياء خاليا عنهما بعثه عليه،كان قريبا من سابقه و ان كان مساويا لقصد الرياء بحيث لو كان كل واحد خاليا عن الآخر لم يبعثه على العمل،فالحق كونه مفسدا للعمل أيضا لظواهر الاخبار.و ان كان راجحا على قصد الرياء غالبا عليه بأن يكون قصد الرياء و اطلاع الناس مرجحا و مقويا لنشاطه بحيث لو لم يكن لم يترك العمل،و لو كان قصد الرياء وحده لما أقدم على العمل،(فبعض العلماء)على أنه لا يحبط أصل العمل و الثواب بل ينقص من الثواب أو يعاقب صاحبه على مقدار قصد الرياء،و يثاب على مقدار قصد الثواب و(فيه نظر)إذ ظواهر الأخبار تفيد إبطاله أصل العمل و الثواب لصدق الرياء عليه و صدق المرائى على صاحبه،لقول أمير المؤمنين-عليه السلام-«ثلاث علامات للمرائى:ينشط إذا رأى الناس،و يكسل إذا كان وحده و يحب أن يحمد فى كل أموره»و ما تقدم من الأخبار الداله على أن كل عمل أشرك مع اللّه تعالى غيره كان اللّه منه بريئا و لم يقبله،صريح فى المطلوب.و حملها على ما إذا تساوى القصد أو كان قصد الرياء أرجح خلاف الظاهر.ثم الظاهر ان البطلان فى هذه الصوره إنما هو إذا رجع قصده إلى حبه اطلاع الناس عليه لتقع منزله له فى قلوبهم،ليتوسل بها

إلی نیل غرض من الأغراض الدنیویه،و أما إذا کان سروره و قصده من اطلاع الناس لاحد المقاصد الصحیحه الآتیه فلا بأس به و لا یبطل العمل.

تنبیه السرور بالاطلاع علی العباده

من کان قصده إخفاء الطاعه و الإخلاص للّه،فإذا اتفق اطلاع الناس علی طاعته فلا بأس بالسرور به،من حیث علمه بأن اللّه اطلعهم علیه و اظهر الجمیل من حاله،فیستدل به علی حسن صنع اللّه به من حیث إنه ستر الطاعه و المعصیه،و اللّه تعالی أبقی معصیته علی الستر و أظهر طاعته،فیکون فرحه بجمیل نظر اللّه و فضله له لا بمدح الناس و قیام المنزله فی قلوبهم،و قد قال اللّه تعالی:

قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَ بِرَحْمَتِهِ فَبِذٰلِکَ فَلْیَفْرَحُوا

(۱)

.

و کأنه ظهر له بظهور طاعته أنه عند اللّه مقبول ففرح به أو من حیث استدلاله بإظهار اللّه الجمیل و ستره القبیح فی الدنیا أنه کذلک یفعل به فی الآخره،قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:«ما ستر اللّه علی عبد فی الدنیا إلا ستر اللّه علیه فی الآخره».فالأول فرح بالقبول فی الحال من غیر ملاحظه المستقبل،و هذا التفات إلی المستقبل.أو من حیث ظنه رغبه المطلعین فی الاقتداء فی الطاعه،فیتضاعف بذلک أجره.

إذ یکون له أجره السر بما قصده أولا،و أجر العلانیه بما اظهره آخرا و من اقتدی الناس به فی طاعه فله أجر اعمال المقتدین به من غیر أن ینقص

۱- ۱) یونس،الآیه:۵۸.

من أجورهم شیء.أو من حیث فرحه بطاعه المطلعین للّه فی مدحهم و حبهم للمطیع،و میل قلوبهم إلی الطاعه،اذ من الناس من یمقت أهل الطاعه و یحسدهم أو یستهزئ بهم و ینسبهم إلی الریاء،فهذا فرح بحسن ایمان عباد اللّه،و علامه الإخلاص فیه:أن یکون سروره بمدحهم غیره مثل سروره بمدحهم إیاه.

و یدل علی عدم البأس بالسرور فیما ذکر ما روی:«أن رجلا قال لرسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-:انی أسر العمل لا أحب أن یطلع علیه أحد فیطلع علیه فیسرنی!قال:لک أجران:أجر السر و أجر العلانیه» و ما روی:«أنه سئل الباقر-علیه السلام-عن الرجل یعمل الشیء من الخیر فیراه انسان فیسره ذلک،قال:لا بأس،ما من أحد إلا و هو یحب أن یظهر اللّه له فی الناس الخیر إذا لم یکن صنع ذلک».و هذان الخبران باطلاقهما یدلان علی نفی البأس بالسرور لأجل المقاصد المذکوره و یخصص منهما ما هو المذوم من الفرح الحاصل من اطلاع الناس،و ان کان قصده الاخفاء أولا-و هو أن یکون فرحه لقیام منزلته فی قلوب الناس حتی یمدحوه و یعظموه و یقوموا بحوائجه،و انما یخصص ذلک منهما مع شمول اطلاقهما له أیضا لمعارض أقوی.

هذا و قد تقدم أن قصده أولا-ای فی حال عقد الطاعه-اطلاع الناس علیه و ارتیاحه به لأحد المقاصد المذکوره لا بأس به أیضا،فعدم البأس لا یختص بطرو القصد و الارتیاح بعد العقد او بعد تمام العمل.

ثم کما لا بأس بالسرور من ظهور الطاعات للمقاصد المذکوره،فکذلک لا بأس بکتمان المعاصی و اغتمامه باطلاع الناس علیها لاسباب نذکرها،بل الحق رجحان الکتمان و مزیته بعد ارتکابها،و ان کان الأصل فی الإخلاص استواء السریره و العلانیه.و لذا قال بعض الأکابر:«علیک بعمل العلانیه

و هو ما إذا ظهر لم تستح منه».و قال بعضهم:«ما عملت عملا أبالى ان يطلع الناس عليه إلا اتيانى أهلى و البول و الغائط».إلا ان ذلك درجه عظيمه ليست شرعه لكل وارد،و لا يصل إليها إلا واحد بعد واحد.إذ كل انسان-إلا من عصمه اللّه-لا يخلو من ذنوب باطنه،(لا)سيما ما يختلج بباله من الامانى الباطله و الأمور الشهويه،و اللّه مطلع عليها و هى مخفيه عن الناس،و السعى فى اخفائها و كراهه ظهورها جائز بل راجح، بشرط ألا يكون باعث اخفائها قصد أن يعتقدوا فيه الورع و الصلاح، بل كان الباعث:

۱-إما كون السر مأمورا به.

۲-أو كون الهتك و إظهار المعاصى منهيا عنه.قال رسول اللّه -صلى اللّه عليه و آله-:«من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستره بستر اللّه تعالى».و يعرف صدق ذلك بكراهه ظهورها عن الغير،أو كون ستر اللّه عليه فى الدنيا دليلا على ستره فى الآخره،لما ورد فى الخبر:

«أن من ستر اللّه عليه فى الدنيا ستر اللّه عليه فى الآخره».

۳-أو كون ظهور المعاصى موجبا لذم الناس،و الذم يؤلم القلب و يشغله عن طاعه اللّه،و يصده عن الاشتغال بتحصيل ما خلق لأجله، و لكون التألم بالذم جبليا غير ممكن الدفع بسهوله يكون إخفاء ما ظهوره يؤدى إلى حدوثه جائزا.نعم،كمال الصدق استواء المدح و الذم،إلا أن ذلك قليل جدا،و أكثر الطباع تألم بالذم،لما فيه من الشعور بالنقصان و ربما كان التألم بالذم ممدوحا إذا كان الذام من أهل البصيره فى الدين، فان ذمه يدل على وجود نقصان فيه،فينبغى أن يتألم منه و يتشمر لدفعه ۴-أو كون الناس شهداءه يوم القيامه،كما ورد فيجوز الاخفاء لئلا يشهدوا عليه يوم القيامه.

۵-أو خوف أن يقصد بشر او سوء إذا عرف ذنبه.

۶-أو خوف صيروره الذام عاصيا بذمه،و هذا من كمال الايمان و يعرف بتسويه ذمه و ذم غيره.

٧-أو خوف سقوط وقع المعاصى من نفسه او اقتداء الغير به فيها و هذه العله هى المبيحه لإظهار الطاعه،و يختص ذلك بمن يقتدى به من الأئمه و امثالهم،و لهذه العله ينبغى أن يخفى العاصى معصيته من أهله و ولده أيضا،لئلا يقتدوا به فيها.

٨-أو حبه محبه الناس له لا-للتوسل بها إلى الأغراض الدنيويه، بل ليستدل بها على محبه اللّه تعالى له،لأن من أحبه اللّه تعالى جعله محبوبا فى قلوب الناس.

٩-أو مجرد الحياء من ظهور قبائحه،و هو غير خوف الذم و القصد بالشر،إذ هو من فضائل الأخلاق و من كريم الطبع،قال رسول اللّه -صلى اللّه عليه و آله-:«الحياء خير كله».و قال الصادق-عليه السلام-:«الحياء شعبه من الايمان».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:

«ان اللّه تعالى يحب الحيى الحليم».و من صدر عنه فسق و لم يبال بظهوره للناس،فقد جمع إلى الفسق الهتك و عدم الحياء-أعنى الوقاحه-،فهو أسوأ حالا ممن يفسق و يستحى فيستره.

ثم كثيرا ما يشتبه الحياء بالرياء،فيدعى من يرائى بأنه يستحى،و أن تركه السيئات أو إخفاءها أو تحسينه للعبادات إنما هو لأجل الحياء من الناس دون الرياء،و ذلك كذب،و بيان ذلك:أن الحياء خلق ينبعث من الطبع الكريم،و يمكن أن يهيج عقيبه داعيه الرياء فيرائى معه و يمكن أن يهيج داعيه الإخلاص فيجمعه إليه.مثلا من طلب صديقه قرضا،فان رده صريحا من غير مبالاه و من دون أن يتعلل ارتكب الوقاحه و عدم الحياء.

و ان أعطاه بمجرد انقباض نفسه من استشعار قبح رده مشافهه من دون رغبه فى الثواب و لا خوف من ذمه أو حب إلى مدحه حتى لو طلبه مراسله أو بتوسط غيره من الأجانب لرده،فإعطاؤه هذا صادر عن مجرد الحياء من دون ترتب رياء أو اخلاص عليه.و ان تعسر عليه الرد للحياء و كان ما فى نفسه من البخل مانعا من الإعطاء فحدث خاطر الرياء،و يخاطب نفسه بأنه ينبغى أن تعطيه حتى يمدحك بالسخاء و لا يذمك بالبخل فاعطاه لذلك فهو مزج الرياء بالحياء،و المحرك للرياء هو هيجان الحياء.و ان تعسر عليه الرد للحياء و الإعطاء للبخل،فهيج باعث الإخلاص،و يقول له:ان الصدقه بواحده و القرض بثمانيه،ففيه أجر عظيم،و إدخال السرور على قلب مسلم صديق من أقرب القربات،فسخت نفسه بالاعطاء،فهو جمع بين الحياء و الإخلاص ثم الحياء لا يكون إلا فى القبائح الشرعيه أو العقليه أو العرفيه،كالبخل و مقارفه الذنوب و الظلم و صدور بعض الحركات القبيحه عرفا فى المحافل،و الرياء يكون فى المباحات أيضا،حتى انه لو عاد الضاحك إلى الانقباض و المستعجل فى المشى إلى الهدوء بعد اطلاع الناس كان مرائيا،و ربما ظن أن باعث ذلك هو الحياء و هو الجهل،إذ باعثه مجرد الرياء.و ما قيل:إن بعض الحياء ضعف،فالمراد أن الحياء مما ليس بقبيح ناش من ضعف النفس،كالحياء من وعظ الناس و اقامه الصلاه و من الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر،الا إذا وجد عذر يحسن الحياء معه،كأن يشاهد معصيه من شيخ فيستحى من شيبته أن ينكر عليه،لأن من إجلال اللّه إجلال ذى الشيبه المسلم،و لو استحيى من اللّه و لا يضيع الأمر بالمعروف لكان أحسن.و أقوياء النفوس من أهل الايمان يؤثرون الحياء من اللّه على الحياء من الخلق،و أما ضعفاء النفوس منهم فقد لا يقدرون على ذلك.

فصل متعلقات الرياء

الرياء إما باصل الايمان،و هو إظهار الشهادتين مع التكذيب باطنا و هذا هو كفر النفاق،و قد كان فى صدر الإسلام كثيرا،و قل ما يوجد فى أمثال زماننا،و ان كثر فيه إنكار بعض ضروريات الدين،كالجنه و النار و الثواب و العقاب و اعتقاد طى بساط احكام الشرع باطنا،ميلا الى قول الملاحده و أهل الاباحه،مع إظهار الخلاف ظاهرا،و هذا أيضا معدود من كفر النفاق،و صاحبه ينسل عن الدين مخلد بالنار.و صاحب كفر النفاق مطلقا أسوأ حالا من الكافر المحارب،لأنه جمع بين الكفر الباطن و النفاق الظاهر.أو بأصول العبادات مع التصديق باصل الدين، كأن يصلى فى الملأ دون الخلوه،و يصوم مع اطلاع الناس عليه و يفطر بدونه،و مثله و إن لم ينسل من أصل الدين،إلا أنه شر المسلمين، لترجيحه الخلق على الخالق،و كون التقرب إليهم أحب من التقرب لديه و كون خوفه من ذمهم أشد من خوفه من عقابه سبحانه.أو بالنوافل و السنن،و هذا أيضا مذموم مهلك،و لكنه دون ما قبله،لأن صاحبه و ان قدم مدح الخلق على مدح الخالق،إلا أنه لم يقدم خوف ذمهم على خوف عقابه،لعدم ترتب عقاب على ترك النافله.أو بأوصاف العباده الواجبه أو المستحبه،كفعل ما فى تركه نقصان أو كراهه أو ترك ما فى فعله أحدهما أو بزيادات خارجه عن نفس النوافل،كحضوره الجماعه قبل القوم و قصده الصف الأول،و أمثال ذلك.و كل ذلك مذموم،إلا أن بعضه أشد من بعض.

فصل بواعث الرياء

اشاره

باعث الرياء إما التمكن من المعصيه،كاظهار الورع و التقوى لتفوض اليه الحكومه و القضاء،لينال الجاه و الاستيلاء،و يحكم بالجور،و يأخذ الرشا،أو تسلم إليه الودائع و الصدقات و أموال اليتامى و أمثال ذلك فيأخذ لنفسه منها ما يقدر عليها،و كحضوره مجالس العلم و الوعظ و التعزيه لملاحظه النسوان و الصبيان،و هذا أشد درجات الرياء اثما،و يقرب منه إظهار الديانه و التقوى ليدفع عن نفسه تهمه ما اقترفه من الجرائم،أو نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا،كالاشتغال بالوعظ و التذكير و الإمامه و التدريس و إظهار الصلاح و الورع،لتستبذل له الأموال و ترغب فى تزويجه النسوان أو خوف أن ينظر إليه بعين النقص و الحقاره،أو ينسب إلى الكساله و البطاله كترك العجله و الضحك بعد اطلاع الناس عليه،خوفا من أن يعرف باللهو و الهزل فيستحقر،و كالقيام للتهجد و أداء النوافل إذا وقع بين المتهجدين و المتنفلين لئلا ينسب إلى الكساله،و لو خلى بنفسه لم يتنفل مطلقا،و كذا الامتناع من الأكل و الشرب فى اليوم الذى يصام فيه تطوعا و تصريحه بأنى صائم،خوفا من أن ينسب إلى البطاله،و ربما لم يصرح بكونه صائما،بل يقول:لى عذر،و حينئذ قد جمع بين رياءين بكونه صائما،و الرياء بكونه مخلصا غير مراء.ثم إن ألجأته الكساله و الشهوه إلى عدم القيام إلى النوافل و عدم الصبر عن الأكل و الشرب،ذكر لنفسه عذرا تصريحا أو تعريضا،كأن يتعلل الترك بمرض أو ضعف أو شده العطش أو تطييب خاطر فلان،و قس عليها غيرها من الكلمات و الاعذار،فانها لا تسبق إلى اللسان الا لرسوخ عرق الرياء فى النفس،و المخلص لا يريد

غير اللّه و التقرب إليه،و لا يعتنى بالخلق و حصول المنزله فى قلوبهم،فان لم يصم لم يحب أن يعتقد غيره فيه ما يخالف علم اللّه ليكون ملبسا،و ان صام قنع بعلم اللّه و لم يشرك فيه غيره.ثم هذه البواعث لما كان بعضها صادرا من رداءه قوه الغضب و بعضها من رداءه قوه الشهوه،فيكون بعض أنواع الرياء من رذائل الأولى و بعضها من رذائل الثانيه.

تنبيه الرياء الجلى و الخفى

الرياء جلى و خفى،و الجلى:ما يبعث على العمل لو لا قصد الثواب و الخفى:ما لا يبعثه بمجرده إلا أنه يخفف العمل الذى أريد به التقرب فى الخلوه،و يعرف بالسرور إذا اطلع عليه الناس،لا-للمقاصد المتقدمه، بل لطلب نوع منزله فى قلوب الناس،و يتوقع التعظيم و التوقير و قضاء الحوائج منهم و وجدان الاستبعاد من نفسه لو قصر فى احترامه،كأن نفسه تتقاضى الإكرام و الاحترام على الطاعه التى اخفاها مع أنه لم يطلع عليه أحد.و لا شك أن هذا التقاضى لا ينفك عن شوب خفى من الرياء أخفى من دبيب النمل،و لو كان عنده وجود الطاعه كعدمها فى كل ما يتعلق بالخلق و قنع بعلم اللّه فيها لم يكن لهذا التوقع وجه.فعلامه خلوص العمل من الرياء ألا يجد تفرقه بين أن يطلع على عبادته انسان أو بهيمه،و مهما وجد تفرقه فى ذلك فلا يكون منفكا عن توقع ما(عن) (۱)الناس فى طاعته،و ذلك مما يحبط العمل.قال أمير المؤمنين-عليه السلام-:

«إن اللّه تعالى يقول للقراء يوم القيامه:ألم يكن يرخص عليكم السعر؟

۱- ۱) كذا فى النسخ،و لعل(عند)مكان(عن).

أ لم تكونوا تبدءون بالسلام؟أ لم تكونوا تقضى لكم الحوائج؟فلا أجر لكم،قد استوفيتم اجوركم!».

فصل كيف يفسد الرياء العمل

لو عقد العمل على الإخلاص و استمر إلى الفراغ،لم يحبطه السرور بظهوره بعده،لا من قبله كما دل عليه بعض الظواهر السالفه.و لا يعصى به أيضا إن كان لأجل أحد المقاصد السالفه،و يكتب له معصيه إن كان لظنه حصول منزله له فى القلوب.و لو كان ظهوره بعده من نفسه بالتحدث مع الرغبه و السرور بذلك،فربما قيل باحباطه العمل،إذ حب التحدث به يدل على أن قلبه عند العباده لم يخل عن عقد خفى من الرياء.و قد أيد ذلك بما روى:«أن رجلا قال للنبى صلى اللّه عليه و آله و سلم:

إنى صمت الدهر.فقال صلى اللّه عليه و آله و سلم:لا صمت و لا افطرت!» و ما روى:«أن ابن مسعود سمع رجلا يقول:قرأت البارحه سوره البقره.فقال:ذلك حظه منها».

و الظاهر أنه لا يحبط عمله،بل يثاب عليه،و ان عواقب على ما صدر منه بعد الفراغ من الرياء.و التعليل لو تم لا يفيد البطلان،إذ العقد الذى لم يشعر به صاحبه لا يؤاخذ به،و إلا لزم التكليف بالمحال.و الخبر لو صح فانكاره صلى اللّه عليه و آله و سلم لأجل كراهيه صوم الدهر لا لإظهاره.و قول ابن مسعود لو ثبت لا حجيه فيه.

و لو عقد العمل على الإخلاص،و ورد فى اثنائه وارد السرور باطلاع بعض الناس عليه،فان لم يكن باعثا على العمل و مؤثرا فيه بحيث لو لم يحدث لأتم العمل على الإخلاص من غير فتور،و كان أيضا لأحد المقاصد

الصحیحه المتقدمه،فلا بطلان و لا اثم،لما تقدم من الأخبار.و إن لم یکن باعثا و لکن لم یکن لشیء من المقاصد المذکوره،بل کان لظنه نیل الجاه أو المال بالظهور،فالحق بطلان العمل و کونه آثما للعمومات السالفه و ان کان باعثا و مؤثرا فهو الریاء المحرم،سواء کان غالبا علی قصد التقرب أو مساویا له او مغلوبا عنه،فیحبط العمل و علیه الإعاده لو کان فریضه،لما تقدم من العمومات،و لقوله صلی اللّه علیه و آله و سلم:

«العمل کالوعاء،اذا طاب آخره طاب أوله».و قوله صلی اللّه علیه و آله و سلم:«من راءی بعلمه ساعه،حبط عمله الذی کان قبله».ثم هذا فی العمل المرکب الذی له اجزاء،و یتوقف صحته علی صحه کل واحد منها،کالصوم و الصلاه و الحج.و أما العمل الذی کل جزء منه منفرد، کالصدقه و القراءه،فما یطرأ من الریاء فی اثنائه إنما یفسد الباقی دون الماضی فطروؤه فیه فی الاثناء بالنسبه إلی الماضی کطروئه بعد الفراغ فی الأول.و هذا حکم الریاء الطارئ بعد عقد الطاعه علی الإخلاص أو قبله سواء لم یرجع عنه حتی یتمها،أو ندم بعده فی الاثناء أیضا و رجع و استغفر و أما المقارن حال العقد،بأن یبتدی بالصلاه مثلا علی قصد الریاء،فان اتمها علیه فلا خلاف فی کونه إثما و عدم الاعتداد بها.و ان ندم علیه فی الاثناء و رجع و استغفر،فان مجرد القصد إلی الغیر الباعث إلی اطلاع الناس لبعض المقاصد المتقدمه و ارتیاحه به فلا بأس به و لا یحبط العمل، و ان کان غیر ذلک أفسده،سواء فی ذلک جمیع شقوقه المتقدمه،کما علم وجهه.

ص:۴۰۲

فائده شوائب الرياء مبطله للعمل

لما كان المناط فى الاعمال،صحه و فسادا،هو القصد و النيه،إذ الاعمال بالنيات،و لكل امرئ ما نوى،فكل عمل تدخله شوائب الرياء فهو فاسد،سواء وقع سرا او علانيه،و كل عمل كان خالصا للّه و أمن صاحبه من دخول الرياء فيه فلا بأس باسراره و لا بإظهاره.ثم لو تعلق قصد صحيح بإظهار نفس العمل أو التحدث به بعد الفراغ عنه،كترغيب الناس فى الخير و تنبيههم على الاقتداء به فيه،كان إظهاره أفضل من اسراره بشرط عدم اشتماله على رياء أو فساد آخر،كاهانه الفقير فى التصدق،و لو اشتمل على شيء من ذلك،كان أسراره أفضل من اعلانه و بذلك يجمع بين الأقوال و الأخبار.

و الحاصل:أنه متى انفك القلب عن شوائب الرياء،بحيث يتم الإخلاص على وجه واحد فى الحالتين،فما فيه القدوه و هو العلانيه أفضل و مهما حصلت فيه شوائب الرياء لم ينفعه اقتداء غيره،لكونه مهلكا له، فالسر أفضل منه.فعلى من يظهر العمل أن يعلم أو يظن انه يقتدى به و ان يراقب قلبه لئلا يكون فيه حب الرياء الخفى،فربما اظهر العمل لعذر الاقتداء و كان فى نفسه قصد التجمل بالعمل و كونه مقتدى به، و هذا حال كل من يظهر العمل،إلا من أيده اللّه بقوه النفس و خلوص النيه،فلا ينبغى لضعيف النفس أن يخدع نفسه فيضل و يضل و يهلك من حيث لا يشعر.فان الضعيف مثاله مثال الغريق الذى يعلم سباحه ضعيفه فينظر إلى جماعه من الغرقى فيرحمهم،و أقبل عليهم لينجيهم فتشبثوا به،

و هلک و هلکوا.و هذه المواضع مزال أقدام العلماء و العباد،فانهم یتشبهون بالاقویاء فی الإظهار و لا تقوی قلوبهم علی الإخلاص،فتحبط أجورهم بالریاء.و درک ذلک غامض جدا لا یبلغه الا الخائضون فی غمرات علم الأخلاق.و یعرف الخلوص فی ذلک بألا یتفاوت حاله باقتداء الناس به و بغیره من اقرانه و أمثاله،فان کان قلبه أمیل إلی أن یکون هو المقتدی به،فاظهاره العمل غیر خال عن شوائب الریاء.

ایقاظ

لما عرفت أن المناط فی صحه الأعمال و فسادها هو القصد و النیه،تعلم أن کل عمل لم یکن خالصا لوجه اللّه و أرید به غیره سبحانه ینبغی أن یترک و یعرض عنه،و إن کان خالصا له تعالی مقصودا علی قصد صحیح لا ینبغی ترکه لمجرد بعض الوساوس و الخواطر الشیطانیه.فان الشیطان یدعو أولا إلی ترک العمل فان لم یجب یدعو إلی الریاء،فإذا أیس منه یقول:

هذا العمل لیس خالصا،بل هو ریاء،فأی فائده منه؟!.

ثم الاعمال إما من الطاعات اللازمه التی لا تعلق لها بالغیر،کالصلاه و الصوم و الحج و أمثالها،أو من الطاعات المتعدیه التی لها تعلق بالخلق، کالامامه و القضاء و الحکومه و الافتاء و الوعظ و التذکیر و التعلیم و التدریس و إنفاق المال و غیر ذلک.

و القسم الأول:إن دخله الریاء قبل الفعل،بأن یکون باعثه الریاء دون الخلوص و القربه،فینبغی أن یترک و لا یشرع فیه،و إن دخله بعد العقد أو معه،فلا ینبغی أن یترک،لأنه وجد له باعث دینی،و إنما طرأه باعث الریاء،فلیجاهد فی دفع الریاء و تحصیل الإخلاص،و یرد نفسه إلیه قهرا بالمعالجات التی نذکرها.و مهما کان فی المجاهده مع نفسه

معاتبا لها قاهرا عليها فی میلها إلی الریاء،و وجد من طبعه کراهیه هذا المیل،فالنجاه فی حقه مرجوه،و لعل اللّه یسامحه بعظیم رحمته.و أما إذا لم یکن فی مقام المجاهده،و لم یکن کارها مما یجد فی نفسه من المیل إلی الریاء بل أعطی زمام الاختیار إلی النفس الاماره،و هی تراءی فی الاعمال،و هو یتبعها فی ذلک من غیر قهر علیها و کراهیه لفعلها،فلا ریب فی فساد أعماله و أولویه ترکها،و ان کان باعثها ابتداء محض القربه و دخلها الریاء مع العقد أو بعده.

و أما القسم الثانی:المتعلق بالخلق-اعنی امامه الصلاه و القضاء و التدریس و الافتاء و الوعظ و الإرشاد و أمثال ذلک-فاخطارها عظیمه، و مثوبتها جسیمه.فمن له أهلیه ذلک من حیث العلم-ان کان ذا نفس قویه لا یعتنی بالناس و لا تزعجها وساوس الخناس و له معرفه تامه بعظمه ربه و قدرته و سائر صفاته الکمالیه،بحیث شغله ذلک عن الالتفات إلی الخلق و ما فی أیدیهم حتی یرائی لأجلهم او یختار رضاهم علی رضا ربه-فالأولی لمثله ألا یترک هذه المناصب لیفوز بمثوبتها العظیمه.و ان کان ذا نفس ضعیفه،کخیط مرسل فی الهواء تفیئها (۱)الریح مره هکذا و مره هکذا فهو لا یأمن الریاء و سائر اخطارها.فاللازم لمثله ترکها.و لذلک کان أهل الیقین من السلف یتدافعون هذه المناصب ما وجدوا إلیه سبیلا.و ورد ما ورد من الأخبار فی عظم خطرها و کثره آفاتها و لزوم التثبت و الاحتیاط لمن یزاولها و ما ورد من الوعید الشدید فی حق العلماء السوء یکفی للزوم الحذر عن فتن العلم و غوائله.و مما یقصم ظهور أمثالنا من الذین یقولون ما لا یعلمون و یأمرون بما لا یفعلون،قول عیسی بن مریم-علیهما السلام-:

«یا علماء السوء!تصومون و تصلون و تتصدقون و لا تفعلون ما تؤمرون!

ص: ۴۰۵

۱- ۱) و فی نسختنا الخطیه(تعلیها).

و تـدرسون مـا لاـ تعلمون فيـا سوء مـا تحكمون!تتوبون بالقول و الامانى، و تعلمون بالهوى،و ما يغنى عنكم أن تتقوا جلودكم و قلوبكم دنسه!بحق أقول لكم:لاـ تكونوا كالمنخـل يخرج منه الـدقيق الطيب و تبقى فيه النخاله كـذلك أنتم!تخرجون الحكم من أفواهكم و يبقى الغل فى صدوركم!يا عبيد الدنيا!كيف يدرك الآخره من لا تنقضى من الدنيا شهوته و لا تنقطع منها رغبته!بحق أقول لكم:إن قلوبكم تبكى من أعمالكم،جعلتم الـدنيا تحت ألسـنتكم و العمل تحت أقـدامكم بحق أقول لكم:أفسدتم آخرتكم بصـلاح دنياكم،فصـلاح الدنيا أحب إليكم من صـلاح الآخره!فاى ناس أخس منكم لو تعلمون!و بلكم!حتى متى تصفون الطريق للمـدلجين و تقيمون فى محله المتحيرين كأنكم تدعون أهل الدنيا ليتركوها لكم!مهلا مهلا! ويلكم!ما ذا يغنى عن البيت المظلم أن يوضـع السـراج فـوق ظهره و جوفه وحش مظلم!كـذلك لاـ يغنى عنكم أن يكون نور العلم بـافواهكم و اجوافكم منه وحشـه معطله.يا عبيـد الـدنيا!توشك الدنيا أن تقلعكم عن اصولكم فتلقيكم على وجوهكم،ثم تكبكم على مناخركم،ثم تأخذ خطاياكم بنواصـيكم!يدفعكم العلم من خلفكم،ثم يسـلمكم إلى الملك الديان حفاه عراه فرادى!فيوقفكم على سوآتكم،ثم يخزيكم بسوء أعمالكم!!» (۱)هـذا و يعرف الصادق المخلص من أهل هـذه المناصب بأنه إذا ظهر من هو أعدل و أحسن وعظا و أكثر علما منه و أشـد قبولا للناس فرح به و لم يحسـده و إذا حضـر الأكابر و الأعاظم مجلسه أو اقتـدوا به لم يتغير كلامه و لم يتفاوت حاله،بل يبقى على ما كان عليه،و ينظر إلى عباد اللّه بعين واحده.

۱- ۱) روى هذا الحديث فى(احياء العلوم):۳-۲۸۱،فصححناه عليه و هو يرويه عن(الحارث المحاسبى).

تنبیه

لما عرفت حقیقه الریاء،تعلم أنه إذا صار عمل بعض الصالحین أو قولهم محرکا لغیرهم علی الاشتغال بالطاعه لم تکن هذه الطاعه ریاء إذا عقدت علی الخلوص،و ان لم یکن هذا الغیر لیفعل هذه الطاعه إذا لم یشاهدها من بعض الصالحین أو لم یسمعها منه.فمن لم تکن عادته التهجد و بات مع قوم متهجدین فی موضع،فإذا قاموا للتهجد انبعث نشاطه للموافقه و وافقهم فی التهجد،و لم یکن ذلک ریاء بعد أن یکون قصده منه الثواب و التقرب إلی اللّه،إذ کل مؤمن راغب فی عباده اللّه و فی قیام اللیل،و لکن قد تعوقه العوائق و تمنعه الغفله،فإذا شاهد قوما یتهجدون ربما صارت مشاهده طاعتهم سببا لزوال غفلته،کما یصیر قولهم و وعظهم سببا لذلک،فیتحرک باعث الدین دون الریاء و یدعوه إلی موافقتهم.و ربما کان الموضع مما لیس فیه عائق،فیغتنم الفرصه و یبعثه ما فیه من الایمان الی الطاعه.و قس علی التهجد غیره:من الصوم،و التصدق،و القراءه و الذکر،و غیرها من أعمال البر.

فصل علاج الریاء

لما کانت الأسباب الباعثه علی الریاء هی حب لذه المدح و الفرار من ألم الذم و الطمع بما فی أیدی الناس،فالطریق فی علاجه أن یقطع هذه الأسباب و قد تقدم طریق العلاج فی قطع الأولین،و یأتی طریق إزاله الثالث.و ما نذکره هنا من العلاج العلمی للریاء،هو أن یعلم أن الشیء إنما یرغب فیه لکونه نافعا،و إذا علم أنه ضار لیعرض عنه البته،و حینئذ

ص :۴۰۷

فينبغى لكل مؤمن أن يتذكر مضره الرياء و ما يفوته من صلاح قلبه و ما يحرم عنه فى الحال من التوفيق و فى الآخره من المنزله عند اللّه و ما يعترض له من المقت و العذاب و متى تذكر ذلك و قابل ما يحصل له فى الدنيا من الناس الذين راءى لأجلهم بما يفوته فى الآخره من ثواب الاعمال،لترك الرياء لا محاله،مع ان العمل الواحد ربما تترجح به كفه حسناته لو خلص فإذا فسد بالرياء حول إلى كفه السيئات،فتترجح به و يهوى إلى النار.

هذا مع أن المرائى فى الدنيا متشتت الهم متفرق الباب بسبب ملاحظه قلوب الناس،فان رضاهم غايه لا تدرك،و كلما يرضى به فريق يسخط به فريق و من طلب رضاهم فى سخط اللّه سخط اللّه عليه و أسخطهم أيضا.ثم اى غرض له فى مدحهم و ايثار ذم اللّه لأجل مدحهم و لا يزيده مدحهم رزقا و لا اجلالا و لا ينفعه يوم فقره و فاقته و هو يوم القيامه؟!و من كان رياؤه لأجل الطمع بما فى أيدى الناس،ينبغى أن يعلم ان اللّه هو المسخر للقلوب بالمنع و الإعطاء،و ان الخلق مضطرون فيه،و لا رازق إلا اللّه، و من طمع فى الخلق لم يخل عن الذل و الخسه،و ان وصل إلى المراد لم يخل عن المنه و المهانه،و إذا قرر ذلك فى نفسه و لم يكن منكرا لأمسه، زالت غفلته و فترت عن الرياء رغبته و أقبل على اللّه بقلبه،و انقطع بشراشره الى جناب ربه.و يكفيه أن يعلم أن الناس لو علموا ما فى باطنه من قصد الرياء و إظهار الإخلاص لمقتوه،و سيكشف اللّه عن سره حتى يبغضه إليهم و لو أخلص للّه لكشف اللّه لهم اخلاصه و حببه إليهم و سخرهم له،و أطلق ألسنتهم بمدحه و ثنائه،مع أنه لا يحصل له كمال بمدحهم و لا نقصان بذمهم ثم من تنور قلبه بنور الايمان و انشرح صدره باليقين و العرفان، و عرف معنى الواجب و حقيقه الممكن،و تيقن بأن الواجب-أى الحقيقه التى تقتضى بنفس ذاته التحقق و البقاء،و هو صرف الوجود-يجب أن

یكون تاما فوق التمام،و لا یتصور حقیقه أتم كمالا منه،و الحقیقه التی هـذا شأنها یجب أن یكون ما سواها باسـره مسـتندا إلیها و صادرا عنها علی أشرف أنحاء الصـدور و أقواها.و هذا النحو الأشـرف الأقوی الذی لا یتصور نحوه أقوی منه فی الاختراع و أدل منه علی كمـال عظمه الموجـد و قـدرته، و هو كون مـا سواه سـبحانه من الموجودات،إمـا اعتبـارات و شؤنـات لـدرجات ذاته و اشـراقات لتجلیات صـفاته،كما ذهب إلیه قوم،أو كونها ماهیات امكانیه اختراعیه علما و عینا،صادره عن سبحانه بوجودات خاصه متعـدده ارتبـاطیه بمحض إرادته و مشـیته،كما ذهب إلیه آخرون (۱)و لـو لم یكن غیره من الموجـودات مستندا إلیه علی أقوی أنحاء الاسـتناد،لم یكن تاما فوق التمام،اذ تكون الذات التی یسـتند الكل إلیها باحد النحوین اكمل منه و أشـرف.و إذا عرف أنه سبحانه كذلك،یعرف أنه لیس فی الوجود حقیقه أحد سواه و غیره حقیقته العدم و ما له من الوجود و الظهور منه سـبحانه،و بعد هذه المعرفه لا یختار غیره تعالی علیه،و یعلم أن العباد كلهم

---

۱ - ۱) القول الأـول مبنی علی اصـاله الوجود،و الثـانی علی اصـاله الماهیه.و هـذا البحث الـذی ذكره المؤلف من دقائق الفلسـفه الآلهیه و اعلاها و لقـد أحسن فیه البیان جـدا. فانه مبنی علی فهم معنی واجب الوجود لـذاته،و هو الذی یكون ذاته بذاته،مع قطع النظر عن كل ما عداه،و من حیث هو هو منشأ لانتزاع انه موجود،فلذلك یجب ان یكون صرف الوجود انه لا شیء له الوجود إلا لكان ممكنا،و یجب أن یكون متصـفا بجمیع الكمالات بل اكمل الكمالات و من جملتها ان تكون الموجودات مستنده إلیه علی أقوی أنحاء الاسـتناد.و إذا لم یتصف بجمیع الكمالات لا یتصف باعدامها،فیدخل فی حقیقته العدم،فلم یكن صـرف الوجود،فلم یكن واجب الوجود لذاته،و هذا خلاف الفرض،أو بهذه الطریقه یستدل علی اتصافه بجمیع صفات الجمال و الجلال.

عجزه لاـ يملكون لأنفسهم نفعا و لاـ ضررا،و لاـ يملكون موتا و لاـ حياه، فلاـ يتغير قلبه بمشاهده الخلق،و لا يلتفت إليهم إلا بخطرات ضعيفه لاـ يشق عليه ازالتها،فيعمل عمل من لو كان على وجه الأرض وحده لكان يعمله و أما العلاج العملى،فهو أن يعود نفسه على إخفاء العبادات و اغلاق الابواب دونها،كما تغلق الابواب دون الفواحش،حتى يقنع قلبه بعلم اللّه و اطلاعه على عبادته،و لا تنازعه النفس إلى طلب علم غير اللّه به.و ذلك و إن شق فى بدايه المجاهده،لكن إذا صبر عليه مده بالتكلف سقط عنه ثقله و هان عليه بتواصل الطاف اللّه و ما يمده به عباده من حسن التوفيق و التأييد:

إِنَّ اللّٰهَ لاٰ يُغَيِّرُ مٰا بِقَوْمٍ حَتّٰى يُغَيِّرُوا مٰا بِأَنْفُسِهِمْ

(١)

.

فمن العبد المجاهده و من اللّه الهدايه:

إِنَّ اللّٰهَ لاٰ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ

(٢)

.

تتميم

القالع مغارس الرياء من قلبه بقطع الطمع و استحقار مدح الناس و ذمهم ربما لا يتركه الشيطان،(لا)سيما فى اثناء العباده،فعارضه بخطرات الرياء و نزغاته،حتى أحدث فى قلبه ميلا خفيا إلى الرياء و حبا له.و الحق أن ذلك ليس من الرياء المحرم،و لا تفسد به العباده،مع كونه كارها

١- ١) الرعد،الآيه:١١.

٢- ٢) التوبه،الآيه:١٢٠.

لهـذا الميـل و الحب و قـاهرا على نفسه ماقتـا لها فى تأثرها و تغيرها عن نزغات الشـيطان و منازعا للشـيطان و مجاهـدا إياه لـدفع خطراته،لأـن اللّه لم يكلف عبـاده الاـ مـا يطيقون،و ليس فى وسـعهم منع الشـيطان عن نزغـاته و لاـ قمع الطبع حتى لاـ يميل إلى شهواته،و غـايه مـا يقـدرون عليه أن يقابلوا نزعاته و ميل الطبع بالكراهه و القهر على النفس فى هـذا الميل،مع المجاهـده فى دفع ذلك بتـذكر المعالجات المقرره لـدفع الرياء و الوساوس،و إذا فعلوا ذلك أدوا ما يجب عليهم.و يـدل على ذلك أيضا ما تقـدم من الأخبار الداله على عدم المؤاخذه بمجرد الوسوسه،و قول النبى-صـلى اللّه عليه و آله-:«الحمد للّه الذى رد كيد الشـيطان إلى الوسوسه».فوسوسه الشـيطان و ميل النفس لا يضـران مع ردهما بالكراهه و الاباء،اذ الوساوس و الخواطر و التـذكرات و التخيلات المهيجه للريـاء من الشيطان،و الميـل و الرغبه بعـد تلـك الخواطر من النفس،و الإبـاء و الكراهه من الايمان و من آثار العقل فلا يضـر مـا من النفس و الشيطان إذا قوبـل بمـا من العقـل و الايمـان،و لـذا قـال بعض الأكابر «ما كان من نفسك فكرهته نفسـك لنفسك،فلا يضرك ما هو من عدوك و ما كان من نفسك فرضيته نفسك لنفسك فعاتبها عليه».

ثم الطرق المتصوره فى دفع خطرات الرياء فى اثناء العباده مع كراهتها أربع:

الأولى-أن يشتغل بمجادله الشيطان فى رد نزغاته،و يطيل معه الجدال.

الثانيه-أن يقتصر على تكذيب الشيطان و دفعه من غير اشتغال بمجادلته.

الثالثه-ألا يشـتغل بتكـذيبه أيضا،بل يكتفى بما قرر فى عقد ضـميره من كراهه الرياء و كذب الشـيطان،فيسـتمر على ما كان عليه مستصحبا له

غیر مشتغل بالمخاصمه و التکذیب.

الرابعه-أن یزید فیما هو فیه من الإخلاص و الاشتغال باللّه،أو ما یؤدی إلیهما،کاخفاء العباده و الصدقه غیظا للشیطان،لأن ذلک یغیظ الشیطان و یوجب یأسه،و مهما عرف من العبد هذه العاده،کف عنه خوفا من أن یزید فی حسناته.

و لا ریب فی أن الاشتغال بالمجادله و التکذیب و اطالتهما یمنع الحضور و یصد عن التوجه إلی اللّه،و هو نقصان لأهل السلوک،فالصواب لکل مؤمن أن یقرر دائما فی عقد ضمیره کراهیه الریاء و تکذیب الشیطان و یعزم أبدا علی أنه إذا تهجم علیه الشیطان و عارضه بنزغات الریاء زاد ما هو فیه مما یغیظ الشیطان و یوجب یأسه،فإذا حدثت خطرات الشیطان فی الاثناء اکتفی بما عقد علیه أولا مستصحبا له،و زاد فی الإخلاص و ما یؤدی إلیه فان ذلک یوجب قنوط الشیطان.و إذا عرف العبد بهذه الصفه لا یتعرض له لئلا یزید فیما یغیظه.و ینبغی لکل مؤمن أن یکون هذا دیدنه فی جمیع الصفات و الملکات،مثلا إذا حصل الیقین و العقیده الجازمه بالمبدإ و صفاته الکمالیه،و قرر ذلک فی نفسه،و أثبت فی قلبه کراهیه الشک و خطور الوساوس،فإذا حدث بعض الوساوس فی اثناء عباده أو غیرها،ینبغی ألا یشتغل بطول المجاهده مع الشیطان،و یکفی بما تقرر فی قلبه من الیقین و کراهیه الشک و الوسوسه،معتقدا بأن هذه الوساوس لا أصل لها و لا عبره بها.و کذا إذا قرر فی نفسه النصیحه للمسلمین و کراهیه الحسد،فإذا أوقع الشیطان نزغات الحسد فی قلبه،ینبغی ألا یلتفت إلیها،و یستصعب ما کان علیه من النصیحه و الکراهه،و قس علیها سائر الصفات و الأخلاق.

ثم مثل من یشتغل بطول المجاهده مع الشیطان مثل من قصد مجلسا من مجالس العلم و الوعظ لینال فائده و هدایه فعارضه ضال فاسق و دعاه إلی

مجلس فسق فـابى و أنكر عليه،فـإذا عرف الضـال إيـاه،اشـتغل بالمجادله معه،و هو أيضا يساعـده على ذلك ليرد ضـلاله،ظانا أن ذلك مصلحته مع أنه غرض الضال إذ قصده من المجادله أن يؤخره عن نيل مقصوده.

و مثـل من يشـتغل بالتكـذيب مثـل من لا يشـتغل بالقتال مع الضال بعـد دعوته الى مجلس الضـلال،بل وقف بقـدر أن يـدفع فى منحره،و ذهب مسـتعجلا ففرح الضال بقـدر توقفه للدفع.و مثل من يكتفى بعقد الضـمير مثل من لم يلتفت إلى الضال بعد دعوته أصـلا،و اسـتمر على ما كان عليه من المشـى و مثل من يزيـد فيما كان له من الإخلاص أو ما يؤدى إليه مثل من يزيـد فى عجلته بعـد دعـوته ليغيظـه.و لاـ ريـب فى أن الضـال يمكـن أن يعـاود الجميع فى الـدعوه إلى الضــلاله إذا مروا عليـه مره أخرى إلا الأخير،مخافه أن يزداد فائده باستعجاله.

وصل الإخلاص و حقيقته

ضـد الرياء:الإخلاص،و هو تجريـد القصـد عن الشوائب كلها.فمن عمل طاعه رياء فهو مراء مطلق،و من عملها و انضم إلى قصـد القربه قصـد غرض دنيوى انضـماما غير مسـتقل فعمله مشوب غير خالص،كقصـد الانتفاع بالحميه من الصوم،و قصد التخلص من مؤنه العبد أو سوء خلقه من عتقه،و قصد صـحه المزاج أو التخلص من بعض الشـرور و الاحزان من الحج،و قصد العزه بين الناس أو سـهوله طلب المال من تعلم العلم، و قصـد النظافه و التبرد و طيب الرائحه من الوضوء و الغسل،و التخلص عن إبرام السائل من التصدق عليه،و هكذا.فمتى كان باعث الطاعه هو التقرب و لكن انضافت إليه خطره من هذه الخطرات،خرج عمله من الإخلاص

فالاخلاص تخليص العمل عن هذه الشوائب كلها،كثيرها و قليلها و المخلص من يكون عمله لمحض التقرب إلى اللّه سبحانه،من دون قصد شيء آخر أصلا.

ثم أعلى مراتب الإخلاص-و هو الإخلاص المطلق و اخلاص الصديقين- إرادته محض وجه اللّه سبحانه من العمل،دون توقع غرض في الدارين و لا يتحقق إلا لمحب للّه تعالى مستهترا به،مستغرق الهم بعظمته و جلاله بحيث لم يكن ملتفتا إلى الدنيا مطلقا. و أدناها-و هو الإخلاص الاضافي- قصد الثواب و الاستخلاص من العذاب،و قد أشار سيد الرسل-صلى اللّه عليه و آله- الى حقيقه الإخلاص بقوله-:«هو أن تقول ربى اللّه ثم تستقيم كما أمرت (۱)تعمل اللّه،لا تحب أن تحمد عليه!اى لا تعبد هواك و نفسك،و لا تعبد إلا ربك،و تستقيم في عبادتك كما أمرت».

و هذا إشاره إلى قطع ما سوى اللّه سبحانه عن مجرى النظر،و هو الإخلاص حقا.و يتوقف تحصيله على كسر حظوظ النفس و قطع الطمع عن الدنيا و التجرد في الآخره،بحيث ما يغلب ذلك على القلب و التفكر في صفات اللّه تعالى و افعاله و الاشتغال بمناجاته حتى يغلب على قلبه نور جلاله و عظمته و يستولى عليه حبه و أنسه،و كم من اعمال يتعب الإنسان فيها و يظن انها خالصه لوجه اللّه تعالى،و يكون فيها مغرورا لعدم عثوره على وجه الآفه فيها،كما حكى عن بعضهم أنه قال:«قضيت صلاه ثلاثين سنه كنت صليتها في المسجد جماعه في الصف الأول،لأني تأخرت يوما لعذر و صليت في الصف الثاني،فاعترتني خجله من الناس حيث رأوني في الصف الثاني فعرفت أن نظر الناس إلى في الصف الأول كان يسرني،و كان سبب

۱- ۱) إشاره إلى قوله تعالى،مخاطبا لنبيه-صلى اللّه عليه و آله-:«فاستقم كما أمرت».

استراحه قلبی من ذلک من حیث لا اشعر».و هذا دقیق غامض،و قلما تسلم الأعمال من أمثاله،و قل من یتنبه له،و الغافلون عنه یرون حسناتهم فی الآخره کلها سیئات،و هم المرادون بقوله تعالی:

وَ بَدا لَهُمْ سَیِّئاتُ ما عَمِلُوا

(۱)

. وَ بَدا لَهُمْ مِنَ اللّهِ ما لَمْ یَکُونُوا یَحْتَسِبُونَ (۲).و بقوله: قُلْ هَلْ نُنَبِّئُکُمْ بِالْأَخْسَرِینَ أَعْمالاً؟ اَلَّذِینَ ضَلَّ سَعْیُهُمْ فِی الْحَیاهِ الدُّنْیا وَ هُمْ یَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ یُحْسِنُونَ صُنْعاً (۳).

فصل مدح الإخلاص

الإخلاص منزل من منازل الدین،و مقام من مقامات الموقنین.و هو الکبریت الأحمر،و توفیق الوصول إلیه من اللّه الاکبر،و لذا ورد فی فضیلته ما ورد من الآیات و الأخبار،قال اللّه تعالی:

وَ ما أُمِرُوا إِلاّ لِیَعْبُدُوا اللّهَ مُخْلِصِینَ لَهُ الدِّینَ

(۴)

.

و قال: أَلا لِلّهِ الدِّینُ الْخالِصُ (۵).و قال: إِلاَّ الَّذِینَ

۱- ۱) الجاثیه،الآیه:۳۳.

۲- ۲) الزمر،الآیه:۴۷.

۳- ۳) الکهف،الآیه:۱۰۴،۱۰۳.

۴- ۴) البینه،الآیه:۵.

۵- ۵) الزمر،الآیه:۳.

تَابُوا وَ أَصْلَحُوا وَ اعْتَصَمُوا بِاللّهِ وَ أَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلّهِ

(۱)

و قال:

فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَ لاٰ يُشْرِكْ بِعِبَادَهِ رَبِّهِ أَحَداً

(۲)

.

نزل فيمن يعمل للّه و يحب أن يحمد عليه.

و فى الخبر القدسى:«الإخلاص سر من أسرارى،استودعته قلب من أحببت من عبادى».و قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-«أخلص العمل يجزك منه القليل».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«ما من عبد يخلص العمل للّه تعالى أربعين يوما إلا ظهرت ينابيع الحكمه من قلبه على لسانه».و قال-صلى اللّه عليه و آله-:«ثلاث لا يغل عليهن».

وعد منها قلب رجل مسلم أخلص العمل للّه عز و جل.و قال أمير المؤمنين عليه السلام:«لا تهتموا لقله العمل،و اهتموا للقبول».و قال أمير المؤمنين عليه السلام:«طوبى لمن أخلص للّه العباده و الدعاء،و لم يشغل قلبه بما ترى عيناه،و لم ينس ذكر اللّه بما تسمع أذناه،و لم يحزن صدره بما أعطى غيره!».و قال الباقر-عليه السلام-:«ما أخلص عبد الايمان باللّه أربعين يوما-أو قال:ما أجمل عبد ذكر اللّه أربعين يوما-الا زهده اللّه تعالى فى الدنيا و بصره داءها و دواءها،و أثبت الحكمه فى قلبه و انطق بها لسانه». و قال الصادق عليه السلام فى قول اللّه عز و جل.

لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً :

۱- ۱) النساء،الآيه:۱۴۶.

۲- ۲) الكهف،الآيه:۱۱۰.

«ليس يعنى أكثركم عملا،و لكن اصوبكم عملا،و انما الإصابه خشيه اللّه و النيه الصادقه»..ثم قال:«الايفاء على العمل حتى يخلص أشد من العمل،و العمل الخالص الذى لا تريد أن يحمدك عليه أحد إلا اللّه عز و جل،و النيه أفضل من العمل،ألا و ان النيه هى العمل».

ثم تلا قوله عز و جل«قل كل يعمل على شاكلته»:يعنى على نيته».

و قال الصادق-عليه السلام-:«الإخلاص (۱)يجمع فواضل الاعمال و هو معنى مفتاحه القبول و توفيقه الرضا،فمن تقبل اللّه منه و رضى عنه فهو المخلص و ان قل عمله،و من لا يتقبل اللّه منه فليس بمخلص و ان كثر عمله،اعتبارا بآدم-عليه السلام-و ابليس.و علامه القبول وجود الاستقامه ببذل كل المحاب مع اصابه علم كل حركه و سكون،و المخلص ذائب روحه باذل مهجته فى تقويم ما به العلم و الأعمال و العامل و المعمول بالعمل،لأنه إذا أدرك ذلك فقد أدرك ذلك الكل،و إذا فاته ذلك فاته الكل،و هو تصفيه معانى التنزيه فى التوحيد كما قال الأول:هلك العاملون إلا العابدون،و هلك العابدون إلا العالمون و هلك العالمون إلا الصادقون،و هلك الصادقون إلا المخلصون،و هلك المخلصون إلا المتقون و هلك المتقون إلا الموقنون،و أن الموقنين لعلى خطر عظيم!قال اللّه لنبيه -صلى اللّه عليه و آله-:و اعبد ربك حتى يأتيك اليقين.و أدنى حد الإخلاص بذل العبد طاقته،ثم لا يجعل لعمله عند اللّه قدرا فيوجب به على ربه مكافاه بعمله،لعلمه أنه لو طالبه بوفاء حق العبوديه لعجز، و أدنى مقام المخلص فى الدنيا السلامه فى جميع الآثام،و فى الآخره النجاه

---

۱ - ۱) صححنا الاخبار المرويه عن أهل البيت-عليهم السلام-على(الكافى) باب الإخلاص.و على(الوافى):۳-۳۲۸،۳۲۹ باب الإخلاص.

من النار و الفوز بالجنه» (۱).

و من تأمل فی هذه الاخبار و فی غیرها مما لم یذکر،یعلم أن الإخلاص رأس الفضائل و رئیسها،و هو المناط فی قبول الأعمال و صحتها،و لا عبره بعمل لا الإخلاص معه،و لا خلاص من الشیطان إلا بالإخلاص،لقوله:

إِلاّ عِبٰادَکَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِینَ

(۲)

.

و ما ورد فی الإسرائیلیات من حکایه العابد و الشیطان و الشجره المشهور و فی الکتب مسطور (۳).

فصل آفات الإخلاص

الآفات التی تکدر الإخلاص و تشوشه لها درجات فی الظهور و الخفاء اجلاها الریاء الظاهر،و هو ظاهر.ثم تحسین العباده و السعی فی الخشوع فیها فی الملأ دون الخلوه لیتأسی به الناس،و لو کان عمله هذا خالصا للّه لم یترکه فی الخلوه،إذ من یری الخشوع و حسن العباده خیرا لا یرتضی لغیره ترکه،فکیف یرتضی ذلک لنفسه فی الخلوه،ثم تحسینها فی الخلوه أیضا بقصد التسویه بین الخلوه و الملأ،و هذا من الریاء الغامض،لأنه حسن عبادته فی الخلوه لیحسنها فی الملأ،فلا یکون فرق بینهما فی التفاته فیهما إلی الخلق،اذ الإخلاص الواقعی أن تکون مشاهده الخلق لعبادته

۱- ۱) صححنا الروایه علی(مصباح الشریعه):الباب ۷۷ و علی(البحار): مج ۲:۱۵-۸۶ باب الإخلاص عن(مصباح الشریعه).

۲- ۲) الحجر،الآیه ۴۰.

۳- ۳) راجع(احیاء العلوم)۴-۳۲۲.

كمشاهده البهائم لها،من دون تفاوت أصلا،فكأن نفسه لا تسمح باساءه العباده بين اظهر الناس،ثم يستحى من نفسه أن يكون فى صوره المرائين و يظن أن ذلك يزول باستواء عبادته فى الخلوه و الملأ،و ليس كما ظنه،اذ زوال ذلك موقوف على عدم التفاته إلى الخلق فى الملأ و الخلوه كما لا يلتفت الى الجمادات فيهما مع أنه مشغول الهم بالخلق فيهما جميعا.و اخفاها أن يقول له الشيطان-و هو فى العباده فى الملأ بعد يأسه عن المكائد السابقه-:

«أنت واقف بين يدى اللّه سبحانه،فتفكر فى جلاله و عظمته،و استحى من أن ينظر إلى قلبك و هو غافل عنه!فيحضر بذلك قلبه و تخشع جوارحه» و هذا أخفى مكائد الشيطان و خداعه،و لو كانت هذه الخطره ناشئه عن الإخلاص لما انفكت عنه فى الخلوه و لم يخص خطورها بحاله حضور غيره و علامه الأمن من هذه الآفه:أن يكون هذا الخاطر مما يألفه فى الخلوه كما يألفه فى الملأ،و لا يكون حضور الغير سببا لحضوره كما لا يكون حضور بهيمه سببا له،فما دام العبد يفرق فى أحواله و أعماله بين مشاهده انسان و مشاهده بهيمه،فهو بعد خارج عن صفو الإخلاص مدنس الباطن بالشرك الخفى من الرياء،و هذا الشرك أخفى فى قلب ابن آدم من دبيب النمله السوداء فى الليله الظلماء على الصخره الصماء،كما ورد به الخبر و لا يسلم منه إلا من عصمه اللّه بخفى لطفه،اذ الشيطان ملازم للمتشمرين لعباده اللّه،لا يغفل عنهم لحظه ليحملهم على الرياء فى كل واحد من أفعالهم و أعمالهم.

تتميم

الحق-كما أشير إليه-أن الشوب الممزوج بالإخلاص إن كان من المقاصد الصحيحه الراجحه شرعا،لم يبطل العمل و الإخلاص و لم ينقص

ص :۴۱۹

الأجر و الثواب.اذ نيه الخيرات المتعدده توجب تضاعف الثواب بحسبها و إن كان من الأغراض الدنيويه الراجعه إلى حب جاه أو طمع مال فهو مبطل للعمل و الثواب،سواء كان الباعث الدينى أضعف من الباعث النفسى أو مساويا له أو أقوى منه،لظواهر الاخبار المتقدمه.و مع إبطاله العمل يترتب عليه عقاب على حده أيضا،إذ الرياء فى العباده فى نفسه منهى عنه محرم،سواء كان هو الباعث وحده او انضم إلى نيه التقرب انضماما مستقلا أو غير مستقل،فمن ارتكبه كان آثما لأجل الرياء فى نفسه و تاركا للعباده من حيث دخول الرياء فيها،فان كانت واجبه ترتب اثم آخر على تركها إلا أن يسقطه بقضائها،و ان كانت مستحبه لم يلزم قضاؤها و لم يترتب اثم على تركها،بل كان اثمها منحصرا بما يترتب على الرياء فى نفسه.ثم الإثم المترتب على الرياء المحض أشد و اغلط من المترتب على الرياء الممزوج بالقربه،و يتزايد اثم الممزوج بحسب ازدياد قوه باعث الرياء بالنظر إلى باعث الإخلاص،و ينقص بحسب نقصان ذلك.

و على ما ذكرناه،فما العقد عليه إجماع الأمه من أن من خرج حاجا و معه تجاره صح حجه و أثيب عليه،مع أن سفره ليس خالصا للحج، فالوجه فيه أن التجاره تعرض للرزق،و هو أيضا عباده.و قد تقدم أن نيه الخيرات المتعدده موجبه لتضاعف الثواب بحسبها،فلا حاجه إلى ما قيل «إن التاجر إنما يثاب على أعمال الحج عند انتهائه إلى مكه و تجارته غير موقوفه عليه فهو خالص،و إنما المشترك طول المسافه،و لا ثواب فيه مهما قصد تجاره»،و لا إلى ما قيل:«مهما كان الحج هو المحرك الأصلى و كان غرض التجاره كالمعين و التابع،فلا ينفك نفس السفر عن الثواب» نعم،إذا كانت التجاره للجمع و الادخار من غير حاجه،فلا يبعد أن يقال ذلك،و كذا إذا انضم إلى قصد الحج قصد التفرج و دفع التوحش عن الأهل

انضماما غير مستقل،و مثله إذا انضم إلى نيه الوضوء التبرد،و إلى نيه الصوم قصد الحميه،و إلى نيه العتق الخلاص من المؤنه و سوء الخلق،الى غير ذلک،اذا لم تكن المنضمات مستقله.

و من العلماء من قال:«إن الباعثين إن تساويا تساقطا،و صار العمل لا له و لا عليه،و ان كان باعث الرياء أقوى لم يكن العمل نافعا،بل كان مضرا و موجبا للعقاب،و إن كان عقابه أخف من عقاب الذى تجرد للرياء و ان كان باعث التقرب أقوى فله ثواب بقدر ما فضل من قوته، لقوله تعالى:

فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّهٍ خَيْراً يَرَهُ. وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّهٍ شَرًّا يَرَهُ

(۱)

.و قوله تعالى: إِنَّ اللّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقالَ ذَرَّهٍ (۲).

فلا ينبغى أن يضيع قصد الخير،بل إن كان قصد التقرب غالبا على الرياء حبط منه القدر الذى يساويه و بقيت زياده،و إن كان مغلوبا سقط بسببه شىء من عقوبه القصد الفاسد.و السر:أن الأعمال تأثيرها فى القلوب بتأكيد صفاتها،فداعيه الرياء من المهلكات،و قوه هذا المهلك بالعمل على وفقه،و داعيه الخير من المنجيات،و قوته بالعمل على وفقه،فإذا اجتمعت الصفات فى القلب فهما متضادتان،فإذا عمل على وفق مقتضى الرياء قويت تلك الصفه،و ان عمل على وفق داعيه الخير قويت أيضا تلك الصفه،و أحدهما مهلک و الآخر منج.فان كانت تقويته لهذا بقدر

۱- ۱) الزلزال،الآيه:۷،۸.

۲- ۲) النساء،الآيه:۴۰.

تقویته للاخر فقد تقاوما،و ان کان أحدهما غالبا زاد تأثیره بقدر الفاضل من قوته،کما فی تأثیر الأدویه و الأغذیه المتضاده»انتهی (۱).

و فیه:أن إطلاق الظواهر یفید کون شوب الریاء محبطا للعمل و الثواب و قدم تقدم بعضها.و منها ما روی:«أن رجلا سأل النبی-صلی اللّه علیه و آله-:عمن یصطنع المعروف-أو قال-یتصدق-فیحب أن یحمد و یؤجر،فلم یدر ما یقول له،حتی نزل قوله تعالی:

فَمَنْ کٰانَ یَرْجُوا لِقٰاءَ رَبِّهِ فَلْیَعْمَلْ عَمَلاً صٰالِحاً وَ لاٰ یُشْرِکْ بِعِبٰادَهِ رَبِّهِ أَحَداً

(۲)

.

و لا ریب فی أنه قصد الحمد و الأجر جمیعا،و مع ذلک نزلت فی حقه هذه الآیه.

و منها ما روی:«أن اعرابیا أتاه-صلی اللّه علیه و آله-و قال:

یا رسول اللّه،الرجل یقاتل حمیه،و الرجل یقاتل شجاعه،و الرجل یقاتل لیری مکانه فی سبیل اللّه!فقال-صلی اللّه علیه و آله-:من قاتل لتکون کلمه اللّه هی العلیا فهو فی سبیل اللّه».و حملها علی صوره تساوی القصدین

ص:۴۲۲

۱- ۱) ابو حامد الغزالی:(احیاء العلوم):۴-۳۲۸.و نقله المؤلف باختصار و تصرف قلیلین.

۲- ۲) هذه مرویه فی(البحار):مج ۳:۱۵-۵۹،باب ذم السمعه و الاغترار بمدح الناس،عن عده الداعی بمضمون یقارب ماهنا و نصه عن سعید بن جبیر قال:«جاء رجل إلی النبی-صلی اللّه علیه و آله-فقال:انی اتصدق و أصل الرحم و لا اصنع ذلک إلا للّه فیذکر عنی و أحمد علیه،فأسر فی ذلک و اعجب به.فسکت رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-و لم یقل شیئا،فنزل قوله تعالی:إنما أنا بشر. الآیه».

أو غلبه قصد الرياء خلاف الظاهر.و ما ذكره من أن لكل قصد و فعل تأثيرا خاصا على حده،ففيه أن ذلک إذا لم يبطله ضده.و نحن نقول:

إن مقتضى الاخبار كصريح العقل يدل على أن قصد الرياء يبطل قصد القربه إذا تواردا على فعل واحد،فلا يبقى لقصد التقرب تأثير حتى يتصف بالزياده على تأثير قصد الرياء.

و منها:

النفاق

و هو مخالفه السر و العلن،سواء كان فى الايمان أو فى الطاعات أو فى المعاشرات مع الناس،و سواء قصد به طلب الجاه و المال أم لا-و على هذا فهو أعم من الرياء مطلقا،و ان خص بمخالفه القلب و اللسان أو بمخالفه الظاهر و الباطن فى معامله الناس و مصاحبتهم،فبينهما عموم و خصوص من وجه.و على التقادير،إن كان باعثه الجبن فهو من رذائل قوه الغضب من جانب التفريط،و ان كان باعثه طلب الجاه فهو من رذائلها من جانب الإفراط و إن كان منشأه تحصيل مال أو منكح فهو من رداءه قوه الشهوه و لا ريب فى أنه من المهلكات العظيمه،و قد تعاضدت الآيات و الأخبار على ذمه.و أشد أنواع النفاق-بعد كفر النفاق-كون الرجل ذا وجهين و لسانين،بأن يمدح أخاه المسلم فى حضوره و يظهر له المحبه و النصيحه، و يذمه فى غيبته و يؤذيه بالسب و السعايه إلى الظالمين و هتک عرضه و اتلاف ماله و غير ذلک،و بأن يتردد بين متعاديين و يتكلم لكل واحد بكلام يوافقه و يحسن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعاداه مع صاحبه و يمدحه (۱)على

۱- ۱) و فى النسخ(اثناه)بدل(يمدحه)،و لم نر لها وجها.

ذلـک،أو یعـد کـل واحـد منهمـا أنه ینصـره،أو ینقـل کلاـم کل واحـد الی الآخر.و هـذا شـر من النمیمه التی هی النقل من أحد الجـانبین.و بـالجمله هو بجمیع أقسامه مـذموم محرم،قال رسول اللّه-صـلی اللّه علیه و آله- «من کان له وجهان فی الـدنیا،کان له لسانان من نار یوم القیامه».

و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«تجدون من شر عباد اللّه یوم القیامه ذا الوجهین:الذی یأتی هؤلاء بوجه و هؤلاء بوجه».و قال-صلی اللّه علیه و آله-:«یجیء یوم القیامه ذو الوجهین دالعا لسانه فی قفاه و آخر من قـدامه یلتهبان نارا حتی یلتهبان خـده،ثم یقال:هـذا الذی کان فی الدنیا ذا وجهین و ذا لسانین،یعرف بذلک یوم القیامه». و ورد فی التوراه «بطلت الأمانه و الرجل مع صاحبه بشفتین مختلفتین،یهلک اللّه یوم القیامه کل شـفتین مختلفتین».و عن علی بن اسباط،عن عبد الرحمن بن حماد، رفعه قال:قال اللّه تبارک و تعالی لعیسـی:«یا عیسی،لیکن لسانک فی السر و العلانیه لسانا واحد،و کذلک قلبک،إنی احذرک نفسک،و کفی بی خبیرا!لا یصلح لسانان فی فم واحد،و لا سیفان فی غمد واحد،و لا قلبان فی صدر واحد،و کذلک الاذهان!».و قال الباقر علیه السلام:

«لبئس العبد عبد یکون ذا وجهین و ذا لسانین،یطری أخاه شاهدا و یأکله غائبا،إن أعطی حسده و ان ابتلی خذله».

ثم لاـ یخفی أن الـدخول علی المعتـادیین و المجـامله مع کـل منهمـا قولاـ و فعلاـ لاـ یوجب کونه منافقـا و لا ذا لسانین إذا کان صادقا،إذ الواحـد قـد یصادق متعادیین،و لکن صـداقه ضـعیفه،إذ الصداقه التامه تقتضـی معاداه الأعداء و کذا من ابتلی بذی شـر یخاف شـره،یجوز أن یجامله و یتقیه و یظهر له فی حضوره من المـدح و المحبه ما لم یعتقـد به قلبه،و هو معنی المداراه، و هو و ان کان نفاقا إلا أنه جائز شرعا للعذر،قال اللّه سبحانه:

اِدْفَعْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ السَّیِّئَهَ

(۱)

.

و روی:«أنه استأذن رجل علی رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله- فقال:ائذنوا له فبئس رجل العشیره.فلما دخل ألان له القول،حتی ظن أن له عنده منزله.فلما خرج،قیل له:لما دخل قلت الذی قلت ثم ألنت له القول؟!فقال:إن شر الناس منزله عند اللّه یوم القیامه من اکرمه الناس اتقاء لشره».و یدل علی جواز ذلک جمیع أخبار التقیه و اخبار المداراه.و فی خبر:«ما وقی المرء به عرضه فهو له صدقه».

و قال بعض الصحابه:«کنا نبشر فی وجوه أقوام نلعنهم بقلوبنا».ثم جواز ذلک انما إذا اضطر إلی الدخول علی ذی الشر و مدحه مظنه الضرر أما لو کان مستغنیا عن الدخول و الثناء أو عن أحدهما،و مع ذلک أبدی بلسانه ما لیس فی قلبه من المدح،فهو نفاق محرم.

ثم ضد النفاق استواء السر و العلانیه،أو کون الباطن خیرا من الظاهر،و هو من شرائف الصفات،و کان الاتصاف به و الاجتناب من النفاق أهم مقاصد المؤمنین من الصدر الأول.و من تأمل فی ما ورد فی ذم النفاق و فی مدح موافقه الباطن مع الظاهر،و تقدم الرویه فی کل قول و فعل لم یصعب علیه أن یحافظ نفسه من رذیله النفاق.

انتهی الجزء الثانی و یلیه الجزء الثالث،و أوله(و منها:الغرور)

۱- ۱) المؤمنون،الآیه:۹۶.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامى عام ١۴٢۶ الهجرى فى المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فى الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فى العلوم الإسلامية وتبعثرها فى أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين فى العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهى منظمة فى برامج إلكترونية وجاهزة فى مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبىّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ فى المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة فى الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين فى الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها فى ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمى البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

٤.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فی تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزی ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فی طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ ـ ٠٢١

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
القائمية
اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩